



الدراسات الأفريقية والعربية

فصلية دولية علمية محكمة تصدر عن:
مخبر الحوكمة والتنمية المستدامة بجامعة البليدة ٢
بالتعاون مع
المركز العراقي الأفريقي للدراسات الاستراتيجية

المجلد الثالث - العددان التاسع والعاشر
مارس - يونيو ٢٠٢٠م

Iraqi-African Center For Strategic Studies

Tel: 00964776837196

(NGO)1E78478

<http://ciaes.net/>

مجلة الدراسات الأفريقية والعربية

African & Arab studies

International Scientific Periodical Journal issued from the laboratory of Governance and Sustainable Development, Lounici Ali University - Blida 02 / Algeria, in cooperation with the Iraqi-African Center for Strategic Studies

Issn: 2709-2828

تصدر عنه:

المركز العراقي الأفريقي

9

مخبر الحوكمة والتنمية المستدامة بجامعة البلدية 2



رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد

٢٠١٨ / ١٨٧٩

وكيل المجلة في ليبيا



رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية - ليبيا

٢٠١٨ / ١٥٥



الترقيم الدولي

ISSN: 2709-2828

الهيئة التحريرية للمجلة

رئيس التحرير: د. بلهول نسيم
نائب رئيس التحرير: دينا العشري

مديرا التحرير:

د. رشا العشري (مصر)
أ. عبید إميچن (موريتانيا)

أعضاء هيئة التحرير:

- د. حاتم الصديق محمد أحمد (السودان)
- رئيس مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر
- د. عزيز بن طالب (المغرب)
- رئيس المركز الدولي للوحدات والمناطق الجبلية
- د. خالدة سالم بابكر (السودان)
- باحثة متخصصة في الشأن الأفريقي
- أ. محمد عز الدين (مصر)
- رئيس مؤسسة النيل للدراسات الأفريقية
- أ. محمد علي أحمد حمران (صنعاء)
- رئيس اتحاد الأكاديميين العرب
- التسويق والمراجعة: مصطفى فؤاد
- تصميم الغلاف: كمال سند

الهيئة العلمية الاستشارية للمجلة

- د. محمد علي محمد نوفل
- أستاذ الدراسات اللغوية ولغتي الهوسا والسواحيلي
- بقسم اللغات الإفريقية. عميد كلية الدراسات الإفريقية
- العليا جامعة القاهرة (مصر)
- د. مولاي ابراهيم سدره
- استاذ التعليم العالي بجامعة مولاي إسماعيل بمكناس
- (عميد كلية العلوم والتقنيات بالرشيدية) (المغرب)
- د. ريم موسى
- استاذ العلوم السياسية وعميد كلية الدراسات
- الاجتماعية والاقتصادية جامعة بحري (السودان).
- د. صالح زياتي
- أستاذ تعليم عالي في العلوم السياسية، جامعة باتنة 1
- (الجزائر).
- د. جمال السيد الضلع
- أستاذ العلوم السياسية ورئيس قسم السياسة والاقتصاد
- الأسبق بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية - جامعة
- القاهرة (مصر).
- د. بن يزة يوسف
- أستاذ تعليم عالي في العلوم السياسية، جامعة باتنة 1
- (الجزائر)

د. أ.د. محمد المختار جي

استاذ وباحث أكاديمي رئيس مركز البحوث والدراسات الإفريقية
بالسنغال وأمين عام للاتحاد العربي الإفريقي للتنمية المستدامة
المتكاملة التابع لجامعة الدول العربية بالسنغال (السنغال)

د. أ.د. عطية محمود الطنطاوي

أستاذ الجغرافيا الطبيعية بقسم الجغرافيا ونظم المعلومات
الجغرافية. وكيل كلية الدراسات الإفريقية العليا (مصر)

د. د. مهدي ذهب حسن ذهب

استاذ العلوم السياسية. رئيس قسم العلوم السياسية
المشارك بجامعة افريقيا العالمية (السودان).

د. د. بلهول نسيم

أستاذ محاضر بقسم العلوم السياسية- جامعة البليدة
02 (الجزائر).

د. د. تامر محمود عبد الوهاب

مستشار العميد ومدرس الأنثروبولوجيا الطبيعية بقسم
الأنثروبولوجيا كلية الدراسات الإفريقية العليا (مصر).

د. د. محمد أدریس عبد العزيز

رئيس قسم العلوم السياسية بجامعة طبرق (ليبيا).

د. د. سيد رشاد قرني

مدرس اللغة السواحلية بقسم اللغات الإفريقية كلية
الدراسات الإفريقية العليا، جامعة القاهرة (مصر).

د. د. أوان عبد الله الفيضي

الأستاذ المساعد في كلية الحقوق- جامعة الموصل (العراق).

د. د. رامي عاشور

دكتور العلوم السياسية والأمن القومي وزميل أكاديمية
ناصر العسكرية العليا (مصر).

د. د. محسن الندوي

علوم سياسية وعلاقات دولية - رئيس المركز المغربي
للأبحاث والدراسات الاستراتيجية (المغرب).

د. د. عبد السلام بشير خليفة

دكتوراه في العلاقات الدولية. جامعة الزاوية (ليبيا).

د. د. عوض أحمد حسين شبا

استاذ مساعد تاريخ وسيط جامعة الزعيم الأزهرى
ونائب مدير مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر

الأحمر (السودان).

د. د. جمال علي سالم

باحث متخصص في العلاقات الدولية (العربية
والأفريقية) (ليبيا).

د. د. إبراهيم عبد اللطيف عبد المطلب خوجلي

أستاذ مشارك - جامعة كسلا - كلية التربية - قسم
الجغرافيا (السودان).

د. أ.د. عواطف حسن علي عبد المجيد

رئيس قسم العلوم التربوية - جامعة السودان للعلوم
والتكنولوجيا (السودان)

رؤية المجلة وشروط النشر بالمجلة

”مجلة الدراسات الأفريقية والعربية“ فصلية دولية محكمة تصدر عن مخبر الحوكمة والتنمية المستدامة بجامعة لونيبي علي - البليدة ٢ - الجزائر، و”المركز العراقي الأفريقي للدراسات الاستراتيجية“ العراق. بغداد، بالتعاون مع دار البيان للنشر والتوزيع والإعلان الليبية. تعنى المجلة بالدراسات والبحوث والأوراق البحثية عمومًا في مجالات العلوم السياسية والعلاقات الدولية وكافة القضايا المتعلقة بالقارة الأفريقية ودول حوض النيل والدول العربية، كما تسعى المجلة لتحقيق هدف المركز في التقارب العربي الأفريقي، والاهتمام بالقضايا التي تهم الطرفين اقتصادياً وسياسياً، وثقافياً واجتماعياً، أملاً في وجود دراسات وأبحاث تطرح رؤى وأفكار تسهم في تشكيل كيان أفريقي عربي يقف في وجه التحديات والأيدولوجيات الخاطئة التي تفرض على الساحة الدولية، لتكون أفكارنا نحن الأفارقة والعرب معا يداً وصوتاً واحداً يسمع له العالم باهتمام ويسير خلفه وليس العكس.

شروط النشر:

- أن يكون البحث أصيلاً معداً خصيصاً للمجلة، وألا يكون قد نشر جزئياً أو كلياً أو نشر ما يشبهه في أي وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية.
- أن يرفق البحث بالسيرة العلمية للباحث باللغتين العربية والإنكليزية.
- أن يقوم الباحث بإرسال البحث المنسق على شكل ملف مايكروسفت وورد، إلى البريد الإلكتروني: african.arabia@gmail.com
- يجب أن يكون البحث مكتوباً بلغة سليمة، مع العناية بما يلحق به من خصوصيات الضبط والرسم والأشكال.
- لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة التحرير، إلا لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير، على أن يكون خلال مدة أسبوعين من تاريخ تسلّم بحثه.
- يحق للمجلة ترجمة البحوث المنشورة في أعداد المجلة إلى اللغات الأخرى، من غير الرجوع إلى الباحث.
- تخضع الأبحاث لتقويم سرّي لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أقبِلت للنشر أم لم تقبل، وعلى وفق الآلية الآتية:
 - أ - يبلغ الباحث بتسلّم المادة المرسلّة للنشر خلال مدّة أقصاها أسبوعان من تاريخ التسلّم.
 - ب - يخطر أصحاب الأبحاث المقبولة للنشر موافقة هيئة التحرير على نشرها وموعد نشرها المتوقع.
 - ت - الأبحاث التي يرى المقومون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تعاد إلى أصحابها، مع الملاحظات المحددة، كي يعملوا على إعدادها نهائياً للنشر.
 - ث - الأبحاث المرفوضة يبلغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

- يمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه.
- يراعى في أسبقية النشر:
 - أ - الأبحاث المشاركة في المؤتمرات التي تقيمها جهة الإصدار.
 - ب - تاريخ تسلم رئيس التحرير للبحث.
 - ج - تاريخ تقديم الأبحاث التي يتم تعديلها.
 - د - تنوع مجالات الأبحاث كلما أمكن ذلك.
- تعبر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار، ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنية.

كيفية إعداد البحث للنشر:

- يكتب عنوان البحث باللغتين العربية والإنكليزية، وتعريف موجز بالباحث والمؤسسة العلمية التي ينتمي إليها.

عنوان جهة الباحث:

- الملخص التنفيذي باللغة العربية - الإنكليزية، ثم الكلمات المفتاحية في نحو خمس كلمات، كما يقدم الملخص بجمل قصيرة، دقيقة وواضحة، إلى جانب إشكالية البحث الرئيسية، والطرق المستخدمة في بحثها والنتائج التي توصل إليها البحث.
- تحديد مشكلة البحث، أهداف الدراسة وأهميتها، وذكر الدراسات السابقة التي تطرقت لموضوع الدراسة، بما في ذلك أحدث ما صدر في مجال البحث، وتحديد مواصفات فرضية البحث أو أطروحته، وضع التصور المفاهيمي، تحديد مؤشراتته الرئيسية، وصف منهجية البحث، وتحليل النتائج والاستنتاجات.
- كما يجب أن يكون البحث مذيلا بقائمة ببليوغرافية، تتضمن أهم المراجع التي استند إليها الباحث، إضافة إلى المراجع الأساسية التي استفاد منها ولم يشر إليها في الهوامش، وتذكر في القائمة بيانات البحوث بلغتها الأصلية (الأجنبية) في حال العودة إلى عدة مصادر بعدة لغات.
- تستخدم الأرقام المرتفعة عن النص للتوثيق في متن البحث، ويذكر الرقم والمراجع المتعلق به في قائمة المراجع.
- ترتب أرقام المراجع في قائمة المراجع بالتسلسل، وذلك بعد مراعاة ترتيب المراجع هجائيا في القائمة حسب اسم المؤلف وفقا للآتي:
 - أ- إذا كان المرجع بحثا في دورية: اسم الباحث (الباحثين) عنوان البحث واسم الدورية، رقم المجلد، رقم العدد، أرقام الصفحات، سنة النشر.
 - ب- إذا كان المرجع كتابا، اسم المؤلف (المؤلفين)، عنوان الكتاب، اسم الناشر وبلد النشر، سنة النشر.

ج- إذا كان المرجع رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه: يكتب اسم صاحب البحث، العنوان، يذكر رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه بخط مائل، اسم الجامعة، السنة.

د- إذا كان المرجع نشرة أو إحصائية صادرة عن جهة رسمية: يكتب اسم الجهة، عنوان التقرير، أرقام الصفحات، سنة النشر.

● يراوح عدد كلمات البحث بين ٢٠٠٠ و ٧٠٠٠ كلمة، وللمجلة أن تنشر بحسب تقديراتها، وبصورة استثنائية، بعض البحوث والدراسات التي تتجاوز هذا العدد من الكلمات.

● يتم تنسيق الورقة على قياس (A4)، بحيث يكون حجم ونوع الخط كالتالي:

- نوع الخط في الأبحاث باللغة العربية هو Simplified Arabic

- حجم ١٦ غامق بالنسبة للعنوان الرئيس، ١٤ غامق بالنسبة للعناوين الفرعية، و١٤ عادي بالنسبة لحجم المتن.

- حجم ١١ عادي للجداول والأشكال، وحجم ٩ عادي بالنسبة للملخص والهوامش.

- نوع الخط في الأبحاث باللغة الانجليزية Times New Roman، حجم ١٤ غامق بالنسبة للعنوان الرئيس، حجم ١٢ غامق للعناوين الفرعية، ١٢ عادي لمتن البحث وترقيم الصفحات، ١١ عادي للجداول والأشكال، ١٠ عادي للملخص والهوامش.

- يراعي عند تقديم المادة البحثية، التباعد المفرد مع ترك هوامش مناسبة (٢,٥) من جميع الجهات.

● وتعتمد "مجلة الدراسات الأفريقية والعربية" في انتقاء محتويات أعدادها المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكمة.

● والمجلة تصدر بشكل ربع دوري "كل ثلاث أشهر" ولها هيئة تحرير اختصاصية وهيئة استشارية دولية فاعلة تشرف على عملها. وتستند إلى ميثاق أخلاقي لقواعد النشر فيها والعلاقة بينها وبين الباحثين. كما تستند إلى لائحة داخلية تنظم عمل التحكيم، وإلى لائحة معتمدة بالمحكمين في الاختصاصات كافة.

● وتشمل الهيئة الاستشارية الخاصة بالمجلة مجموعة كبيرة لأفضل الأكاديميين من الدول العربية والأفريقية حيث يتوجب على الاستشاريين المشاركة في تحكيم الأبحاث الواردة إلى المجلة.

● حيث ان "مخبر الحوكمة والتنمية المستدامة" هو جهة اصدار مجلة الدراسات الأفريقية والعربية بالتعاون مع المركز العراقي الأفريقي للدراسات الاستراتيجية، كما تتولى دار البيان للنشر والتوزيع والإعلان الليبية التوكيل الرسمي لإصدار المجلة في ليبيا ونشرها في كافة الدول العربية والأفريقية، وكذلك يتولى اتحاد الأكاديميين العرب عقد اتفاقيات وشركات بين المجلة والجهات والمنظمات العربية والدولية المختلفة.

Iraqi-African Center For Strategic Studies

Tel; 00964776837196

(NGO)1E78478

/http://ciaes.net

تقرأ في هذا العدد

الافتتاحية

بقلم: رئيس التحرير ٩

دور السودان في التواصل العربي الأفريقي

إعداد/ د. سعيد علي كوزي (السودان) ١١

السياحة بمنطقة أم درمان في السودان – نحو رؤية مستقبلية لتجسير التكامل السياحي بين الدول الإفريقية والعربية

إعداد/ د. بدور ادريس أحمد فضل الله (السودان) ٣٠

مستقبل الهوية الوطنية الإثيوبية في ظل التباينات الثقافية للجماعات الإثنية

إعداد/ صلاح الدين محمود محمد معاطي (مصر) ٧٦

التمكين السياسي للمرأة في أفريقيا بين الضروريات والتحديات السودان نموذجا

إعداد/ د. ريم محمد موسى (السودان) ١٠٤

دور اللغة العربية في إثراء المعجم اللغوي الإفريقي

إعداد/ أ.د. محمد علي محمد نوفل (مصر) ١٢٠

طرق بناء الكلمات في اللغة السواحيلية

إعداد/ د. سيد رشاد قرني محمد (مصر) ١٤٧

النخب السياسية المخضمة والجريمة السياسية نماذج من دول المغرب العربي

إعداد/ أ. د. محمد أمزيان (قطر) ١٨١

كوفيد - ١٩ والتعليم عن بعد: بين ظروف الاضرار وامكانية التنفيذ ج٢

إعداد/ د . نزار خليل أبوبكر سليمان، د. نهى حسن المبشر الطيب (السودان)..... ٢١٠

اختصاص المحكمة الجنائية بالفصل في الدعوي المدنية

إعداد/ د . بشير الريح حمد محمد (السعودية)..... ٢٢٩

السياسات النقدية والمالية وآليات تصحيح الاختلالات الاقتصادية الكلية

إعداد/ احمد صالح محمد الغانم (مصر)..... ٢٥٩

اختلال النظام الايكولوجي بفعل الجفاف وتأثيره علي التوالد الطبيعي للغطاء النباتي الشجري في منطقة السافانا المدارية - دراسة حالة نطاق حزام الصمغ العربي

إعداد/ د . حسن احمد حسن الشيخ محمد، د . إبراهيم عبد اللطيف عبد المطلب

خوجلي، د. محمد عامر احمد محمد (السودان)..... ٣٠٦

Vegetable Oils Benefits and Nutritive Values

By: Mune Ibrahim Abdallah, dr. Raga Yousif Abdel Rahman, dr. Awatif

Hassan Yagoub (Sudan)..... 330

أدب الاختلاف بين المسلمين

إعداد/ د . عادل حسن حمزة سعيد (السودان)..... ٣٤٢

صناديق الاستثمار الإسلامية

بقلم/ د . أوان عبد الله الفيضي (العراق)..... ٣٦٥

افتتاحية العدد

شهد العالم تحول غير مسبوق مع بداية العام الجديد ٢٠٢٠، وبالتحديد منذ أواخر ديسمبر ٢٠١٩، حيث انتشر بالعالم وباء عالمي أو ما يعرف بكوفيد ١٩، أو كما يطلق عليه بالعربية فيروس كورونا، والذي انتشر بالعالم ولم يترك دولة، من شرق الأرض إلى غربها، دول أوروبية، وعربية وأيضاً أفريقية، فلم يكن فيروس كورونا ليستثني أحد أو دولة عن دولة، فالعالم أجمع أصابه الخوف والارتباك، فقد كان لهذه الجائحة مساوئها، وذلك في تأثيرها السلبي على كافة القطاعات التنموية في الدول، وتوقف الحركة منها وإليها، والتي كان لها تداعيات سلبية على القطاعين الاقتصادي والاجتماعي على حد سواء، كما ألفت بظلالها على الجانب السياسي والأمني أيضاً، وهذا التأثير لم يقتصر على الدول الغربية، بل أصاب الدول العربية، وأن كان وصول الفيروس للقارة متأخراً، ولكن لم يترك دولة أفريقية واحدة إلا وأصابها، ونتيجة لضعف وهشاشة البنية التحتية وخاصة الصحية منها، فقد فقدت القارة الالاف من المواطنين كما أن تردي الوضع الاقتصادي، جعل الدول الأفريقية تناشد من خلال القمم والمؤتمرات التي ترأسها القادة الأفارقة، الدول الصناعية الكبرى وشركاء التنمية الدوليين، في محاولة الوقوف مع القارة في ظل هذه الجائحة، ولو بالقدر اليسر لتخفيف اعباء الديون المستحقة على القارة، كما كان للاتحاد الأفريقي دوراً أيضاً في إنشاء صندوق لمواجهة فيروس كورونا المستجد.

ليس هذا فحسب، فقد تأثرت القارة الأفريقية في ظل هذه الجائحة من ازدياد نشاط الحركات الإرهابية، والجماعات المسلحة وبالتحديد في الساحل الأفريقي، والتي استغلت تلك الجائحة في زيادة نشاطها التدميري في القارة، من ثم أصبح لدى الدول الأفريقية تحديين من أصعب التحديات التي تواجهها، هما الإرهاب والفيروس.

ارتبطت تلك التحديات بالمشكلات والأزمات السياسية المتأصلة داخل الدول، وبين بعضها البعض، فكانت أبرز هذه الأزمات هي قضية سد النهضة الأثيوبي، وعدم الوصول إلى اتفاق لتسوية الأزمة بين كافة الأطراف محل النزاع (مصر، إثيوبيا، السودان)، وتعتك كل جانب تجاه

الآخر، دون مراعاة للأضرار التي تلحق بكافة الأطراف. من ناحية أخرى بروز بعض الأزمات المتعلقة بالانتخابات داخل بعض الدول، حيث استغلت حكومات هذه الدول الجائحة في تأجيل الانتخابات الرئاسية المقرر انعقادها، لأجل غير مسمى، مما جعل هناك أزمة ثقة بين الشعوب الأفريقية وحكامها.

ورغم الآثار السلبية لجائحة كوفيد ١٩، أو ما يطلق عليه فيروس كورونا المستجد، إلا أن أهم إيجابياته أنه جعل العالم يتحول إلى الرقمنة، التي كانت تخشاه معظم الدول خاصة في العالم النامي، سواء عربياً أو أفريقياً، لذلك ظلت العولمة متأصلة ولكن في شكل جديد قائم على التحول الرقمي، فتم توفير آلاف الدولارات التي كان يحصل عليها الكثيرون في عمل لقاءاتهم ومؤتمراتهم السياسية، والاقتصادية وحتى العلمية. من ثم، أصبح التواصل العربي الأفريقي الدولي يجابه الابتعاد الذي فرضته أزمة الجائحة بالاعتماد على الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات التي أصبحت الركيزة الأساسية التي تعتمد عليها الدول الآن في حركة الاعتماد المتبادل وتنامي نشاطها على كافة المستويات. بقلم:

أ. دينا العشري

نائب رئيس التحرير

دور السودان في التواصل العربي الأفريقي

إعداد/ د. سعيد علي كوزي

جامعة الفاشر (ولاية شمال دارفور - السودان)

- كلية الآداب - قسم الجغرافيا

المستخلص:

جاءت الدراسة بعنوان: السودان مدخل التواصل العربي الإفريقي، بهدف إبراز السودان كدولة إفريقية عربية لها من الخصائص الجغرافية ما يجعلها أن تكون دولة رائدة في التواصل العربي الإفريقي. ولتحقيق هدف الدراسة استخدم الباحث المنهج الاستدلالي عبر المدخل الإقليمي من أجل دراسة خصائص ومميزات السودان كدولة أفروعربية التي تجعلها حلقة وصل بين العالمين العربي والإفريقي من أجل تعظيم الفائدة الاقتصادية والاجتماعية والاستراتيجية ، كما استخدم الباحث المدخل الوصفي التحليلي لوصف منطقة الدراسة وتحليل العوامل الجغرافية التي من شأنها تعضيد وحدة الإقليم. خرج البحث بالعديد من النتائج أهمها: يتميز السودان بموارد طبيعية وبشرية جيدة (غير مستغلة) يمكن أن تسهم في إنشاء مشاريع تكاملية فاعلة. الخصائص الثقافية للشعب السوداني تتميز بثنائية المشارب (أفريقية-عربية) تجعل منه قاسم مشترك بين الأمتين العربية والإفريقية. يعتبر السودان نموذجاً للإنصهار العربي الإفريقي الأمر الذي يجعل منه أمة مشتركة تجدد الاحترام والقبول بين الأمتين العربية والأفريقية. كما خرج البحث بالعديد من التوصيات أهمها: على الدول الإفريقية والعربية الاستفادة من موقع السودان الحاكم في مد جسور التواصل والتلاقي بينهما. على دول الإقليم البحث عن إمكانية التكامل الاقتصادي والاجتماعي والأمني والاستراتيجي إنطلاقاً من السودان باعتبارها همزة الوصل بين الدول الإفريقية والعربية. يتميز السودان بالعديد من الموارد الطبيعية والبشرية يجب استثمارها في إطار مشاريع التكامل العربي الإفريقي.

كلمات مفتاحية: الدول الإفريقية - الوطن العربي - التواصل - التكامل - السودان

Abstract;

The study came under the title; Sudan, the entrance to the Arab-African connection with the aim of highlighting Sudan as an African-Arab country with geographical characteristics, which makes it to be a pioneer in Arab-African communication. To achieve the goal of the study, the researcher used the inferential approach across the regional approach in order to study the characteristics and features of Sudan as an Afro-Arab country that makes it a link between the Arab and African worlds in order to maximize the economic, social and strategic benefit. The researcher also used the descriptive analytical approach to describe the study area and analyze the geographical factors that consolidate the territorial integrity. The research has come up with many results, the most important of which are; Sudan is characterized by good natural and human resources (not utilized) that can contribute to the establishment of effective integrated projects. The cultural characteristics of the Sudanese people are distinguished by the dualism of the African-Arab stripes, which makes it a common denominator between the Arab and African nations. Sudan is a model for Arab-African fusion, which makes it a common nation that finds respect and acceptance between the Arab and African nations. The research also came out with many recommendations, the most important is; African and Arab countries

should take advantage of Sudan's ruling position to build bridges of communication and meeting between them. The countries of the region should search for the possibility of economic, social, security and strategic integration from Sudan as a link between the African and Arab countries. Sudan is characterized by many natural and human resources that must be invested in the framework of Arab-African integration projects.

Keywords: African countries, the Arab world, communication, integration, Sudan

مقدمة:

نحنى العالم فى الآونة الأخيرة منحى التكامل فى مختلف الأوجه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والاستراتيجية والأمنية؛ ولا استثناء فى ذلك بين دول العالم الأول والدول النامية؛ الجميع يبحث عن قواسم مشتركة تربطها بدول أخرى تكون نواة للتعاون والتعاقد فى جانب من الجوانب لعلها بذلك تقوى بعض نقاط الضعف فيها.

ولعل أهمية التكتلات تكمن فى حل قضايا التنمية بمفهومها الشامل ومواجهة التكتلات الخارجية فى ظل عالم اليوم الذى لم يعد فيه مجال للدولة القومية والكيانات الصغيرة التى تكن فى أغلب الأحيان ضحية للتبعية الاقتصادية والسياسية والأمنية^(١).

وأشار عبد الهادي^(٢) إلى أن عوامل التشابة والتقارب الثقافى والحضارى بين الدول ، إنما تمثل الأرضية التى يمكن أن تقوم عليها عملية الاندماج والتكامل فى كافة المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وتؤدي مشاريع التكامل إلى دفع عملية التنمية الإقليمية الداخلية ، وإلى

(١) سعيد علي كوزي (٢٠١١م) حاضر ومستقبل العلاقات فى القرن الفريقى ، المجلة الجغرافية العربية العدد ٥٧ الجزء الأول ، تصدر عن الجمعية الجغرافية المصرية العربية ، القاهرة ص ٣٨٧

(٢) عبد الهادي الصديق (٢٠٠١م) الاندماج فى الاقليم كعامل من عوامل التنمية والاستقرار فى منطقة الحزام السودانى ، كتاب السودان ودول الجوار وعوامل الاستقرار والتنمية مؤتمراً ركوت (١٣) صص ٣٠٩-٣٢٢ إعداد وتقديم الطيب أحمد المصطفى حيلتي ، مطبعة جامعة الخرطوم.

تحقيق إمكانية التعايش والانسجام بين شعوب المنطقة وتقضي على احتمالات نشوب الصراعات والنزاعات الداخلية والإقليمية.

حتى يكون هناك تكامل دولي أو إقليمي لابد من روابط قوية تجمع بين المجموعة المتكاملة، ولابد من إطار جغرافي معروف ومحدد ونواة مركزية تتفاعل فيها المجموعات المتكاملة؛ لذا نجد في كل التحالفات الدولية دولة مركزية ذات مميزات خاصة تكون رائدة قي هذه التحالفات.

يعتبر السودان أحد أهم الدول الأفروعربية التي يمكن أن تلعب دوراً فاعلاً في التكامل الأفريقي العربي؛ وذلك لكونه يقع في قلب أفريقيا ويجاور سبع دول أفريقية تربط بينه وبينها أواصر ثقافية واجتماعية كبيرة، ويمتد نفوذه الإفروعربي في أعماق القارة الأفريقية فضلاً عن تشربه بالثقافتين (الأفريقية والعربية) إلى جانب جواره العربي الذي منحه قيمة استراتيجية تفي بهذا الغرض وتجعله الدولة الأنسب لقيادة هذا الاتجاه التكاملي.

تهديد:

تعتبر هذه الدراسة إمتداد للدراسة السابقة التي أجراها الباحث بعنوان (أهمية التواصل العربي الإفريقي في ظل التحديات العالمية الجديدة) والتي نشر في العدد الثاني لمجلة الدراسات الإفريقية العربية العديدين (٧-٨) لعام ٢٠١٩م والتي تناولت بالدراسة دراسة الخصائص الجغرافية للوطن العربي وقارة إفريقيا من حيث الموقع والإمتداد والمساحة والمظاهر الجيومورفولوجية، وعناصر المناخ والموارد الطبيعية، ثم السكان وأهم الموارد كما تناول الباحث بالدراسة تاريخ التواصل العربي الإفريقي، ثم الأهمية الاستراتيجية لهذا التواصل ومقوماته الطبيعية والبشرية.

هذه العناصر لم يوردها الباحث في هذه الدراسة تجنباً للتكرار حيث يمكن الرجوع إليها في الدراسة المذكورة ويمكن الإكتفاء بالنتائج والتوصيات التي تلخص فيمايلي: يمر العالم اليوم بمتغيرات اقتصادية واجتماعية وسياسية كبيرة تسيطر عليها دول نافذة تبني سياستها على تعظيم مصالحها القومية، وتوجه السياسة الدولية لصالحها (بلا وازع أو أخلاق) الأمر الذي يتطلب تضامن الأقاليم والقوميات المتجانسة حتى تصمد أمام هذه التيارات الانتهازية. هناك العديد من مقومات التواصل العربي الإفريقي أهمها أن ٦٩٪ من العرب يعيشون في إفريقيا و ٧٤٪ من مساحة الدول العربية توجد في إفريقيا. هناك اختلاط بين الدماء العربية والإفريقية منذ زمن بعيد

مما يسهل عملية التواصل والتكامل بين الشعبين العربي والإفريقي. إن الثقافة الإفريقية تقبلت الثقافة العربية وتفاعلت معها، وكونت مزيجًا ثقافيًا عربيًا إفريقيًا مؤطرة بالقيم الإسلامية (الرافد الأساسي للثقافتين). تسيطر الدول الإفريقية والعربية على أهم الممرات والطرق التجارية في العالم؛ مما جعل العديد من القوى النافذة في العالم ترفض التقارب العربي الإفريقي الذي يحول دون التدخلات الخارجية. إن المقدرات الاقتصادية والفرص الموجودة في الدول الإفريقية والعربية إذا تكاملت مع بعضها البعض تستطيع أن تمزق فاتور العديد من السلع المستوردة وتنتج مايفيض عن حاجتها للسوق الخارجية.

ومن أهم التوصيات التي خرجت بها الدراسة مايلي: المتغيرات الدولية الحالية تتطلب تضافر الجهود المشتركة على المستوى الإقليمي اقتصاديًا واجتماعيًا وسياسيًا. من الأفيد للدول العربية والإفريقية الاتجاه نحو التواصل والتكامل الاقتصادي والاجتماعي لمصلحة شعوب المنطقة. ضرورة إنشاء جسم عربي إفريقي يهتم بالقضايا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المشتركة ويوحد وجهات نظر الإقليم فيها. من المهم قيام سوق مشترك أفرو عربي بسياسات تفضيلية وبحد أدنى للتعريف الجمركية في إطار التكامل الأفريقي العربي المنشود. على دول الإقليم الاستفادة من موقعها الاستراتيجي في السيطرة على التجارة العالمية بما يخدم الإقليم. ضرورة التوسع في مد جسور التواصل الثقافي والاجتماعي بين دول الإقليمي تمهيدًا للاندماج بين للشعبين الإفريقي والعربي.

مشكلة الدراسة: تتمثل مشكلة الدراسة في أن الدول الإفريقية والعربية هي الأقرب لبعضها البعض بحكم الروابط الإثنوغرافية والديمغرافية بالإضافة للروابط المكانية ؛ إلا أنها ظلت بعيدة عن بعضها رغم هذه القواسم المشتركة التي لو تم استغلالها بصورة ايجابية لانعكست فوائدها على كل الإقليم وجعلت منه إقليم وظيفي متكامل ، لذلك تجب هذه الدراسة لإبراز هذا الجانب ولفت النظر لإمكانية أن يلعب السودان دورًا بارزًا في هذا الجانب بحكم موقعه الجغرافي ونسيجه الاجتماعي.

أهداف الدراسة:

- ١- لفت النظر إلى أهمية التواصل والتكامل العربي الإفريقي في ظل التحديات العالمية الماثلة.
- ٢- إبراز السودان كدولة إفريقية عربية لها من الخصائص الجغرافية ما يجعلها أن تكون دولة رائدة في التواصل العربي الإفريقي.

فروض الدراسة:

تتبنى الدراسة الفروض التالية:

- ١- إن التواصل والتكامل العربي الإفريقي يجعل من دول الإقليم قوة سياسية واقتصادية ضاربة تخدم مصالح الطرفين في المنطقة .
- ٢- يستطيع السودان أن يلعب دورًا بارزًا في مد جسور التواصل العربي الإفريقي بحكم المقومات الجغرافية التي يتمتع بها.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية الدراسة في كونها تعمل على تدعيم التكامل الأفريقي العربي في ظل التناقضات الدولية الحديثة، ولفت النظر إلى أهمية موقع السودان والخصائص الاجتماعية والثقافية التي تجعله دولة ذات مواصفات خاصة يمكن أن تخدم التكامل الإفريقي العربي. كما أن هذه الدراسة تعتبر إمتداد للدراسة السابقة التي أجراها الباحث في هذه المجلة بعنوان (أهمية التواصل العربي الإفريقي في ظل التحديات العالمية الجديدة)

الخصائص الجغرافية للسودان

الموقع والإمتداد:

يقع السودان في الجزء الشمالي الشرقي لقارة إفريقيا بين دائرتي عرض ٤٥, ٨ و ٢٢ درجة شمالاً وخطي طول ٤٩, ٢١ و ٣٨, ٣٤ درجة شرقاً ١ وتجاور السودان سبع دول إفريقية بحدود طبيعية بلغت ٧٦٧٢ كلم بما في ذلك الحدود الساحلية علي البحر الأحمر جدول رقم (٢) والخريطة رقم (١) وهي بذلك رابع دول إفريقيا من حيث عدد الجوار، وتشترك في المركز الثاني عشر مع دول أخرى على مستوى العالم.

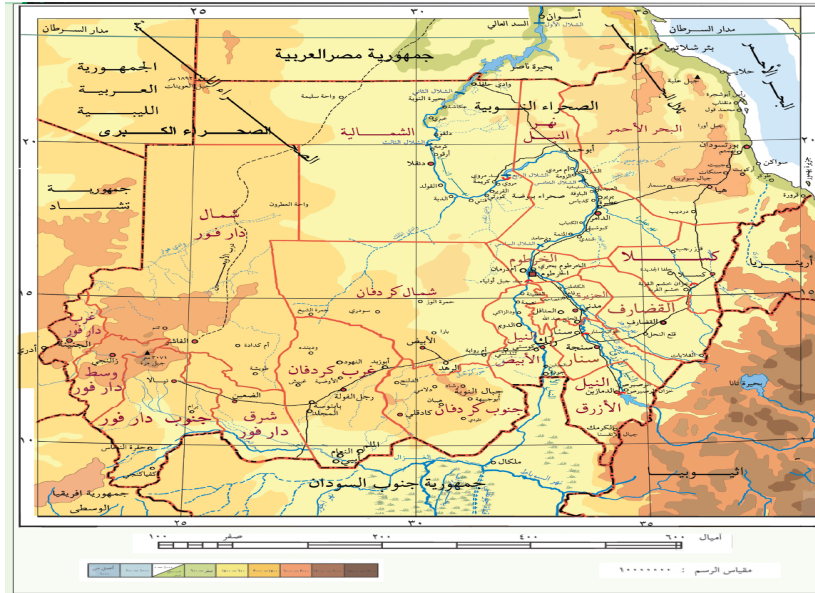
(١) عبد الرحمن محمد الحسن (٢٠١٣م) دور السياسات الوطنية في التنمية بالسودان، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية العدد (١٣) الجزائر. ص ١١٥

جدول رقم (١) الدول المجاورة للسودان وطول الحدود :-

منطقة الحدود	طول الحدود (كلم)	نوع الحدود
الحدود السودانية مع البحر الأحمر	٨٥٣	بحرية
الحدود السودانية المصرية	١٢٧٦	حدود برية
الحدود السودانية الليبية	٣٨٢	حدود برية
الحدود السودانية التشادية	١٤٠٣	حدود برية
الحدود السودانية مع إفريقيا الوسطى	١٧٤	حدود برية
الحدود السودانية مع جنوب السودان	٢١٥٨	حدود برية
الحدود السودانية الأثيوبية	٧٤٤	حدود برية
الحدود السودانية الأريتيرية	٦٨٢	حدود برية
الجملة	٧٦٧٢ كلم	

المصدر : The world Fact Book / [www.http://www.cia.gov/library/publication/](http://www.cia.gov/library/publication/)

خريطة رقم (١) خريطة السودان السياسي



أطلس السودان والعالم، (٢٠١٦م): المركز القومي للمناهج والبحث التربوي، الطبعة الأولى، بخت الرضا، الدويم ، السودان.

المساحة: تبلغ مساحة السودان بعد انفصال الجنوب عام ٢٠١١م حوالي ١٨٨٢٠٠٠ كلم^٢ منها ٥٩,٢٪ صالحة للزراعة والمراعي الطبيعية^(١). وهو بذلك ثالث دولة إفريقية من حيث المساحة بعد كل من الجزائر والكنغو الديمغرافية، وكذلك ثالث أكبر دولة عربية مساحة بعد المملكة العربية السعودية والجزائر.

السطح والتضاريس: أهم ملامح السطح في السودان هو عبارة عن هضبة مرتفعة الجوانب تنخفض بصورة تدريجية ناحية الوسط حيث نهر النيل ويغلب علي سطحه السهول مع بعض المرتفعات البارزة مثل جبال البحر الأحمر في الشرق، وجبال النوبة جنوب الوسط، وجبال مرة في الغرب، والعوينات في الشمال الغربي، وأشار ياسر^(٢)، إلى أنه على الرغم مما قد يترتب على تلك الجبال من تأثيرات بيئية محلية إلا أنها بشكل عام لا تمثل عائقاً حقيقياً أمام التحديات البشرية والأنشطة الطبيعية.

المناخ: يقع السودان في المنطقة المدارية حيث تتنوع فيه الأقاليم المناخية، منها المناخ الصحراوي الحار في الشمال، ومناخ البحر المتوسط علي ساحل البحر الأحمر ومنطقة جبل مرة في دارفور، والمناخ شبه الصحراوي في شمال الوسط، ومناخ السافانا الفقيرة في جنوب الوسط والغرب، ومناخ السافانا الغنية على التحوم الجنوبية، ومن واقع البيانات المستمدة من منظمة الفاو عام ٢٠٠٧م أن حوالي ٢٩٪ من المساحة الإجمالية للسودان تصنف كصحراء، و ١٥٪ شبه صحراء، و ٢٧٪ سافانا منخفضة الأمطار، و ١٤٪ سافانا مرتفعة الأمطار، و ١٠٪ منطقة فيضانات ومستنقعات (مناطق متأثرة بالفيضانات)، وأقل من ١٪ مناطق جبلة^(٣).

وعلى الرغم من أن هذه الإحصاءات تبين الوضع المناخي والنباتي للسودان قبل انفصال جنوب السودان، لكنها تعطي مؤشراً جيداً للمناخ في السودان بصورة عامة.

أهم الموارد: الدولة السودانية تمتلك رصيذاً مادياً هائلاً ومتنوعاً من الصادرات والواردات (وهذا في حد ذاته) دعم للوجود المادي للدولة وتأكيد للتيان الاقتصادي السليم إذا ما أتيحت الفرص وتكاملت الأسباب لاستغلال متوازن لكل الموارد المتعددة^(٤).

١ - عبد الرحمن محمد الحسن، مصدر سابق، ص ١١٥

٢ - ياسر عبد المحمود حامد التهامي (بدون تاريخ) كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة البحر الأحمر
3- UNEP (2007) Sudan Post conflict Environmental Assessment UNEP Nairobi, Kenya.

٤ - صلاح الدين الشامي (١٩٧٢) السودان دارسة جغرافية، منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر. ٢٤

الموارد المائية: نجد أن الموارد المائية في السودان متعددة المصادر إذ تتكون من مياه الأمطار والمياه السطحية والمياه الجوفية ومياه الأنهر وتقدر كمية المياه المتجددة بحوالي (١٤٩ ملياراً م^٣ سنوياً)، وحوالي (١١٩ ملياراً م^٣) (٨٠٪) منها تأتي من الخارج عبر الحدود، بينما ما تبقى (٣٠ مليار م^٣) من مياه الأمطار، وتقدر كمية المياه المتاحة من هذه المياه للاستخدام حوالي (٣٠ مليار م^٣) منها (٢٠, ٥ مليار م^٣) من نهر النيل، و(٥, ٥ مليار) من أنهار أخرى، م(٤ مليار م^٣) من المياه الجوفية المتجددة^(١).

التقديرات تشمل السودان بصورة عامة بما في ذلك جنوب السودان، يمكن اعتمادها كمؤشر لعدم وجود اتفاق في الأنصبة المائية بين السودان وجنوب السودان فيما يتعلق بمياه النيل حتى الآن.

الزراعة: السودان من أهم الدول الزراعية في إفريقيا والوطن العربي؛ وذلك لامتلاكه للمقومات الطبيعية اللازمة لقيام النشاط الزراعي بشقيه الحيواني والنباتي وهي على النحو التالي: أولاً: الثروة الحيوانية يعتبر السودان من الدول الغنية بالثروة الحيوانية، حيث تملك البلاد نحو ١٣٢ مليون رأس من الأنعام، تمثل ٤٠٪ من القطيع العربي، تسهم بحوالي ٧٪ من المتوسط السنوي للعائد التجاري الخارجي^(٢).

ثانياً: القطاع الزراعي: يمتلك السودان أراضي زراعية تقدر بحوالي ٢٠٠ مليون فدان (٨٤٠٠٠, ٠٠٠ هكتار)، المساحة المستغلة منها فقط ٢٠٪ (٤٠ مليون فدان ٨٠٠, ٠٠٠ هكتار)، ومساحة الأراضي المروية منها تساوي ١١ مليون فدان (٤٦٢٠٠٠٠ هكتار)، ومساحة الأراضي المروية بالأمطار ٢٩ مليون فدان (١٢١٨٠٠٠٠ هكتار)^(٣).

أهم المعادن: يمتلك السودان العديد من المعادن في مقدمتها النفط، الحديد، الذهب، النحاس، الزنك، الكروم^(٤). ولكن معظم هذه المعادن لم تستغل حتى الآن فيما عدا النفط والذهب التي تعتبر أهم الموارد الاقتصادية في البلاد.

(1) FAO (2005) Aquastat Information System on Water and Agriculture, Sudan Country Profile.

(٢) وزارة الزراعة الاتحادية (٢٠١٥) التقرير السنوي، قسم إدارة الأمن والغابات، الخرطوم.

(٣) وزارة الزراعة الاتحادية (٢٠١٥) التقرير السنوي، قسم إدارة الأمن والغابات، الخرطوم.

(٤) وزارة الصناعة (٢٠١٦) السودان أرض الفرص الصناعية الواعدة، ملتقى التصنيع والابتكار، الخرطوم.

السكان: بلغ عدد سكان السودان ٣٠٤١٩٦٢٥ نسمة حسب تعداد ٢٠٠٨م، وهو بذلك يأتي في المرتبة ٣٥ عالمياً والثالث عربياً ١٩ إفريقياً، وتبلغ قبائل السودان ٥٩٠ قبيلة، وعدد اللغات واللهجات المحلية ١١٥ لغة ولهجة^(١).

السودان مدخل التواصل العربي الإفريقي:

لا شك أن التواصل العربي الإفريقي أصبح ضرورة حتمية لدول الإقليم (العربي الإفريقي) وهذه الدول إن أرادت أن يكون لها قرارها الاقتصادي والسياسي المستقل لا بد من تنسيق جهودها مع بعض حتى تخرج من متلازمة التبعية الاقتصادية والسياسية التي تسيطر عليها، وهذا لا يتأتى إلا بوجود دولة محورية ذات مواصفات خاصة يمكن أن تلطف حولها دول الإقليم وتدعمها لتحقيق هذا الغرض. وفي هذا الخصوص أشار (أيمن)^(٢) إلى أن وجود دولة قائدة في إطار تنظم إقليمي هو أمر في درجة كبيرة من الأهمية، خاصة إذا كانت هناك قناعة لدى الدولة القائدة بأهمية تفعيل التنظيم الإقليمي، ودعم التكامل في إطاره، إذا كانت الدولة تملك من المعطيات ما يؤهلها لدعم التكامل.

ومن هذا المنطق يرى الباحث أن السودان هو أنسب دول الإقليم للقيام بهذا الدور بناء على المعطيات الجغرافية والاجتماعية والثقافية التي يتمتع بها. عليه يقترح الباحث أن يكون هناك جسم إفريقي عربي للتكامل المزمع بهتم بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية التي يمكن أن تُفعل لاحقاً، ويكون له مقر دائم بالسودان واجتماعات دورية ودستور حاكم. جاء ترشح السودان للقيام بهذا الدور في حالة التوافق عليه بناء على المعطيات التالية:

أولاً-الموقع الجيواستراتيجي:

مما لا شك فيه أن السودان بموقعه الحالي بين دائرتي عرض ٤٥، ٨ و ٢٢، درجة، وخطي طول ٤٩، ٢١ و ٣٤، ٣٨ درجة يقع في قلب إفريقيا، والنقطة الانتقالية بين العالم العربي الإفريقي،

(١) فخرالدين أحمد عبد الله محمد (٢٠١٣) استخدام نظام المعلومات الجغرافية لدراسة خصائص وتركيب السودان، المؤتمر العالمي السابع جيو تونشي ٨-١٢/٤/٢٠١٣ مص ١١، وعبد الرحمن محمد الحسن (٢٠١٣) دور السياسات

الوطنية في التنمية بالسودان، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية العدد (١٣) الجزائر، ص ١١٧
(٢) أيمن السعيد شبانة (٢٠٠٥) الدولة القائدة ودورها في التكامل الإقليمي على ضوء تجربتي الساذك والإيجاد، كتاب أعمال المؤتمر الدولي للشباب الباحثين في الشؤون الإفريقية، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ص ١٠٣

فلم يفصله عن الجزيرة العربية إلا البحر الأحمر! والذي لم يمكن في يوم من الأيام عائقاً للتواصل العربي الإفريقي، وبالتالي هو هذا الموقع أول دولة عربية نحو العمق الإفريقي وشاركامل^(١) إلى أن السودان بهذا المواقع يجعل منه بوابة العالم العربي (وبصفة خاصة دول الخليج) إلى إفريقيا، وبالتالي هو يشكل جسراً استراتيجياً بين تلك الدول وإفريقيا لأغراض الانتشار الثقافي والاقتصادي إلى داخل القارة، بالإضافة لكونه بوتقة الانصهار العربي الإفريقي منذ فجر الحضارات (انظر الخريطة رقم ٢)

كما ذهب صلاح الدين^(٢) إلى أن السودان يحتل قطاعاً كبيراً من الوطن العربي علي امتداد الأراضي الإفريقية على محور عام من الشمال إلى الجنوب، وفي مركز القلب من الأراضي العربية التي تمتد من الشرق إلى المغرب العربي، وهذا يدعو إلى الإيذان بأن السودان كجزء من الأراضي العربية تلحق به صفات وخصائص يوصف به المواقع الجغرافي الحاكم! وعبر هذا الموقع الحاكم دخل العرب والإسلام إلى إفريقيا بالإضافة إلى دخولهم عبر مصر من الشمال وباب المندب في الشرق. وما يزال هذا المواقع أهم بوابة عربية تجاه إفريقيا، وإفريقيا نفسها تُعتبر عمق استراتيجي للدول العربية لما لها من عمق ديموغرافي؛ حيث تمثل حوالي ١٤٪ من سكان العالم، إضافة لكونها تمثل ٢٢٪ من الكتلة الأرضية وما بها من موارد طبيعة متمثلة في الأراضي الزراعية البكر والموارد المائية والمعدنية فضلاً عن موقعها الحاكم في العالم.

هذه السمات الإفريقية تمثل أهمية استراتيجية قصوى للدول العربية كما غيرها، إن لم تضع الدول العربية لها الحُسبان سوق تأتي قوة أجنبية أخرى معادية وتضع يدها بكل سهولة ويسر على هذا الموارد! وتكون الدولة العربية قد فقدت المبادرة لاحتواء الدول الإفريقية والتفاعل معها بما يخدم الإقليم ككل.

العديد من الدول خارج الإقليم أدركت أهمية السودان و دوره الرائد في القارة الإفريقية، أولى هذه الدول إسرائيل التي ترى في السودان مارداً خطيراً لكونه قطر مترامي الاطراف متعدد الموارد ضارب في العمق العربي والإفريقي والإسلامي فإذا تهيأت له الظروف سيشكل خطراً

١ - كامل إدريس (٢٠١٦) السودان ٢٠٢٥ تقديم الشاعر وحلم المستقبل، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ص ٢٧

٢ - صلاح الدين الشامي ١٩٧٢م ص ٢٥

محتماً على أمنها القومي، وفي هذا الخصوص أورد برنامج الملف بقناة الجزيرة^(١) المحاضرة التي ألقاها وزير الأمن الإسرائيلي آفي ديختر بتاريخ ٤/٩/٢٠٠٨م والتي أشار فيها إلى أن السودان بموارده و مساحته الشاسعة وعدد سكانه يمكن أن يكون دولة إقليمية خطيرة على إسرائيل... فلا بد من العمل على اضعافه و انتزاع المبادرة منه!! وأشار إلى أنهم قاموا على انتاج وتصعد بؤر النزاع في دارفور لمنع السودان من ايجاد الوقت لتنظيم قدرته، وكذلك الحال في الجنوب!! وأكد خلال المحاضرة أنهم نجحوا في وضع السودان نحو التآزم والانقسام. وبهذا الفهم كانت تنادي جولدا مائير رئيسة الوزراء الإسرائيلي الأسبق منذ وقت مبكر عندما كانت رئيسة للوزراء خلال الفترة (١٩٦٩-١٩٧٤م).

كذلك تولي الولايات المتحدة الأمريكية اهتماماً خاصاً بالسودان، وفي هذا الصدد أوردت رانيا^(٢) أن السودان بات ضمن أولويات الولايات المتحدة التي أضحت تدرك أن مستقبل القارة الإفريقية مرهون باستقرار السودان... وأن موقع السودان الجغرافي الرابط بين دول إفريقيا، وساحله الكبير الذي يطل على البحر الأحمر بجانب مساحته التي تمتد إلى مجرى حوض النيل الذي تتشاط على حوضه عدد من الدول بأن يكون دولة دائمة الاتصال بالقارات والمناطق الإفريقية والعربية والآسيوية.

كذلك روسيا من جانبها التفتت إلى أهمية السودان في إفريقيا وعينت مبعوثاً خاصاً لها فيه، وفي هذا الخصوص أورد موقع (RT)^(٣) بتاريخ ٨/١٢/٢٠٠٨م أن روسيا عينت مبعوثاً لها في السودان؛ ومن جانبه أعلن المبعوث الروسي أن روسيا تولي اهتماماً خاصاً بالقارة الإفريقية وإن تعينها مبعوثاً خاصاً للسودان يأتي في هذا الخصوص لأهمية السودان ودوره المفصلي في القارة الإفريقية.

(١) قناة الجزيرة، برنامج الملف:

[www.http://www.aLgazeera.net/programe the File 20101216/](http://www.aLgazeera.net/programe%20the%20File%20101216/)

(٢) رانيا الأمين (١٠/٤/٢٠١٧) موقع السودان في استراتيجية الولايات المتحدة

<https://www.aLniLinCom12859905.htm>

(٣) موقع:

<https://arabic.rt.com/news/23273> (RT)

خريطة رقم (٢) موقع السودان بين العالم العربي والأفريقي



<https://www.google.com/search?sxsrf>

ثانياً: التكون الاجتماعي:

نجد أن القبائل المكونة لأهل السودان تعتبر نموذجاً رائعاً لما حدث بينها من أواصر الإخاء والتداخل والتصاهر (في كل أنحاء السودان) خلال الحقب التاريخية المكونة للمجتمع السوداني ... هذا المجتمع صاغته ظروف التداخل صياغة نادرة رغم التنوع في الجذور والأعراق في البدء، هذا التداخل أضفى على السودانيين جميعاً سمات إنسانية نادرة امتازوا بها دون غيرهم من الشعوب رغم اختلاف ألوانهم وألسنتهم وسحناتهم^(١).

السودان هو الدولة الوحيدة من بين الدول العربية التي تحمل الهوية المزدوجة (العربية والإفريقية) على حد سواء، وذلك رغم الجدل الدائر وسط النخب السياسية والثقافية في السودان حول جدلية الانتماء العربي أو الإفريقي، ولكن واقع الحال واتجاه الغالبية العظمى من السودانيين

(١) أحمد عبد الله آدم (بدون تاريخ) قبائل السودان نموذج التمازج والتعايش، شركة السودان للعملة المحددة، الخرطوم ص ص ١٢-١٣

يرون أنه لا تعارض بين الهويتين، وهذا الاتجاه هو الذي تبناه رواد الحركة الأدبية في السودان (مدرسة الغابة و الصحراء) التي تأسست في الستينيات من القرن الماضي التي رأت في مفهوم التمازج العربي الذي رمزت له الصحراء والإفريقي بالغابة، وأشار محمد^(١) إلى المدرسة السودانية التي تأسست في بداية الثمانينان بقيادة التشكيلي أحمد الطيب زين العابدين وهي مصطلح يعبر عن الاتجاه التوفيقي التمازجي بين مكونات الشخصية السودانية، وهو عبارة عن رؤية منهجية فلسفية، تناولت فن التشكيل مدخلاً ثقافياً في أصول الشخصية السودانية ونواحيها، وإن السودانية (The Sudanism) هي البوتقة التي تتفاعل فيها كافة الانتماءات وتتلور فيها كافة الرؤى والمالات، وبهذا التصور يكون التنوع مصدرًا من مصادر الثراء وليس سراً ينخر في عظم الأمة.

تشير بعض الدارسات إلى أن السودان هو أكبر بلد عربي؛ بل إفريقي يتكون من شعب قبلي! إذا كان ذلك على مستوى بطول القبائل العربية أو القبائل الإفريقية الأصل المتمازجة معها، وفي هذا الصدد أورد عبد الرحمن^(٢) أن عدد قبائل السودان ٥٩٠ قبلية، وعدد اللغات واللهجات التي تتحدث بها تزيد عن ١١٥ لغة ولهجة. هذا العدد الكبير من القبائل يمثل الواقع الاجتماعي السوداني الذي يدل على أن السودان هو نموذج مصغر لإفريقيا العشائرية، والجدير بالذكر معظم هذه القبائل لها بطون وامتدادات داخل الدول المجاورة (جوار مباشر أو غير مباشر) وهي تنتشر على طول الحزام السوداني. وهذا التكون الاجتماعي على الرغم من خطورته على الأمن القومي السوداني إلا أنه له مردود إيجابي بالنسبة للأفارقة حيث يري العديد منهم صورته في السودان وهو مردود نفسي في الغالب، أو للتداخل الذي جعل معظم الدول المحطة بالسودان لها امتدادات دموية داخل السودان وبالتالي السودان مرحب به في كل إفريقيا. كذلك بالنسبة للدول العربية يجب أن تكون نظرتهم ايجابية حيال هذا الدور المحوري للسودان الذي بُذل فيه الكثير في سبيل أن يكون السودان قاسم مشترك هويته العربية والإفريقية، كما أن هذه الثنائية (العربية الإفريقية) تخدم كلا الطرفين (الإفريقي العربي) بأن يكون السودان محطة تلاقي ثقافي اجتماعي وسطي لهم. وفي هذا الخصوص سأل البروفيسر سيد^(٣)، سؤالاً عن كيف أصبح استيعاب هذا الشتات الاثني

(١) محمد عبد العزيز الطالب (٢٠١٤) الشخصية السودانية. الجذور والمكونات، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم ص ٩٧-٩٨

(٢) عبد الرحمن محمد الحسن ٢٠١٣م ص ١١٧ مصدر سابق

(٣) سيد حامد حريز (٢٠١٧) الهوية والوحدة الوطنية في السودان -جدلية الثقافة والسياسة، الدار العالمية للنشر والتوزيع ص ٦٥

والثقافي أمراً ممكناً؟ وأجاب في نفس الوقت إنه سر عبقرية المكان الذي يقطنه كل هؤلاء وأولئك، وفي أنه كان ينداح ويتمدد فيتسع ويستوعب الكل ليس فقط سكاناً وإعاشة؛ بل عرقاً وثقافة وفكراً ووجداناً، حيث يتم ذلك بصورة تجعل من المجتمع نسيجاً متسقاً ومتكاملاً.

ثالثاً- الشخصية السودانية:

تعرف الشخصية بانها مجموعة سمات الفرد أو الجماعة التي يتكون منها التفاعل المستمر والمتبادل بين المكونات الجسمية والنفسية بشقيها (العقلي والانفعالي) ومؤثرات البيئة المادية والاجتماعية، وتبدو في العادات الفكرية والتعبيرات والاتجاهات والاهتمامات والأسلوب في العمل وفلسفة الحياة^(١) وأورد محمد^(٢) ان الشخصية الإنسانية فرد او قومية هي جملة من الخصائص والسمات التي تتميز بها عن غيرها، سواء كانت جسمية أو معرفية أو تفاعلية خليقة أو غيرها.

إذا نظرنا إلى هذه المضامين نجد أن الشخصية السودانية تتميز ببعض السمات التي تختلف في بعض تفاصيلها عن المحيط الإقليمي لكونها تكونت نتيجة لتفاعل مجموعة من العوامل الحضارية والثقافية والإثنية والبيئة التي تختلف في مكوناتها عن غيرها، وأوجز البروفيسر سيد^(٣) مكونات الشخصية السودانية في أنها تتكون من تداخل العناصر السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، ويمكننا أن نضيف العنصر البيئي كعامل مهم في نمط السلوك والتفكير والعاطفة الإنسانية وفقاً لمدرسة الحتم البيئي الجغرافي.

ومن أهم صفات الشخصية السودانية المرئية هي الشجاعة، والكرم والمروءة والإيثار وهي سمات متجذرة في أعماق كل السودانيين، وينعكس هذا في تقبلهم للآخر وتعاملهم معه، كما إن صفة الصدق والأمانة هي صفة غالبية لمعظم السودانيين وقيمة أساسية من قيمهم، ولعل كل ذلك يرجع بصورة أساسية (كما سبقت الإشارة) إلى تفاعل المكون الاجتماعي والبيئي والثقافي، ويركز سيد^(٤) (٢٠١٧م، ٧٠) على أن العنصر المكاني أو البيئي فرض نهجاً معيناً في تشكيل الشخصية السودانية وأبعاد العلاقة بين الذات والآخر على المستويين الفردي والجمعي (بين السودانيين)

(١) عبد الباقي دفع الله أحمد (٢٠٠٨) ملامح الشخصية السودانية. مكونات وملامح الشخصية السودانية، سلسلة

قضايا سودانية للتعايش، منبر ثقافي وفكري ص ٤

(٢) محمد عبد العزيز الطالب (٢٠١٤) ص ١٨٥ مصدر سابق

(٣) سيد حامد حريز (٢٠١٧) ص ٩٩ المصدر سابق

(٤) سيد حامد حريز (٢٠١٧) ص ٧٠ نفس المصدر

و أصبح إرثاً حضارياً حفظ السودان وحافظ عليه. وهذا لا يعني أن هذه الصفات حصريّة للسودانيين فقط، بل هي مستوطنة في الإقليم، أو أن الشخصية السودانية مبرأة من العيوب؛ لا بل بها من العيوب ما يرتد عليها في كثير من الأحيان؛ لكن هذه المحاسن النسبية في مجملها تجعل منها شخصية مقبولة وموضع ثقة عند الآخرين، لذلك نجد أن الشخصية السودانية (بما فيها من عيوب ظاهرة) أنها الأكثر قبولاً في المحيطين العربي والإفريقي، وبالتالي هي الأجدر أن تقود زمام المبادرة.

رابعاً: عمق الثقافة السودانية في إفريقيا؛

نجد أن الثقافة السودانية المكونة من المزيج العربي الإفريقي أصبحت ثقافة ذات طعم ولون خاص، لا يتذوقها إلا من نهل من المنبع المشترك لها (الثقافة العربية + الثقافة الإفريقية) وهذه الثقافة السودانية بلونها الخاص أصبحت تجد رواجاً كبيراً في الدول الإفريقية؛ ويمكن أن نتحدث باختصار عن أهمها فيما يلي:

أولاً-الموسيقى:

إذا كانت الدراما المصرية هي سيدة الموقف في السنيما العربية؛ فإن الموسيقى السودانية هي الرائد في الفضاء الإفريقي؛ وذلك لاعتمادها على الإيقاع الإفريقي (الطبولي) والسلم الخماسي المنتشر في شرق إفريقيا دونما السلم السباعي الذي يميز الموسيقى العربية. وتنتشر الموسيقى السودانية في دول القرن الإفريقي ومعظم دول الساحل السوداني وغرب إفريقيا على الرغم من عدم فهم البعض للكلمات العربية التي تؤدي بها. كما نجد نوع آخر من الفن السوداني يتمثل في المدح النبوي (المديح) وهو ثقافة سودانية خالصة ترجع جذورها لحوالي القرن السابع عشر الميلادي حسب ما جاء في موقع الراكبة وسودارس الإلكترونيتين^(١) حيث أصبح هذا النوع من الفن ينتشر بصورة كبيرة في العديد من الدول الإسلامية وسط وغرب إفريقيا.

ثانياً-الزي السوداني:

وهو ينقسم إلى قسمين زي رجالي ويتمثل في الجلابة والعمامة والطاقيّة، (الزي القومي السوداني)، والزي النسائي السوداني الشهير بالتوب السوداني، وهذا الزي بنوعيه (رجالي - نسائي) مستمد من

(١) موقع سودارس (٢٠١١ / ٨ / ٢٣) <http://www.Sudaress.Com/aLrakoba1278>

الثقافة الإسلامية والتراث العربي القديم ممزوج بالتراث الإفريقي، هذا الزي أصبح ينتشر انتشاراً واسعاً في معظم الدول الإفريقية خاصة دول القرن الإفريقي، وبعض الدول الإسلامية في وسط وغرب إفريقيا مثل تشاد ومالي والنيجر ومروتنيافة .

ختاماً من خلال الإطلاع على أدبيات البحث والدراسات السابقة وبعد التحليل توصل البحث لعدد من النتائج والتوصيات يمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً: أهم النتائج:

- ١- جعلت الظروف الطبيعة السودان من أهم الدول العربية والأفريقية التي تتميز بالموقع الاستراتيجي الحاكم بين البلاد العربية والفريقية.
- ٢- يتميز السودان بموارد طبيعية وبشرية جيدة (غير مستغلة) يمكن أن تسهم في إنشاء مشاريع تكاملية فاعلة.
- ٣- الخصائص الثقافية للشعب السوداني تتميز بشائية المشارب (أفريقية-عربية) تجعل منه قاسم مشترك بين الأمتين العربية والإفريقية.
- ٤- يعتبر السودان نموذج للإنصهار العربي الإفريقي الأمر الذي يجعل منه أمة مشتركة تجد الاحترام والقبول بين الأمتين العربية والأفريقية.
- ٥- الشخصية السودانية بها لديها من صفات جيدة مثل حسن الخلق وطيب المعشر والاستعداد الفطري لقبول الآخر تجعل منها شخصية محورية بين الأفارقة والعرب.
- ٦- الثقافة السودانية هي ثقافة هجين بين الثقافة العربية والأفريقية الأمر الذي مكنها من أن تجد مساحة واسعة الانتشار في أفريقيا خاصة في شرق وغرب إفريقيا.

ثانياً: أهم التوصيات:

- ١ - يجب على الدول الإفريقية والعربية الاستفادة من موقع السودان الحاكم في مد جسور التواصل والتلاقي بينهما.
- ٢- على الدول الإفريقية والعربية البحث عن إمكانية التكامل الاقتصادي والاجتماعي والأمني والاستراتيجي إنطلاقاً من السودان باعتبارها همزة الوصل بين الدول الإفريقية والعربية.

٣- يتميز السودان بالعديد من الموارد الطبيعية والبشرية يجب استثمارها في إطار مشاريع التكامل العربي الأفريقي.

٤- يجب الإهتمام بالثقافة السودانية بإعتبارها أهم مداخل التواصل العربي الإفريقي.

أهم المصادر والمراجع حسب ترتيبها في البحث

أولاً: المصادر العربية

١- سعيد علي كوزي (٢٠١١م) حاضر ومستقبل العلاقات في القرن الفريقي ، المجلة الجغرافية العربية العدد ٥٧ الجزء الأول، تصدر عن الجمعية الجغرافية المصرية العربية ، القاهرة ص ٣٨٧.

٢ - عبد الهادي الصديق (٢٠٠١م) الاندماج في الاقليم كعامل من عوامل التنمية والاستقرار في منطقة الحزام السوداني، كتاب السودان ودول الجوار وعمل الاستفرا والتنمية مؤتمر أركويت (١٣) صص ٣٠٩-٣٢٢ إعداد وتقديم الطيب أحمد المصطفي حيلتي، مطبعة جامعة الخرطوم.

٣- عبد الرحمن محمد الحسن (٢٠١٣م) دور السياسات الوطنية في التنمية بالسودان، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية العدد (١٣) الجزائر. ص ١١٥

٤-- ياسر عبد المحمود حامد التهامي (بدون تاريخ) كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة البحر الأحمر

٥- صلاح الدين الشامي (١٩٧٢) السودان دراسة جغرافية، منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر. ٢٤

٦- وزارة الزراعة الاتحادية (٢٠١٥) التقرير السنوي، قسم إدارة الأمن والغابات، الخرطوم.

٧-وزارة الصناعة (٢٠١٦) السودان أرض الفرص الصناعية الواعدة، ملتقي التصنيع والابتكار، الخرطوم.

٨- فخر الدين أحمد عبد الله محمد (٢٠١٣) استخدام نظام المعلومات الجغرافية لدراسة خصائص وتركيب السودان، المؤتمر العالمي السابع جيو تونشي ٨-١٢/٤/٢٠١٣م ص ١١، و عبد الرحمن محمد الحسن (٢٠١٣م) دور السياسات الوطنية في التنمية بالسودان، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية العدد (١٣) الجزائر، ص ١١٧

٩ - أيمن السعيد شبانة (٢٠٠٥م) الدولة القائدة ودورها في التكامل الإقليمي على ضوء تجربتي السائدك والإيجاد، كتاب أعمال المؤتمر الدولي للشباب الباحثين في الشؤون الأفريقية، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ص ١٠٣

١٠ - كامل إدريس (٢٠١٦) السودان ٢٠٢٥ تقديم الشاعر وحلم المستقبل، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ص ٢٧

- ١١ - أحمد عبد الله آدم (بدون تاريخ) قبائل السودان نموذج التمازج والتعايش، شركة السودان للعملة المحددة، الخرطوم ص ص ١٢-١٣
- ١٢ - محمد عبد العزيز الطالب (٢٠١٤) الشخصية السودانية. الجذور والمكونات، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم ص ص ٩٧-٩٨
- ١٣ - سيد حامد حريز (٢٠١٧) الهوية والوحدة الوطنية في السودان - جدلية الثقافة والسياسة، الدار العالمية للنشر والتوزيع ص ٦٥
- ١٤ - عبد الباقي دفع الله أحمد (٢٠٠٨) ملامح الشخصية السودانية. مكونات وملامح الشخصية السودانية، سلسلة قضايا سودانية للتعايش، منبر ثقافي وفكري ص ٤

ثانياً: المصادر الأجنبية

- 1- UNEP (2007) Sudan Post conflict Environmental Assessment UNEP Nairobi, Kenya.
- 2- FAO (2005) Aqua stat Information System on Water and Agriculture, Sudan Country Profile.

ثالثاً: الشبكة العنكبوتية

- www.http//:cia.gov/library/publication/The world Fact Book 1-
- ٢ - خريطة السودان: q: /www.google.com /search? https: /
- ٣ - قناة الجزيرة، برنامج الملف:
- www.http//:aLgazeera.net/proqrane the File 2010/1216
- ٤ - خريطة موقع السودان بالنسبة للعالم العربي sxsrf /www.google.com /search? https: /
- ٥ - رانيا الأمين (١٠ / ٤ / ٢٠١٧) موقع السودان في استراتيجية الولايات المتحدة
- https://www.aLniLin.Com 12859905.htm
- ٦ - موقع:
- (RT) https://arabic.rt.com/news/23273
- ٧ - موقع سو دراس (23/8/2011) http://.www.Sudaress.Com/aLrakoba1278

السياحة بمنطقة أم درمان في السودان

نحو رؤية مستقبلية لتجسير التكامل السياحي بين الدول الإفريقية والعربية

إعداد/ بدور ادريس أحمد فضل الله:

أستاذ الجغرافيا الإقتصادية المساعد

بكلية التربية - جامعة الزعيم الأزهرى

مستخلص الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على الإمكانيات السياحية الفعلية وتوزيعها الجغرافي بمنطقة ام درمان ورسم خريطة سياحية للمنطقة. كذلك تهدف الدراسة الى التعرف على معوقات التنمية السياحية للمنطقة. شملت اهداف الدراسة كذلك إعداد تصور وتصميم نموذج مرجعي خاص و توضيح الطرق الممكنة لتطوير أماكن التنزه بالمنطقة لايجاد منطقة جاذبة للسياح من داخل الدولة ومن العالم العربي والافريقي. إعتمدت هذه الدراسة على استخدام المنهج البنائي الجغرافي المتكامل، بمنهجية الاستقرائي و الاستدلالي. إعتمدت الباحثة على أسلوب الملاحظة و الزيارات الميدانية والمقابلات التلفونية مع المسؤولين في وزارة السياحة والحياة البرية في مكتب أم درمان كمصادر اولية لجمع المعلومات. كما اعتمدت على التقارير والدوريات و المراجع والدراسات السابقة كمصادر ثانوية للمعلومات. تم تحليل المعلومات باستخدام الجداول الإحصائية، إضافةً إلى استخدام برنامج نظم المعلومات الجغرافية Arc GIS في صنع بعض الخرائط لتوضيح نمط التوزيع المكاني للحدائق العامة والمنتزهات بالمنطقة. توصلت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها توافر الإمكانيات والسياحية بمنطقة الدراسة إلا أنّها لم تصل إلى المستوى المطلوب من الاستغلال. شملت توصيات الدراسة حث المسؤولين على وضع تنمية وتطوير الأنشطة والسياحية على سلم الأولويات

و الاهتمام بالبنى التحتية والخدمات بمنطقة الدراسة بشاطئ النيل لجذب السياح. كما
أوصت بالإهتمام بالجانب الإعلامي ونشر الوعي السياحي بين السكان.

Tourism in the Omdurman Area in Sudan; Toward a futuristic vision
to bridge tourism integration between African and Arab countries

Abstract

This study aims to identify the potentials and the geographical distribution of tourism in Omdurman Area. One of the study goals is to create a tourist map of Omdurman Area. The study also aims to identify obstacles to tourism development in the area. The objectives of the study includes building a reference model of tourism that in Omdurman. Additionally, the study explains the possibilities of developing tourism sites in the area to attract local residences and tourists from the African and the Arab world. Guided by the Integrated Geographical Constructivist Approach, the study used both inductive and deductive methodology. The researcher used observation, field visits, and direct telephone interviews with officials of the Ministry of Tourism and Wildlife in Omdurman office as primary sources of information. The study depended on reports, periodicals, references and previous studies as secondary sources of information. The data was analyzed using statistical tables, in addition

to using Arc GIS software in creating maps to illustrate the spatial distribution pattern of recreation centers and public parks in the area. The study found that the potentials of tourism in Omdurman Area are promising, however, little efforts were made to utilize these untapped resources. The study recommended that the government should set developing tourism in the area as a priority, and to take the initiative to develop the infrastructure and services in the Omdurman, specifically at the beach alongside the Nile River in order to attract tourists. The paper recommend that the Ministry of Tourism and Wildlife should invest on promoting tourism activities through the media to raise awareness around tourist among the local residence.

مقدمة:

« السياحة واحدة من أهم مجالات ومظاهر التفاعل بين الانسان والبيئة؛ بل و أصبحت منذ منتصف القرن العشرين من أهم النشاطات البشرية، وأكثرها أثرًا على سطح الارض الحضاري و الطبيعي.

«ولهذا أصبحت دراسة السياحة، من أكثر اهتمامات الجغرافيين، خاصة في البلدان الصناعية التي تأكدت فيها أهمية السياحة، من ناحية الأموال التي تصرف عليها وتنفق فيها، وعدد المشاركين في ممارستها من مواطني تلك الدول»، «أما في الدول النامية عمومًا فقد كان الاهتمام بالسياحة محدودًا، «وقد كان الفقر أو تدني مستوى الدخل الشائع في تلك البلدان، وعدم توفر البنيات الأساسية من طرق وتجهيزات ومرافق، والخوف من الآثار الاجتماعية السالبة للسياحة (خاصة في البلدان الاسلامية) كانت كلها من أسباب عدم الاهتمام الكبير بالسياحة الدولية أو الرغبة في استضافتها».

ولكن يمكن للتنمية السياحية في البلدان النامية، أن تصبح عاملاً مهماً للنهوض بالاقتصاد الوطني، وفي السودان خاصةً يمكن أن تشكل السياحة عاملاً محورياً ورافعة أساسية في تطوير اقتصاد البلاد، « فالسودان أحد الدول النامية التي تملك مقومات سياحية طبيعية وحضارية متعددة، بحيث تضعه ضمن الدول العشر الأولى عالمياً من حيث الموارد السياحية، حسب خبراء منظمة السياحة العالمية، ولكنه يحتاج إلى بذل جهود كبيرة لتطوير هذه الموارد وتحويلها إلى منتجات سياحية متكاملة؛ ليصبح أيضاً من الدول العشر الأولى في استقبال السياحة» ، لذا تظهر ضرورة الاهتمام بتنمية وتطوير إمكانات السياحة بالسودان بصورة عامة، وفي العاصمة القومية بصورة خاصة؛ لكي يصبح لها الدور الفعال في التنمية بكافة أنواعها.

مشكلة الدراسة:

تتوفر بمنطقة أم درمان في ولاية الخرطوم إمكانات سياحية كبيرة، إلا أن مستوى ممارسة الأنشطة السياحية بالمنطقة، لا زال دون المستوى المطلوب، ومن هنا يمكن صياغة مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي:

لماذا لا يتناسب حجم النشاط السياحي الفعلي بمنطقة أم درمان، مع حجم الموارد والإمكانات السياحية التي تحظى بها المنطقة ؟

ومن هذا السؤال تتفرع الأسئلة الآتية:

١/ هل تتوفر بمنطقة أم درمان إمكانات سياحية تؤهلها لتحقيق نشاط سياحي أكبر مما هو واقع حالياً ؟

٢/ ما أهم المشكلات التي تعيق الاستغلال الأمثل لهذه الإمكانات السياحية بالمنطقة ؟

فروض الدراسة:

تنطلق الدراسة أيضاً من عدد من الافتراضات من أهمها:

١ / يوجد قصور في استغلال الإمكانيات السياحية في منطقة أم درمان بما لا يتناسب مع ما تخطى به المنطقة من موارد سياحية كبيرة.

٢ / يوجد قصور وتدني في الخدمات المساعدة والبنى التحتية بالمنطقة يعيق تطوير النشاطات السياحية وتحقيق تنمية سياحية مستدامة بمنطقة أم درمان.

أهمية الدراسة:

تنبع أهميه الدراسة من الآتي:

١ / إنّ السياحة لم تعد نزهة فقط ؛ بل هي تمثل مورد اقتصادي هام للدول وإيجاد فرص عمل للأفراد.

٢ / يؤدي الاهتمام بالسياحة إلى تجميل المدن ونظافتها، والعناية بالطرق وكافة المرافق الأخرى، مما يؤدي إلى رفع المستوى الاجتماعي والحضاري للسكان، وإلى حماية البيئة من التلوث.

٣ / يمكن أن تؤدي السياحة إلى تكامل الأدوار بين الدول الأفريقية والعربية لتقوم كل دولة بسد الفجوة السياحية كل حسب طبيعة الجواذب السياحية الموجودة به.

أهداف الدراسة:

تتمثل الأهداف الرئيسة للدراسة في التالي:

١ / التعرف على المقومات الطبيعية والبشرية للسياحة بمنطقة أم درمان.

٢ / التعرف على معوقات التنمية السياحية بمنطقة أم درمان.

٣ / على ضوء نتائج الدراسة تسعى الباحثة لإعداد تصور وتصميم نموذج مرجعي خاص، محاولةً منها لمعالجة المعوقات، ولتوضيح الطرق الممكنة، لتطوير أماكن التنزه بمنطقة الدراسة ؛ لتصبح جاذبة للسياحة الداخلية والدولية.

٤ / إيجاد منطقة سياحية تستفيد من خدماتها الدول الأفريقية والعربية، في دولة أقرب إلى تقاليدهم وعاداتهم وبكلفة أقل.

٥ / رسم خريطة مستقبلية للسياحية بمنطقة أم درمان.

أسباب اختيار الموضوع:

هنالك العديد من الأسباب التي دعت الباحثة لاختيار هذا الموضوع ويمكن تلخيصها في:

١ / قلة الدراسات الأكاديمية التي تناولت موضوع السياحة في منطقة أم درمان، وخاصةً الجغرافية.

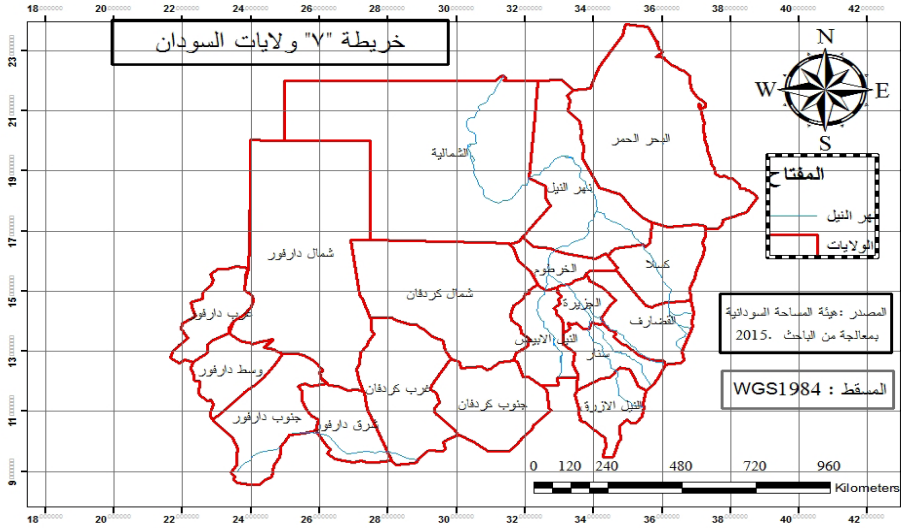
٢ / تفعيل دور السياحة للمساهمة في التطور المكاني وفي التنمية الاقتصادية، وخاصة في توسع سوق العمل واستيعاب الأيدي العاملة، والمساعدة في حل مشكلة البطالة وتقليل الفقر بمنطقة الدراسة.

٣ / المساهمة في حل مشاكل السياحة، و تطوير الأماكن السياحية والترفيهية في منطقة الدراسة، من خلال مساعدة وحث المسؤولين على وضع سياسات حل المشاكل لتطوير السياحة.

الحدود المكانية للبحث:

تغطي الدراسة منطقة أم درمان الإدارية؛ وهي إحدى الوحدات الإدارية الرئيسة التي تتكون منها ولاية الخرطوم، وولاية الخرطوم هي إحدى ولايات السودان الثمانية عشر) أنظر شكل رقم (١) ومنطقة الخرطوم الكبرى العاصمة القومية للسودان تضم منطقة الدراسة وبدورها تضم ثلاثة محليات وهي محلية أم درمان ومحلية كرري ومحلية أم بدة) أنظر شكل رقم (٢).

شكل رقم (١)



منهج الدراسة:

استخدمت الدراسة بصورة عامة المنهج البنائي الجغرافي المتكامل، بمنهجية الاستقرائي والاستدلالي، مع التركيز بصفة خاصة على استخدام الأساليب التالية:

١ - الأصولي: ويركز على دراسة المقومات الطبيعية والبشرية، التي تؤثر في صناعة وأنشطة السياحة بمنطقة الدراسة، كالموقع، المناخ، السطح، أعداد السكان وتوزيعهم وعاداتهم وثقافتهم ومنشآتهم السياحية وغيرها.

٢ - الإقليمي: يركز على توضيح الاطار الاقليمي للسياحة، كالتوزيع الجغرافي للمنشآت السياحية والجواذب الترويحية في منطقة الدراسة، ومدى ارتباطها بعناصر البيئة الطبيعية والبشرية.

٣ - التحليلي الإحصائي: وذلك لتلخيص وتنظيم ووصف وتحليل البيانات وتفسيرها.

٤ - ولقد استفادت الباحثة من تقنيات نظم المعلومات الجغرافية، في عرض وتحليل التوزيع المكاني للموارد السياحية والترويجية بالمنطقة من خلال رسم بعض الخريط الخاصة بالتوزيع المكاني للأماكن الترويجية بمنطقة الدراسة.

مصادر جمع المعلومات:

تستعين الدراسة بعدد من المصادر في استيفاء المعلومات والبيانات المطلوبة، وذلك على النحو التالي:

١ / المصادر الأولية:

- أ/ الزيارة الميدانية لبعض أماكن التنزه والسياحة بالمنطقة.
- ب/ اللقاءات والاتصالات الهاتفية والإلكترونية المباشرة ببعض المسؤولين وصناع القرار.

٢ / المصادر الثانوية:

- أ/ الكتب والمراجع ذات الصلة بالموضوع
- ب/ بعض التقارير والخطط بمكاتب الدولة.
- ج/ الرسائل والبحوث التي تدور حول الموضوع.
- د/ الدوريات والمجلات وأوراق العمل والمؤتمرات.

مصطلحات الدراسة:

- ١ / التنزه: ويقصد به الخروج لاستغلال وقت الفراغ خارج المنزل لفترة أقل من ٢٤ ساعة.
- ٢ / السياحة: ويقصد بها الخروج لاستغلال وقت الفراغ لمدة تزيد عن ٢٤ ساعة، وتنقسم السياحة إلى قسمين: الخروج داخل حدود الدولة وتسمى السياحة الداخلية، وخارج حدود الدولة وتسمى بالسياحة الخارجية.

الدراسات السابقة:

من الدراسات التي تناولت السياحة بدولة السودان:

(أ) الرسائل الجامعية:

١/ دراسة الرشيد (٢٠٠٣) بعنوان: معوقات السياحة في منطقة جبل مرة.

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مشاكل السياحة في منطقة جبل مرة ودراسة المقومات الجغرافية للسياحة بالمنطقة، وقد وضعت هذه الدراسة رؤية أساسية لأهم المشاكل التي تواجه السياحة، إلا أنها كانت خاصة بمنطقة جبل مرة.

٢/ دراسة عثمان (٢٠٠٦) بعنوان: دور العلاقات العامة في الترويج للسياحة بالسودان.

هدفت الدراسة للتعرف على المناطق السياحية بالسودان، ومن ثم بيان أهمية السياحة داخل السودان وخارجه، والتعرف على الوسائل والأشكال التي تستخدمها العلاقات العامة في الترويج الداخلي والخارجي للسياحة، فتحدثت الدراسة عن السياحة بالسودان بصورة عامة مع التركيز على الترويج السياحي.

٣/ دراسة أبو زيد (٢٠٠٨) بعنوان: أشكال السياحة الداخلية في السودان والعوامل المؤثرة في الطلب السياحي في السودان.

هدفت الدراسة لمعرفة وتحديد توجهات السياحة السودانية، وكانت الدراسة لدولة السودان بصورة عامة.

٤/ دراسة الزبير (٢٠٠٨) بعنوان: السياحة الدولية في السودان.

هدفت الدراسة الى معرفة امكانيات السودان السياحية، وتقييم واقع السياحة الدولية في السودان ومقوماتها وامكانية تطويرها، بينت الدراسة أن السودان أحد الدول النامية التي تشهد تطورًا ملموسًا في حركة السياحة الدولية رغم ضعفها مقارنة بالدول الأخرى.

٥ / دراسة خليفة (٢٠٠٨) بعنوان: دور السياحة في التنمية الاقتصادية في السودان التحديات والرؤى المستقبلية.

دفت الدراسة إلى معرفة السياحة في السودان ومدى مساهمتها في الدخل القومي، ومعرفة التحديات التي تواجه قطاع السياحة، فنجد أن هذه الدراسة وضعت رؤية أساسية للسياحة بالسودان وأهم عناصر الجذب والمعوقات ولكنها تحدثت عن السودان بصورة عامة.

٦ / دراسة محمد خير (٢٠٠٩) بعنوان: كفاءة الأنشطة الترويحية والحدائق العامة في الخرطوم الكبرى

هدفت الدراسة إلى التعرف على مواقع الترويج عامة والحدائق العامة خاصة وتوزيعها الجغرافي في منطقة الخرطوم الكبرى، نجد أن الدراسة تناولت الأماكن الترويحية بمنطقة الخرطوم وأهم المشاكل التي تواجه الترويج، ولكنها أولت اهتمام خاص للحدائق والمتنزهات الخاصة دون غيرها من أماكن الترويج الأخرى المتوفرة بالمنطقة.

٧ / دراسة التجاني (٢٠١٠) دور التلفزيون في الترويج السياحي في السودان.

هدفت للدراسة للتعرف على الجوانب السياحية التي تتمتع بها دولة السودان وكفاية الترويج للسياحة به، فمن الدراسة يمكن الاستفادة من أن للإعلام دور كبير في عملية الجذب السياحي، ولابد من الاهتمام به ووضع رؤية لتخطي العقبات التي وضعتها الدراسة، ولكن يلاحظ اقتصار اهتمام الدراسة على الإعلام المرئي التلفزيوني فقط، مما يتطلب عمل دراسات شمولية لدور الاعلام بمختلف أشكاله وأنواعه في عملية التنمية والتطوير السياحي.

(ب) أوراق عمل علمية قدمت في مؤتمرات وورش عمل:

١ / جمع حياتي (١٩٩٧) دراسات وتوصيات مؤتمر أركويت الثاني عشر في

كتاب بعنوان « السياحة في السودان »، حيث قدمت في المؤتمر ست عشرة ورقة تضمنت كل واحدة منها ستة محاور هي: تنمية وتأهيل وتطوير الموارد السياحية بالسودان، والسياحة البيئية، والتراث والثقافة، والآثار، والاعلام السياحي والتسويق، والأمن السياحي. أوضح الكتاب أن السودان غني بالموارد السياحية، ولكن تواجه السياحة كثير من العقبات أهمها المرتبطة بقضايا التنمية الاقتصادية بالسودان.

٢/ دراسة محمد (٢٠٠٨) بعنوان: أثر السياحة في تنمية المجتمعات المحلية.

تناولت الدراسة صناعة السياحة في السودان كصناعة حديثة واعدة، وعرض تجربة مشروع إيمان السياحي في منطقة البحر الأحمر وآثاره التنموية على السكان.

٣/ دراسة محمد (٢٠١٢) بعنوان: الجواذب السياحية وآفاق الاستثمار السياحي في السودان.

تحدثت الورقة عن أهمية السياحة بالسودان وبينت ثراء السودان وإمكانية قيام صناعة سياحية ممتازة، إذ أن السودان يمتاز بالتعدد والتنوع الطبيعي والبشري، كذلك هناك كثير من العوامل التي تشجع على الاستثمار السياحي بالسودان.

من خلال الاطلاع على بعض الدراسات السابقة فقد استفادت الباحثة منها في اثراء الخلفية النظرية للدراسة، كما وقفت على فائدة ومناسبة بعض المناهج والأساليب لموضوع الدراسة، ولكن هنالك بعض الملاحظات أهمها: ميل هذه الدراسات الواضح، وخاصة الجغرافية منها، إلى الجانب السردي الوصفي وحصر الموارد والإمكانات السياحية ومشكلات ومعوقات استغلالها، دون اهتمام كبير بالتخطيط السياحي الذي ترك للاقتصاديين بصورة شبه كاملة، وكما يقول قيتز « قد اهتم المخططون السياحيون بالدرجة الأولى ولفترة طويلة بتنمية وتعظيم الربح والعائد الاقتصادي للاستثمار السياحي، وقد تطورت مؤخراً النظرة إلى التخطيط السياحي، بحيث صار أكثر شمولية واهتماماً بالأبعاد والمردودات الاجتماعية

والبيئية، للاستثمارات والمشروعات والنشاطات السياحية والترويجية ». فمن ذلك ترى الباحثة أنه يمكن للجغرافيين - من خلال التركيز أيضًا على البعد المكاني - الإسهام بفاعلية في توسيع وتطوير شمولية التخطيط السياحي وإدماجه في وشائج وسياق التخطيط للتنمية الشاملة، فنجد أن القطاع السياحي في معظم (١٦)ول النامية، مازال لايعطي أولوية عليا للتخطيط الاقتصادي والاجتماعي »

المقومات السياحية وأنواعها بمنطقة الدراسة

تمهيد:

تتبنى جمهورية السودان نظام الحكم الفدرالي الاتحادي، ويقسم السودان إلى ثمان عشرة ولاية، وتقسم كل ولاية إلى عدد من المناطق الإدارية تسمى بالمحليات، وتمثل مدينة الخرطوم الكبرى، العاصمة القومية للبلاد، وتقسم ولاية الخرطوم إلى ثلاث مناطق إدارية، من بينها منطقة الدراسة، وهي منطقة أم درمان، وسوف يتم التركيز على التعريف بمنطقة أم درمان وتحليل الجغرافيا السياحية للمنطقة.

الموقع والمساحة:

تقع منطقة أم درمان على الضفة الغربية للنيل الأبيض، ونهر النيل بين خطي طول-٣٣° و-٣٢° و٣١°٣٧ شرقاً ودائرتي عرض-١١° ١٥ و-١٦°٤٠ شمالاً، وتكوّن مدينة أم درمان، حاضرة المنطقة، مع مدينتي الخرطوم والخرطوم بحري ما يسمى بالعاصمة المثلثة للسودان. وتضم منطقة أم درمان الإدارية ثلاث محليات وهي:

شكل رقم (٢) لتوضيح محليات منطقة أم درمان ضمن محليات ولاية الخرطوم



المصدر: www.sudacon.net

١ / محلية أم درمان: وتقع على الضفاف الغربية للنيل الأبيض ونهر النيل، يحدها من الشمال محلية كرري، ومن الغرب محلية أم بدة، ومن الجنوب الغربي ولاية شمال كردفان، وتمتد حتى حدود الولاية من الناحية الجنوبية عند حدود ولاية النيل الأبيض (شكل رقم ٢). تبلغ مساحة المحلية حوالي ٨٩٥ كيلو متراً مربعاً، ويبلغ عدد سكانها ٥١٣٠٨٨ نسمة (تعداد السكان الخامس ٢٠٠٨ م)، بكثافة سكانية عالية تبلغ ٥٧٣ نسمة في الكيلو متر المربع، وتتكون المحلية من عشر وحدات إدارية وهي:

وحدة ودنوباوي، وحدة حي العرب، وحدة السوق الكبير، وحدة السوق المركزي، وحدة السوق الشعبي، وحدة الصناعات، وحدة الموردة، وحدة أبو عنجة، وحدة أبو سعد، وحدة الريف الجنوبي.

٢ / محلية أم بدة: تحدها غرباً ولاية شمال كردفان، وشرقاً محلية أم درمان، وشمالاً ولايتي نهر النيل والشمالية (شكل رقم ٢)، تبلغ مساحة المحلية حوالي ٢٦٩٥ كيلو متراً مربعاً،

بلغ عدد سكان المحلية حوالي ٩٨٨١٦٣ نسمة (تعداد السكان الخامس ٢٠٠٨ م)، بكثافة سكانية عامة مرتفعة تبلغ ٣٦٧ نسمة في الكيلومتر المربع.

تتكون المحلية من عشر وحدات إدارية وهي:

وحدة شرق الأمير، وحدة غرب الأمير، وحدة شرق البقعة، وحدة غرب البقعة، وحدة شمال السلام، وحدة جنوب السلام، وحدة الريف الغربي، وحدة سوق ليبيا، وحدة سوق أبوزيد، وحدة سوق الماشية.

٣ / محلية كرري: تقع المحلية غرب نهر النيل، ويحدها من الشمال ولاية نهر النيل، ومن الغرب محلية أم بدة ومن جهة الجنوب محلية أم درمان (شكل رقم ٢)، تبلغ مساحة المحلية حوالي ٤٦٤٦ كيلومتراً مربعاً، بلغ عدد سكان المحلية حوالي ٧١٤٠٧٩ نسمة (تعداد السكان الخامس ٢٠٠٨ م) بكثافة سكانية عامة تبلغ حوالي ١٥٤ نسمة في الكيلومتر المربع.

تشمل المحلية أربع وحدات إدارية رئيسية وهي:

وحدة الثورة، وحدة كرري، وحدة الريف الشمالي، ووحدة الفتح.

وتقع وحدة الثورة متاخمة لمحلية أم درمان وأم بدة من الناحية الجنوبية الغربية، وتتميز بأنها تعتبر نواة القطاع الحضري لمحلية كرري.

يبلغ إجمالي عدد السكان بمنطقة أم درمان ٢٢١٥٣٣٠ نسمة (حسب الإحصاء السكاني لعام ٢٠٠٨ م)، وهي بذلك تعتبر ذات تركيز سكاني كبير، حيث يتجاوز إجمالي عدد السكان في بعض الدول، كما تغطي المنطقة مساحة كبيرة تبلغ ٨٢٣٦ كيلومتراً مربعاً، وكثافة سكانية تبلغ ٢٦٩ نسمة في الكيلومتر المربع.

منطقة بهذا الحجم المساحي والسكاني لا يتوقع أن تنعدم فيها الجاذب السياحية والترويحية أو يقل فيها الطلب على السياحة والترويح.

الحقيقة أنَّ منطقة أم درمان، تزخر بالكثير من الموارد والمقومات السياحية، الطبيعية والبشرية؛ مما يؤهلها للرقى إلى مستوى سياحي أكبر وأفضل مما هو متاح حالياً، ويتم التركيز في هذا الجزء، علي التعريف بالموارد والإمكانات السياحية للمنطقة، وتوزيعها المكاني وتحليلها، والتعريف بأنواع النشاطات الترويجية والسياحية الممارسة، وعرض ومناقشة أهم المشكلات والمعوقات التي تعيق الاستغلال الكامل لكل هذه الموارد والمقومات السياحية بمنطقة الدراسة، وتقييم الجهود المبذولة في مجال التنمية السياحية بالمنطقة.

المقومات الطبيعية المؤثرة في السياحة والترويج بمنطقة أم درمان

الموقع:

تقع منطقة أم درمان على الضفة الغربية لنهر النيل، والمعروف - كما تؤكد أدبيات السياحة والترويج - أن الأنهار تعتبر من الجواذب الترويجية والسياحية المهمة، ويمثل النهر عامل جذب رئيس لعدد كبير من المرتادين، كمنظر طبيعي أولاً، بالإضافة للأنشطة البشرية التي يمكن أن تقوم عليه من أنشطة رياضية مثل السباحة والتزلج على الماء، والقوارب الشراعية وغير الشراعية، وصيد الأسماك، والرحلات السياحية النيلية بالبواخر والنقل النهري، بالإضافة للمتنزهات والمحال التجارية والترفيهية والحدائق العامة، التي تقام على ضفتيه وشاطئيه. هذا الموقع النيلي وفر فرصاً ترويجية كبيرة لعدد كبير من طالبي الترويج بمنطقة الدراسة، خاصةً من خلال الحدائق والمتنزهات العامة والخاصة، التي اقيمت على ضفة النيل، ووجود بعض الآثار التاريخية كالطابية التي أقامتها جيوش دولة المهديّة. وتري الباحثة أنه حتى الآن لم تتم الاستفادة القصوى من هذا الموقع؛ ولم يُطور استخدام شاطئ النيل ليكون متنفساً ترويجياً للسكان المقيمين بالمنطقة والزوار والسياح من خارج المنطقة والسياح الدوليين، وستعرض الباحثة مقترحات محددة لذلك في التصور الخاص بتطوير السياحة بمنطقة الدراسة.

جانب موقعي آخر، يتمثل في وقوع منطقة أم درمان ضمن مدينة الخرطوم الكبرى، عاصمة السودان، وفي ولاية الخرطوم، قلب السودان السياسي والاقتصادي والحضاري، والتي يتكون مجتمعها من كل القوميات والقبائل والجهويات والثقافات السودانية، وهذا الموقع المميز يفيدها في أمرين، أولاً: تستفيد من التطور النسبي الذي تتمتع به مدينة الخرطوم الكبرى، وولاية الخرطوم على كافة المدن، والولايات الأخرى خصوصاً في مجال الخدمات العامة، والبنيات التحتية كالطرق ومرافق المياه، والكهرباء وشبكات المواصلات، والاتصالات والخدمات الأمنية والبنكية، وخدمات الإيواء (الفنادق والشقق المفروشة)... ونحو ذلك، والتي يمكن أن تسهم في تطوير موارد وخدمات السياحة والترويج بالمنطقة، كما وتستفيد من تطور السياحة والترويج بالخرطوم الكبرى وولاية الخرطوم عامة.

ثانياً: من ناحية أخرى فإن التنوع الثقافي والجهوي، الذي يتكون منه مجتمع العاصمة الخرطوم الكبرى (وهو أيضاً ملاحظ بمنطقة الدراسة بصورة مماثلة) يشجع السياحة الاجتماعية نسبة لما يتميز به المجتمع السوداني عامة من ترابط، فمثلاً يهرع كثير من سكان العاصمة إلى ولايات السودان المختلفة في الأعياد والمناسبات لقضاء العطلات مع أهاليهم، فإن كثيراً من أقربائهم يردون الزيارة لهم في بعض المناسبات أيضاً، أو ينزلون عندهم عند قدومهم للعاصمة طلباً للعلاج أو الأغراض التسويقية وغير ذلك، وموقع منطقة الدراسة يمكن أن يساعدها في جذب هؤلاء الزوار إليها؛ للتمتع بجواذها السياحية والترويجية، يعزز ذلك أنه رغم الحكم الفدرالي المطبق في السودان، فما زالت العاصمة القومية الخرطوم تستأثر بتركز أفضل (نسبياً) بالخدمات الاجتماعية في البلاد، ومواطن مراكز القرارات الإدارية الحكومية (الاتحادية)، والمالية والتجارية، والتي كثيراً ما تتطلب زيارتها من قبل المراجعين من كل أنحاء السودان، ويمكن لمنطقة أم درمان أن تجذب كثيراً من هؤلاء القادمين للسكن في مراكز الإيواء التجارية (الفنادق والشقق المفروشة) التي تقام بها، أو السكن مع أقربائهم من سكان المنطقة، أو جذبهم لارتداد أماكن الجذب السياحي الترويجي بها، كالأسواق التجارية والحدائق والمتنزهات العامة، والجواذب الثقافية والتاريخية خلال فترة إقامتهم بالعاصمة القومية.

وعلى مستوى آخر فإن منطقة أم درمان، تستفيد من موقعها بعاصمة السودان، فالسودان يشغل موقعاً استراتيجياً متميزاً في خارطة العالم، ويمثل جسراً ثقافياً بين الحضارة العربية الإسلامية من جانب والثقافة الأفريقية من جانب آخر، كما ويمثل جسراً جغرافياً بين دول البحر المتوسط ودول وسط أفريقيا، ويتمتع السودان بموقع محوري بالنسبة لحركة الطيران العالمية نحو أفريقيا والحركة العابرة من غرب أفريقيا إلى آسيا ودول الشرق الأوسط وأوروبا.

المناخ:

تقع منطقة الدراسة في معظم أجزائها، في المنطقة شبه الصحراوية، ويتميز مناخها بالموسمية (صيف حار وشتاء دافئ)، فيبدأ فصل الشتاء في شهر نوفمبر ويمتد حتى شهر مارس، ويتميز بخلو المنطقة من السحب، وقلة الرطوبة النسبية وانخفاض درجات الحرارة، فالقصوى تصل ما بين ٣٤ درجة إلى ٢٤ درجة مئوية، أما الصغرى تتراوح ما بين ١٣ درجات إلى ١٧ درجات مئوية، ويعتبر فصل الشتاء الدافئ، من الفصول الجاذبة للسياح الخارجيين، وخاصة من الدول الأوروبية التي تتصف مناطقها بشدة البرودة (ف نجد أن فصل الشتاء دافئ وجاف بالإضافة لقلة الأتربة والعواصف).

السطح:

تحتل الأشكال التضاريسية المختلفة (جبال، أودية، صحاري، هضاب، انكسارات وشلالات) بكثير من الاعجاب من محبي الطبيعة، و تتوفر في منطقة أم درمان بعض من هذه الأشكال، فمثلاً منطقة غرب أم درمان شبه الصحراوية، فهي تقام فيها رحلات السفاري (وهي سياحة مرتبطة بسياحة الصيد، وتقوم بتنفيذها الوكالات المصدق لها من قبل الجهات الرسمية، مثل وكالة بلاك فيرو)، كما أنّها تجذب إليها بعض السياح الدوليين وخاصة السياح العرب من دول الخليج العربي؛ للتمتع بالصيد ومراقبة الحيوانات البرية الموجودة في هذه الصحراء، وتنصب الخيام للتمتع بالجو المشمس الصحو وخاصة في فصل الشتاء، كذلك من الأشكال التضاريسية الجاذبة بالمنطقة، منطقة شلال السبلوقة شمال أم درمان (وهو الشلال السادس على نهر النيل) إذ تصلح المنطقة لقيام عدد من الهوايات والأنشطة الترويحية مثل التسلق على الجبال الموجودة بالمنطقة، كما يمكن ممارسة أنشطة

أخرى مثل ركوب المراكب الشراعية، والتجديف والسباحة والغطس والتزحلق على الماء، فضلاً عن التمتع بمنظر الشلال وجريان المياه في منطقة الشلال وما يكونه من مناظر جميلة وخلاصة خاصة لمن لم يرى مثل تلك المشاهد من قبل.

الحيوان البري:

يمثل الحيوان البري جانباً ترفيهياً وسياحياً مهماً، فضلاً عن فوائده الاقتصادية للدولة، ونجد أن منطقة غرب أم درمان، تدرع ببعض من الحيوانات البرية، كالغزلان والأرانب والحبارى (جداد الوادي) وطيور القطا (السمان) الصحراوية، إضافة إلى الطيور المهاجرة التي تظهر بالمنطقة في موسم الأمطار، خاصة وأن السودان يعتبر معبراً مهماً للطيور المهاجرة في رحلاتها الموسمية العالمية بين الشمال والجنوب؛ إذ يذكر «أن السودان يتمتع بثروة طبيعية فريدة من الطيور، منها ما يعيش طول الموسم داخل السودان ويتكاثر في البحيرات والجبال والغابات، وبعضها عابرة مهاجرة تحلق برحلتها الموسمية بين السودان وعدة أقطار، ويقع السودان جغرافياً على الطرق الرئيسة التي تسلكها الطيور المهاجرة بين ثلاث قارات، ويوجد بالسودان (٧) إلى ٩٤٠ فصيلة من الطيور، منها أكثر من ٢٠٠ فصيلة مهاجرة قادمة من أوروبا وآسيا». فتجذب منطقة أم درمان إليها بعض السياح سواء بغرض الصيد أو المشاهدة، ولكن هذه المنطقة تشهد الآن تمدداً حضرياً واسعاً ومتسارعاً ربما يؤثر بصورة خاصة على هذه المنطقة؛ وذلك بتهديده للحياة الفطرية بها.

المقومات البشرية المؤثرة في السياحة والترويج بالمنطقة:

لا تكفي الموارد الطبيعية وحدها لقيام تنمية سياحية، وإنما لابد أن تتكامل معها موارد ومقومات بشرية حضارية تمكن المروحين والسياح من الاستفادة من تلك الموارد الطبيعية، وتحظى منطقة الدراسة بالكثير من الموارد والمقومات البشرية، ومن هذه الجاذب والمقومات ما يتعلق بجذب السياح بصورة عامة، ومنها ما يتعلق بجذب المروحين والمتنزهين فقط من السكان المقيمين، ومن أبرز هذه المقومات:

الآثار والمتاحف:

يوجد بمنطقة أم درمان العديد من المناطق الأثرية و التاريخية، تعود إلى مراحل تاريخية مختلفة من عمر المنطقة، ولكن أحدثها وأشهرها يعود إلى عهد الدولة المهدية (١٨٨٥ - ١٨٩٨ م) التي اختارت مدينة أم درمان عاصمة لها بعد اقتحام ثوار المهدية مدينة الخرطوم، العاصمة التي أنشأها الاستعمار، في عام ١٨٨٥، ونقلت العاصمة إليها؛ من أهم وأشهر هذه الآثار التاريخية: قبة ضريح المهدي قائد الثورة المهدية، الطوابي العديدة على شاطئ النيل والممتدة من أم درمان حتى منطقة السبلوقة، بوابة عبد القيوم (التي كانت تمثل مدخلا لقلب مدينة أم درمان حيث مقر الخليفة رأس الدولة والمؤسسات الحكومية الرئيسة وبيوت الأمراء)، بيت الأمانة؛ الذي يستغل حالياً كدار للرياضة، سجن أم درمان، وكان منزلاً لشيخ الدين عبد الله التعايشي (ابن الخليفة عبدالله) سابقاً، أمّا المتاحف فأهمها متحف الخليفة عبد الله التعايشي، كذلك هنالك بعض المواقع الأثرية كما في خور أبو عنجة، كما توجد في بعض المناطق آثار ا-(٨)ارات القديمة كمثال آثار حضارتي نبتة ومروي في كل من الشهبان والسروراب غرب .

الأسواق الشعبية والفلكلورية:

مدينة أم درمان من المدن المحفوظة بإرثها التاريخي التليد وفولكلورها حتى اليوم، حيث توجد بها الأسواق القديمة الزاخرة بالمنتجات الشعبية والأناثيك والمنتجات الجلدية مثل «سوق أم درمان القديم»، وكذلك بعض المنتجات الفخارية وصناعة المراكب، كما في منطقة أبوروف الشاطئية، كما يوجد «سوق الصاغة» في سوق أم درمان لمنتجات الذهب والفضة، وهذه الأسواق كلها ذات جذب ترويجي عالي للسكان المقيمين بالمنطقة والزوار، خصوصاً السياح الدوليين والداخلين، وهنالك نوع من الأسواق الشعبية للمأكولات الشعبية مثل سوق «الناقة أوقندهار» للحوم والمشويات والأكلات الشعبية والتي أضحت لها شهرة واسعة على مستوى السودان كله تجعلها من أهم الجواذب الترويجية والسياحية بمنطقة الدراسة.

التراث الشعبي:

يعد التراث الشعبي والفلكلور، واحدًا من أهم الجواذب السياحية العالمية، نسبة لأنه يعكس التباين الحضاري والتنوع الثقافي العالمي، لاسيما وقد أضحت المدن والمنتجات الصناعية التجارية والثقافة والفنون المعاصرة، تتشابه بدرجة كبيرة على مستوى العالم ؛ بسبب سرعة الانتشار الحضاري المواكب للعولمة والثورة المعلوماتية وثورة الاتصالات. وتمتاز منطقة أم درمان بالتنوع القبلي الكبير، إذ تضم تقريبًا كل قبائل السودان، وبذلك تتنوع الأعراف والعادات والتقاليد وتبعًا لذلك يتنوع هذا التراث ويزداد ثراءً.

المجتمع المضيف:

يمتاز الانسان السوداني بصورة عامة بكرم الضيافة والبشاشة في استقبال الضيوف والغرباء، وهي سمة متأصلة في الشعب السوداني عامة، وتمثل جانب فخر وتباهي للأفراد والقبائل، الأمر الذي يشكل رصيّدًا طيبًا للتنمية السياحية في المنطقة وفي السودان عامة.

المساحات الخضراء:

تعد المساحات الخضراء المتمثلة في الحدائق العامة، أحد أهم مرافق الترويح بالنسبة لسكان مدينة أم درمان، وخاصة الشريحة الاقتصادية متدنية الدخل، حيث لا يتطلب ارتيادها تكاليف مادية تذكر، ولذلك تعد الحدائق والمنتزهات المفتوحة من الأماكن الأكثر جاذبية وأكثر ارتيادًا لسكان المنطقة.

التوزيع المكاني للأماكن الترويحية والسياحية بمنطقة أم درمان

سيتناول هذا الجزء تعريف مبسط للأماكن الترويحية والسياحية، مع الخريط التوضيحية التي تبين التوزيع المكاني لبعض منها (أنظر شكل رقم (٣)، ومن هذه الأماكن:

المواقع الأثرية والتاريخية:

من بين المواقع الأثرية والتاريخية بمنطقة أم درمان كل من:

متحف بيت الخليفة عبد الله التعايشي:

يقع المتحف وسط أم درمان مع مجموعة من المواقع التاريخية المهمة بالمدينة (أنظر شكل رقم ٣)، يعتبر المتحف من آثار حقبة المهديّة، وكان في السابق مقرّاً لسكن الخليفة عبد الله أبان فترة هذه الدولة، وقد شيد المبنى عام ١٨٨٧ م على يد المعماري الإيطالي بيترو، كما شيد الجزء الملحق به والمكون من طابقين عام ١٨٩١ م، وقد تحول المنزل (٩)، متحف تاريخي عام ١٩٢٨ م، ويحتوي على العديد من المقتنيات النادرة لتلك الحقبة » .

خور أبو عنجة:

أخذ الخور اسمه من اسم حمدان «أبو عنجة»، أحد أكبر قادة دولة المهديّة ويعتبر خور أبو عنجة من المناطق الأثرية المهمة إذ يمثل الموقع الأثري بالخور العصر الحجري القديم، ويقع هذا الموقع الأثري على بعد ٣ كيلو مترات من ملتقى الخور بالنيل، قام بالتنقيب في هذا الموقع الأثري الشهير آركل Arkell. J. A، أول مدير لمصلحة الآثار السودانية في الفترة (١٩٣٨-١٩٤٤ م)، تم توسيع الخور عند منطقة المصب المجاورة للنهر؛ لتصير بحيرة جميلة.

طوابي المهديّة:

الطوابي جمع طابية، « وهي عبارة عن استحكامات عسكرية دفاعية وهجومية، وهي في الأصل بناء عسكري في شكل خندق عميق سائر، مبني من الطوب والطين والحجارة، بها فتحات تبعد كل فتحة عن الأخرى ٩٢ سم تقريباً، تسمى المزاقل (كان يستخدمها القناصة في جيش المهديّة)، وعليها عدة أبراج للمدفعيّة، واشتهرت مدينة أم درمان بالطوابي، لأنها كانت عاصمة للدولة المهديّة.

سجن أم درمان:

كان منزلاً يمتلكه عثمان شيخ الدين بن الخليفة عبد الله التعايشي، ويستغل الآن سجنًا للنساء، ومن وجهة نظر الباحثة أنّه يمكن إعادة الاعتبار له واعتباره أحد آثار الدولة المهديّة، وتخصيصه متحفًا لثراث الدولة المهديّة؛ ليصبح من الجواذب الترويحية الثقافية للمنطقة.

وهناك بعض المعالم الأثرية الأخرى مثل «سفينة البوردين»؛ وهي أول سفينة تدخل السودان في عهد كتشنر باشا، وقامت وزارة السياحة في عام ٢٠١٠ م بترميمها ووضعها كمعلم سياحي.

وأيضًا توجد بالمنطقة بعض المتاحف الحديثة، مثل متحف المرأة، ويقع داخل جامعة الأحفاد بأم درمان، ويوجد أيضًا متحف إبراهيم حجازي، الذي يتميز بأنه متحف خاص غير حكومي، أسسه السيد إبراهيم حجازي على نفقته الخاصة، واهتم به وجمع الكثير من المقتنيات الأثرية بصورة شخصية وعرضها للجمهور.

أماكن السياحة الترفيهية:

تشكل الاهتمامات الترفيهية جزءًا ومكونًا هامًا من النشاط الترويحي والسياحي، وبناءً على ذلك فإن الأماكن والجاذب الترفيهية، سواء كانت طبيعية أو من صنع البشر، تلعب دورًا كبيرًا في اختيار المقاصد السياحية والترويحية، وبالتالي تحديد وجهة الحركة السياحية، ومن أهم هذه الأنواع في منطقة أم درمان ما يلي:

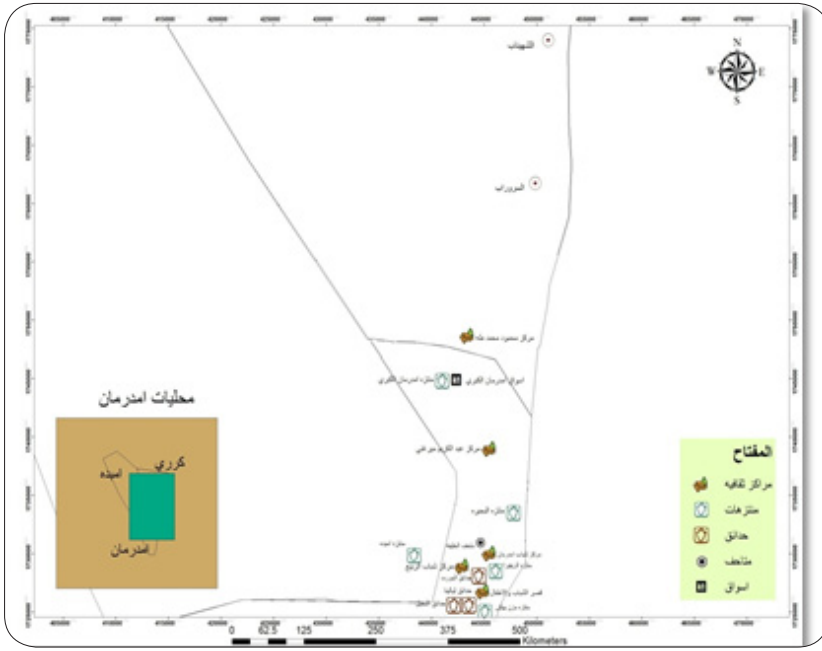
شلال السبلوقة:

تقع منطقة شلال السبلوقة على بعد ٨٠ كلم شمال أم درمان، ويدخل الجزء الواقع منها على الضفة الغربية من نهر النيل ضمن حدود منطقة الدراسة، تتميز المنطقة بمناظرها الطبيعية الخلابة؛ والتي تتمثل في التلال الجرانيتية التي تلامس مياه النهر في بعض المناطق، وتبعد عنها قليلًا في بعضها الآخر، مكونة جزرًا مخضرة وأراضي طينية، تصلح لإقامة المعسكرات والتشجير، ويشكل الشلال وصخوره المتناثرة وسط مياه النيل، واصطخاب الأمواج وخرير المياه، منظرًا رائعًا، وبالنهر أيضًا جزر مخضرة تصلح للترويح وممارسة رياضات الماء حولها، مثل المراكب الشراعية والتجديف والسباحة والغطس والتزحلق على الماء، كما يمكن ممارسة رياضة التسلق والمشي على الجبال والتلال، التي تضمها منطقة السبلوقة، وتتيح منطقة السبلوقة أيضًا فرصًا ترويحية إضافية لمحبي الحياة البرية وهواة ممارسة مشاهدة ومراقبة الحيوانات البرية، إذ تتوفر بالمنطقة بعض الأرناب البرية والغزلان،

كامتداد لبيئتها ووجودها في صحراء أم درمان الغربية، التي تحد السبلوقة من جهة الغرب، فضلاً عن كل ذلك توجد طابيتين من آثار الدولة المهدية بالمنطقة.

لاحظت الباحثة أنه رغم أهمية منطقة السبلوقة كواحدة من أهم الموارد السياحية لمنطقة أم درمان، إلا أنها غير مستغلة بالصورة التي تستحقها.

شكل رقم (٣) خريطة الأماكن الترويحية والسياحية بمنطقة أم درمان



المصدر: من عمل الباحثة ٢٠١٩ م اعتماداً على هيئة المساحة السودانية

منطقة صحراء غرب أم درمان:

تقع المنطقة غرب مدينة أم درمان حتى حدود ولاية شمال كردفان، وهي منطقة ذات بيئة شبه صحراوية تربتها رملية وتتخللها الكثبان الرملية، يتوسط المنطقة وادي وقوز أبو ضلوع، و كما هو معروف فإن الأودية توفر بيئة استثنائية خاصة في البيئة الصحراوية، إذ

تنمو في مجاريها وضافها النباتات الشجرية التي توفر ظروفًا للرحلات الخلوية، والتنزه لسكان المناطق المجاورة، كما توفر الأودية أيضًا بيئة موائمة لحياة بعض الحيوانات البرية، واستراحات للطيور المتوطنة والمهاجرة العابرة بين الشمال والجنوب، وتوجد بالمنطقة الغزلان بأعداد معقولة وكذلك الثعالب، وبها أنواع من الطيور مثل القطا والخباري وبعض أنواع العصافير، ولذلك تسمح هذه المنطقة بالصيد والمشاهدة لهذه الحيوانات، كذلك هي جاذبة للذين يحبون ويتمتعون بأجواء الصحراء المشمسة خاصة في موسم الشتاء.

الحدائق العامة والمنتزهات:

تعتبر من أهم الأماكن الترويحية، لما لها من أثر طيب في رفع المستوى الصحي؛ لأنها تعتبر رئات يتنفس من خلالها المجتمع الحضري المعاصر، ومجال للاستمتاع بالهواء الطلق وأشعة الشمس، والراحة النفسية والعصبية، كما أنها تساهم في تدعيم روابط الإلفة والصداقة بين الأفراد والجماعات التي ترتادها، لذلك اكتسبت الحدائق والمنتزهات العامة أهمية كبيرة وأضححت من ركائز ومكونات التخطيط الحضري الحديث، وتخطيط المدن، «ويطلب أن يخصص لها ما لا يقل عن نسبة ١٠٪ من مساحة أي مدينة حديثة»، رغم أنه بمنطقة الدراسة بحسب الباحثة حسب المساحة الكلية لمنطقة وأمدرمان ومساحة المنتزهات والحدائق العامة بالمنطقة، لا تمثل نسبة الحدائق العامة والمنتزهات إلا ٢٦٪ من مساحة المنطقة.

ويمكن القول بأن منطقة أم درمان بصورة عامة تتوفر فيها عدد من الميادين والفسحات العامة التي يلعب بها الأطفال والشباب، ويزاولون بها بعض أنشطتهم الرياضية، ولكن عند النظر بتمعن للعدد والتوزيع المكاني للحدائق العامة والمنتزهات بمنطقة الدراسة، يلاحظ قلة المنتزهات والحدائق العامة، وخاصة في محليتي كرري وأم بدو، وهذا يعكس خللاً كبيراً في توزيع الحدائق والمنتزهات، وتركزها في محلية أم درمان، بالرغم مما توفر للتخطيط العمراني والحضري من فرصة إدراج مثل هذه الجواذب الترويحية، عند تطوير المحليات والأطراف الهامشية لمنطقة أم درمان عمرانياً؛ بتنفيذ خطط اسكانية متعددة، ويمكن أن تطور بعض هذه الميادين والفسحات العامة بمحليتي كرري وأم بدو على مراحل، إلى حدائق ومنتزهات لتفي بالطلب المتزايد على الترويح بالمحليتين والمنطقة عامة، (أنظر الجدول رقم ١).

جدول رقم (١) الخدمات الترويحية بمحليات منطقة أم درمان:

الخدمة	محلية أم درمان	محلية كرري	محلية أم بدة
فسحات (ميادين)	-	٣٧٨	٢٢٦
الحدائق والمتنزهات	١٠	-	١

المصدر: ناصفة للاستثمارات الهندسية، ٢٠١١م

ومن أهم المتنزهات بمنطقة الدراسة:

- منتزه البحيرة: يقع في محلية أم درمان بحي الملازمين على مساحة تبلغ ٣٢٢٥ متر مربع.
- منتزه مجيك لاند: يقع في محلية أم درمان في تقاطع شارع الشنقيطي على مساحة ٨٠ ألف متر مربع
- منتزه أم بدة: يقع في محلية أم بدة بالقرب من سوق ليبيا، على مساحة تقدر ب ١٥٣٣٨ متر مربع.
- منتزه مزن بيتش: يقع في محلية أم درمان مع مدخل كبري الفتيحاب وتقدر مساحته ب ١٥٠٠٧ متر
- منتزه الريفيرا العائلي: يقع في محلية أم درمان، على شاطئ النيل على مساحة تقدر ب ١٢٠٠٠ متر
- حدائق الموردة: تقع في محلية أم درمان حي الموردة على مساحة تقدر ب ٢٠٠٠٠ متر مربع.
- حدائق النخيل: تقع في محلية أم درمان وتمتد من نفق الكبري الجديد (بين مدينتي الخرطوم و أم درمان) إلى حي المهندسين بمحلية أم درمان، على مساحة تقدر ب ١٤٧١٦ متر مربع.
- شارع النيل: هو شريط مرصوف موازي لنهر النيل يتدئ من كبري شمبات إلى ما بعد كبري الحلفايا.

وعموماً بالنظر لهذه الحقائق والمتزهات يلاحظ أن الأماكن التي تفرض عليها رسوم توجد بها عناية أكثر من التي لا رسوم على دخولها (فهذه تواجه إهمال ويتمثل ذلك في عدم وجود الخدمات سواء مقاهي أو مرافق صحية أو ألعاب للأطفال)، باستثناء منتزه الريفيرا الذي لا تفرض رسوم عليه وتتوفر به الخدمات؛ وذلك لوجود الأماكن الاستثمارية بداخله، من مطعم فخم يجذب ذوي الدخل المرتفعة، بالإضافة لصالة المناسبات.

المعالم التراثية والشعبية:

من أهم المعالم التراثية والشعبية بمنطقة أم درمان:

سوق أم درمان للمصنوعات الشعبية:

تعتبر الأسواق الشعبية والتراثية من أهم الجواذب السياحية، نسبة لتمييزها وتفرد محتوياتها ومعروضاتها، وذلك بعكس الأسواق الحديثة التي تتشابه بدرجة كبيرة في كل العالم.

يقع سوق أم درمان للمصنوعات الشعبية في منطقة وسط أم درمان، ويتكون من متاجر صغيرة مصطفة في أزقة ضيقة، ويحتوي على أنواع متنوعة من المشغولات اليدوية والأعمال الفنية والتذكارية، بالإضافة إلى أعمال الفولكلور السوداني المتميزة والشهيرة.

مرسى أبوروف لصناعة المراكب:

يقع بحي أبوروف على شاطئ النيل، ويمتاز بوجود بعض المنتجات الشعبية مثل المراكب الخشبية التي اشتهرت بها المنطقة قديماً، ويلاحظ أن هذه الصناعة قلت بصورة كبيرة، لكن أصبحت هذه المنطقة تشتهر بصناعات تقليدية أخرى مثل صناعة الفخار (الأزيار والقلل وأصيص الزهور ونباتات الزينة والمباخر) التي تعتمد على الطمي النيلي.

أماكن السياحة الدينية:

يتواجد بالمنطقة كثير من مشايخ ودور الطرق الصوفية (المسيد) والتي تجذب كثيراً من المريدين وطالبي الترويح، خصوصاً الشيخ قريب الله بوندوباوي وقبة الشيخ دفع

الله الصائم بأمره، ولكن من أكثر الأماكن التي تجذب السياح الدوليين خاصة الأجانب الأوروبيين والأمريكيين هي مقابر حمد النيل، والتي تقع غرب أم درمان، وبها ضريح الشيخ حمد النيل، يقيم أنصاره حلقة ذكر راتبه، ويكون ذلك كل يوم جمعة، وتجذب إليها أعداداً كبيرة من السياح والموحدين، ويتبارى المتصوفة بأزيائهم الملونة والمتفرقة في عرض مهاراتهم الحركية في الذكر على إيقاعات «النوبة» المتميزة، ويسمح لكل الحضور بالمشاركة وليس المشاهدة فقط.

كما تحتفل منطقة أم درمان في ربيع الأول من كل عام بهجري بمولد المصطفى (ﷺ).

أماكن الترفيه الثقافية والشبابية:

تلعب المراكز الثقافية بمنطقة أم درمان دوراً كبيراً في جذب الموحدين، وخاصة من فئة الشباب الذكور والمثقفين من الجنسين، ولكن بصورة عامة تقل تلك التي تهتم بجانب المرأة، كما لا توجد مراكز نسائية حصرية، رغم الاحتياجات الخاصة بالمرأة، وتمتاز هذه المراكز الثقافية بنشاطها اليومي والمستمر طوال العام، ومن أهم هذه المراكز:

المراكز الثقافية والشبابية:

هنالك العديد من المراكز الثقافية بالمنطقة، الحكومية والأهلية، ومن أهمها:

- مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي: يقع المركز في محلية أم درمان شمال حي العمدية.
- مركز الاستاذ محمود محمد طه الثقافي: يقع المركز بالثورة الحارة الأولى بمحلية كرري.
- مركز شباب أم درمان: يقع في حي الملازمين بمحلية أم درمان.
- مركز شباب الربيع: يقع في حي العباسية بمحلية أم درمان.
- قصر الشباب والأطفال: يقع في حي بانت بمحلية أم درمان.

الأندية الرياضية:

كما ذكر من قبل فهنالك العديد من الأندية الرياضية توجد بمنطقة أم درمان ومن أهمها أكبر الأندية الرياضية بالسودان وهي:

- نادي المريخ الرياضي: يقع في حي العرضة بمحلية أم درمان، تأسس عام ١٩٢٧ م.
- نادي الهلال الرياضي: يقع النادي بحي العرب بمحلية أم درمان، تأسس عام ١٩٣٠ م.
- نادي الموردة الرياضي: يقع في حي الموردة بمحلية أم درمان، تأسس عام ١٩٢٥ م.

المسارح:

كان للنشاط المسرحي المباشر في منطقة الدراسة، دور كبير في الترويج عن كثير من الأسر السودانية، رغم ضعف الإمكانيات والتمويل التي لازمتها؛ وأدت مؤخرًا إلى ضعف وانحسار دوره الترفيهي والترويحي، خاصة مع ثورة الاتصالات وانتشار تسجيل ونقل النشاطات المسرحية الوطنية، ومن الدول الأخرى إلى المشاهدين، ومن أهم المسارح الموجودة في منطقة أم درمان:

- مسرح أم درمان القومي: يقع على شارع النيل بحي الملازمين بمحلية أم درمان.

- مسرح أم بدة: يقع في محلية أم بدة.

المطاعم الشعبية والحديثة:

تلعب المطاعم وخاصة الشعبية دورًا كبيرًا في لفت أنظار السياح؛ لمعرفة عادات وتقاليد الشعوب الغذائية، توجد بمنطقة أم درمان كثير من المطاعم الشعبية والحديثة والكافتریات ومحلات الساندوتشات والعصائر التي تنتشر في الكثير من طرقات وانحاء المنطقة، ولكن تحظى المطاعم الشعبية بشعبية كبيرة وإقبال خاص من قبل المروحين والسياح؛ ونالت هذه المطاعم شهرة وطنية واسعة، ليس فقط في منطقة الدراسة، مما جعلها مقصدًا للكثير من السياح والوافدين من خارج المنطقة راغبين في زيارتها والتعرف عليها والاستمتاع بخدماتها، من أبرز هذه المطاعم:

- سوق الناقة (قندهار): يقع جنوب سوق ليبيا بمحلية أم بدة، ويتمثل في مجموعة من المطاعم الشعبية والحوانيت الصغيرة، ويوجد به أطباق اللحوم السودانية من إبل و ضأن وأبقار، وأبرزها المشويات.

- سوق أبو زيد: يقع غرب أم درمان بمحلية أم بدة، وهو سوق تباع فيه الإبل، كما توجد به العديد من المأكولات الشعبية مثل شوا الجمر والسلات (شواء على جمر الحصا) والمرارة (معدة الحيوان وكبدته المتبلة) وغيرها.

بالإضافة لمطاعم خاصة بالأسماء، تقام في فسحات مسورة كبيرة وتقل بها الأسماك، ومن أشهرها مطعم عوضية سمك بحري الموردة، وغيرها من المحال العديدة التي ظهرت حديثاً على نسق مطعم عوضية أو تطويراً لفكرتها، وأصبحت قبلة لأعداد كبيرة من المرتادين.

كما توجد بعض المطاعم الحديثة بمنطقة الدراسة فمن أهمها: مطعم الحوش (السرف السياحي) ويعتبر من المطاعم الحديثة بمدينة أم درمان، ويقع على شارع النيل بمحلية أم درمان إلى شمال الطابية.

المعوقات التي تواجه السياحة والترويج بمنطقة أم درمان:

كما ذكر وعُرض آنفاً فإن منطقة أم درمان تزخر بكثير من المقومات الطبيعية والبشرية التي حباها بها الله تعالى؛ ولكنها رغم ذلك ما زالت دون المستوى المطلوب من التطور السياحي؛ ويعود ذلك إلى كثير من المعوقات التي تقف حاجزاً منيعاً في سبيل ذلك التطور والنماء، ومن أهم هذه المعوقات:

ضعف الخدمات والتسهيلات السياحية:

يشكل ضعف خدمات البنية التحتية والفوقية، أكبر معوق للتنمية السياحية بمنطقة الدراسة، ومن أبرز المعوقات التي تعاني منها منطقة أم درمان في هذا الجانب:

- قلة وسائل النقل وضيق الشوارع ورداءة الطرق، مما يعوق حركة الوصول إلى الأماكن والجواذب الترويجية، خصوصاً في الأمسيات وأوقات المطر والعواصف الترابية.

- ضعف شبكات المياه النقية والصرف الصحي وشبكات الكهرباء، خاصة في أطراف المنطقة.

- ضعف الخدمات الصحية، وخاصة بالنسبة للسياح الأجانب؛ إذ لا يوجد كثير من المراكز الصحية بالمستوى المطلوب حيث يتركز معظمها بمدينة الخرطوم.

- ضعف الخدمات بالأماكن الترفيهية والسياحية؛ من قلة في المقاهي والمطاعم والمرافق العامة وأماكن الجلوس المريحة والآنارة والخدمات الامنية وغيرها.
- النقص الكبير في أماكن الإيواء بالنسبة للسياح، سواء من الداخل أو من خارج البلاد، وكمقارنة بين مدينتي أم درمان والخرطوم في مجال الخدمات الفندقية السياحية، ناهيك عن المقارنة بمدن ودول خارجية، يلاحظ النقص الشديد في مدينة أم درمان، أنظر الجدول رقم (٢) فمن حيث الفنادق فئة الخمس نجوم تتوفر أربعة منها في مدينة الخرطوم، أمّا مدينة أم درمان فهي تفتقر إلى هذا النوع من الفنادق، إذ لا يوجد بها فندق واحد من تلك الفئة، كذلك الفنادق ذات الأربعة نجوم وعددها سبع، فتوجد كلها في مدينة الخرطوم، وأيضًا فنادق الثلاثة نجوم (وعدهه تسعة عشر فندقًا) فتوجد كلها أيضًا في الخرطوم، أمّا فئة النجمتين فيوجد منها فندق واحد فقط بأم درمان، بحي مكّي، بينما يوجد اثنان منها بالخرطوم، وحتى فنادق النجمة الواحدة (وعدها ستة) ليس لها وجود بأم درمان وتوجد كلها بمدينة الخرطوم.

جدول رقم (٢) خدمات الإيواء الفندقية بمدينتي أم درمان والخرطوم

المدينة	خمس نجوم	اربع نجوم	ثلاث نجوم	نجمتان	نجمة واحدة	المجموع
أم درمان	-	-	-	١	-	١
الخرطوم	٤	٧	١٩	٢	٦	٣٨
اجمالي	٤	٧	١٩	٣	٦	٣٩

المصدر: من إعداد الباحثة من بيانات تقرير الولايات الإحصائي للعام ٢٠١٢ من وزارة السياحة

- ضعف الاستثمار في المشروعات السياحية

ويعزى ذلك للعوائق التي تقف في طريق المستثمرين، من كثرة الرسوم وتعدد الجهات التي تفرضها دون وجود سلطة للإدارة العامة للسياحة بولاية الخرطوم، في تنظيم وضبط هذه الرسوم وخاصة أنّها تكون مفروضة من جهات إتحادية و ولائية و بموجب قوانين مجازة من الجهات المعنية.

هذا في الوقت الذي يُلاحظ فيه أنَّ الدول التي تحاول النهوض بقطاع السياحة والترويج بها يكون من أهم مكونات خططها الدعم الحكومي للقطاع السياحي والتسهيلات المحفزة للمستثمرين في هذا القطاع، « فمثلاً فرنسا رغم أنَّها من أكثر الدول جاذبيةً للسياحة الدولية، إلا أنَّها مع ذلك استدعت شركة ديزني الأمريكية لإنشاء مشروع «ديزني لاند» بالقرب من (١٣)س، ومنحتها الدولة أراضي مجانية، ووفرت لها كل الخدمات الخاصة بالبنية التحتية مجاناً، وهناك أمثلة لبعض الدول العربية والشرق أوسطية، التي قامت بتقديم تسهيلات وخدمات كبيرة للاستثمار السياحي؛ للمساهمة في تنمية السياحة بها، فالعراق وتونس تمنحان الأرض الخاصة بقيام المنشآت السياحية مجاناً، ومصر تمنحها بالسعر الأساسي، وفي المغرب ولبنان وتركيا يوجد نظام التسليف الميسر للمنشآت السياحية، خاصة الفنادق.

- ضعف الإعلام و الترويج السياحي:

بالنسبة لمنطقة أم درمان يظهر قصور واضح في هذا المجال؛ حيث لا أثر لإعلام سياحي فاعل أو خطة إعلامية موحدة في المنطقة.

- مشكلة استخدامات الأراضي و المواقع السياحية:

إنَّ سرعة نمو وتمدد مدينة أم درمان عمرانياً من خلال الخطط الاسكانية المتلاحقة والسكن العشوائي، جعل كثيراً من أراضي المنطقة توظف للاستخدام السكني، وعلى حساب الأراضي التي يمكن أن تستغل وتخصص للنشاطات السياحية، بالإضافة إلى أن بعض المؤسسات الرسمية تشغل مساحات كبيرة من الأراضي و المواقع السياحية، ومثال لذلك المجلس الوطني و جامعة القرآن الكريم و السلاح الطبي، التي تقع على شاطئ النيل الذي يعتبر من أفضل المواقع الترويجية بالمنطقة، كما أنَّ جزءاً كبيراً من صحراء أم درمان الغربية، تغطي عليه الاستخدامات العسكرية وموقع المطار الدولي الجديد.

- السياسات الحكومية:

بالنسبة لمنطقة أم درمان يبدو أثر السياسات الحكومية على التنمية السياحية بالمنطقة في الجانب السلبي، أكثر منه في الجانب الإيجابي، يتمثل ذلك في الآتي:

- عدم إعطاء أسبقية عليا للسياحة والترويج في المنطقة في ظل الأحوال الاقتصادية الصعبة التي تمر بها البلاد، والتي تنعكس في الضعف الشديد في الميزانيات والاعتمادات المالية المخصصة لهذا النشاط في ظل التنافس الحاد مع الضرورات الحياتية والمعيشية الأخرى، التي تشغل بال الجهات الحكومية والسياسية على مستوى ولاية الخرطوم؛ بل والدولة كلها (إحصائية بميزانية وزارة السياحة الاتحادية من وزارة المالية، « في عام ٢٠١٠ كانت (٧٠٠٠٠٠٠)، وفي ٢٠١١ م (٦٠٠٦٠٠٠)، ٢٠١٢ كانت (٦١٤٩٢(١٥)، وفي ٢٠١٣ (٧٥٠٠٠٠٠)، وأصبحت (٩٥٠٠٠٠٠) في عام ٢٠١٤ م » ، وفي نظر المسؤولين بوزارة السياحة أن هذه المبالغ غير كافية للتنمية السياحية، وكما موضح أنّها للسياحة بالسودان وليست لمنطقة الدراسة فقط.

- عدم مواكبة الهيكل الإداري للتطورات والمهام والاختصاصات التي أوكلت للإدارة العامة للسياحة، فقد ظل الهيكل التنظيمي، منذ إنشاء التنظيم الإداري للسياحة في عام ١٩٥٩ م وحتى الآن، دون تغيير باستثناء بعض التعديلات الطفيفة، الأمر الذي (١٦) عائقاً أمام تنفيذ العديد من الصلاحيات في إدارة وتنظيم المواقع والمناطق السياحية .

- ضعف التدريب للكوادر العاملة في القطاع السياحي.

- ضعف الاهتمام بالمناطق الأثرية والتاريخية.

- غياب النظام الجيد للمعلومات والإحصاء.

كل هذه المعوقات تقف عائقاً أمام تحقيق أي تنمية سياحية فاعلة بمنطقة الدراسة، الأمر الذي يعطل استخدام مواردها السياحية بالصورة المثلى، وتوظيفها في خدمة سكان المنطقة، إضافة إلى ضياع العائدات السياحية التي يمكن أن تدعم اقتصاد المنطقة، كما أن تعطل التنمية السياحية بالمنطقة، يتسبب في ضياع الكثير من فرص العمل والوظائف للشباب، التي يوفرها القطاع السياحي. ولذلك حاولت الباحثة وضع هذا التصور والمقترح.

تصور مقترح لتطوير السياحة بمنطقة أم درمان

تناولت الدراسة أهم ملامح الجغرافيا السياحية لمنطقة أم درمان، وبيّنت أهم الموارد والمقومات السياحية والترويجية التي تتمتع بها المنطقة، والتي تؤهلها لمستوى أعلى مما هو متاح في مجال السياحة ؛ لخدمة سكانها وزوارها من السياح الداخليين والدوليين، كما تطرقت أيضاً لأهم المعوقات وأوجه القصور التي تقف عثرة في سبيل تحقيق ذلك،، وفيما يلي تصور من الباحثة لتنمية السياحة في منطقة الدراسة، وهو أحد الأهداف الرئيسة للدراسة، كإسهام من الباحثة في رفع مستوى السياحة بالمنطقة، ودعم ودفع جهود وخطط وسياسات صنّاع القرار والجهات المعنية بتنمية السياحة بمنطقة أم درمان والسودان عامة. اقترحت الباحثة عدد من المحاور لمناقشتها وبيان كيفية الاستفادة منها؛ لتصبح منطقة أم درمان جاذبة للسياحة، ومن هذه المحاور:

المناخ:

تؤكد أدبيات السياحة على الدور المزدوج للمناخ في مجال السياحة، فهو من ناحية عامل جاذب رئيس للسياحة، بل من أهم الجواذب، بينما من جانب آخر هو أيضاً أحد أهم عوامل الدفع. ففي فصل الصيف مثلاً تتجه حركة السياح من مناطق الحرارة العالية الطاردة إلى مناطق الاعتدال الحراري وفي فصل الشتاء يهرب الكثير من السياح من مناطق البرودة الشديدة إلى حيث الدفء والاعتدال الشتوي (باستثناء من يقصد منهم مناطق الجليد؛ لممارسة رياضة التزلج على الجليد).

وفي منطقة أم درمان خاصةً تظهر أهمية عامل المناخ، وضرورة وضعه في الاعتبار في أي تخطيط لتنمية السياحة والترويج بالمنطقة، فمثلاً:

مقترحات تتعلق بعامل المناخ:

- تحفيز وتشجيع الاستثمار في مجال الصالات المغلقة ومدن الألعاب وإقامة مظلات، للحماية من الأمطار والعواصف الترابية بالحدائق والمنتزهات العامة.

- تحفيز وتشجيع الأندية الاجتماعية والثقافية والرياضية ومراكز الشباب بالمنطقة على فتح أبوابها للمروحين، وإقامة المعارض الثقافية والفنية والمسرحية المختلفة، والمهرجانات والمسابقات الفنية والألعاب والرياضات الداخلية (كتنس الطاولة، والكرة الطائرة، والسلة، والإسكواش).

- دعم ومواصلة جهود إنشاء ونشر الملاعب والبيادين المسورة وذات الإنارة الليلية بالأحياء، لإتاحة فرصة أكبر للشباب لممارسة هواياتهم الرياضية وضبطها وتنظيمها؛ لتصريف نشاطهم وطاقاتهم الزائدة في مصارفها السليمة، وحماية لهم وللمجتمع من إهدارها في السلوكيات الانحرافية المختلفة

- الحرص على تخصيص ساحات وبيادين في الأحياء والنواحي الطرفية بالمنطقة، خصوصاً بمحليتي أم بدة وكرري وتطويرها؛ لتوفر فرص ترويح أكبر للسكان المقيمين، خاصةً للأطفال والأمهات بالأحياء، مما يساعد في تقصير مسافة الوصول وتقليل التكلفة لمستخدميها، إضافة إلى خفض حدة الازدحام للحركة المرورية والتزاحم في أماكن الترويح بمحلية أم درمان، التي تتركز بها معظم الحدائق العامة والساحات والبيادين المطورة مقارنة بمحليتي كرري وأم بدة.

النيل كمتنفس ترويحي:

تلعب الأنهار دور كبير في عملية الجذب السياحي، بسبب جمال وتناسق صورها الطبيعية، وتنوع صورها واختلاف ألوانها وأشكالها، وما يسببه ذلك من جمال طبيعي، وبقليل من التنمية والتطور يمكن أن يصبح نهر النيل عامل جذب سياحي قوي بمنطقة أم درمان، وتقترح الباحثة بعض منها:

- تنمية استغلال النيل (الأبيض ونهر النيل، المطلة عليهما منطقة الدراسة) وذلك من خلال إقامة المراسي للمراكب واليخوت في المناطق الصالحة لذلك، وإنشاء فنادق عائمة ومتحركة تجوب النيل وتزود بالخدمات الترفيهية، مثل دور العرض السينمائي وأنشطة قضاء وقت الفراغ.

- حفز وتشجيع القطاع الخاص لتنظيم رحلات سياحية نيلية مؤجرة، تصل على النيل حتى قرب الشلال السادس بمنطقة شلال السبلوقة شمالاً، كما تمتد عبر ملتقى النيلين (المقرن) إلى منطقة جبل الأولياء على النيل الأبيض ومنطقة سوبا على النيل الأزرق، على أن توفر كل اشتراطات السلامة بالبواخر النيلية المستخدمة.

- تنظيم نشاط الرياضات المائية، بالتعاون مع الاتحادات الرياضية المعنية، كرياضات الزوارق الشراعية والقوارب السريعة، والتجديف، وماراثونات وسباقات السباحة النهرية، إضافة إلى رياضة صيد السمك، ويجب تحديد مناطق معينة لممارسة السباحة ومراقبة الشاطي؛ لمنع السباحة غير المصرح بها، خاصة وقد تكررت حوادث الغرق المأساوية للأطفال وطلاب المدارس.

- تطوير الحدائق والمتنزهات العامة الشاطئية المفتوحة والخاصة وأماكن الجلسات العائلية وملاعب الأطفال، وبما أن الواجهة النهرية ذات قيمة إيجارية عالية فلا ينبغي للمزادات الاستثمارية (كحدائق ومتنزهات خاصة ومطاعم عائمة وكافتريات) احتكارها وإنما تخصص مساحات منها كحدائق ومتنزهات عامة بدون رسوم أو برسوم قليلة للعامة.

- إنشاء أندية للرياضات المائية.

- ترحيل كل المؤسسات الحكومية والمباني التي لا تستخدم في أغراض الترويج من منطقة الشاطي، إلى أماكن مناسبة أخرى في، ووقف ومنع كل التعديات غير القانونية في المنطقة الشاطئية.

منطقة شلال السبلوقة:

مناطق الشلالات المائية ومساقط المياه ومناظرها الرائعة، لها جاذبية كبيرة للنشاطات السياحية، ووقوع الشلال السادس على نهر النيل في منطقة السبلوقة وعلى مسافة قريبة نسبياً من مدينة أم درمان (حوالي ٦٥ كيلومتر) يتيح فرصة ترويجية غامرة، بالنسبة للمتزهين من سكان المنطقة والسياح الزائرين من داخل وخارج السودان، من خلال التمتع بمنظرها الطبيعي الأخاذ من حيث خريز وانكسارات مياه النيل واندفاعها بين الصخور، كل ذلك

يدعو إلى - بل يستوجب بذل اهتمام أكبر وتكثيف وتنسيق الجهود، للقيام بتنمية منطقة الشلال وإحلالها مكانها اللائق في الخارطة السياحية لولاية الخرطوم والسودان عامة، ومن مقترحات الباحثة في ذلك:

- إقامة مخيمات موسمية - خاصة في فصل الشتاء - في المنطقة كمرحلة أولى يمكن أن تطور لاحقاً إلى شاليهات وموتيلات ثابتة.
- توفير خدمات سد الحاجات لزوار المنطقة، من مطاعم وكافتریات وخدمات المياه والكهرباء والحمامات، ويمكن أن يتم ذلك في المرحلة الأولى في شكل استثمارات مؤقتة وبتراخيص خاصة (مثل ما يتم بالنسبة لاحتفالات المولد النبوي الشريف بميدان الخليفة) وبشكل موسمي إلى أن تحول إلى دائمة بعد تطور منطقة الشلال وتعاضم تدفق السياح والمتنزهين إليها.
- توفير الخدمات الأمنية والخدمات الطبية الأولية وسيارات الاسعاف بالمنطقة.
- تسيير رحلات نيلية إليها من منطقة أم درمان وولاية الخرطوم.
- توجيه خطوط مواصلات خاصة إلى المنطقة في مواسم السياحة والترويج بالمنطقة.
- تشجيع السياحة العلمية إلى المنطقة، من طلاب الجامعات.

منطقة صحراء غرب أم درمان:

مثلاً للمناطق البحرية والنهرية ومراكز الترويج والسياحة الحضرية جاذبيتها عند الكثير من السياح والمروحين من محبي النشاط الترويحي الحركي، فإن الصحاري والبراري أيضاً لها عشاقها من محبي الهدوء والاستجمام والراحة البصرية والحياة البرية، بعيداً عن صخب وضوضاء المدن وتلوثها المتعاضم، وبذلك يمكن أن تكون لمنطقة صحراء غرب أم درمان بصمتها الواضحة وتوقيعها البارز على خارطة النشاط السياحي والترويحي بمنطقة أم درمان، لاسيما وأن لها تاريخ مُعترف به في هذا الصدد حيث كان بعض الموسرين وهواة الحياة البرية والصيد من سكان المنطقة والعاصمة القومية، يقصدونها في عطلات

نهاية الاسبوع للتخيم وصيد الغزلان وطيور القطا، كما كان يقصدها أحياناً بعض السياح الدوليين الخليجيين لنفس الغرض، ولكن كان لتمدد العمران الحضري بالمنطقة، آثار بيئية سالبة وكبيرة على منطقة الصحراء،، وإضافة إلى ذلك فقد تطور الاستخدام العسكري للمنطقة الصحراوية (قاعدة جوية ومناطق للتدريب و للرماية بالذخيرة الحية والمناورات العسكرية). كما اقتُطع جزء كبير من المنطقة لإقامة المطار المدني الدولي الجديد - الذي شرع في تنفيذه - وبعض المشاريع الزراعية التي تروى بالآبار، كل ذلك قلل من الأهمية السياحية والترويجية لمنطقة غرب أم درمان وجعلها نهياً لموردي الرمال والخرصانة لأعمال البناء ومقاولي المباني في المدينة، والذين شوهوا سطحها بالحفر العميقة التي تشكل مخاطر كبيرة لمرتادي المنطقة، خصوصاً في موسم السيول والأمطار.

تحتاج منطقة صحراء غرب أم درمان إلى عناية خاصة لإعادتها كظهير ومورد سياحي وترويحي لمدينة أم درمان وللمتنزهين والسياح من كل مكان، وتقترح الباحثة بعض منها:

- تشجيع التخيم وسياحة البر بمنطقة الصحراء، خاصة في فصل الشتاء
- تنظيم رحلات الصيد البري بالمنطقة مع ضبط وتحديد موسم الصيد وأنواع وأعداد الحيوانات والطيور، التي يسمح بصيدها ونوع الأسلحة النارية المستخدمة وغير ذلك من الضوابط الضرورية، التي تحمي استمرارية وتجدد بقاء الحيوانات والطيور بالمنطقة.
- حصر ومسح الأودية والخيران بالمنطقة، ومنع قطع الأشجار والتحطيط الجائر، ورصد مجاري السيول وإقامة محطات إنذار عليها في مواسم الأمطار.
- رفد منطقة الصحراء بالأنواع المناسبة من الحيوانات البرية من مناطق وولايات السودان الأخرى، واعتمادها محمية طبيعية للحياة الفطرية وحمايتها من الصيد العشوائي والتحطيط، ومنع الحفر لأخذ الرمال والتراب منها لأغراض البناء، وتحديد مسارات السيارات السفريّة العابرة إلى الولايات الأخرى حتى لا تزعج الحيوانات والطيور بالمحمية، ومنع امتداد التعدين الأهلي غير المنظم من الدخول فيها، والذي انتشر في معظم صحارى السودان بحثاً عن الذهب، كما يجب حمايتها من تمدد العمران الحضري والسكن العشوائي السريع الانتشار.

- اختيار وتخصيص جزء من الصحراء لتحويله إلى حديقة حيوانات، خاصة أن العاصمة كلها لا توجد فيها حديقة للحيوانات رغم ما أكدته تجربة حديقة الحيوانات السابقة بمدينة الخرطوم من الأهمية الترويحية لحدائق الحيوان، خصوصاً بالنسبة للأطفال والأسر، وكثافة إقبال سكان العاصمة وزوارها لقضاء كثير من أوقات فراغهم فيها، خاصة في عطلات نهاية الأسبوع والأعياد.
- تخصيص مناطق معينة لإقامة سباقات الهجن، والتي مع أهميتها الترويحية يمكن أن تمثل أيضاً معرضاً وسوقاً للابل والهجن السودانية المشهورة خليجياً بسرعتها وتفوقها وتصدرها المراكز الأولى في سباقات الهجن العربية.

النشاطات الثقافية والرياضية:

- تتنوع النشاطات الثقافية والفنية والرياضية من حيث نوع النشاط وما إذا كان نشاطاً يومياً أو موسمياً وغير ذلك، ولكنها في مجملها تعتبر من أهم المقومات البشرية التي تبني عليها تنمية السياحة بأي مكان.

مقترح تفعيل وتكثيف النشاطات التالية:

النشاط المسرحي والسينمائي:

- التنسيق مع إدارة المسرح القومي وإتحادات ونقابات المهن الفنية والمسرحية، لبعث وتحديد نشاط المسرح القومي المسرحي والغنائي، وعروض فرق الفنون الشعبية والإكروبات.
- تطوير ودعم وتنشيط مسرح منطقة أم بدة ذات التركيز السكاني الكبير.
- بعث وتطوير النشاط السينمائي لقصر الشباب والأطفال، مع الحرص على اختيار الأفلام التي تخدم أهداف التنمية المجتمعية الشاملة.

النشاط الفني:

- التنسيق مع إتحادات الفنانين لتنظيم وإقامة الليالي والحفلات الغنائية الساهرة، وتوزيع فعاليتها على محليات المنطقة وفي الميادين العامة المفتوحة، أو في المسارح ودور الأندية ومراكز الشباب.

- الاهتمام بالفنون التشكيلية المختلفة والتنسيق مع تنظيمات التشكيليين بالمنطقة، لتنظيم وإقامة المعارض والفعاليات التشكيلية وتقلها بين المحليات الثلاث.

النشاط الفكري والأدبي:

- تشجيع الأندية الثقافية ومراكز الشباب بالمنطقة على تنظيم وإستضافة الندوات والمنتديات الثقافية، الفكرية والأدبية وحث المفكرين والأدباء والشعراء من أبناء المنطقة على المشاركة فيها، مع دعوة كبار المفكرين والأدباء والشعراء من خارج المنطقة للمشاركة في المناسبات الكبيرة.

- التنسيق مع الجهات الحكومية المختصة والناشرين والمؤلفين لإقامة معارض للكتب بالمنطقة.

النشاط الرياضي:

- التنسيق مع الاتحادات الرياضية والجهات المعنية الأخرى، لتنظيم وإقامة المنافسات والبطولات بالمنطقة في مختلف ضروب الرياضة النيلية والبرية.

- تشجيع وحفز جميع الأندية الرياضية ومراكز الشباب والرياضة بالمنطقة على تنظيم مختلف ضروب النشاطات الرياضية الداخلية، كتنس الطاولة، والكرة الطائرة، وكرة السلة، والبياردو، والبادمنتون (الريشة الطائرة)، والسباحة، والشطرنج، وإقامة المنافسات والبطولات فيها.

- التنسيق مع الاتحادات الرياضية والجهات المختصة، لتنظيم وإقامة الرياضات المائية على نهر النيل، كرياضات الزوارق والقوارب الشراعية وماراثونات السباحة، إضافة إلى تحديد وإعداد مناطق ومواقع محددة على النيل لهواة السباحة لممارسة هوايتهم (ويمنع السباحة في غيرها).

- تنظيم وإقامة سباق الهجن في منطقة مختارة من منطقة صحراء غرب أم درمان بصفة دورية، على أن تنظم بطولة عامة وسباق كبير مرة في العام، يكون مفتوحاً على المستوى

الوطني بل ولاحقاً على المستويين العربي والأفريقي، مع محاولة حشد الدعم المادي من جامعة الدول العربية (إدارة رعاية الشباب والرياضة) والجهات المعنية بسباقات الهجن في الدول العربية الخليجية الشقيقة.

نشاط الفنون الشعبية والتراثية:

- في بلد مثل السودان يمتاز بتنوع كبير في مكوناته السكانية والثقافية، فإنه يمكن الاستفادة من التنوع الثقافي لمجتمع منطقة أم درمان في حفز وتشجيع نشاطات الفنون الشعبية من مختلف مناطق السودان، وذلك بتشجيع فرق وجماعات الفنون الشعبية المختلفة بالمنطقة، على تنظيم وعرض الفنون الشعبية لمناطقهم في بعض الساحات والميادين العامة المفتوحة بمختلف محليات المنطقة، على أن تنظم تلك النشاطات في الأماكن والأيام والأوقات المحددة التي تراها الجهات المختصة، ولكن يتطلب ذلك الحرص على إدارة التنوع حتى يكون وسيلة للتواصل والتعارف مع الآخرين، وليس كتعبير أو مظهر من مظاهر العصبية القبلية أو الجهوية، التي أصبح السودان يعاني منها مؤخراً والتي تُفرِّق ولا تُوحِّد، مما أثر سلباً على الاستقرار السياسي في البلاد.

- تشجيع الصناعات اليدوية والتراثية التي يتميز بها سكان المنطقة باختلاف أعراقهم، والتنسيق مع ذوي الاختصاص لإقامة معارض لهذه الصناعات خصوصاً في المواسم السياحية، مع عمل مسابقات وحوافز مادية للمشاركين في فعاليتها.

التنسيق مع الجهات المعنية لإقامة مهرجان سنوي للزهور بالمنطقة، تصاحبه معارض للإنتاج الزراعي والحيواني بالمنطقة وتقديم الجوائز التشجيعية المحفزة.

كما ذُكر سابقاً فإنَّ للسياحة دوراً مهماً في حياة الفرد والمجتمع، ولكن عند النظر لكيفية عمل أنشطة ترويجية جاذبة لا بد من النظر لعدد من العوامل المؤثرة في ذلك، من أهمها: النظر لمتوسط دخل الأفراد بالمنطقة؛ لأنَّ الدخل يؤثر بدرجة كبيرة على اختيار الفرد لكيفية قضاء وقت فراغه، ونوعية الأنشطة الترويجية التي يمارسها ومكان توفر هذه الأنشطة، كذلك لا بد من الانتباه لمراعاة السن والجنس في أنواع الأنشطة الترويجية، فلكل مرحلة عمرية

سلوكياتها الترويجية الخاصة؛ فالطفل يمرح ويلعب وكبار السن غالباً ما يحبون أماكن الاسترخاء والأماكن الهادئة بالإضافة للأماكن الثقافية و التراثية، أمّا الشباب فيزاوون كافة الأنشطة كل حسب ميوله وإمكانياته المادية والجسدية، كما تشير بعض الدراسات إلى أنّ الأنشطة الترويجية التي يمارسها الذكور تختلف عن تلك التي تمارسها الإناث.

وبالنظر لكل هذه العوامل حاولت الباحثة إخراج نموذج يراعي فيه هذه النقاط وغيرها من السبل التي تساهم في تطور المناطق الترويجية البسيطة؛ لتصبح منطقة أم درمان من المناطق الجاذبة للسياحة، وخاصة أنّ المنطقة تتوفر فيها الإمكانات الطبيعية، ولكن تحتاج لبذل الجهود سواء من جانب الدولة أو من جانب الأفراد لتصل إلى المستوى المطلوب؛ لأن توفر الإمكانات ليس هو العامل الأوحد لإمكانية قيام السياحة، فلابد من وجود رؤية تخطيطية لاستغلال هذه الإمكانات، وإخراجها بشكل جاذب للسائح والموح.

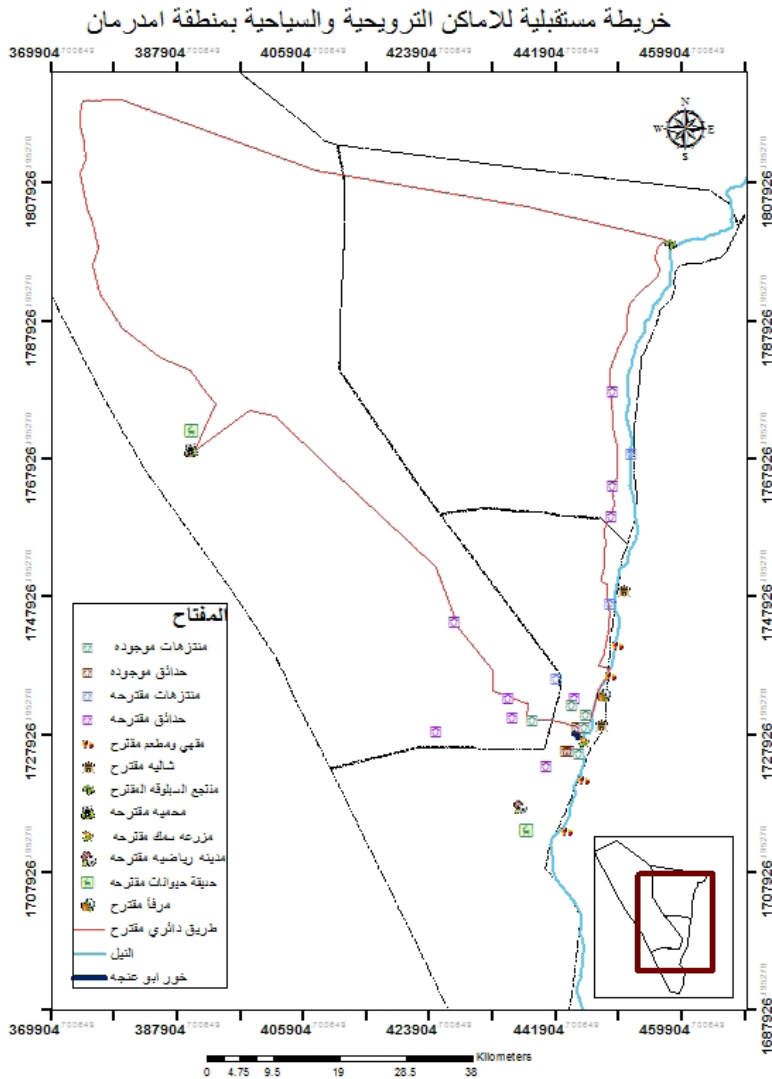
وعلى ضوء هذا النموذج حاولت الباحثة تصميم خريطة سياحية مستقبلية للمنطقة، أنظر شكل (٤).

ختاماً؛

تأمل الباحثة أن يكون في هذه الدراسة وتوصياتها ما يعين صنّاع القرار من الجهات المختصة والمعنية بأمر السياحة والترويج في منطقة الدراسة وفي السودان عامة، والسكان المقيمين بالمنطقة في زيادة معرفتهم بالجغرافيا السياحية لمنطقة أم درمان وموارد ومقومات السياحة بها، والمعوقات التي تعيق التنمية السياحية والترويجية، وترقية تصورههم للحلول والمعالجات التي يمكن أن تذلل تلك المعوقات؛ حتي تتمكن المنطقة من احتلال الموقع اللائق بها في خارطة السياحة داخلياً ودولياً. فان هذه المنطقة مؤهلة لأن تكون نقطة مركزية لانطلاق السياح تمثل واسطة عقد بالنسبة لدول الجوار ذات الجواذب السياحية، حيث المناطق الأثرية شمالاً والأجواء الاستوائية وغاباتها جنوباً، والهضبة الأثيوبية والأترتية شرقاً، وبالتالي تتكامل الأدوار بين تلك الدول وتمد جسراً للتواصل بين كل الدول الأفريقية والعربية لتجد مبتغاهها في السياحة في أجواء تألفها ولا تكلفها كثيراً.

نتائج الدراسة:

توصلت الدراسة إلى أن رغم ماتحظى به المنطقة من امكانات سياحية كبيرة إلا أن ما يوجد حالياً يؤهلها فقط لمناطق تنزه وليست أماكن سياحية جاذبة للسكان من خارج المنطقة، مما حدا بالباحثة لوضع النموذج السابق للمساهمة لا يصال منطقة الدراسة للوضع المناسب لها بين الأماكن السياحية العالمية.



توصيات ومقترحات عامة لتطوير السياحة بالمنطقة:

- تحسين مستوى الخدمات السياحية، من حيث تنمية خدمات البنية الأساسية، والذي يُعد ضروريًا لتنمية السياحة، فمن أولى واجبات الدولة توفير البنيات التحتية الضرورية وتشجيع وحفز القطاع الخاص للمشاركة في توفير فرص ومجالات وأماكن التنزه والترويح للسكان، ومن ثم يمكن بعد ذلك العمل على تطوير وتنمية هذه الأماكن لتصبح جاذبة ومستوعبة للسكان طالبي الترويح من مناطق الدولة المختلفة (السياحة الداخلية)، بل وبزيادة التطور والنماء يمكن أن تصبح جاذبة للأفراد والمجموعات من خارج الدولة كلها (السياحة الدولية) وهو ما يعتبر قمة ما تسعى إليه الدول، نسبة للدور الكبير الذي أصبحت تقوم به السياحة، وخصوصًا الدولية، في مجالات التنمية الشاملة المختلفة، حيث تعتمد عليها اقتصاديات كثير من الدول، المتقدمة والنامية، فالسياحة الداخلية الناجحة تمهد للانطلاق نحو السياحة الخارجية والمنافسة في الأسواق العالمية.
- الاهتمام بالأماكن الترويحية الموجودة وذلك بتوفير عدد من الخدمات، مثل توفير خدمات الطعام والمياه والكهرباء والإضاءة في الحدائق والمتنزهات العامة، وتكثيف مراقبة المواصفات والجودة خصوصًا بالنسبة لخدمات الطعام.
- تسويق وجهات ترويحية جديدة.
- إنشاء مزيد من الفنادق بمستويات مختلفة من ذات النجمة إلى ذات الخمس نجوم؛ لاستقبال السياح وتوفير الراحة لهم كل حسب إمكانياته المادية.
- الاهتمام بالمناطق التاريخية والأثرية، إذ تضم منطقة الدراسة العديد من الآثار التاريخية فيمكن تنميتها من خلال: ترميمها وصيانتها، بالإضافة لتوفير الخدمات بداخل هذه الأماكن.
- تكثيف برامج تثقيف المجتمع المضيف (مجتمع منطقة أم درمان) وترقية وعيه وحسه السياحي والترويحي الشامل، بمختلف وسائل الإعلام والندوات والمهرجانات الثقافية والجمهيرية.

- تنظيم دورات تدريبية وورش عمل للعاملين في إدارة وخدمات السياحة بمنطقة أم درمان في القطاعين العام والخاص؛ لترقية الأداء وتطوير الخطط والبرامج والخدمات السياحية بالمنطقة؛ وذلك بالتعاون والتنسيق مع الجامعات ومؤسسات ومراكز التدريب المتخصصة بالمنطقة والعاصمة القومية.

قائمة المراجع:

أولاً: المراجع باللغة العربية

- الكتب

- ١/ ابراهيم، عبد المنعم علي و القحطاني، محمد مفرح - دراسة السياحة في المملكة العربية السعودية - مجال للجغرافيا التطبيقية - ص ٢ - نشرت في الكتاب العلمي للدورة السادسة لأقسام الجغرافيا بجامعات المملكة العربية السعودية ١٤ - ١٦ / ١١ / ١٤١٩ هـ - جدة. (١٤١٩ ل).
- ٢ / ابراهيم، عبد المنعم علي و القحطاني، محمد مفرح - تنمية السياحة الصيفية بمنطقة امها - دراسة في التنمية الاقليمية - ص ٢٤٦ - ابحاث متناثرة - جامعة الملك سعود بالرياض (١٤١٤ هـ).
- ٦/ ابراهيم، عبد المنعم علي و القحطاني، محمد مفرح وأرباب، محمد ابراهيم - السياحة الأسس والمفاهيم - دراسة تطبيقية على منطقة عسير بالمملكة العربية السعودية - ص ٣٤٢ - مطابع دار العلم - جدة (١٤١٧ هـ).
- ١٤ / أبو زيد، جعفر محمد مصطفى وفقيري، ايهاب محمد عثمان - الإطار التنظيمي للسياحة في السودان - ص ١١٩ - شركة فال للإعلان والطباعة - الخرطوم - (بدون تاريخ).
- ٨ / سعيد، محمد حسن - السياحة في السودان - ص ٨٥ - المكتبة الوطنية - الخرطوم (٢٠١٣).
- ١١ / الصادق، صلاح عمر دراسات سودانية في السياحة - ص ١٠٧ - مكتبة الشريف الاكاديمية - الخرطوم - السودان (٢٠٠٨ م).
- ٧ / عبد الحبيب، ياسر أحمد - تاريخ السياحة في السودان من ١٩٨٩ م - ص ١٠١ - وزارة السياحة والحياة البرية (٢٠٠٩)
- ١٢ / الهيتي، صبري فارس - جغرافية المدن - ص ١٥٠ - دار صفا للنشر والتوزيع - عمان - الأردن - (٢٠١٠ م).

- الأبحاث المنشورة

١٣/ السياحة الدولية في البلدان الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي - الآفاق والتحديات (٢٠١٣ م) - ص ٣٥ - مركز الأبحاث الإحصائية والاقتصادية والاجتماعية - منظمة العالم الإسلامي.

- الأبحاث غير المنشورة:

- أبو زيد، جعفر محمد مصطفى (٢٠٠٨): أشكال السياحة الداخلية في السودان والعوامل المؤثرة في الطلب السياحي في السودان - رسالة دكتوراه - كلية الآداب - جامعة الخرطوم.

- التجاني، حجازية (٢٠١٠ م): دور التلفزيون في الترويج السياحي في السودان (دراسة تطبيقية على تلفزيون السودان) - رسالة ماجستير - جامعة أم درمان الإسلامية.

- خليفة، سعدية حسن (٢٠٠٨ م): دور السياحة في التنمية الاقتصادية في السودان (التحديات والرؤى المستقبلية) - رسالة ماجستير - أم درمان الإسلامية.

- الرشيد، حنان فضل يوسف (٢٠٠٣ م): معوقات السياحة في منطقة جبل مرة - رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة الخرطوم

- الزبير، عثمان عبدالله محمد (٢٠٠٨ م): السياحة الدولية في السودان - رسالة دكتوراه - كلية التربية - جامعة الزعيم الأزهري.

- عثمان، سعد أحمد (٢٠٠٦): دور العلاقات العامة في الترويج للسياحة بالسودان - رسالة ماجستير - جامعة أم درمان الإسلامية

- محمد، بابكر موسى (٢٠٠٨) - أثر السياحة في تنمية المجتمعات المحلية - ورقة عمل في مؤتمر الحفاظ على المعالم السياحية والتراثية من منظور بيئي وتنموي.

- محمد، بابكر موسى (٢٠١٢) الجواذب السياحية وآفاق الاستثمار السياحي في السودان - الواقع والطموح - وزارة السياحة والآثار والحياة الرية.

- محمدخير، سهام عوض الله (٢٠٠٩): كفاءة الأنشطة الترويجية والحدائق العامة في الخرطوم الكبرى (٢٠٠٧ - ٢٠٠٩)، دراسة في جغرافيا السياحة - رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة الخرطوم.

- تقارير

٩ - ١٠ / دليل الخرطوم السياحي ٢٠١٠ م.

١٥ - ١٦ / وزارة السياحة والتراث القومي، خطة الوزارة للعام ٢٠١٥ م / جمهورية السودان.

٤ / وزارة السياحة والآثار والحياة البرية، رؤية لتطوير صناعة السياحة في السودان - ص ٧ - (٢٠١٣ م).

ثانيًا: المراجع باللغة الانجليزية (English References):

1- Din – Kadir – H – (1989) Islam and tourism. Annals of Tourism – p.545

2-Getz، Donald (1986). Integrative planning models in tourism planning: towards integration of theory and practice. t=Tourism Management.

مستقبل الهوية الوطنية الإثيوبية في ظل التباينات الثقافية للجماعات الإثنية

إعداد/ صلاح الدين محمود محمد معاطي

باحث دكتوراه كلية الدراسات الأفريقية العليا (مصر)

تعد إثيوبيا من أكثر الدول الإفريقية التي تعاني من تنوع ثقافي وديني وإثني، بما يهدد هويتها الوطنية الإفريقية والثقافية، حيث تعتبر موطنًا لما يقرب من ٨٠ جماعة (أمم وقوميات وشعوب)، وأن قضايا العرقية والفيدرالية العرقية اللغوية والتعصب تعد على درجة كبيرة من التعقيد، إلى جانب كونها قضايا مثيرة للجدل عندما يتم مناقشتها من قبل العديد من النخب في إثيوبيا. حيث حدث فيها اضطهاد للأقليات وغابت فيها الديمقراطية والمساواة لعقود. كما سادت فيها العصبية والقبولية والإقصاء والتهميش والتمييز سواء كان ذلك بشكل علني أو ضمني.

اختلفت البحوث والدراسات في الوصول إلى طريقة معيارية لتصنيف المجموعات العرقية الإثيوبية، فمن بين الطرق المستخدمة لتصنيف الأساس اللغوي، وذلك بوضع أي مجموعة عرقية تحت العائلة اللغوية التي تناسبها، أو التصنيف الديني، وذلك بتحديد توزيع الأديان المختلفة على المجموعات العرقية الإثيوبية، كما اعتمدت بعض المصادر طريقة التصنيف المرتكزة على الأصول العرقية للسلاسل الإثيوبية، كانتساب الأمهرة والتجراي للساميين، وخروج الأورومو والصوماليين من أصول حامية، ووضع الأنواك والقمز بجانب العرقية الزنجية. ولعل ذلك راجع إلى قوة التداخل والتفاعل بين المجموعات العرقية نفسها، والتي ذابت معها الهوية العرقية واللغوية والثقافية.

لذا يجب أن تستند دراسة الثقافة السياسية إلى مقارنة بين وحدات مختلفة من التحليل (متباينة حسب الزمان والمكان أو مستويات محددة من التجميع الاجتماعي مثل الأمة أو

المجموعة أو المدينة). وبالتالي، فإن تصويره للثقافة السياسية الإثيوبية يثير فكرة عن شخصية إثيوبية وطنية غير موجودة.

وفي هذا المبحث سوف نتناول تأثيرات الثقافة السياسية على الهوية الوطنية في إثيوبيا، حيث نتعرف على تأثير سمات الثقافة السياسية على الهوية، وكذلك التحديات التي تواجه الثقافة السياسية. ثم نتعرف على آليات الثقافة السياسية الإثيوبية.

The future of Ethiopian national identity in light of the cultural differences of ethnic groups.

Ethiopian political culture' is not yet free from its historical heritage of authoritarianism, elite rule, and patronage. In the past four decades, political scientists have harshly criticized political culture both as a concept and as an independent variable. Authors have emphasized the indeterminacy of the concept, its lack of operational definition, its inability to explain political change.

In the absence of definitional clarification and delimitation, his approach to political culture is obscure.

The study of political culture must be based on a comparison of different units of analysis (differentiated by time, place or specific levels of social aggregation such as a nation, a group or a city). Consequently, his depiction of Ethiopian political culture evokes a conception of a national Ethiopian character that does not exist.

One gains the impression that Ethiopia in 2005 all of a sudden succumbed to an ancient political culture that struck the country like a thunderbolt. The reader would like to know which social entity is supposed to embody 'Ethiopian political culture' and, ultimately, is responsible for blockading democratization.

Is there a common political culture for all Ethiopian citizens, regardless of the impressive social, economic, racial and religious diversity in the country? Does each ethnic group have its own political culture?

المطلب الأول عوامل تحديد الهوية الوطنية الإثيوبية

إن تأسيس الدولة الإمبراطورية الإثيوبية الحديثة في القرن التاسع عشر، وعمليات المركزية والبيروقراطية التي عززتها في منتصف القرن العشرين، توفر خلفية عن تأثير "الإقليمية" بين الدوائر السياسية في الستينيات والسبعينيات. فقد كانت العرقية تعمل كمورد ومنتج للتعصب التي سعت من خلالها الحركات الرئيسية للمعارضة المسلحة للنظام العسكري في السبعينيات والثمانينيات، إلى السيطرة على الدولة. ما حدا بنظام ميليس زيناوي الذي جاء مع بداية التسعينيات إلى الاتجاه نحو الفيدرالية الإثنية التي تتضمن عناصر متناقضة متأصلة في مفهوم "منح تقرير المصير" من خلال الاقتناع بأن المجتمعات المختارة ذاتياً تستجيب بشكل أفضل للتعصب "من الداخل"، من قبل شعبهم؛ وفكرة أن المجموعات العرقية تتجه نحو الهوية الوطنية.

وتتحدد الهوية الوطنية لأي دولة بعدة عوامل:

أولاً: الاعتبارات التاريخية:

تتمثل الموارث التاريخية والدينية، في الصلات القديمة بين الحبشة "الاسم القديم لإثيوبيا" والقبائل التي كانت تقطن الجزيرة العربية، وامتداد التأثير المسيحي والإسلامي إلى إثيوبيا عبر ساحل البحر الأحمر. فالمسيحية انطلقت من الشرق الأوسط إلى إثيوبيا، ليعتنق الإثيوبيون المسيحية، قبل كثير من شعوب العالم. ولمدة تزيد عن ١٦٠٠ عامًا كان بطاركة الكنيسة الأرثوذكسية يأتون من مصر إلى إثيوبيا. والإسلام أيضًا، وجد الملاذ الآمن في إثيوبيا، في الوقت الذي كان يحارب فيه في الجزيرة العربية. لكن بالرغم من أن المسيحية

والإسلام أصبحا جزءاً لا يتجزأ من ثقافة وقيم وحضارة الشعب الإثيوبي. إلا أن إثيوبيا تصر على تقديم نفسها للعالم باعتبارها "جزيرة مسيحية وسط بحر مسلم".

ويعكس التاريخ الإثيوبي احتدام الصراع بين المجموعات المختلفة التي قطنت إثيوبيا منذ القدم والذي نتج عنه سيطرة قومية أو قوميات على أخرى. فقد نشأت إثيوبيا الحديثة في نهاية القرن التاسع عشر في عهد الإمبراطور منليك الثاني، حيث قام بعدة أمور كتشيد الطرق والكهرباء والتعليم، ووضع النظام الضريبي والمركزية، والأهم من ذلك قام ببناء مدينة "أشوا" التي أصبحت عاصمة لإثيوبيا في عام ١٨٨١، بعد أن صعد إلى العرش في عام ١٨٨٩ وتم تغيير اسمها إلى أديس أبابا.

وتُعد الدولة الإثيوبية أهم دول إقليم القرن الإفريقي؛ فهي أقدم الدول الإفريقية المستقلة، كونها لم تخضع للاستعمار الأجنبي، الذي تكالب على دول القارة الإفريقية منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ومطلع القرن العشرين، فيما قد عُرف بفترة الاعتماد الأعظم أو التبعية الكبرى The Great Dependence، باستثناء خمس سنوات فقط من التاريخ الإثيوبي، التي خضعت إبّانها للاحتلال الإيطالي في ثلاثينيات الألفية البائدة، كما تُعتبر إثيوبيا ثاني أكبر الدول الإفريقية قاطبةً من حيث التعداد السكاني، الذي يبلغ حوالي يبلغ عدد سكان أثيوبيا ١٠٧، ٥٣ مليون نسمة وذلك بحسب تقديرات عام ٢٠١٨م، كما أنها تُعتبر القوة العسكرية الأكبر في القرن الإفريقي، الأمر الذي يضعنا أمام قوة إقليمية ليس بالإمكان الاستهانة بها مطلقاً.

تاريخياً عمد الحكام المتعاقبون في أديس أبابا على اتباع سياسة الاحتواء والاستحواذ. عبر دمج الجماعات الأخرى المخالفة في نطاق جماعة الأمهرا الحاكمة، مثل فرض اللغة الأمهرية وطريقة حياتها على بقية القوميات، في ظل دولة مركزية جمعت السلطة الزمنية والروحية. أما سياسة الاستحواذ فكانت عن طريق مصادرة الأراضي الخاصة بالجماعات الأخرى مثل جماعة الأورومو وتمكين جماعة الأمهرا منها.

وقد نتج عن تركيز السلطة والثروة في يد جماعة إثنية محددة هي الأمهرا مع تهميش باقي الجماعات الأخرى، أسفر ذلك عن نصف قرن من الحرب الأهلية في البلاد.

وقد أشعلت نهاية نظام هيلاسيلاسي النار في الإقليم، وألهبت حركات التحرير بين القوميات المضطهدة والفئات القومية التي سحقت طموحاتها بقسوة. وبدأت الحرب في أوغادين وإريتريا تهدد النظام الإثيوبي الجديد. الذي لجأ بدوره إلى القوى الخارجية لفرض سيطرته في تعامله مع الطموحات الوطنية والقوميات المضطهدة.

بإسقاط النظام الإمبراطوري هيلاسيلاسي وتولي الدرج السلطة ذات التوجه الاشتراكي، تمسك منغستو باتجاه عام يقضي بالحفاظ على إثيوبيا بحدودها وسيادتها، كما كانت في ظل حكم الإمبراطور، واستخدام القوة في قمع محاولات الجماعات القومية في الاستقلال، ولا سيما في إريتريا والصومال الغربي. وقد تمكن النظام من تشتيت المعارضة، ولجأ بشكل متزايد إلى الحل العسكري لحل المسألة القومية في التجري، وبين الأورومو، وكذلك في أوجادين. وقد أفسح غياب النخبة التقليدية المجال لصراع ثلاث نخب تمثلت في العسكريين واليساريين في تنظيماتهم المختلفة، ثم الحركات الإثنية. وقد حسم الصراع بانتصار الجبهة الديمقراطية الثورية للشعوب الإثيوبية في مايو ١٩٩١ وتحطيم مؤسسات النظام العسكري الاشتراكي.

في عام ١٩٩١م دخلت إثيوبيا تحولا جديدا بسقوط حكم منغستو وصعود نظام ميليس زيناوي، وقد كان أخطر تحولاته استقلال إريتريا سنة ١٩٩٣م تاركة إثيوبيا بكل مكوناتها وثقلها الإقليمي دولة حبيسة بدون منفذ بحري. فقد سعى نظام ميليس زيناوي إلى إعادة ترتيب إثيوبيا فيما يعرف بالفيدرالية الإثنية، فأصبحت الإثنية القومية هي أهم أدوات الحشد السياسي التي طغت على عوامل الطبقة والأيدولوجية والدين، التي سادت صراعات النخب في الفترات السابقة من التاريخ الإثيوبي.

وقد اعترف دستور ١٩٩٥ بحق تقرير المصير لكافة الأمم والقوميات في البلاد، وسمح لكل جماعة عرقية بإقامة حكم ذاتي بدءا من مستوى المقاطعات، ووضع الأساس لتشكيل حكومات محلية وإقليمية على أساس نمط من التسوية بين الجماعات العرقية في البلاد، وحددت المناطق بأربع عشرة منطقة، وتم الاعتراف بأربع وستين مجموعة إثنية، سمح لثمان وأربعين منها فقط بالحكم الذاتي على المستوى المحلي والإقليمي، وصنفت المجموعات الإثنية الباقية على أنها أقليات لا يحق لها تشكيل حكومات محلية، لكن لها الحق في التمثيل

في المجالس المحلية، وقد كان هذا الميثاق هو الحجر الأساس لما عرف بعد ذلك بالفيدرالية الإثنية.

بعد رحيل مليس زيناوي في ٢٠١٢ تولى رئاسة الوزراء هايلا ماريام ديسالين وهو من قومية ولايتا جنوب إثيوبيا، وأول رئيس وزراء بروتستانت في إثيوبيا، ووعد بأن يسير على نهج سلفه مليس زيناوي، لكنه قرر الاستقالة فجأة في فبراير ٢٠١٨، ويرى بعض المحللين أن سبب الاستقالة، أنه لم يأت بحلول ناجزة للاضطرابات السياسية ذات الطابع الإثني، والتي تفاقم في العام ٢٠١٦ بشكل بارز، مؤدية إلى مقتل المئات في إقليمي أورواميا (وسط وشرق) وأمهرا (شمال غرب). حتى تم اختيار أبي أحمد كرئيس للوزراء وقوبل بارتياح مشوب بالحذر داخل صفوف جماعة الأورومو، حيث نجحت الأداة الإعلامية والدعائية الإثيوبية في تصوير اختيار "أبي أحمد" بأنه نصر سياسي جديد لجماعة الأورومو المسلمة، وكذلك لجماعة الأمهرة المسيحية التي تنتمي إليها أمه، حاملا شعار "التسامح الإثني الديني". ما أدى إلى تخفيف وتيرة الأحداث داخل المجتمع الأورومي.

ثانيا: الموقع الجيوبوليتيكي وتأثيره في التوزيع الإثني لإثيوبيا؛



تحدد الهوية الوطنية بالموقع الجيوبوليتيكي لإثيوبيا، فإثيوبيا تاريخياً تعاني من عقدة أنها "دولة حبيسة"، باستثناء فترة ضمها لإريتريا (١٩٥٢-١٩٩٣). كما أنها ترتفع عن

سطح البحر، بينما تجاورها مناطق منخفضة نسبياً. وهى أيضاً تشترك في حدود يبلغ طولها (٥٣٢٨ كم) مع ست دول عربية وإفريقية، مما يزيد من حجم مشكلاتها مع دول الجوار. وقد ساهمت هذه العوامل في ترسخ "الإحساس بالعزلة" لدى صناع السياسة في إثيوبيا، وصبغ العلاقات الإثيوبية مع دول الجوار بظلال من الشك والريبة، مما جعلها في حالة بحث مستمر عن توسيع دوائر حركة سياستها الخارجية، والامتداد خارج نطاق دائرة القرن الأفريقي وحوض النيل والبحر الأحمر. وبالتالي فقد كان وضعها الجيوبوليتيكي بهذا الوصف يؤهلها لأن تكون أكثر الدول الإفريقية أهمية بعد مصر مباشرة، ومن هنا كانت تحظى بثقل دولي له اعتباره من قبل الدول الكبرى، فضلاً عن أنها كانت تستأثر بمكانة إقليمية يعتد بها على مستوى إفريقيا والقرن الإفريقي، هذا إضافة إلى مكانتها في إطار الدائرة النيلية بطبيعة الحال.

ومن جهة أخرى تميز الإقليم الإثيوبي جغرافياً بميزة الحصون الجبلية المرتفعة حيث الهضبة الإثيوبية، كل ذلك ساهم من ناحية في الحماية الطبيعية للجماعات الإثيوبية ضد محاولات الغزو الخارجي لحقب طويلة من التاريخ، وساهم من ناحية أخرى في استحالة قيام حكومة مركزية أو دولة موحدة تستطيع بسط سيطرتها وحكمها على جميع أقاليم الدولة إلا في أحوال نادرة.

فظروف نشأة الدولة الإثيوبية وما تعرضت له من أسس تقسيم إداري لوحاداتها السياسية الداخلية، ربما قامت وتأسست على فروقات عميقة وأصيلة بين بيئات الأقاليم والولايات والمحافظات والمحليات، وهي بيئات مختلفة من حيث الصفات والملامح والخصائص الجغرافية، وقد أثرت بصورة تلقائية على المجموعات السكانية التي تقطنها، خاصة وأن الملاحظة جرت على أن التقسيم الإداري يتم وفق الخصوصية الإثنية المصحوبة بخصوصية الموارد الطبيعية والطبيعة التضاريسية.

ونلاحظ أن أقاليم ومناطق إثيوبيا الشمالية والشمالية الشرقية المتكونة من التجري والأهرة والعفار، تختلف عن الوحدات الإدارية لمناطق إثيوبيا الغربية والجنوبية الغربية، كما تظهر في خارطة أقاليم بني شنقول وقامبيلا، بدورها تختلف إثنيا عن أقاليم ومناطق شرق وجنوب شرق إثيوبيا، المكونة من الإقليم الصومالي وإدارتي هرر ودريداوا، وهي

بدورها مختلفة عن إقليم وسط إثيوبيا وجزء من جنوبها وهو إقليم الأورو مو، لتختلف جملة هذه الأقاليم مع إقليم الجنوب الذي يضم كل قوميات الجنوب وعددها ٥٦ قومية. ينشأ عن هذا التباين اختلافات في الدرجة التي تتم بها الاستجابة لحاجات الإنسان الإثيوبي، ولقدرته على الاستقلال والإنتاج، ويبدو أن هذا الاختلاف والتنوع القائم على أسس من الضوابط الجغرافية الطبيعية والبشرية كان مدعاة وحافزا ومشجعا ودافعا للاتصال والتبادل بين الأقاليم والمناطق الإثيوبية والمجموعات البشرية التي تحتضنها، لخلق مجتمع متعايش ومنسجم ومتفاهم.

ثالثا: طبيعة النظام السياسي الإثيوبي:

يتسم المجتمع الإثيوبي بالتنوع الإثني واللغوي والثقافي، حيث يضم نحو ٨٥ جماعة إثنية. أكبرها عددًا جماعة الأورو مو (٤٠٪) من السكان، وأكثرها تحكُّمًا في السلطة جماعة الأمهرة (٢٥٪)، حيث يسيطر الأمهرة على الحكم والسياسة في البلاد منذ عهد الأسرة السليمانية (١٢٧٠م). كما توجد جماعات أخرى مثل التجراي (٧٪)، والتي ينتمي إليها نظام ميليس زيناوي، والصوماليون (٦٪)، والعفر (٤٪). كما يدين سكان إثيوبيا بديانات عديدة أهمها: الإسلام (٥٥٪)، والمسيحية (٣٥٪)، والديانات التقليدية (٨٪). والأهمرية هي اللغة الرسمية للدولة، ولكن إلى جوارها ينتشر استخدام لغات عديدة أخرى. ومع ضعف قدرة النظم الإثيوبية المتعاقبة على إدارة هذا المجتمع التعددي، فقد حال ذلك دون تحقيق الاندماج الوطني، وساهم في تفجر المشكلة القومية داخل الدولة، خاصة أن الدستور الإثيوبي يسمح للجماعات القومية بالحق في تقرير المصير، مما أدى إلى تنامي مطالب الجماعات المضطهدة بالانفصال عن الدولة المركزية، وهو ما يمثل تهديدًا مباشرًا لكيان الدولة ذاتها، ويعتبر أبرز العوامل المؤثرة في سياستها الخارجية أيضًا. بهذا أصبح الخطاب الإثني ميسسًا بقوة في إثيوبيا، أكثر من أي وقت مضى، وخلق "حقائق" لم تكن موجودة من قبل.

وتواجه الفيدرالية الإثنية في إثيوبيا عددا من التحديات ربما يكون أبرزها وأهمها هو خطر تفكك وتفتيت الدولة الإثيوبية. خاصة في ظل مطالبة عدد من الجماعات الإثنية بالانفصال

كما حدث مع إريتريا، ولا سيما وأن الدستور الفيدرالي الدائم لعام ١٩٩٥ قد أقر بمبدأ الانفصال للجماعات الإثنية الراغبة في ذلك.

وبالنسبة لأثر الفيدرالية الإثنية على شرعية النظام الحاكم: فقد فقدت المعارضة السياسية في إثيوبيا شرعيتها داخليا وخارجيا من خلال خسارتها المستمرة في الانتخابات وفقا للشكل الفيدرالي الإثني، وبذلك لم يعد هناك تداول سلمي للسلطة في إثيوبيا، وهو ما ظهر جليا من خلال نتائج الانتخابات البرلمانية والمحلية التي أجريت في إثيوبيا منذ تطبيق النظام الفيدرالي واستبعاد المعارضة من المشاركة في الحكومات الإثيوبية المتعاقبة. مما جعل المجتمع الدولي يعتبر الأحزاب والتنظيمات ما هي إلا حركات تمرد مخالفة للدستور والقانون.

رابعاً: بنية الاقتصاد الإثيوبي:

تعتبر إثيوبيا من الدول الأقل نمواً في العالم من الناحية الاقتصادية، وذلك بسبب التخلف وعدم الاستقرار السياسي والحروب الأهلية واحتكار الدولة للملكية الأراضي الزراعية والمشروعات، ومنذ عام ١٩٩٢ بدأت تظهر بعض الملامح الإيجابية على النشاط الاقتصادي الإثيوبي بسبب التخلي عن سياسة الاقتصاد المركزي الموجه واتباع سياسات اقتصاديات السوق، حيث اتبعت إثيوبيا برنامجاً للإصلاح الاقتصادي، يهدف إلى تحسين استقرار الاقتصاد الكلي، وتسريع النمو الاقتصادي، والحد من الفقر.

نتيجة لهذه الإصلاحات بدأت بعض الآثار الإيجابية على القدرة الاقتصادية الإثيوبية بصفة عامة، إلا أن هذه الملامح الإيجابية النسبية، يحد منها دائماً معدلات النمو السكاني المرتفعة، مما يشكل ضغطاً كبيراً على الموارد المحدودة، ويخلق فرصاً أكبر للأزمات الداخلية، وطلباً أكبر على الموارد المائية لأغراض الزراعة والتنمية، مما يولد إمكانات متزايدة للتنافس على موارد المياه من نهر النيل مع الدول المجاورة وخاصة مصر والسودان. وتعد البنية الاقتصادية واحدة من أقوى العوامل المؤثرة في عملية التعايش القومي الإثيوبي، وربما يمكن النظر إلى ذلك من عدة زوايا هي:

- مدى قوة النظم السياسية الإثيوبية وقدرتها على حفظ تماسك ووحدة وتعايش أجزاء الدولة الإثيوبية.

- مدى درجة التعايش القومي بين الإثيوبيين، وطبيعة علاقات التداخل والتواصل والاندماج خاصة في مسائل التبادل الاقتصادي.
- القدرات والإمكانات الاقتصادية.

خامسا: الاعتبارات الإقليمية والدولية:

وهي اعتبارات تشير إلى وجود تحولات ومتغيرات إقليمية حدثت في منطقة القرن الإفريقي الكبير، والمناطق الإقليمية الغربية منه، مثل منطقة الشرق الأوسط، ومنطقة الخليج ومنطقة البحيرات العظمى، ومنطقة حوض البحر الأحمر، والتي تعاني جميعها من مشكلات وحروب ونزاعات وأحداث، لها آثارها الواضحة على عمليات التوازنات العسكرية بين إثيوبيا ودول القرن الإفريقي من جهة، وبين دول القرن بما فيها إثيوبيا وتلك المناطق الأربع في مستو آخر. وقد تطلعت إثيوبيا دائماً إلى الارتباط بقوة عظمى، كالولايات المتحدة التي أقامت معها تحالفاً منذ انتهاء الحرب الباردة للتخلص من الضغوط البريطانية، وفيما بعد ثورة ١٩٧٤ نشأ التحالف الإثيوبي مع الاتحاد السوفيتي، وفي بداية التسعينيات تنامت الروابط مع الولايات المتحدة والقوى الغربية مرة أخرى، وفي نفس السياق كانت تتنامى العلاقات والروابط الخاصة مع إسرائيل بهدف إيجاد قدر من التوازن مع القوى العربية في الستينات.

ولعل أهم هذه الاعتبارات الإقليمية هي:

انفصال واستقلال إريتريا: يعتبر واحد من أهم الأحداث التي أثرت في توازنات القوى بين إثيوبيا ودول القرن الإفريقي، حيث أدى إلى تغيير الخارطة الجيوسياسية لإثيوبيا والقرن الإفريقي، بأن جعل إثيوبيا دولة حبيسة وإريتريا دولة تنعم بساحل طوله ١٢٠٠ كم على البحر الأحمر.

انفصال جنوب السودان: على الصعيد الأمني ترى إثيوبيا أن تدهور الوضع الأمني في السودان سيؤثر سلباً على الأمن الإثيوبي وعلى الأمن الإقليمي في المنطقة بآثارها، كما أن انفصال الجنوب السوداني سيغري النعرات الانفصالية في إثيوبيا خاصة أن الدستور الإثيوبي ينص على حق القوميات في الانفصال.

النزاع الصومالي الكيني حول منطقة NFD: إذ إن الصومال يعتقد منذ أمد بعيد أن منطقة المقاطعة الشمالية الحدودية لكينيا والمعروفة بمقاطعة NFD هي جزء من أجزاء الصومال، نظرًا لتركيبها الاجتماعية واتصالها الجغرافي بمناطق الصوماليين في كل من جمهورية الصومال وإقليم الصوماليين في إثيوبيا، الذي طالما كان مثار نزاع بين الصومال وإثيوبيا منذ استقلال الصومال عام ١٩٦٠م، حيث يتقاسم إقليم NFD مع الصومال قواسم مشتركة أهمها انتهاء السكان فيه للعرقية الصومالية وتحديثهم باللغة الصومالية. وترى كينيا أن هذه المناطق تابعة لبلادها من منطلق أن السلطات الاستعمارية ألحقتها بها، فكان من الطبيعي أن يمتد هذا النزاع على الحدود البرية إلى المياه الإقليمية حيث ظهر النزاع الحدودي البحري بين البلدين. النزاع الإثيوبي الصومالي حول منطقة أوجادين: لم يكن نزاعاً على الحدود وإنما كان نزاعاً من أجل التحرر لأن إثيوبيا تحتل أراضٍ صومالية تسكنها قبائل صومالية لا تختلف في عاداتها ولغتها وثقافتها وديانها عن سكان المناطق الصومالية الأخرى، فضلاً عن المقومات الجغرافية والتقاليد المشتركة مع بقية الشعب الصومالي.

حروب ونزاعات منطقة البحيرات العظمى في وسط وشرق إفريقيا وهي:

- حرب الهوتو والتوتسي.
- النزاع الأوغندي الأوغندي.
- النزاع السوداني الأوغندي
- الصراع في الكونغو

بالتدقيق والنظر إلى طبيعة هذه الصراعات نجدتها بالحسابات الثقافية والجيوسياسية، ليست ببعيدة من إثيوبيا التي تدخل بعمق في حسابات واحتمالات سيناريوهات قضايا دول وأقاليم تلك المناطق، خاصة مربع إثيوبيا السودان أوغندا وكينيا، وحسابات إثيوبيا لعلاقات القوى الدولية العسكرية والسياسية، خاصة بريطانيا وأمريكا وإسرائيل بدول هذه المنطقة.

سادساً: البنية الدفاعية والعسكرية والقدرات الأمنية:

تعتبر إثيوبيا أكبر قوة عسكرية في القرن الأفريقي من حيث حجم القوات المسلحة، وكذا من حيث الإنفاق الدفاعي (٢, ١٪ من الناتج المحلي الإجمالي/ ٢٠٠٩)، يليها في

ذلك السودان، الأمر الذي يعطي أديس أبابا نوعاً من التفوق العسكري النسبي مقارنة بمحيطها الإقليمي المباشر، ويزيد من درجة الاعتماد عليها من جانب الولايات المتحدة وإسرائيل في تنفيذ مخططاتهما في القرن الإفريقي والبحر الأحمر وحوض النيل. وتعتبر دراسة البنية العسكرية والقدرات الأمنية من أهم محددات الهوية الإثيوبية المؤثرة في مصير قضايا التعايش القومي والوحدة الوطنية والاستقرار السياسي، ويؤكد ذلك أن دستور إثيوبيا لعام ١٩٩٤، أشار إلى أن أولى أولويات وأهداف المؤسسة العسكرية الإثيوبية هي حفظ وصيانة وحدة الدولة الإثيوبية، وبالتالي لا يمكن عرض وتحليل ومناقشة تاريخ وواقع ومستقبل التعايش والاندماج والوحدة للقوميات والأجناس والشعوب الإثيوبية، بمعزل عن معرفة القدرات العسكرية والأمنية للدولة الإثيوبية. حيث تظهر المؤشرات الخاصة بالدفاع ارتفاع نفقاتها بالنسبة إلى أوجه الإنفاق الأخرى، خاصة التنمية والصحة والتعليم.

المطلب الثاني

الثقافة السياسية الإثيوبية وتأثيراتها على الهوية الوطنية

كانت مشكلة إثيوبيا الكبيرة هي البحث عن هوية وطنية موحدة، فالجماعات العرقية من غير الأمهرة ولا سيما الأورومو، كانت ترى أن إثيوبيا الحالية يمتلكها ويسيطر عليها الأمهرة والتيجراي فقط. وأن إثيوبيا لم تكن أبدا دولة موحدة من حيث التاريخ والثقافة، واللغة المشتركة. ونتيجة لتفوق الأمهرة في المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية في البلاد، فرضت اللغة والتاريخ، والثقافة الأمهرية على الجماعات الأخرى سواء من خلال الوسائل السلمية أو وسائل الاستيعاب الأخرى.

أولاً: الثقافة السياسية اللغوية وتأثيرها على الهوية الإثيوبية:

تعتبر اللغة الأمهرية هي لغة التعامل اليومي لقطاع عريض من الإثيوبيين. تليها لغة أورومو ذات الأغلبية العددية في الدولة، ويزيد عدد متحدثيها عن ٧ ملايين، أما اللغة التيجرينية فعدد الناطقين بها قليل مقارنة باللغات السابق ذكرها، أما لغة سيدامو وعفر فعدد الناطقين بها متقارب فيما بينها. تأتي من بعدها لغة ولايتا بنسبة أقل قليلاً، أما لغة

صومالي فترتيبها من بعد اللغة التيجرينية. وباقي لغات إثيوبيا تشمل العديد من اللغات التي تحدث بها أعداد قليلة قد تصل إلى عدة آلاف، ومن هذه اللغات اللغة العفرية والهررية والجوراجية والبيجا وغيرها.

هذا التنوع اللغوي له بلا شك تأثير كبير على عناصر الهوية الإثيوبية، فهناك ثلاث مراحل تميزت بها أبحاث السياسة والتخطيط اللغوي في إثيوبيا، تميزت المرحلة الأولى (أوائل الستينيات) بتعيين لغات الاتصال الأوسع (مثل اللغة الإنجليزية) لاستخدامها في مجالات محدودة ورسمية ومتخصصة ولغات السكان الأصليين للأغراض العامة. أكدت البحوث الاجتماعية اللغوية خلال هذه المرحلة أن التجانس اللغوي كان أكثر ملاءمة لتعزيز أهداف التحديث والتغريب من التنوع اللغوي، الذي كان يعتبر عقبة. وبالمثل، كانت الحجة خلال هذه المرحلة هي أن التجانس أو وجود لغة "موحدة" يعد أمراً مهماً لبناء الأمة، وهو ما يفسر فكرة تسمية "لغة وطنية". تلك اللغات التي تعتبر متطورة أو "قابلة للتطوير". أخذت بعض البلدان في شرق إفريقيا (تنزانيا، كينيا) هذا الأمر على محمل الجد وقللت من أهمية استخدام لغات السكان الأصليين المختلفة في المجال العام لصالح اللغة الناطقة باللغة السواحيلية.

بينما أشارت المرحلة الثانية (تقريباً من أوائل سبعينيات القرن الماضي وحتى أواخر الثمانينيات) إلى أن السياسة والتخطيط اللغوي ليستا محايدتين تماماً، لكنهما تتأثران بدوافع سياسية واقتصادية تتعلق بمصالح الدول الغربية الرئيسية.

كما أن تفضيل اللغات الاستعمارية (الإنجليزية والفرنسية والبرتغالية)، باعتبارها وسائل إعلام محايدة لمساعدة عملية التنمية في إثيوبيا، تم إعلامها بالحاجة إلى تعزيز المصالح الاقتصادية، وليس عن طريق أي ملازمة لتفوق اللغات نفسها.

ولا شك في أن قوة الهوية الإثيوبية اللغوية ليست موضع شك، وهذا ما يفسر احتجاجات جبهة تحرير أرومو. يتضح ذلك أيضاً من خلال الاحتجاجات العنيفة والمميتة في منطقة وليتا جنوب إثيوبيا، ضد قرار الجمع بين أربع لغات متميزة سابقاً في المنطقة، وهي: ولايتا، جامو، غوفا، داورو إلى لغة واحدة تسمى واجاودا. والحقيقة هي أنه على الرغم من سياسة التجانس اللغوي التي تسعى الحكومة الإثيوبية إلى اتباعها، فإن الحفاظ على هوية لغوية مميزة أمر أساسي لكل مجموعة عرقية.

وفي أوائل القرن العشرين، تم تطوير اللغة الأمهرية لتصبح لغة وطنية في عهد هيللا سيلاسي: ولم يكن من قبيل المصادفة أن أصبح هيللا سيلاسي البطل العظيم للغة الوطنية. هذا أعطى ميزة للناطقين باللغة الأمهرية. مع قمع لغات أخرى، كلغة الأورومو، مما يعد نوعاً من الإهانة والتغريب، يساهم في ارتفاع معدلات الاستنزاف وانخفاض مستويات الإلمام بالقراءة والكتابة بين الشعوب غير الأمهرية.

وعندما نطالع الوضع الذي وصلت إليه اللغة العربية في إثيوبيا، نرى مدى التراجع والانحسار الذي ألم بها ويرجع هذا إلى الاستعمار، فقد حاول الاستعمار الأوروبي بسط سيطرته ونفوذه على غالبية دول القارة، للحيلولة دون تغلغل وانتشار الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا. فعمل الاستعمار الأوروبي على الامتداد اللغوي والثقافي والفكري في دول القارة، فانتشرت اللغات الأوروبية في دول القارة بشكل كبير. وقد لجأت القوى الاستعمارية إلى وسائل مختلفة لتحقيق أهدافها، ومن هذه الوسائل:

- إطلاق يد البعثات التبشيرية وتخصيص الإمكانيات الكبيرة لها.
- محاولة تشويه العلاقات العربية الإثيوبية من ناحية والعلاقات المسيحية الإسلامية في إثيوبيا من ناحية أخرى. عن طريق إظهار العرب على أنهم تجار رقيق، والعمل على إحياء نزعة التعصب الديني، بالإضافة إلى إهمال المسلمين وحرمانهم من فرص التعليم والعمل.
- تعطيل كتابة اللغات الإثيوبية بالحروف العربية واستبدال ذلك بالحروف اللاتينية.
- فرض اللغات الأوروبية كلغات تعليم في المدارس الحكومية، للقضاء على اللغة العربية نهائياً وإبدالها باللغات الأوروبية.
- كذلك تم فرض اللغة الأمهرية كلغة للتعليم في المرحلة الأولى، وفرض اللغة الإنجليزية كلغة للتعليم الحكومي في المرحلة الثانوية والجامعية. مما أدى إلى تقلص المساحة التي كانت تحتلها اللغة العربية في أنحاء إثيوبيا.

والحقيقة أننا لا يجب أن نلقي بالمسؤولية الكاملة لانحسار اللغة العربية في إثيوبيا على كاهل الاستعمار الأوروبي والسياسة اللغوية التي اتبعتها إثيوبيا، ولكن هناك عامل آخر له أهمية كبيرة وهو الوضع الحضاري والثقافي للعرب، فانتشار اللغات وتقدمها مرهون بتقدم أصحابها وتفوقهم.

والجدول التالي يبين عدد المتحدثين باللغات المختلفة في إثيوبيا:

جدول رقم (٥)

يبين تقديرات المتحدثين باللغة الأم في إثيوبيا (استنادًا إلى المكتب الوطني للسكان ١٩٩٣: ١)

اللغة	النسبة المئوية	عدد المتحدثين بها بالملايين
أورومو	٢٩,١ %	١٥,٤٨
أمهرية	٢٨,٣ %	١٥,٠٦
تيجراينية	٩,٧ %	٥,١٦
قوراج	٤,٥ %	٢,٣٩
صوماليا	٣,٨ %	٢,٠٢
سيداما	٣ %	١,٦
ويلايتا	٢,٦ %	١,٣٨
أخرى	١٩ %	١٠,١١
المجموع	١٠٠ %	٥٣,٢

الجدول من إعداد الطالب

نلاحظ من الجدول أن أورومو والأمهرية متقدمون كثيرًا على البقية. وبعد أن أصبحت إريتريا دولة منفصلة، تراجعت كثيرا اللغة التيجرينية، وهي لغة مهمة أيضًا لمستوى تطورها في الأدب، ومحو الأمية، وما إلى ذلك، وهي ذات أهمية سياسية من حيث إنها اللغة الأم للعناصر الرئيسية.

كما يتبين من الجدول السابق أن لغة الأورومو تعد أكبر مجموعة لغوية من بين أربعين أو يزيد من مجموعات اللغات الحامية. والراجح أن هناك خمس لهجات رئيسية مميزة في لغات الأورومو، إذ نجد أن الأورومو في أقصى الجنوب لا يستطيعون بسهولة فهم حديث إخوانهم في أقصى الشمال، والغالب أن يتقن الفرد في إثيوبيا إلى جانب اللغة الأم لغة ثانية وثالثة أو

أكثر. وكل لغة من اللغات الموجودة في المنطقة تهدف هدفًا معينًا، فإلى جانب اللغة الأم توجد اللغة الرسمية، وهي الأمهرية التي تستخدم في الحكم ووسائل الإعلام والمدارس والجامعات.

ويتجلى دور وسائل الإعلام والقانون والتعليم في بناء وصيانة ما يسمى "الهيمنة اللغوية". وتمثل وسائل الإعلام دائمًا أحد مجالات السلطة. وتحديد اللغات التي يمكن استخدامها في وسائل الإعلام وكيف يمكن أن تكون أداة تحكم قوية، وطريقة لتعزيز مشاركة بعض أفراد المجتمع مع الحد من مشاركة الآخرين.

بينما تبني وسائل الإعلام الجماهيرية مساحة التواصل للدولة القومية، فتتقسم أصناف اللغة ومجتمعات الكلام المرتبطة بها تلقائيًا إلى علاقات مع بعضها البعض، لذلك، فإن بعض اللغات لها تمثيل رمزي في وسائل الإعلام أو أن تكون غائبة تمامًا. في حالة إثيوبيا، لا يتعلق الأمر فقط بلغة أجنبية (باللغة الإنجليزية) بل يتعلق باللغة الأمهرية، والتي هي أيضًا لغة محلية.

إلى جانب التهميش غير المباشر للغات من خلال الوسائل الاقتصادية والإيديولوجية الهيكلية، فقد تم اعتماد أساليب أكثر مباشرة للقمع، من خلال فرض لغات معينة في التعليم وفي الحياة العامة. والإبادة الجماعية اللغوية لجماعات محددة.

وكانت وسائل الإعلام موقعًا آخر للإذلال والغربة. يكشف سميث أنه في أواخر الستينيات من القرن الماضي عندما بدأت بث أربع لغات عرقية - التيغرينية، وتيجري، والصومالية، وعفار - تبثها محطات الإذاعة الحكومية، إلا أنها لم تكن محاولات حقيقية لإعادة تعريف محتوى وطبيعة الانتماء إلى الدولة القومية الإثيوبية. ومن الأهمية بمكان أن الحظر المستمر على استخدام لغة أورومو، مع وجود أكبر مجموعة من المتحدثين بلغات في البلاد، يوفر أدلة دامغة على أن هذه الممارسة لم يكن القصد منها السماح بازدهار الهويات الثقافية أو اللغوية.

كما تضمنت المادة ٥ من دستور إثيوبيا لعام ١٩٩٥ بموجب EPRDF / TGE أن "تتمتع جميع اللغات الإثيوبية باعتراف متساوٍ من الدولة. تكون اللغة الأمهرية هي لغة العمل في الحكومة الفيدرالية. ويجوز لأعضاء الاتحاد تحديد القانون لغتهم العاملة الخاصة

بهم. هذا النص غامض، حيث يوجد تضارب في تطبيق السياسة متعددة اللغات. إن هيمنة اللغة الأمهرية والوضع الغامض للغة الإنجليزية تقوض إمكانية الإنصاف والاعتراف باستخدام اللغات الوطنية الأخرى.

أما عن وضع لغة الأورومو على المستوى الرسمي في إثيوبيا فلم تتمتع بأي مساحة من الاهتمام بل كانت اللغة الأساسية للدولة هي الأمهرية لفترة طويلة وتليها اللغة الإنجليزية التي تحتل المركز الثاني. فقد تم طمس هوية الأورومو ومصادرة حقهم في الاحتفاظ بخصوصيتهم. ومنعهم من استخدام لغتهم في التعليم. وتشتت على من يلتحق بالمدارس والجامعات إتيقان «اللغة الأمهرية»، وهي اللغة التي يراها الأورومو لغة استعمارية؛ الأمر الذي أدى إلى انتشار الجهل بينهم بنسبة ٨٠٪. ونجد أن استخدام لغة الأورومو كان قاصراً على المحاكم، كما توقف برنامج الراديو باللغة الأورومية الذي كان يثري خلال فترة الاحتلال الإيطالي بمجرد استعادة الأمهرة نفوذها في إثيوبيا بما فيها مناطق الأورومو وحظر تداول الأدب الديني في اللغة الأورومية، كما منع استخدام اللغة الأورومية كأداة للتبشير أو الوعظ أو التدريس أو الإذاعة بأي لهجة أورومية.

وترى الدراسة أن العامل اللغوي يلعب دوراً كبيراً في التأثير على الهوية الوطنية، فإذا كانت التعددية اللغوية ينظر إليها على أنها إثراء ثقافي ومكتسب حضاري، فإنه في نفس الوقت يعد مهدداً للهوية الوطنية من عدة جوانب:

إن التعدد اللغوي سوف يزيد من الانعزالية والتعصب اللغوي وتأجيج النعرات الانفصالية، مما يهدد الأمن الثقافي وبالتالي تفتت البناء الوطني والهوية الوطنية.

كل جماعة لغوية ستحاول من جانبها فرض ثقافتها اللغوية بالقوة مما سيزيد من حدة الصراعات الإثنية، وفي هذا تهديد للهوية الوطنية.

من بين الاتجاهات التي ستسعى إليها الأنظمة اختيار لغة واحدة للتخاطب بين أفراد الدولة الإثيوبية، وبالتالي ستفرض الجماعة الإثنية الأقوى لغتها بالقوة، مع حظر استخدام جميع اللغات الأخرى، كما حدث في السابق مع جماعة الأورومو، عندما فرضت الأمهرية بالقوة، وفي هذا تهديد للهوية الوطنية.

اختيار إحدى اللغات الأجنبية للتعامل بها كلغة تخاطب في الدولة الإثيوبية "كالإنجليزية

أو الإيطالية، وبالتالي سيتم فرض اللغة الأجنبية بثقافتها وعاداتها وتقاليدها ورموزها، مما سيؤثر سلباً في النسيج الثقافي للجماعات الإثنية الإثيوبية، وبالتالي يهدد الهوية الوطنية الإثيوبية.

مما سبق يتضح أن السياسة الإثيوبية اعتمدت اللغة باعتبارها المؤشر الأساسي للاختلاف بين سكان إثيوبيا لعملية ترسيم الحدود الفيدرالية العرقية في الفترة ١٩٩١. نتيجة لذلك، تعد اللغة عاملاً بارزاً، سواء أكانت تحدياً للقيود الفيدرالية العرقية استناداً إلى المطالبات بفصل مجموعة لغوية ما، أو محاولات الدفع نحو استيعاب مجموعات لغوية أخرى.

ثانياً: التعددية الدينية وتأثيرها على الهوية الوطنية في إثيوبيا

مع تعاقب الأنظمة السياسية في إثيوبيا يبقى النظام الديني بها يتسم بقدر أكبر من الاستمرارية، وإذا كانت هناك تعددية دينية داخل البلاد حيث دخلت اليهودية والمسيحية والإسلام، فإن كل دين من هذه الأديان يتمتع بقدر من التواجد في بعض المناطق، في حين ظل بعضها معتنقاً للمعتقدات الطبيعية. ولقد تأثر النظام الديني في إثيوبيا كثيراً بالنظام السياسي خلال مراحل تطوره المختلفة، حيث أحدث النظام السياسي نوعاً من الاختلال لسنوات طويلة نتيجة للتعصب الديني، وهو الأمر الذي ترتب عليه إحداث التفسخ بين الجماعات المشكلة للمجتمع الإثيوبي. وتغذية الولاءات القبلية والإثنية والدينية، في الوقت الذي دأبت فيه أنظمة الحكم المتعاقبة على رفع شعارات الوحدة الوطنية والاندماج الوطني كمحاولة للتغلب على تلك المشكلات. وعليه ظلت حسابات العدد للكتلتين المسيحية والإسلام حاضرة في التوازنات السياسية والدينية أكثر من غيرها من الأديان باعتبارها ديانات الصراع والتنافس المهمة في إثيوبيا.

ولما كانت المسيحية الأرثوذكسية تمثل دين الدولة الرسمي، فإنها حظيت في الإحصاءات الحكومية بأنها تمثل ديانة الأغلبية بنسبة حوالي ٦٠٪ متضمنة كل المجموع المسيحي (أرثوذكس، بروتستانت، وكاثوليك)، والإسلام دين أقلية ٣٢٪، وبقية الأديان الأخرى بما فيها اليهودية والوثنية حوالي ٨٪.

والدليل الجوهري على حدوث درجة أكبر من التسامح والاحترام المتبادل الذي

تطور كميزة للأديان الإثيوبية، أن الأديان "اليهودية والمسيحية والإسلام" تعايشت منذ فترة طويلة في إثيوبيا، حيث طورت سمات مشتركة مع مرور الوقت. يكفي هنا أن نذكر السمات المشتركة بين الإسلام والمسيحية مثل وجهات النظر حول التحول الديني، وتكريم القديسين، والحج.

إن استكشاف حدود القواسم المشتركة بين هذه الجماعات الدينية يمكن أن يكون مثيراً للاهتمام، للدفاع عن التعايش الثقافي والديني، فمعالجة الاختلافات السابقة التي نتجت إلى حد كبير عن وضع الكنيسة الأرثوذكسية الإثيوبية ككنيسة حكومية حتى عام ١٩٧٤. المواد المنصوص عليها في الدستور الحالي لإثيوبيا المعتمدة في عام ١٩٩٥ (التصديق في عام ١٩٩٤) ذات صلة بالحرية الدينية، طبقاً للمادة ١١:

- الدولة والدين منفصلان.
- لن يكون هناك دين للدولة.
- يجب ألا تتدخل الدولة في الشؤون الدينية ولا يجب أن يتدخل الدين في شؤون الدولة.
- تعتبر هذه المادة بحق مادة تضمن الوضع العلماني للدولة. بالطبع، يمكن فهم هذا النوع من العلمنة على أنه علمنة من أجل الدين لأن غياب كنيسة الدولة يعني المساواة بين جميع الأديان، والفصل بين الدين والدولة يضمن استقلال الاثنين، فقد تم توضيح الحرية الدينية في المادة ٢٧. "لكل فرد الحق في حرية التفكير والضمير والدين. يجب أن يشمل هذا الحق حرية اعتناق أو تبني ديانة أو معتقد من اختياره، وحرية الفرد أو المجتمع في التعبير عن دينه أو معتقده في العبادة أو الاحتفال أو الممارسة أو التعليم."
- يبدو أن هذه العلمنة أكثر "إجرائية" ولها مزاياها الخاصة لتحقيق "المسافة المبدئية" بين الدين والدولة. بيد أن حياد الدولة له مزاياها الخاصة في بلدان متنوعة دينياً مثل إثيوبيا.
- بالنظر إلى أن الأمهرة وتيغراي معظمهم من المسيحيين الأرثوذكس، جادل البعض بأنه كان لهما تأثير في السياسة والاقتصاد للدولة من خلال الكنيسة، وبالتالي، لعبت الكنيسة الإثيوبية الأرثوذكسية دوراً مهماً في تزويد المؤسسة بالأداة الأيديولوجية اللازمة التي شرعت سيطرتها.

نظراً للتداخل الديني والعرقي في إثيوبيا، فقد تم النظر إلى تدابير (Derg) ضد هذه

المنظمات على أنها تعبير عن نظرتها المعادية للأديان، بما في ذلك أقسام من الأوروبيين، مثل بورانا الرعوية وغوجي. من بين هذه الشعوب، يوجد القليلون الذين تحولوا إلى المسيحية التبشيرية - البروتستانتية والرومانية الكاثوليكية. ومع ذلك، ركزت جميع تحليلات المسيحية الأرثوذكسية التي مارسها الإثيوبيون على أمهرة وتيجري. وبحلول منتصف القرن العشرين، طور بعض أمهرة وتيجري المتعلمين شكوكًا، وليس الكثير من العقيدة - على الرغم من أن هذا قد حدث أيضًا - بالنسبة للدور السياسي والاقتصادي للكنيسة.

على مر التاريخ، كان للزعماء الدينيين دور مهم يلعبونه في الطبيعة المطولة للصراعات بين الهويات المتنوعة لإثيوبيا. كان الإمبراطور هيلاسيلاسي أول ملك يروج لمنظمة كنسية أكثر مركزية للدولة. فقد أسس الكنيسة الأرثوذكسية الإثيوبية كمركز للمقاومة الوطنية ضد الاحتلال الإيطالي. ولمواجهة المحاولات الإيطالية لتفتيت الكنيسة، ألغى محاكم الكنيسة، وأنشأ خزانة الكنيسة المركزية، وحدد أرض الكنيسة وخضعها للضرائب، وكان لديه جميع التعيينات الكنسية المرتفعة التي قام بها مباشرة.

على الرغم من هذه التحركات من النظام الملكي، استمر رجال الدين في التمتع بمواقعهم المتميزة في المجتمع. وظل هو الرابط الذي يمكن من خلاله تحقيق الوحدة والاستقرار دون تحدي أسس النظام الإمبراطوري الإقطاعي الذي كان يحقق الربح للكنيسة. "كونها في قلب" النظام الإلهي "الذي حدد مستقبل إثيوبيا، تمتعت (الكنيسة) بمكانة اقتصادية واجتماعية عالية"

وتشير العديد من الدراسات إلى أن الإمبراطور هيلاسيلاسي سعى "لاستيعاب ودمج المسلمين الإثيوبيين". على الرغم من أن "المسلمين ظلوا مواطنين من الدرجة الثانية" خلال حكم هيلاسيلاسي.

وقد بدا ذلك من خلال رؤية المسلمين والمسيحيين بعضهم إلى بعض. فالمسيحيون في إثيوبيا يرون المسلمين إرهابيين يارسون القتل والبطش، بينما المسلمون يرون المسيحيين كفارًا وأعداء للإسلام. مثل هذه التبادلات لها تأثير سلبي على العلاقات المسيحية الإسلامية، وبالتالي فإن "التطلع إلى الهيمنة السياسية للمسلمين السلفيين لعب دورًا رئيسيًا في تدهور إرث التعايش السلمي بين المجتمعات الدينية المختلفة في أديس أبابا.

ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أن التوترات الطائفية الناجمة عن التعددية الدينية غالباً ما تكون بسبب إساءة استخدام الاختلافات. ويمكن أن يثير الدين الحساسيات العميقة والذكريات التاريخية. بالإضافة إلى الهويات السياسية والقبلية والإقليمية، يمكن للهويات الدينية أن تثير الانقسامات العميقة والكراهية والعداء التي تنتقل عبر الأجيال في معظم الحالات.

مما سبق يمكن الوصول إلى بعض النتائج المترتبة على تأثير العامل الديني على الهوية الإثيوبية:

- شيوع الصراعات في ظل تعدد الولاءات وتضاربها.
- تنامي النزعة التوسعية من جانب النظام الحاكم بانحيازه الواضح للديانة المسيحية.
- الاستئثار بالسلطة، فقد ظلت المسيحية الأرثوذكسية تمثل الدين الرسمي للدولة، خصوصاً في عهد هيلاسيلاسي، كما ظلت الأمهرية هي اللغة الرسمية، وظلت المناصب القيادية حكرًا على الأمهرا المسيحيين.
- تعاضد دور الحركات الانفصالية كالأورومية والعفارية والجماعات الصومالية الإثيوبية والجهة الوطنية لتحرير أوجادين للمطالبة بحق تقرير المصير وبشكل عام، فإن تاريخ التعدد الديني في إثيوبيا يحفل بغياب التعايش السلمي بين المسيحيين والمسلمين. فقد تم تقديم شخصية المسلم بطريقتين متناقضتين، كضحية يتعرض للتهميش والإيذاء، وكبطل يتميز بالقوة والبطش، وبالتالي يبرر المسلم أعمال العنف التاريخية التي يقوم بها المسلمون على أنها أعمال مقاومة أو كفاح ضد التهميش. لذلك عند الحديث عن التعايش الديني في إثيوبيا يدور الحديث حول الاعتراف بالآخر والترحيب به.

ثالثاً: البحث عن هوية وطنية موحدة:

بهذا المعنى فالوعي الوطني لدى الإثيوبيين كان يعبر عن الوحدة تحت حكم الإمبراطورية، وليس مفهوم المواطنة والانتماء للدولة. وبالرغم أن الأورومو يمثلون أغلبية عرقية في إثيوبيا، إلا أنهم يعانون الاضطهاد، نتيجة سياسات الحكومة الإثيوبية حيالهم. وتتهم الأورومو السلطات الإثيوبية بأنها

تعتمد تجاربها سياسة القتل والتنكيل والاعتقال العشوائي، واغتصاب النساء والتهجير القسري والاستيطان المنظم والإبادة الجماعية ومحاربة الثقافة الخاصة لقوميتها، وباعتمادها سياسة تركز انتشار الفقر والتخلف والجهل ومحاربة التنمية والتطور في مناطقها. ويقسم الأوروبيون بشكل عام إلى خمس مجموعات رئيسية تدعى أحيانا قبائل، لكنها في الواقع تجمعات لأشخاص يعتقدون بتحدرهم من سلف مشترك ويتكلمون لغة مشتركة فيما بينهم ويتقاسمون ثقافة مشتركة، والتجمعات الخمسة هي: ميتشا، وتولياما، وبورانما، وبارتوما، ووالو، وهي ترتبط تاريخيا عبر خمسة آباء كانوا قادة الحرب واستقروا في هذه الأقاليم الخمسة.

هذا التنوع الإثني انطبق على التنوع اللغوي فكل جماعة اختصت بلغة مختلفة كل الاختلاف عن الجماعات الأخرى فهناك (الأهمرية - التغرينية) حيث يوجد أكثر من ثلاثين لغة وإذا ما قسمت تلك اللغات على أساس اللهجات فأنها قد تصل إلى مئات اللهجات كما يحدث في الكثير من بلدان القارة الإفريقية.

في أوائل التسعينيات، بعد إعلان المناطق الجديدة على أساس عرقي، تدهورت العلاقات بين أورومو والجماعات الأخرى، مع خطاب عرقي قومي ظهر بين أورومو، مستوحى من كواد حركة تحرير أورومو (OLF)، وكذلك من قبل منظمة أورومو الديمقراطية الشعبية (OPDO)، وهو جزء من الائتلاف الحاكم الحالي EPRDF. وقد أدى هذا الخطاب إلى وقوع اشتباكات خطيرة في إثيوبيا. حتى ذلك الوقت، لم تكن أورومو نشطة وموحدة من أجل الاستقلال، ويرجع ذلك إلى ثلاثة أسباب:

١ - الانقسامات بين أورومو نتيجة مكائد النخب الإثيوبية، كما يشير الوطنيون الأورومو.

٢ - التشتت الجغرافي الواسع للجماعات الناطقة بلغة أورومو.

٣ - تنوع المجموعات الإقليمية.

بعد ذلك طوّرت مجموعات أورومو القبلية أنظمة سياسية مختلفة تمامًا. وتكمن وراء كل هذه القضايا مسألة الاستيعاب. حيث تتضمن فكرة أن أنظمة أورومو الاجتماعية كانت عرضة لعدم التوحيد، وأنها كانت مفتوحة لاستيعاب المجموعات التي جاءت عليها، من قبل الدولة الإثيوبية. حتى الدول المركزية نسبيا "فشلت في الاندماج في كيان سياسي واحد".

يمكن القول إذن، أنه كانت هناك مجموعة من العقبات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والتاريخية والجيوسياسية في طريق تحدي أورو مو الفعال والمنسق. وعلى عكس الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا، فإن جبهة تحرير أورو مو "كانت مستعدة لترك الباب مفتوحا أمام إمكانية التعايش داخل إثيوبيا". حيث كانت مشكلة جبهة تحرير أورو مو هي أنها كانت في الأساس قيادة خارجية: بمعنى أنهم كانوا منفصلين تمامًا عن الواقع اليومي في الوطن. والجدول التالي، يوضح الإثنيات الكبرى في إثيوبيا، وإن كانت تتفاوت فيما بينها من حيث العدد والظهور الثقافي والدور السياسي والاقتصادي.

جدول رقم (٦) يبين الإثنيات الكبرى في إثيوبيا

م	العرقية	النسبة
١	أورو مو	٣٤٪
٢	أمهرة	٢٧٪
٣	صومالي	٦,٢٪
٤	تيجراي	٦,١٪
٥	سيداما	٤٪
٦	جوراج	٢,٥٪
٧	ولايتا	٢,٣٪
٨	هدية	١,٧٪
٩	عفار	١,٧٪
١٠	جامو	١,٥٪
١١	جيداو	١,٣٪
١٢	سيلت	١,٣٪
١٣	كيفاكو	١,٢٪
١٤	عرقيات أخرى	٨,٨٪

المصدر: استنادا للبيانات المتاحة من كتاب الحقائق الأمريكي وفقا لتقدير العرقيات في عام ٢٠٠٧

مما سبق يتضح أن إثيوبيا لها تاريخ عريق، وأنهم من أقدم شعوب منطقة القرن الإفريقي، وقد أسفر هذا التاريخ الطويل للكيان الإثيوبي بمسمياته وجماعاته المختلفة عن عدة أبعاد رئيسية لها تأثيرها على الثقافة السياسية الإثيوبية وبالتالي على الهوية الوطنية:

- الموارث التاريخية والدينية التي تتعلق بإثيوبيا وإصرارها على تقديم نفسها كجزيرة مسيحية وسط بحر مسلم، لتصدر شعورا دائما بالاضطهاد لتكتسب تعاطف المجتمع الدولي.

- الانطباع الذي أخذه الإثيوبيون عن أنفسهم وعن أعدائهم باعتبارهم شعب مسيحي محاصر، تحيط به دول وشعوب معادية وأنهم يعيشون على أطراف منطقة مضطربة بشكل دائم، وأنهم هم وجيرانهم الأفارقة يشعرون بحساسية شديدة بالنسبة للجانب الأمني لدولتهم عموماً، ووحدتهم الوطنية بصفة خاصة.

قائمة المراجع

مراجع اللغة العربية:

أولاً: الكتب:

- ١ - إبراهيم نصر الدين، دراسات في النظم السياسية الإفريقية (القاهرة: دار اكتشاف، الطبعة الأولى، ٢٠١٠)
- ٢ - بيركيت هابتي سيلاسي، ترجمة عفيف الرزاز، الصراع في القرن الإفريقي، (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٠)
- ٣ - جمال محمد السيد ضلع، إثيوبيا: الأوضاع السياسية الداخلية والتوجهات الخارجية (ليبيا: الدار الجامعية للنشر والطباعة، ٢٠٠٨)
- ٤ - شروق رياض مصباح، الأقليات في إثيوبيا.. الأثروبولوجيا الاجتماعية (القاهرة: مكتبة الشروق، ٢٠١٨)
- ٥ - عبد السلام إبراهيم بغدادى، الوحدة الوطنية ومشكلة الأقليات في إفريقيا، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه (٢٣)، ٢٠٠٠)
- ٦ - محمد أحمد عبد اللطيف محمد، التطور السياسي لجهة تحرير الأورومو (القاهرة: المكتب العربي للمعارف، ٢٠١٥)
- ٧ - محمد رياض وكوثر عبد الرسول، إفريقيا دراسة لمقومات القارة (القاهرة: مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة، ٢٠١٤)
- ٨ - مريم شوحة، حسينة زعرور، الدولة القومية بين إدارة التعددية الإثنية وإستراتيجيات التسوية في منطقة القرن الإفريقي دراسة حالة إثيوبيا (برلين: المركز الديمقراطي العربي للدراسات السياسية والاقتصادية، ٢٠١٨)

ثانيا: المقالات والدوريات:

- ١ - إبراهيم ميرغني محمد، "الإثنية والديمقراطية في إثيوبيا"، مجلة دراسات المستقبل (الخرطوم: مركز دراسات المستقبل، المجلد ٢، العدد ١، ديسمبر ٢٠٠٥)
- ٢ - أحمد إبراهيم محمود، حرب الصومال: التداعيات الإقليمية والدولية، شؤون عربية (القاهرة: جامعة الدول العربية - الأمانة العامة، ع ١٢٩، ربيع ٢٠٠٧)
- ٣ - إجلال رأفت، "انعكاس قيام دولة الجنوب على الوضع في السودان وعلى دول الجوار"، سلسلة ملفات (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١١) الأمين عبد الرازق، إثيوبيا التطورات السياسية والعلاقات مع دول الجوار (١٩٩١ - ٢٠٠٩)، مجلة أمة الإسلام العلمية (الخرطوم: شركة مطابع السودان للعملة، ع ١٢، نوفمبر ٢٠١٢)
- ٤ - أيمن شبانة، القادم: الظهور الإثيوبي في جنوب الشرق الأوسط، مجلة السياسة الدولية (القاهرة: مؤسسة الأهرام، ٢٠١١/٩/٢)

<http://www.siyassa.org.eg/News/1772.aspx>

- ٥ - حسن مكي محمد أحمد، الأورومو (الجالا): دراسة تحليلية، دراسات إفريقية (الخرطوم: جامعة إفريقيا العالمية - المركز الإسلامي الإفريقي، ع ٣، أبريل ١٩٨٧)
- ٦ - خلود محمد خميس، "صنع القرار السياسي في إثيوبيا بعد عام ١٩٩١"، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية (بغداد: جامعة بغداد، مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، المجلد ٥، العدد ٤٧، ٢٠١٤)
- ٧ - عبد الوهاب الطيب البشير، التفاعلات الإثيوبية الداخلية وأثرها على توجهات السياسة الإثيوبية نحو العالم العربي، دراسات إفريقية (الخرطوم: مطبعة جامعة إفريقيا العالمية، العدد ٤٨، ٢٠١٢)
- ٨ - عمر السيد عبد الفتاح عامر، اللغة العربية في إثيوبيا، قراءات إفريقية (لندن: المنتدى الإسلامي، ع ٣، ديسمبر ٢٠٠٨)
- ٩ - مواهب محمد أحمد، القوميات الإثيوبية والتجربة الديمقراطية، مجلة دراسات استراتيجية (العدد ٥، يناير ١٩٩٦) ص ١١٢

ثالثا: التقارير والنشرات والمؤتمرات والندوات

- ١ - بشير نور علي، "النزاع الحدودي بين الصومال وكينيا"، التقرير الأسبوعي رقم ٢٥ (مقديشو: مؤسسة الصومال الجديد للإعلام والبحوث والتنمية، ٢٥ مارس ٢٠١٨)
- ٢ - -----، "النزاع الحدودي بين الصومال وإثيوبيا الأسباب والنتائج"، التقرير الأسبوعي رقم ٢٠ (مقديشو: مؤسسة الصومال الجديد للإعلام والبحوث والتنمية، ٢٣ فبراير ٢٠١٨)
- ٣ - خير عمر، "إثيوبيا ومسألة المياه والطاقة والانتخابات البرلمانية" في: د. محمود أبو العينين (محرر) التقرير الاستراتيجي الإفريقي ٢٠١٠ / ٢٠١١ (القاهرة: معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة)

٤ - راجية محمد عفت، التطور اللغوي في إثيوبيا ومكانة اللغة العربية بين اللغات في إثيوبيا، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، قسم اللغات، اللغة والثقافة في إفريقيا، أعمال المؤتمر الدولي ٢٧ - ٢٨ بمناسبة الاحتفال بمرور ثلاثين عاما على تأسيس قسم اللغات، جامعة القاهرة

رابعاً: الرسائل العلمية

١ - رجاء إبراهيم سليم: التبادل الطلابي بين مصر والدول الإفريقية في الفترة من ١٩٥٢ - ١٩٨٥، أطروحة دكتوراه، (القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ١٩٨٨)

خامساً: الشبكة الدولية للمعلومات

١ - جهاد عمر الخطيب، "قراءة في تحولات بيئة النظام السياسي الإثيوبي: قراءة في الملامح والتداعيات"، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، ١٢/٦/٢٠١٨.

<https://www.politics-dz.com>

محمد الدابولي، إثيوبيا بعد اختيار أبي أحمد: تحديات معقدة ومسارات متشابكة، مركز البديل للتخطيط والدراسات الاستراتيجية، ٢١ أبريل ٢٠١٨

<https://elbadil-pss.org/2018/04/21>

مراجع اللغة الإنجليزية

DOCUMENTS

1 - Constitution of the Federal Democratic Republic of Ethiopia, 1994.

Books

- 1 - Kathryn A. Woolard, (ed.) Language Ideologies; Practice and Theory, (Oxford; Oxford university press, 1998)
- 2 - Levine D.. Greater Ethiopia; The Evolution of a Multiethnic Society. (London; University of Chicago Press, 1974)
- 3 - Markakis J "Ethiopia; Anatomy of Traditional Polity." (London, New York, Oxford; Clarendon Press, 1974)
- 4 - Mohammed Hassan, The Oromo of Ethiopia; A History 1570-1860, (Cambridge; Cambridge University Press, (1994)
- 5 - Ricento, T. Ideology, Politics and Language Policies; Focus on English, ed. (Amsterdam; John Benjamins. 2000)

- 6 – Ward G and Hoelzl M (eds) The New Visibility of Religion; Studies in Religion and Cultural Hermeneutics, (London & New York; Continuum,48; Taylor C. 2011)

Articles

- 1 – Abiodun Salawu, Asemahagn Aseres, Language policy, ideologies, power and the Ethiopian media, South African Journal for Communication Theory and Research (London; North West University], Publisher; Routledge Informa Ltd Registered in England and Wales Registered On; 16 April 2015)
- 2 – Hussein Ahmed, Coexistence and/or Confrontation?; Towards a Reappraisal of Christian–Muslim Encounter in Contemporary Ethiopia, Journal of Religion in Africa, (Leiden; Boston Brill Publishers, Volume 36; Issue 1 Jan 2006)
- 3 – Jon Abbink, Ethnicity and constitutionalism in contemporary Ethiopia, Journal of African Law, (Leiden; African Studies Centre, Vol. 41 No. 2, 1997)
- 4 – Smith, L. 'The Politics of Contemporary Language Policy in Ethiopia.' Journal of Developing Societies (California; Sage publishing, 24, 2, 2008)
- 5 – TOBIAS HAGMANN, ETHIOPIAN POLITICAL CULTURE STRIKES, African, (Oxford; Oxford University Press, August 2006)

Reports, Publications...

- 1 – Loukeris K "Religion and Nationalism; The Greek–Turkish and Ethio–Somali Conflicts." Working Paper Series No. 196, Institute for Social Studies, Netherlands 1995)

Theses.

- 1 – Anwar M. "The Salafi Movement in Islam,". For an account of peaceful coexistence in confert to the study conducted by Beyene, Religious Tolerance in Addis Ababa, 1991–2008. Master's thesis, (Addis Ababa; Institute of Ethiopian Studies, Addis Ababa University, 2009)
- 2 – Sarah Vaughan, Ethnicity and Power in Ethiopia, PhD (Edinburgh; The University of Edinburgh, 2003)

- 3-Zemelak Ayele, Local Government in Ethiopia; Adequately Empowered?, a research paper submitted in partial fulfilment of the requirement for the LL.MDegree, The Faculty of Law, University of the Western Cape, 2008), Internet
- 1 – Erlich H "Islam and Christianity in the Horn of Africa; Somalia, Ethiopia, Sudan."; Boulder, Colorado, Lynne Rienner, USA, (accessed August 27, 2012).
- 2-<http://www.fragilestates.org/about/articles-and-publications/topics/social-cohesion/>

التمكين السياسي للمرأة في أفريقيا بين الضروريات والتحديات

السودان نموذجا

إعداد/ د. ريم محمد موسى

أستاذ العلوم السياسية والعلاقات الدولية المشارك

عميد كلية الدراسات الاجتماعية والاقتصادية - جامعة بحري (السودان)

مقدمة:

يرتبط مفهوم التمكين ارتباطاً وثيقاً بمفهوم تحقيق الذات أو حضورها وتعزيز قدرتها في المشاركة والاختيار الحر. والتمكين السياسي للمرأة هو جعل المرأة ممتلئة للقوة والامكانيات لتكون عنصراً فاعلاً في التغيير وتعزيز قدرتها على المشاركة السياسية وبالتالي وصولها إلى مراكز صنع القرار أو المراكز التي تؤثر على صنع القرار.

تهدف الورقة أن تطلع بمهام المعالجة الفكرية لظاهرة التمكين السياسي للمرأة في القارة الأفريقية بين الضروريات والتحديات التي تواجه الظاهرة، حيث عمدت الورقة إلى تحليل واقع تمكين المرأة السودانية والتحديات التي تواجه عملية التمكين باعتبار أن السودان من الدول الأفريقية الرائدة في هذا المجال.

وتأتي أهمية الورقة من أهمية الظاهرة، إذ أن المجتمعات الأفريقية تعاني من أرث ثقافي متخلف ناجم عن الاستعمار مشوهاً القيم السائدة مما انعكس بصورة سلبية على المشاركة السياسية للمرأة في عديد من الدول الأفريقية وبالتالي انعدام قدرة المرأة في هذه الدول على المشاركة في صياغة مصير مجتمعاتها. في وجود فرضية أساسية تتمثل في أنه هنالك ارتباط وثيق بين التمكين السياسي وبين ثقافة المجتمع وقيمه، وهنالك علاقة واضحة بين مستوى تعليم المرأة وبين التمكين السياسي لها.

وتناقش الورقة المحاور الآتية:

- أولاً - التمكين السياسي والمشاركة السياسية.. مدخل مفاهيمي.
- ثانياً - المرتكزات القانونية للتمكين السياسي للمرأة في السودان.
- ثالثاً - واقع التمكين السياسي للمرأة في المجتمع السوداني.
- رابعاً - التحديات التي تراجع تمكين المرأة سياسياً في السودان.
- خامساً - تفعيل عمل المرأة بالمجال السياسي في السودان.. رؤية مستقبلية.

أولاً- المشاركة السياسية والتمكين السياسي.. مدخل مفاهيمي :

يعرف (سيدني فيربا) و(نورمان ني) المشاركة السياسية بأنها تلك النشاطات ذات الطابع الشرعي التي يمارسها المواطنون معينون، والتي تستهدف بصورة أو بأخرى التأثير على عملية اختيار رجال الحكم، أو التأثير في الأفعال التي يقومون بها وكذلك التأثير على القرارات الحكومية^(١).

وهناك تعريف صموئيل هانتجتون وجون نلسون للمشاركة السياسية بأنها النشاط الذي يقوم به المواطنون العاديون بقصد التأثير في عملية صنع القرار الحكومي سواء كان هذا النشاط فردياً أم جماعياً، منظمًا أم عفويًا، متواصلًا أم منقطعًا، سلميًا أم عنيفًا، شرعيًا أم غير شرعي^(٢).

والمعنى الأكثر شيوعًا لمفهوم المشاركة السياسية هو قدرة المواطنين على التعبير العلني والتأثير في اتخاذ القرارات سواء بشكل مباشر أو عن طريق ممثلين يفعلون ذلك، حيث تقتضي المشاركة السياسية وجود مجموعة بشرية تتكون من المواطنين يتوفر لديهم الشعور

(١) مولود زايد الطيب، علم الاجتماع السياسي، الزاوية: منشورات جامعة السابع من أبريل، الطبعة الأولى ٢٠٠٧، ص ٨٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٧.

بالانتماء إلى هذه المجموعة، وبضرورة التعبير عن إرادتها متى توفرت لديهم الإمكانيات المادية والمعنوية ووسائل وآليات التعبير.

وتعتبر المشاركة السياسية في أي مجتمع هي محصلة نهائية لجملة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والمعرفية والثقافية والسياسية تتضافر في تحديد بنية المجتمع المعني ونظامه السياسي وسماتها، وهي مبدأ ديمقراطي تعتبر من أهم مبادئ الدولة القومية الحديثة تميز بين الأنظمة الديمقراطية التي تقوم على المواطنة والمساواة في الحقوق والواجبات، وبين الأنظمة الشمولية والاستبدادية التي تقوم على الاحتكار.

وتمر المشاركة السياسية بدرجات ومراحل مختلفة حيث تبدأ بالاهتمام بالشأن العام أو السياسي ثم تتطور إلى الانخراط السياسي، وتتحول إلى القيام بنشاط سياسي ثم تنتهي بالوعي بضرورة تحمل المسؤوليات السياسية وتعاطي النشاطات السياسية وكل أشكال العمل السياسي^(١).

التمكين هو امتلاك الفرد للقوة ليصبح عضواً مشاركاً بفعالية في شتى مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية، أي امتلاكه القدرة في إحداث تغيير في الآخر الذي قد يكون فرداً أو جماعة أو مجتمع، وبالتالي فإن مفهوم التمكين يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهوم تحقيق الذات وتعزيز قدراتها في المشاركة والاختيار الحر.

والتمكين السياسي للمرأة هو جعلها ممتلئة للقوة والإمكانيات والقدرة لتكون عنصراً فاعلاً في التغيير - بمعنى أن مفهوم التمكين السياسي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتحقيق ذات المرأة وحضورها على أرض الواقع بتعزيز قدرتها في المشاركة السياسية من خلال مشاركتها بصورة جدية وفعالة في كافة نشاطات المنظمات السياسية والشعبية الأخرى .

ويكون ذلك بإيصال المرأة إلى مواقع اتخاذ القرار في المجتمع وفي الأجهزة التشريعية، وتعزيز دورها في هذه المواقع لتكون قادرة على تغيير مواقعها وتغيير الآخرين. وعليه فإن التمكين السياسي للمرأة هو وصولها إلى مراكز صنع القرار والمراكز التي تؤثر في صنع القرار ووضع السياسات.

(١) إيمان بيرس، المشاركة السياسية للمرأة في الوطن العربي، ورقة مقدمة لجمعية نهوض وتنمية المرأة، ص ٥.

والمشاركة السياسية للمرأة بصورة عامة في الحياة السياسية مرهونة بظروف المجتمع الذي تعيش فيه وتتوقف درجة المشاركة على ما يتمتع به المجتمع من حرية وديمقراطية من الناحية السياسية، وعلى مدى الحريات الممنوحة، وتأثير المشاركة السياسية للمرأة يأتي في دعم المساواة لحقوق الإنسان التي تتمثل في أبعاد عديدة من بينها المساواة في إمكانية الحصول على الخدمات الاجتماعية الأساسية، والمساواة في فرص المشاركة في صنع القرارات السياسية والاقتصادية، والمساواة في الحقوق وعدم التمييز حسب النوع^(١).

واحتلت المشاركة السياسية للمرأة أهمية مركزية في النشاطات الموجهة لتحسين وضع المرأة ومكانتها في المجتمعات الأفريقية، وتكمن أهمية مشاركة المرأة في أفريقيا في المستويات المختلفة في كونها تتيح للنساء المشاركة في تخطيط السياسات وتوجيهها بشكل يخدم فكرة المساواة بين كل المواطنين وليس فقط بين الرجل والمرأة.

ثانياً - المرتكزات القانونية للتمكين السياسي للمرأة في السودان.

الدستور: أكد الدستور الانتقالي على تعزيز جميع حقوق الإنسان والحريات الأساسية وأعطى أولوية قصوى إلى تدعيم حقوق المرأة في جميع النواحي.

التشريعات الوطنية: حيث تكفل القوانين السودانية للمرأة جميع حقوقها على أساس المساواة العادلة وعدم التمييز. حيث نصت المادة (٢٨) من الدستور على الاجر المتساوي في العمل المتساوي على أساس طبيعة العمل، والقاعدة العامة في قانون الخدمة المدنية تولي الوظيفة العامة على أساس الجدارة دون تمييز. كما نصت المادة (٥٩) في لائحة الخدمة المدنية لعام ٢٠٠٧ لحد المتساوي في الترقية والمادة (٦) من ذات اللائحة تنص أن يكون أساس الاختيار وتقويم المتنافسين على الترقية على الجدارة، كما راعت اللائحة استحقاق المرأة العاملة لإجازة وضوح لمدة (٨) أسابيع باجر كامل، كما تمنح المادة (١٠٤) المرأة المتوفي زوجها إجازة عدة بمرتب كامل^(٢).

(١) ريم محمد موسى، معوقات المشاركة السياسية للمرأة في العالم العربي، مجلة العلوم السياسية، العدد الثالث - يونيو ٢٠١٦، الجمعية السودانية للعلوم السياسية، الخرطوم، ص ١٢٢.

(٢) وسيم حسام الدين، التمكين السياسي للمرأة العربية - دراسة مقارنة، مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن - الرياض، ص ٢٦٨.

ويلاحظ أن الأحكام المنظمة لقوانين العمل والتشريعات واللوائح لا تفرق بين العاملين في النوع باعتبار أنهم الأسرة التي تكون مجتمع العمل.

ونصت المادة (٢٩) من قانون الانتخابات السودانية رقم (١١) للعام ٢٠٠٨ على أن: يتكون المجلس الوطني من (٤٥٠) عضواً منتخباً على أن يكون ٢٥٪ منهم نساء يتم انتخابهم على أساس التمثيل النسبي عبر قوائم حزبية منفصلة ومغلقة ويفوز بالمقاعد المخصصة للقوائم الحزبية وقوائم المرأة مرشحو ومرشحات تلك القوائم حسب ترتيب ورودهم في القائمة المعنية من الأعلى إلى الأسفل (المادة ٣٣ فقرة ٧).

الاتفاقيات الدولية: انضم السودان إلى خمس ن اتفاقيات الأمم المتحدة المعنية بحقوق الإنسان أهمها:

- العهدان الدوليان الخاصان بالحقوق المدنية والسياسية.
- الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية عام ١٩٨٨.
- القضاء على جميع أشكال التمييز العنصري عام ١٩٧٧.
- كما انضم السودان إلى سبعة من اتفاقيات منظمة العمل الدولية المعنية بحقوق الإنسان:
- الاتفاقية (٩٨) الخاصة بحق التنظيم والمفاوضة الاجتماعية لعام ١٩٥٧.
- الاتفاقيتان المعنيتان بالقضاء على السخرة والعمل الإجباري لعامي ١٩٥٠ - ١٩٥٧.
- الاتفاقيتان ١٠٠ - ١١١ المعنيتان بالتمييز في شغل الوظائف لعام ١٩٧٠.

وفيما يتعلق بالمواثيق الإقليمية وافق السودان على إعلان القاهرة لحقوق الإنسان في الإسلام الصادر عن مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية عام ١٩٩٠، وهو عبارة عن وثيقة إرشادية لا تحتاج إلى تصديق. كما وافق على الميثاق العربي لحقوق الإنسان المعدل الذي اعتمدته القمة العربية في تونس عام ٢٠٠٤، ولكنه لم يصادق عليه شأن معظم البلدان العربية. كما انضم للميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب لعام ١٩٨٦.

ثالثاً - واقع التمكين السياسي للمرأة في المجتمع السوداني؛

ظل مجال العمل السياسي في عرف المجتمع السوداني ولفترات طويلة قاصراً على الرجال دون النساء، وحتى عندما اشتركت المرأة في الحركة الوطنية والنضال ضد الاستعمار كان ذلك بمساعدة الجو العام وبتشجيع من بعض الرجال، وقد حاولت حكومة الاستعمار وضع لوائح لتقييد النساء والحد من مشاركتهن في النقابات مع الرجال، وشهد المجتمع المدني منذ نهاية الأربعينيات قيام العديد من التنظيمات النسائية كان أهمها الاتحاد النسائي الذي كونه الرائدات المتعلقات وانضمت النساء الى الاحزاب السياسية وبعد ان خاضت البلاد الانتخابات مرتين بعد الاستقلال لم يكن للنساء أي حقوق سياسية بل لقد وجدت مقاومة ومعارضة من بعض الفئات، لكن بعد نضال الحركة النسائية نالت المرأة حق الانتخاب وحق الترشيح في عام ١٩٦٥ ومارست بعض النساء هذه الحقوق في فترات الديمقراطية القصيرة، فشاركت النساء في عملية التعبئة السياسية وكن ينتمين الى عدة أحزاب سياسية وتم انتخاب أول امرأة في الجمعية التأسيسية عام ١٩٦٥ وهي الانتخابات الأولى بعد ثورة أكتوبر والتي أكدت مدى استفادة الأحزاب السياسية من اصوات النساء، فكان مجموع الذين صوتوا في كل المديرية ٧٢٪ نساء مقابل ٧٤٪ رجال، وكانت نسبة التصويت في العاصمة الخرطوم ٨٣٪ نساء مقابل ٧٨٪ رجال. ثم دخلت المرأة في العام ١٩٦٨ ضمن دوائر الخريجين إمراتان، كما تم تعيين نساء في الاتحاد الاشتراكي في السبعينيات وفي المجلس الوطني في التسعينيات^(١).

وفي دستور السودان لعام ١٩٥٦ المؤقت الذي تضمن السلطات العامة للدولة حديثة الاستقلال فحدد اختصاصها وشكل الحكم فيها، ولم يعطي اهتمام كبير لقضايا المرأة والمجتمع، باستثناء المادة (٤) التي نصت على أن جميع الأشخاص في السودان احرار ومتساوين أمام القانون ولا يحرم اي سوداني من حقوقه بسبب المولد أو الدين أو العنصر، وفي ذلك كان نصيب المرأة متساوياً مع حق الرجل^(٢).

(١) نازك الملايكة محبوب عثمان، المشاركة السياسية للمرأة السودانية، ورقة قدمت في أعمال المنتدى الديمقراطي الأول للمرأة العربية «التمكين السياسي للنساء خطوة ضرورية نحو الإصلاح السياسي في الوطن العربي»، صنعاء، سبتمبر ٢٠٠٤، موجودة على الموقع: www.sudan-forall.org

(٢) سعد إبراهيم عيسى، حقوق المرأة بين الأقرار والقانون والتطبيق في الممارسة، الخرطوم، ٢٠١٠، ص ٦٢.

وفي الدستور الصادر عام ١٩٦٤ بعد نجاح ثورة أكتوبر عام ١٩٦٤، تم إدخال بعض التعديلات على دستور عام ١٩٥٦ فقد نص الدستور على مبدأ الحرية والمساواة والحقوق المدنية والسياسية لجميع المواطنين دون تمييز حسب نص المادة (١/٤).

ويمكن القول بأن دستور عام ١٩٦٤ قد كفل الحرية والمساواة ومبدأ التكافؤ القومي بدون تمييز بين الرجال والنساء، وبالرغم من ذلك فإن ذلك الدستور لم يعطي المرأة ما يتناسب مع مشاركتها في ثورة أكتوبر ولم يتم مشاركتها في وضع الدستور.

ويعتبر دستور السودان الدائم لعام ١٩٧٣ من أكثر الدساتير التي تحقق في ظلها المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة في الكثير من الحقوق والواجبات، حيث نصت المادة (٣٣) على أن حق الملكية مكفول للمواطنين ما لم يضر بالصالح العام، والمادة (٥٥) تنص على حق العناية للأمهات والمرأة العاملة وتوفير الضمانات الكافية.

وسرت دساتير متنوعة بعد دستور السودان الدائم لعام ١٩٧٣ مثل دستور عام ١٩٨٨ خلال فترة الحكم العسكري الثالث وهو الدستور الذي أصبح أحد مصادر الدستور الوطني الانتقالي لعام ٢٠٠٥ حيث آمن الدستور على كل حقوق المرأة ومشاركتها في العمل السياسي بدءاً من اللجنة الشعبية وحتى المجلس الوطني الانتقالي الذي يعتبر أعلى سلطة تشريعية بالبلاد. و نص دستور عام ٢٠٠٥ على اتخاذ تدابير لضمان حقوق المرأة والمساواة النوعية امام القانون، وضرورة تعديل القوانين التي تكرس للعنف أو التمييز ضد المرأة، والنص على الالتزام بالمواثيق الدولية الخاصة بالمرأة.

كما أكد دستور ٢٠٠٥ على أن المواطنة هي أساس الحقوق للنساء والرجال بجانب الانتخابات التي تعتبر كعملية سياسية إحدى المؤشرات التي تعكس مدى الوعي السياسي الذي تتمتع به المرأة بقياس مشاركتها في التصويت من ناحية والترشيح من ناحية أخرى، فقد صدر قانون للانتخابات عام ٢٠٠٨ يؤكد زيادة مشاركة المرأة في العمل العام وفي النشاط السياسي خاصة بعد انتشار التعليم.

وقد شاركت المرأة السودانية قديماً في العمل السياسي على الصعيد الجماهيري والرسمي بفعالية من خلال القبيلة في كثير من مناطق السودان وساهمت في تحريك الجماهير وحسم

مسائل في غاية الأهمية مثل مسائل السلم والحرب والهجرة، والآن تشارك المرأة السودانية بفعالية في عملية اتخاذ القرار السياسي من خلال حق التصويت والحق في توالي الوظائف العامة وتأدية المهام وحق الترشيح في المجالس التشريعية وفي صياغة وتنفيذ السياسات العامة للدولة^(١).

ودخلت المرأة السودانية العمل السياسي منذ منتصف القرن الماضي وقبل ذلك لم تكن مشاركتها السياسية بصورة فاعلة، واستطاعت إنشاء أمانات متخصصة للمرأة في العديد من الأحزاب السياسية لكن هذه الأمانات تأثرت بضعف العمل الحزبي عمومًا في السودان في فترات الأنظمة الغير ديموقراطية، وكانت مشاركة المرأة ضعيفة بسبب ضعف الوعي بالحقوق والواجبات السياسية وتعدد ادوار المرأة بحيث لا يسمح لها الوقت بممارسة العمل السياسي، إذ شاركت إمرأه واحدة في الجمعية التأسيسية عام ١٩٦٥ من بين ٢٣٣ عضو بنسبة ٠,٦٪، ثم زادت النسبة في فترة الديموقراطية الثالثة فكانت ٩,٢٪ في المجلس الوطني الانتقالي عام ١٩٩٤، ثم زادت بعد التوقيع على اتفاقية السلام الشامل عام ٢٠٠٥ لتصل إلى ١٣٪^(٢).

ويمكن القول أن المرأة بفضل انتشار التعليم وإتاحة الفرص لها تبوّأت مناصب عليا في الدولة واصبحت تشكل نسبة لا يستهان بها في الخدمة العامة والمناصب السياسية التنفيذية والتشريعية، وجاءت أول مشاركة للمرأة السودانية في العام ١٩٧٣ حيث أصبحت وزيرة ثم وزيرة دولة ونائب وزير، وفي العام ١٩٩٩ دخلت المرأة المحكمة العليا وتقلدت منصب والي «ولاية جوبا سابقًا قبل الانفصال» في العام ٢٠٠٠ ثم منصب سفير.

وتؤكد دراسة عرض القوة العاملة في العام ١٩٩٦ أن العاملين في المناصب العليا يمثلون ٩,٤٪ من القوى العاملة فيهم ٩٦,٩٪ رجال و ٣,٣٪ نساء يتمركز معظمهن في الحضر بالرغم من أن النساء يمثلن ٤٤٪ من العاملين^(٣).

(١) حيدر إبراهيم، المرأة السودانية في الحياة العامة، الخرطوم، ٢٠٠٣، ص ٣٨.

(٢) حجة كاشف بدري، الحركة النسائية في السودان، الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر، ٢٠٠٩، ص ٢٧.

(٣) بلقيس بدري وعطا البطحاني، مشاركة المرأة السودانية في الحياة السياسية والعامة، في المشاركة السياسية للمرأة العربية تحديات أمام التكريس الفعلي للمواطنة «دراسة ميدانية شملت ١٤ بلدًا عربيًا، تونس: المعهد العربي لحقوق الإنسان، ٢٠٠٤، ص ٢٠١.

وشملت مشاركة المرأة في الأحزاب التسجيل في سجلات الانتخابات والتصويت، وشاركت المرأة في الانتخابات بفاعلية، وتطور عمل المرأة السياسي أبان ثورة أكتوبر ١٩٦٤ واثبتت المرأة قدرتها على العمل السياسي واستطاعت أن تكتسب الثقة في قدرتها، ولكن ذلك ينطبق على عدد قليل من النساء كما أنه لم يؤدي إلى أن تتبوأ المرأة منصب رئيسة أو نائب رئيس حزب سياسي أو يتساوى عدد النساء في المناصب القيادية داخل الأحزاب نفسها^(١).

جدول يوضح تمثيل المرأة السودانية في البرلمانات المختلفة من ١٩٥٨ - ١٩٩٦

التاريخ	عدد المقاعد	مقاعد النساء	بالانتخاب	بالتعيين	% النساء
١٩٥٨	٩٥	-	-	-	-
١٩٦٠-١٩٦٤	-	-	-	-	-
١٩٦٥	٢٣٣	١	١	-	٠,٤
١٩٦٨	٢٥٥	٠	٠	-	٠
١٩٧٢-١٩٧٣	٢٥٠	١٤	١٠	٤	٥,٥
١٩٧٤-١٩٧٧	٣٠٤	١٢	-	-	٤,٨
١٩٨٧-١٩٨٠	٣٦٨	١٨	-	-	٥,٩
١٩٨٠-١٩٨١	١٥٣	١٨	-	-	٤,٩
١٩٨٢-١٩٨٣	٢٧٢	١٤	-	-	٩,٢
١٩٨٦	٣٠١	٢	٢	-	٠,٧
١٩٩٢-١٩٩٤	٤٠٠	٢٤	-	٢٤	٧,٩
١٩٩٦		٢١	١	٢١	٥,٧

المصدر: بلقيس بدري و عطا البطحاني، مشاركة المرأة السودانية في الحياة السياسية والعامّة.

(١) محاسن عبد العال، المرأة السودانية والعمل السياسي، الخرطوم، ١٩٩٩.

يتضح من الجدول أن مشاركة المرأة لم تتعدي نسبة ١٠٪ حتى عام ١٩٩٦، وأن النساء لم يقدن حملات من أجل حقوق المرأة بسبب قلة النشاطات أو عدم الوعي بأهمية قضايا المرأة.

وارتفعت نسبة النساء إلى الرجال في البرلمان منذ الاستقلال من ٦, ٠٪ في الجمعية التأسيسية ١٩٦٥ إلى ٩, ٢٪ في المجلس الوطني الانتقالي في العام ١٩٩٤، واستطاعت المرأة أن تتبوأ منصب نائب رئيس للبرلمان في العام ٢٠١١، ويعكس ضعف تولي المناصب القيادية سواء كان في الأحزاب أو في البرلمان إلى العقلية الذكورية المهيمنة التي تركز دور المرأة وهيمنة الرجل، ونظرًا لهذا التناقض بين حماسة المرأة للتصويت في الانتخابات ومساهمتها في الحركة الوطنية وبين ضعف تمثيلها في المناصب القيادية تتأكد أهمية تغير القيم لتعزيز مكانة المرأة ودورها القيادي.

تمثيل المرأة في البرلمانات: أرتبط وجود المرأة في البرلمان بزيادة نظام المحاصصة (الكوتا) عام ١٩٦٥ حيث فازت امرأة واحدة عن طريق دائرة الخريجين واعيد انتخابها في نفس الدائرة عام ١٩٦٨. وعند تعيين مجلس الشعب عام ١٩٧٢ تم تعيين سيدة واحدة وبعدها أقرت قواعد انتخابات مجلس الشعب عشرة مقاعد للنساء في مجلس الشعب بمعدل مقعد لاتحاد النساء في كل مديرية، وقد ارتفع نظام الحصص وفقًا للجدول الآتي:

السنة	المؤسسة التشريعية	عدد الأعضاء	عدد النساء	العدد الكلي
١٩٦٤	البرلمان	٢٦١	١	٠, ٤
١٩٦٨	الجمعية التأسيسية	٢٦١	-	-
١٩٧٢	مجلس الشعب الأول	٢٢٥	١١	٤, ٩
١٩٧٤	مجلس الشعب الثاني	٢٥٠	١٢	٤, ٨
١٩٧٨	مجلس الشعب الثالث	٣٠٤	١٧	٥, ٥
١٩٨٠	مجلس الشعب الرابع	٣٦٨	١٨	٤, ٨
١٩٨٤	مجلس الشعب الخامس	١٥٣	١٤	٩, ١

١٩٨٦	الجمعية التأسيسية	٢٦١	٢	٠,٨
١٩٩٤	المجلس الوطني الانتقالي	٣٠٠	٢٥	٨,٣
١٩٩٦	المجلس الوطني الانتقالي	٤٠٠	٢١	٥,٣
٢٠٠١	المجلس الوطني الانتقالي	٣٦٠	٣٥	٩,٧
٢٠٠٧	المجلس الوطني الانتقالي	٤٥٠	٨٥	١٨,٢
٢٠١٠	المجلس الوطني الانتقالي	٥٠	١١٤	

المصدر: بليقيس بدري وعطا البطحاني

وقد ارتفعت نسبة المشاركة في الانتخابات من ٩, ٢٧٪ في عام ١٩٦٨ إلى ٧٠٪ في عام ٢٠٠٠، وصل عدد النساء بالبرلمان (٨٥) تمثل ١٩, ٧٪ من مجموع الموجودين بالبرلمان، وهذه نسبة لا توجد في أي دولة في المحيط الأفريقي.

تعيين المرأة في الوظائف العامة: تولت المرأة منصب والي ولاية وعميدة كلية ونائب مدير جامعة ولاحقاً مدير جامعة، وعينت لأول مرة في السلك الدبلوماسي عام ١٩٧٠ وتدرجت حتى وزير مفوض ثم سفير، وفي عام ٢٠٠٨ تم تعيين أول سفيرة بالخارجية وتم تعيين عدد (٤٥) دبلوماسية وترفع (٩) دبلوماسيات إلى درجة سفير^(١).

تمثيل المرأة في السلك القضائي: حيث تقلدت المرأة السودانية مناصب رفيعة في السلطة القضائية، والتي شاركت فيها منذ عشرات السنين وتبوءت منصب قاضي وقاضي محكمة عليا، وكان أول تعيين للنساء علم ١٩٦٥ ووصلت المرأة لقاضي استئناف، ثم للمعاش في العام ١٩٨٩.

رابعاً - التحديات التي تراجع تمكين المرأة سياسياً في السودان.

هناك معوقات تقلل من فاعلية المشاركة السياسية للمرأة في أفريقيا بصورة عامة، وفي السودان على وجه الخصوص يمكن توضيحها بشيء من التفصيل على النحو التالي:

(١) عطا البطحاني وبليقيس بدري، مصدر سابق، ص ١٨٠.

العوامل السياسية: من أهم العوائق السياسية أن ميدان العمل السياسي يتميز بسيطرة ذكورية وبالتالي فإن البنية السياسية تركز نمط العلاقات الذكورية المسيطرة، مما يعكس ضعف وهشاشة الدعم الحزبي للمرأة حيث أن معظم الأحزاب لا تقدر دور المرأة ومكانتها في العمل العام والسياسي.

إضافة إلى أن المناخ الانتخابي يؤثر سلباً على مشاركة النساء والرجال على حد سواء، حيث تسيطر آليات استخدام العنف والفساد وسلاح المال على المناخ السياسي، بجانب الافتقار إلى إطار تشريعي للتمييز الإيجابي لصالح المرأة، بينما يعتبر السودان من أهم الدول الأفريقية التي تعتمد نظام الكوتا النسائية.

وهناك غياب تام لثقافة الديمقراطية وحقوق الإنسان وشيوع ثقافة الاستبداد والتسلط وأيضاً هيمنة القبيلة والطائفية والعشائرية على نظام الانتخابات

العوامل الاقتصادية: حيث تعتبر السياسات الرأسمالية بصورة عامة على قدر كبير من التمييز وفقاً للجنس، وبالتالي تدني رواتب النساء بسبب ضعف موقعهن الوظيفي والاقتصادي مما يؤدي إلى انخفاض في نسبة الدخل لدى النساء وعليه يصعب عليهن مسايرة الوضع المعيشي.

كما تؤثر التحولات الاقتصادية في المجتمع على المرأة بصورة أكبر من الرجل، فالمرأة في المجتمعات الأفريقية قلما تتمتع باستقلالية اقتصادية بسبب الفقر والزواج نتيجة للحروب العرقية والأهلية في البيئة الأفريقية، حيث تمثل هذه العوامل مجتمعة أهم العوائق التي تحول دون مشاركة وتمكين المرأة في العمل السياسي.

العوامل الاجتماعية والثقافية: الثقافة الشعبية في المجتمع تعمل على التفرقة بين الشأن العام والخاص وتحدد أن دور المرأة يختصر على العمل الخاص ويعتبر إدارة الدولة من اختصاص الرجل، فمثلاً في بعض الدول قيد النساء في السجلات الانتخابية أعلي من الرجال وليست من منطلق الحرص على المشاركة وإنما على استغلال الأصوات، وهناك أيضاً ارتفاع نسبة الأمية بصورة ملحوظة في أفريقيا خاصة أوساط النساء حيث بلغت نسبة الأمية فيهن.

وهناك غياب للقوانين المنصفة للمرأة في معظم التشريعات، حيث يتم منحها حقوقها السياسية دون المدنية وكلتا الأمرين لا ينفك عن الآخر، فتوفر الحقوق السياسية دون المدنية يجعلها تحجم عن العمل السياسي في سبيل الحصول على الحقوق المدنية.

معوقات التمكين والمشاركة السياسية للمرأة السودانية:

وهناك تحديات تواجه المرأة السودانية في إطار مساهمتها في العمل العام بصورة عامة والعمل السياسي على وجه الخصوص، ويمكن أن تقسم هذه التحديات إلى عدد من العوامل هي:

العوامل الثقافية: وتشمل القيم والموروثات والإيديولوجيات التي تؤثر في تشكيل السلوك، وأهم تلك الثقافات التي تؤثر في مشاركة المرأة السياسية هي الثقافة الذكورية التي تعمل على تكريس دور المرأة في الحياة الخاصة، ومعظم الثقافة السائدة في العديد من المجتمعات السودانية خاصة في شمال وسط وشرق السودان تؤكد على دونية المرأة.

العوامل القانونية والاجتماعية: حيث لا توجد لوائح تنص وتلزم الأحزاب السياسية من ادخال نظام الكوتا في الترشيح للنساء^(١)، والقوانين الحالية تؤكد على تعيين عدد من المقاعد في المجالس الوطنية للنساء حيث أن دون تلك التعيينات تعجز المرأة عن المنافسة الحرة مع الرجال لعدم وجود قوانين أخرى تستطيع المرأة بواسطتها اجتياز حاجز الفرص الكبيرة للرجال.

وتساهم العوامل المجتمعية من تفشي الأمية وقلة النساء المشاركات في العمالة في ضعف مساهمة المرأة في العمل السياسي، فالتعليم والتحضّر يرفعان من نسب المشاركة السياسية للمرأة.

عوامل مؤثرة في المجتمع المحلي: وهي لا تخرج من العوامل التي تؤثر على المجتمع بصورة عامة، حيث نجد الثقافات الوسيطة والظروف المحلية التي تتمثل في انتشار الفقر وقلة التعليم في العديد من أرياف السودان، مما يضعف قدرة المرأة على اكتساب الخبرة في

(١) محمد عبد الفتاح عبد الوهاب، نظام الكوته والتمثيل النسبي في المشاركة المنصف للمرأة السودانية في الانتخابات، جسر، على الموقع www.Joussour.net

العمل السياسي، وهناك ظروف الحرب وما فرضته من هجرة أدت إلى تدني المعيشة مما أدى إلى عدم اهتمام الأغلبية بالعمل السياسي.

خامساً - تفعيل عمل المرأة بالمجال السياسي في السودان.. رؤية مستقبلية.

لابد من وضع معالجات للمعوقات السابقة الذكر التي تؤثر سلباً على مشاركة المرأة السودانية في العمل السياسي، والتي بدورها تعمل على تفعيل المشاركة السياسية للمرأة.

ويأتي الدور الكبير للدولة في ذلك، فلا بد من أن تتبنى الدولة سياسة واضحة نحو المرأة تؤيد أهميتها وبناء قدراتها وتعمل على سد الفجوة النوعية وتحقيق المساواة بين الرجل والمرأة وذلك بوضع سياسات التمييز الإيجابي لصالح المرأة بإعطاء النساء النسب «الكوتا» في التعيينات القيادية لزيادة مساهمة المرأة في تلك المناصب.

ولابد من ضرورة تمكين المرأة في المشاركة السياسية بمعنى التوسع في مقدرة المرأة على اتخاذ القرار بالنسبة للخيارات العلمية والاستراتيجية، ويعمل التمكين على رفع مقدرات المرأة القيادية والإدارية في اتخاذ القرار والتخطيط والتنفيذ وبالتالي فإن التمكين يقارب وضع النساء والرجال في مجالات مركز القوة في المجتمع.

والمقاربة الشاملة لتمكين المرأة تتناول بعدين أساسيين^(١):

- السيطرة على الموارد (الاقتصادية والبشرية والمالية)، حيث تبدو النساء محرومات مقارنة بنظرائهن الرجال.

- إيديولوجيا النوع السائد التي ترسخ تجليات عدم المساواة على أساس النوع الاجتماعي.

ولابد لأجهزة الإعلام في الدولة من تبني وإعداد برامج إعلامية لتغيير الصورة النمطية للمرأة وتكريس دونيتها، وتوضيح وشرح تعدد إنجازات المرأة وقدرتها في المناصب القيادية.

ولابد من وضع ميزانية من أجل دعم التنمية الاجتماعية لتحسين المؤشرات الاجتماعية للمرأة في مجال التعليم ومحاولة تخفيض نسبة الأمية، وكذلك في مجال الصحة والتدريب في مجال العمل القيادي وسد الفجوة النوعية.

(١) ريم محمد موسى، مصدر سابق، ص ١٣٤.

ولتفعيل المشاركة السياسية للمرأة لابد من ضمان ممارسة الديمقراطية والحكم الرشيد وسيادة القانون مما يضمن المشاركة الفاعلة للأفراد في المجتمع بصورة عامة وللمرأة بوجه الخصوص، ويضمن كذلك المساواة بين الأفراد مما يعمل على سد الفجوة النوعية بين الجنسين، وفي إطار الديمقراطية لابد من تخصيص نسب معينة للنساء في المناصب القيادية سواء كانت في المجالس التشريعية أو السلطة التنفيذية أو السلك الدبلوماسي أو القضاء.

ولابد من تغيير النمط الثقافي في المجتمع السوداني الذي يذكي الثقافة الذكورية ويتعامل مع المرأة دومًا بصورة دونية، ويتطلب ذلك تظافر الجهود من قبل الجهات المعنية والتي على رأسها الجمعيات الأهلية والإعلام، وعلى المستوى الأسري لأبد من إحداث تغيير في نمط التنشئة الاجتماعية وتحديد الأدوار بدعم المشاركة بين أفراد الأسرة، وتشجيع انخراط النساء في العمل العام والسياسي والطوعي.

يتضح من الدراسة أن الواقع الاجتماعي الأفريقي يتسم مقارنة بالمجتمعات المتقدمة أن وضع المرأة فيه دون ما تقتضيه المواثيق والمعاهدات الدولية الداعية إلى المساواة بين الجنسين ومناهضة جميع أشكال التمييز على أساس العرق والدين أو اللون.

وتستنتج الدراسة أن الواقع الاجتماعي الأفريقي كان له كبير الأثر في عدم تحقيق أعلى مستويات للتنمية الاجتماعية، والذي بدوره أضعف مشاركة المرأة الأفريقية في مجال العمل العام والعمل السياسي، وكانت هنالك عقبات عديدة اقتصادية واجتماعية وسياسية حالت دون تحقيق معدلات عالية لمشاركة المرأة في المناصب السياسية والقيادية.

وفي السودان بصورة خاصة تعاني المرأة من ضعف المشاركة السياسية بالصورة المطلوبة، بالرغم من أن كل الدساتير تمنح المرأة حقها في التصويت والترشيح وبالرغم من مشاركة المرأة في بعض المناصب القيادية في المجالس التشريعية والتنفيذية، ولكن يأتي ضعف المشاركة في تولي المناصب القيادية سواء كان ذلك في الأحزاب أو المجالس التشريعية والتنفيذية مقارنة بنسب الرجال لعدد من العوامل تتمثل في عوامل ثقافية على رأسها القيم والموروثات الثقافية التي تزكي العقلية الذكورية ودونية المرأة، وعوامل اجتماعية تتمثل في

عدم وجود قوانين ملزمة تأطر لمشاركة المرأة السياسية و تفشي نسب الأمية أوساط النساء وتدني الخدمات الصحية، وعوامل تتعلق بالمجتمع المحلي حيث تساعد الظروف المحلية على أضعاف مشاركة المرأة في العمل السياسي.

وعليه توصي الدراسة بالآتي:

أولاً: تنسيق جهود الجمعيات الطوعية مع المؤسسات الرسمية في السودان للقضاء على الأمية بين النساء، والعمل على تغيير الصورة النمطية للمرأة بضرورة مكانها في مجال العمل الخاص فقط.

ثانياً: ضرورة العمل بالمواثيق الدولية الداعية للقضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة والمصادقة عليها.

ثالثاً: تخصيص نسب معينة ثابتة للنساء في كل المناصب القيادية، وإتاحة الفرص التفضيلية الكافية لذلك خاصة في مواقع صنع القرار السوداني.

رابعاً: تشجيع البحوث العلمية التي تناقش أهمية المشاركة السياسية والتمكين السياسي للمرأة ودورها في العمل العام والسياسي لمعرفة أوجه القصور والعقبات التي تحول دون ذلك لتلافيها وسد الفجوات النوعية بين الرجال والنساء.

دور اللغة العربية في إثراء المعجم اللغوي الإفريقي

أ.د. محمد علي نوفل

كلية الدراسات الإفريقية العليا - جامعة القاهرة (مصر)

مستخلص

تتناول هذه الدراسة موضوع دور اللغة العربية في إثراء المعجم اللغوي الإفريقي. تبدأ الدراسة بإلقاء الضوء على تاريخ اللغة العربية في قارة إفريقيا والدور الذي لعبته اللغة العربية في الربط الثقافي والحضاري بين الدول الإفريقية المختلفة، وكيف أثرت في الواقع الإفريقي ومكانة العربية في إفريقيا وعلاقاتها التاريخية الممتدة والمتشابكة باللغات الإفريقية المحلية، ثم تعرج الدراسة إلى تناول أثر اللغة العربية في اللغات الإفريقية الكبرى مع التركيز على ثلاث من كبريات اللغات الإفريقية هي: السواحيلية والهوسا والصومالية، من خلال إبراز أوجه الإقراض الذي قامت به العربية لتلك اللغات مما أسهم في إثراء معجمها بالألفاظ والمفردات العربية ومكن تلك اللغات من البقاء والتطور لمواكبة المستجدات والحاجات المختلفة لمحدثيها. وتنتهي الدراسة بخاتمة تعرض لأهم النتائج التي توصلت إليها.

كلمات مفتاحية: المعجم - الإفريقي - اللغة - السواحيلية - الهوسا - الصومالية.

The Role of The Arabic Language in Enriching The African Linguistic Dictionary

Prof. Dr. Mohamed Ali Noufal

Faculty of African Postgraduate Studies Cairo University, (Egypt).

Abstract

This Paper deals with the topic of the role of Arabic language in enriching the African lexicon. The study begins with shedding light on the history of the Arabic in the continent of Africa and the role that Arabic played in the cultural and civilizational linkage among different African countries, how it affected the African reality and the entity of Arabic in Africa and its historical and intertwined historical relations with the local African languages, then the study returns to address the impact of the Arabic on the major African languages with a focus on three of the major African languages; Swahili, Hausa and Somali, by highlighting the borrowing aspects that Arabic has furnished to these languages, which contributed to enriching its dictionaries with Arabic expressions and vocabulary, and enabled these languages to survive and keep pace with the various developments and needs of their speakers. The study ends with a conclusion that presents its most important results.

Keywords: Lexicon – African – Language – Hausa – Swahili – Somali.

مقدمة

تُعد اللغة العربية رابطاً حضارياً عالمياً لكل الشعوب الإسلامية على الرغم من اختلاف ثقافتها المحلية، فوق هذا فإن اللغة العربية لغة يستعملها المسيحي واليهودي وغيرهما في المجال الثقافي والعلمي والاقتصادي والسياسي. ويقول المستشرق المعروف كارل بروكلمان في حق العربية « بفضل القرآن بلغت اللغة العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى من لغات الدنيا، والمسلمون جميعاً مؤمنون بأن اللغة العربية وحدها اللسان الذي أحل لهم أن يستعملوه في صلاتهم... وبهذا اكتسبت العربية منذ أمد طويل مكانة رفيعة فاقت جميع اللغات الأخرى التي تنطق بها الشعوب الإسلامية»^(١).

وقد اتخذت اللغة العربية طريقها إلى إفريقيا في وقت مبكر قبل ظهور الإسلام وذلك بحكم العلاقات التجارية بين العرب وإفريقيا بحكم الجوار، ثم جاء الانتشار الواسع لهذه اللغة بعد انتشار الإسلام في إفريقيا فأضحت جزءاً لا يتجزأ من تراث هذه القارة. والجدير بالذكر أنه مما أعان على انتشار اللغة العربية والتمسك بها فضلاً عن الجانب الديني أن كثيراً من الشعوب الإفريقية قد ادعت ارتباط أصولها بالعرب في الشرق^(٢). ويؤكد هذا توماس أرنولد حيث يقول «غدت اللغة العربية لغة تخاطب بين قبائل نصف القارة الإفريقية»، ويقول H. Deshamps: «ولم تكتف قبائل الممالك الإفريقية بدخول الإسلام بل تطبعت بالطباع العربية بسبب انتشار اللغة العربية في تلك البلاد»^(٣).

الاقتراض اللغوي

تعتبر عملية الاقتراض اللغوي ظاهرة صحية في مسيرة تطور أي لغة تريد البقاء في العالم. وعبر مسيرة الاقتراض تكتسب الألفاظ دلالات جديدة تتلون بتلون العصور واختلاف المجتمعات والثقافات. وبوصف اللغة أداة للتبادل الاجتماعي والتلاقي الثقافي بين الحضارات فلا غرابة أن نجد لغة ما تقترض لفظة من لغة أخرى وتتدخل في نسيجها البنيوي والسياقي بعد أن تنصهر في قالب التركيبي والصرفي للغة الوافدة إليها، ولكن هذا لا يمنع من وجود ألفاظ احتفظت بشكلها دون أن تنصهر في اللغة الجديدة^(٤).

والجدير بالذكر هنا أن الاقتراض لا يقتصر على لغة ما دون غيرها، فلقد اقترضت اللغة الإنجليزية الآلاف المؤلفة من الكلمات من اللغات الأخرى، وكذلك الحال فقد اقترضت اللغات الأجنبية المختلفة الكثير من الكلمات الإنجليزية وهذا التأثير (الاقتراض) على كل حال لم يبدأ إلا في وقت متأخر نسبياً في التاريخ الأوروبي إذ لم يكن هناك اقتراض جوهري من هذه اللغة حتى أواخر القرن السابع عشر^(٥).

اللغات الإفريقية والحرف العربي

لقد انتشرت اللغة العربية في إفريقيا بشكل واسع النطاق حيث أصبحت لغة العبادة والعلم والتجارة والدبلوماسية، وكان الحرف العربي هو الغالب في كتابة اللغات الإفريقية، وقد جمع الأستاذ إي نورث نماذج من الإنجيل المكتوب بهذه اللغات بالحرف العربي حيث يقول وقد وجدت أن عدد اللغات - لغات الأمم الإسلامية - في إفريقيا وآسيا بلغ ٤٦ لغة، وذلك في كتابه ألف لسان A book of thousands tongues الذي نشرته جمعية الكتاب المقدس بالولايات المتحدة عام ١٩٣٣ م^(٦).

على سبيل المثال:

الهوسا: التي يتكلمونها في نيجيريا والنيجر والكاميرون والسودان وغانا.....

السواحيلي: وهي منتشرة في تنزانيا وكينيا وأوغندا والكونغو.....

الصومالية، ويتحدث بها في الصومال وإقليم أنفدي من كينيا وإقليم الصومال الغربي في إثيوبيا وجيبوتي، والصومال هو القطر المسلم الوحيد في إفريقيا شرقها وغربها الذي يتحدث أهله جميعاً بلغة واحدة.

الفولاني: وهي منتشرة بلهجاتها المختلفة في المنطقة التي تمتد من السودان إلى السنغال.

الماندينكو: وهي منتشرة بلهجاتها المختلفة في سيراليون وغانا وليبيريا وفولتا العليا.....

الولوف: وهي موجودة في السنغال وغينيا.

السونتيكي: ويتكلمونها في مالي وموريتانيا وغامبيا.

اليوربا: ويتكلمونها في غرب نيجيريا وبنين وتوجو وسيراليون^(٧).

ومن خلال ما سبق نستطيع القول: إنَّ العامل التاريخي والحضاري هو الذي لعب دورًا رئيسيًا في نشر اللغة العربية في إفريقيا وساعد على تلاحمها مع أخواتها من اللغات الإفريقية، وأن هذا العامل الحضاري نفسه هو الذي جعل الأفارقة لا يجدون حرجًا في استعمال الحرف العربي في الكتابة فهم ينظرون إلى اللغة العربية على أنها لغتهم وليست لغة دخيلة عليهم فظلوا يقدسون اللغة العربية حتى جاء المحتل ووجد أنَّ اللغة العربية تنتشر انتشارًا لا مثيل له فسعى بكل طاقته إلى محوها، ونجد على سبيل المثال أنَّ البريطانيين قد أجبروا أهالي المناطق التي تخضع لنفوذهم على استخدام الحروف اللاتينية في كتاباتهم، وفرض المحتل لغته وثقافته وتاريخه وقد تصدرت فرنسا المرتبة الأولى للدول الاستعمارية في غرسها ثقافتها ولغتها بمختلف الطرق والأساليب وذلك بصنع المستعمرات بالصبغة الفرنسية.

دور اللغة العربية في إثراء قواميس اللغات الإفريقية

لعل من أهم جوانب تأثير اللغات الكبرى في اللغات الصغرى هو الجانب المعجمي؛ حيث تقوم اللغات المتلقيّة Recipient Language باقتراض ما تفتقده قواميسها من الألفاظ ذات الصلة بالحقول الدلالية التي تدخل في ثقافات متحدثيها من خلال اتصالهم بمتحدثي اللغات الهدف target language (كما في حالة شرق إفريقيا)، أو من خلال اتصال اللغتين عن طريق التقاليد الأدبية (كما في حالة اللغتين العربية والهوساوية، والعربية والفولانية في غرب إفريقيا).

ويصعب تحديد حجم الألفاظ العربية التي دخلت في لغات الشعوب الإفريقية المسلمة الكبرى لأسباب تختلف من لغة لأخرى، فبالنسبة للغة السواحيلية مثلاً، نجد أن حجم هذه الألفاظ يختلف من منطقة إلى أخرى حيث تصل ذروتها في جزر (زنزبار، ولامو، وباتي)، وتقل كلما ابتعدنا من الساحل إلى الداخل، وتتضاءل لحد التلاشي في الحدود الغربية لأوغندا.

ولذلك اختلف الباحثون في تقديرها حيث تصل عند بعضهم إلى ٥٠٪ من ألفاظ القاموس السواحيلي، ولا تتعدى عند البعض الآخر ١٥٪ منها. أما بالنسبة للغة الهوسا فقد تضمنت قائمة جرينبيرج عام ١٩٤٧م حوالي ٦٤٠ كلمة عربية مقترضة، هذا بينما وصلت هذه الكلمات في قائمة اللغوي الإيطالي سيرجيو بالدي (١٩٨٢م) حوالي ١٢٥٠ كلمة، وهذا العدد الأخير من الكلمات بمشتقاتها يقارب نسبة ١٠٪ من جملة الكلمات الهوساوية المكونة لقاموس أبراهام (هوسا-إنجليزي) الصادر عام ١٩٦٢م^(٨).

ومما تجدر الإشارة إليه أن نسبة الكلمات الهوساوية ذات الأصل العربي في القواميس الهوساوية تفوق ذلك بكثير، أما في حالة اللغة الصومالية مثلاً فكل الذين حاولوا إثبات نسبة الألفاظ العربية فيها لم يأخذوا في الاعتبار الكلمات الموروثة من أصول اللغتين علماً بأن اللغتين تنحدران من أصل واحد، ولكن على الرغم من ذلك يمكن القول بأن اللغة العربية لعبت دوراً في إثراء قواميس لغات الأمم الإسلامية الإفريقية وقد تصل ألفاظها في بعض هذه اللغات إلى أكثر من ١٥٠٠ كلمة. وقد غطت هذه الكلمات بنسب متفاوتة عدداً كبيراً من الحقول الدلالية، أهمها:

- الدين الإسلامي والأحوال الشخصية.
- التجارة.
- الأدوات المنزلية والملبوسات.
- نظام الحكم.
- التوقيت والمقاييس والموازين.
- النحو والحساب وعلم الفلك.
- المنتجات العضوية والمحصولات النباتية.
- القراءة والكتابة.
- المعادن والأحجار الكريمة.
- أشياء مجردة.

ولم يتوقف الاقتراض عند المجالات السالفة الذكر في بعض اللغات الإفريقية، فالسواحيلية مثلاً استعملت الأدوات والظروف العربية إلى غير ذلك مثل: lakini (لكن)، baada (بعد)، و wala (ولا)، hata (حتى).. إلخ. وفي الهوسا haka (هكذا)، و idan (إذا)... إلخ. والصفات في اللغة السواحيلية: safi (نظيف / صافي)، laini (لين)، taamu (لذيذ)، وفي الهوسا: jarumi (صارم / شجاع)، و ja`iri (جائر / قليل الحياء)، وكذلك على مستوى الأفعال في السواحيلية: rudi (يرتد)، safari (يسافر)، وفي الهوسا: kammala (يكمل)، gafarta (يغفر). هذا بالإضافة إلى الأسماء وهي أكثر تواتراً من بقية المستويات^(٩).

وفي الصومالية لكن laakiin، وإذا اتجهنا إلى الأسماء ألفينا فيها ضرباً كبيراً من الأسماء المنحوتة التي تتكون من مقطع صومالي وآخر عربي، خذ مثلاً الاسم (ورسمه warsame) الذي يتكون من مقطعين الأول منهما صومالي النشأة وهو (war) بمعنى الكلام (الحديث)، وثانيهما عربي الأصل وهو لفظة (same) المأخوذة من (سمة) بمعنى (الصفة، العلامة، الميزة)، وتدل في الصومالية على نفس المعاني.

أما مجالات الألقاب الوزارية والمناصب الحكومية فهي أيضاً تكتظ بالألفاظ العربية، فالكلمات (safir wasiir mudiiir) والألفاظ (wasaarad، safaarad، diyaarad، Xukuumad)، كلها ألفاظ ظاهرة العروبة ألا تحتاج إلى تفسير وإيضاح. ويلاحظ أن الألفاظ (wasaarad، Safaarad Xukuumad) وغيرها مثل kuliyyad Jamacad، maqaalad) قد لحقتها علامة التانيث في الصومالية التي تقابل تاء التانيث في العربية، وهي حرف الدال المسبوق بالفتحة القصيرة (ad)^(١٠).

لقد وجدت معظم هذه الألفاظ طريقها مباشرة من العربية إلى اللغات الإفريقية، إلا أن هناك عدداً مقدراً منها قد دخل هذه اللغات عبر لغات وسيطة أخرى، فبالنسبة للغة الهوسا مثلاً، تمثل اللغة البربرية أهم وسيط أو معبر لهذه الألفاظ. ومن أمثلة الألفاظ التي دخلت الهوسا عبر اللغة البربرية كلمة azumi (الصوم)، وكلمة azurfa (الصفحة)، taddawa (دواء)، و takarda (قرطاس). ودلالة ذلك أن استبدال صوت الصاد في

الكلمتين الأولى والثانية بصوت الزاي، لان في الاقتراض المباشر من العربية إلى الهوسا تستبدل الصاد بالسين كما في كلمة salla (صلاة)، و sadaka (صدقة). أما في الكلمتين taddawa، و takarda فنجد فيهما تاء التأنيث البربرية التي تأتي دائماً في بداية الكلمة^(١١).

ولقد تكيفت معظم هذه الألفاظ العربية على الأنظمة الصوتية والصرفية للغات الإفريقية المتلقية لدرجة يصعب معها على الشخص العادي أن يتبين أنها عربية الأصل. فمن يستطيع مثلاً أن ينتبه إلى أن الكلمات الهوساوية: لتافي littafi، واللورا allura، و كوالي kwalli من الكلمات العربية: الكتاب، والإبرة، والكحل على التوالي؟! وهذا ينطبق على الكلمة (أو بالاحرى الكلمة المركبة) السواحيلية: بيشارا biashara من العبارة العربية « بيع وشراء » وتعني « التجارة »^(١٢).

ومن الناحية الدلالية نجد أن معظم الألفاظ العربية المقترضة في اللغات الإفريقية محتفظة بمعانيها المعجمية الأصلية، ولكن هناك العديد منها طرأ عليه بعض التغيرات الدلالية وسيلة للتكيف مع البيئة الاجتماعية الجديدة، فبعضها تعرض إلى ما يُعرف في علم اللغة الاجتماعي بـ « التوسع الدلالي Semantic extension » واكتسبت بالتالي معاني أشمل مما كانت عليه في اللغة العربية، ومثال ذلك في لغة الهوسا كلمة haraji (خراج) التي أصبحت تعني (الضرائب) بجميع أنواعها، وكلمة fasaha (فصاحة) التي لا يقتصر معناها في الهوسا على الفصاحة في الحديث، بل تعدى ذلك لتشمل الذكاء والقدرات بجميع أنواعها، وكلمة basasa (البسوس) تعني الحرب الأهلية، وفي اللغة السواحيلية كلمة tajiri (تاجر) وتعني الرجل الثري وإن كان موظفاً.

وبعض هذه الكلمات على عكس ذلك تعرض إلى التقلص الدلالي semantic shirinking وذلك بتضييق دائرتها الدلالية وهو ما يعرف في فقه اللغة بـ « التخصيص »، ومثال ذلك في لغة الهوسا la'ifi (ضعيف) حيث يقتصر معناها في الهوسا على الضعف والعجز الجنسي، وكلمة hadari (خطر) وتعني حادث (حادث حركة مثلاً). والتقلص الدلالي أيضاً سمة مهمة للألفاظ العربية المقترضة في اللغة السواحيلية، ومن ذلك كلمة bunawasi (أبونواس) وتطلق في المجتمع السواحيلي على الإنسان الذي يستخدم الحنكة

والدهاء في قضاء حوائجه، كما تقتصر كلمة dafini (دفين) على «الكنز»^(١٣). ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه الألفاظ السالفة الذكر كما هي في اللغة الصومالية، وذلك مثل كلمة qarash بمعنى الخراج وكلمة lur (ضرّ) بمعنى المرض و كلمة تاجر بمعنى الغني. ويحمل فينسان مونتي أثر العربية في اللغات الإفريقية في أوجه منها:

- تثبيت اللغات الإفريقية بالكتابة.
- إغناؤها بالمفردات العامة.
- إغناؤها بمفردات الأشياء الخاصة^(١٤).

أولاً: دور العربية في إثراء المعجم السواحيلي

لقد تبنت هذه اللغة كثيرًا من مفردات لغات عديدة في مقدمتها اللغة العربية ثم الفارسية فالتركية والبرتغالية والهندية والإنجليزية.

وإذا نظرنا إلى الكلمات الموجودة في المعجم السواحيلي المعروف باسم A Standard Swahili- English Dictionary الذي طُبِعَ في بريطانيا أكثر من مرة واستعرضنا مفرداته السواحيلية المقترضة من العربية سنجد أنها تعد بالمئات إن لم تكن بالآلاف، ونتساءل كيف تم تصنيف هذه الكلمات، وتحت أي حرف من حروف أبجديته اللاتينية تم وضعها؟^(١٥).

وتختلف الآراء عن نسبة المفردات العربية في اللغة السواحيلية فمنهم من يذهب إلى أن نحو ٧٢٪ من قاموس السواحيلية يرجع إلى اللغة البانتوية، وترجع نسبة ٢٣٪ إلى اللغة العربية، بينما نجد تأثير اللغات الأخرى وهى الإنجليزية والفرنسية والبرتغالية والهندية مجتمعة لا يتعدى نسبة ٥٪، ويقوى هذا الأثر العربي ويظهر جليًا عند الحديث عن المظاهر الحضارية وفي مجال القيم الروحية والدينية^(١٦).

وما إن استقرت المفردات العربية في اللغة السواحيلية وامتزجت بمفرداتها وشملت حيزًا ملحوظًا في المعجم السواحيلي حتى بدت لعلماء اللغة السواحيلية ودارسيها السمات الصوتية

والصرفية والنحوية والدلالية لهذه المفردات ومن هنا أخذت الدراسات اللغوية التي تتناول هذه المفردات حيزاً كبيراً في نطاق اللغة السواحيلية، وتعددت الدراسات من وجهات النظر المختلفة، ومن وجهة النظر السواحيلية والعربية والغربية وحتى الآسيوية. ثمة دراسات عديدة أجريت حول المفردات العربية التي دخلت اللغة السواحيلية نذكر منها:

- دراسة Temu في عام ١٩٧٢ عن المفردات العربية في المعجم السواحيلي^(١٧).
 - وفي عام ١٩٨٤ قدم سيد حامد حريز دراسة عن السواحيلية واللغة العربية^(١٨).
 - وفي عام ١٩٨٥ قدم مصطفى حسين الحلوجي دراسة لغوية عن المفردات العربية في اللغة السواحيلية بجامعة السربون^(١٩).
 - وفي عام ١٩٩٢ قدم محمد حسن عبدالعزيز دراسة لغوية عن المقترضات العربية في اللغة السواحيلية^(٢٠).
 - وفي عام ١٩٩٣ قدم أحمد يوشا دراسة عن المفردات العربية في اللغة السواحيلية بعنوان: «الأثر العربي في اللغة السواحيلية، مع معجم ثلاثي سواحيلي - عربي - إنجليزي^(٢١).
 - وفي عام ١٩٩٣ قدم على عمر مزى دراسة عن وضع اللغة العربية في زنجبار^(٢٢).
- ويقدر أحد المتخصصين في اللغة السواحيلية وتاريخها نسبة المفردات العربية من الربع إلى الخمسين، وظلت اللغة السواحيلية وآدابها تكتب إلى وقت قريب بحروف عربية^(٢٣).
- وللحرف العربي وبالتالي للغة العربية مكانة تصل إلى مرتبة القداسة فهي لغة القرآن الكريم، ومن ثم فإن ما يقارب من ثلث أطفال إفريقيا في شرقها وغربها عندما يفتحون أعينهم على الحضارة الإنسانية، تبدأ أنامل أصابعهم تخط الحرف العربي من خلال ما يتعلمون.
- وبعد هذا العرض نعرض لبعض المفردات العربية التي اقترضتها السواحيلية، وتم ترتيبها ألفبائياً:

Ibllisi	إبليس
Habari	أخبار

Idara	إدارة
Adabu	أدب
Idhini	إذن
Imamu	إمام
Inshallah	إن شاء الله
Tisa	تسعة
Tafsiri	تفسير
IJumaa	الجمعة
Haji	حاج
Hakika	حقيقة
Alhamisi	الخميس
Daftari	دفتر
Dakika	دقيقة
Dunia	الدنيا
Rai	رأي
Robo	ربع
Rafiki	رفيق
Rakaa	ركعة
Ramadhani	رمضان
Zamani	زمن - وقت
Zaidi	زيادة
Samaki	سمكة
Sheria	شريعة
Shauku	شوق

Siha	صحة
Sahani	صحن
Sadaka	صدقة
Salla	صلاة
Azuhuri	الظهر
Afya	عافية
Ibada	عبادة
Ibada	عبادة
Adui	عدو
Askari	عسكري
Asali	عسل
Elasari	العصر
Ghali	غالي
Faida	فائدة
Alfajiri	الفجر
Fedha	فضة
Fulani	فلان
Kadi	قاضي
Kabila	قبيلة
Kalamu	قلم
Kitabu	كتاب
Kadhalika	كذلك
Lazima	لازم
Lugha	لغة

Lakini	لكن
Allah	الله
Mahali	محل
Elmaghariba	المغرب
Najisi	نجس
Nadhifu	نظيف
Nafsi	نفس
Nur	نور
Wajibu	واجب
Wadi	وادي

ثانياً: دور العربية في إثراء المعجم الهوساوي

إنَّ أي لغة في العالم حينما تعيش بمفردها دونما أي اختلاط فيكون لديها مفرداتها التي تعبر بها عن أفكارها وعاداتها وتقاليدها، ولكن بمجرد أن يختلط أهلها بشعب ما أو قوميات أخرى تختلف تقاليدهم وثقافتهم فيكون ضرورياً أن يقترضوا بعض الكلمات (المفردات) من هؤلاء الناس (الأقوام) ليعبروا بها عن المستجدات التي أتت إليهم من تلك الأقوام^(٢٤).

وهكذا كان شأن الهوسا عندما كان الهوساويون يعيشون بمفردهم لا يختلطون بأحد فكانت لديهم مفرداتهم التي تفي باحتياجاتهم، ولكن حينما اختلطوا بقبائل أخرى مختلفة في ثقافتها وعاداتها كان لازماً عليهم أن يقترضوا بعض الكلمات ليسمووا بها الأشياء الجديدة التي أتت إليهم وخاصة إذا عجزوا عن إيجاد مقابل لها في لغتهم^(٢٥).

والجدير بالذكر أن الحرف العربي الذي خطت به لغة الهوسا كان كما يقول القلقشندي: ((وكتابتهم بالخط العربي على طريقة المغاربة))^(٢٦).

وقد لمس الباحث هذا الخط بنفسه من خلال جريدة الفجر بنيجيريا التي ما زالت تصدر بالحرف العربي بالإضافة إلى بعض النصوص القديمة والكتب المصورة، ومن خصائص هذه الكتابة أن نقطة حرف الفاء توضع أسفل الحرف هكذا ((ف)) كما يستبدل بنقطتي حرف القاف نقطة واحدة وتوضع فوق الحرف هكذا ((ف)) وهذا بجانب رسم الحروف الذي يختلف قليلاً عن الرسم المعروف في بعض مقاطعه ويقرب مما نعرفه بالخط الكوفي.

وقد اكتسبت هذه اللغة مسحة من التقديس عند أهل الهوسا وعند مسلمي غرب إفريقيا جميعاً وهذا التقديس أدى إلى الاهتمام بها كونها لغة القرآن الكريم ولهذا انتشرت اللغة العربية تدريجياً في معظم أنحاء القارة فتفهمها وتحدث بها كثير من الشعوب الإفريقية، ومن ثم فإن اللغة كانت صاحبة الفضل الأول على اللغات المحلية في القارة السمراء ومنها لغة الهوسا الذي نتحدث عن تأثيرها بالعربية، ولذا كان لازماً أن تكون اللغة العربية هي لغة الثقافة والفكر، لغة القراءة والكتابة، لغة التعلم والتعليم فهي اللغة التي دونت بها حضارة الأسلاف وسجل بها التراث.

ومن خلال ما سبق من عرض نستطيع القول بأن العامل التاريخي والحضاري لعب دوراً رئيسياً في نشر اللغة العربية في إفريقيا وأدى ذلك بالطبع إلى تأثير الهوسا باللغة العربية، فافترضت منها الكثير في شتى المجالات، والجدير بالذكر أن أغلب ما استعارته الهوسا من ألفاظ (كلمات) من العربية قد احتفظ بمعناه العربي الأصيل، وإن أصابه شيء من تحوير النطق بحرية طبقاً لنظام وموازين لغة الهوسا وقوالبها الصوتية، ومن المتوقع أن يكون المصدر الأول للاقتراض هو عربية شبه الجزيرة العربية نتيجة للاتصال في فترة ما قبل الإسلام.

وبين علي أبو بكر في بحثه ((الثقافة العربية في نيجيريا)) أن عدد الكلمات العربية في لغة الهوسا وصل إلى الخمس، وضرب مثلاً لذلك قائلاً: إننا لو افترضنا أن لغة الهوسا بها خمسون ألف كلمة لكان نصيب العربية خمسة آلاف كلمة والباقي كلمات هوساوية يشاركها فيها لغات أخرى^(٢٧).

نختم حديثنا عن تأثير الهوسا باللغة العربية ببعض الكلمات «العربية التي اقترضتها الهوسا»، بتغييراتها البنوية^(٢٨):

الكلمات العربية	نطقها في العربية	نطقها في الهوسا
-----------------	------------------	-----------------

١ - ألفاظ الدين:

الدين	Addiin	Addini
الحج	Alhaj	Alhaji
النبي	Annabiy	Annabi
الصوم	Assaum	Azumi
فريضة	Faridhatun	Farilla
إيمان	Imann	Imani
سنة	Sunnatun	Sunna
زكاة	Zakaat	Zakka

٢ - ألفاظ العلم:

عجم	Ajam	Ajami
القلم	Alkalam	Alkalami
اللوحي	Allauh	Allo
درس	Dars	Darasi
حرف	Harf	Harafi
علم	Ilm	Ilmi
قراءة	Kiraa	Karatu
لفظ	Lafz	Lafazi
الكتاب	Alkitab	Littafi

٣ - ألفاظ الملك:

القاضي	Alkaadhi	Alkali
بيت المال	Baitulmaal	Baitul- mali

الكلمات العربية	نطقها في العربية	نطقها في الهوسا
دولة	Daulatun	Daula
حاكم	Haakim	Hakim
خراج	Kharaaj	Haraji
حكومة	Hukumatun	Hukuma
جمهورية	Jumhuuriyya	Jumhuriya
مشورة	Mashuratun	shawara
شريعة	Shariia	Sharia
سياسة	Siyaasa	Siyasa
اتهام	Ittihaam	Tuhuma
وكيل	Wakiil	Wakili
وزير	Waziir	Waziri

٤ - ألفاظ التجارة:

التاجر	Attajir	Attajiri
الرخصة	Arrukhsa	Arha
دلال	Dallal	Dillali
قيمة	Kiima	Kima
الحساب	Alhisaab	Lissafi
مصروف	Masruuf	Masarufi

٥ - ألفاظ الأعداد:

عشرون	Ishriin	Ashirin
ثلاثون	Thalaathuun	Talatin
أربعون	Arbaiin	Arbain
خمسون	Khamsiin	Hamsin

الكلمات العربية	نطقها في العربية	نطقها في الهوسا
ستون	Sittiin	Sittin
سبعون	Sabiin	Sabain
ثمانون	Thamaanuun	Thamanin
تسعون	Tisiin	Tasain
ألف	Alf	Alif

٦ - ألفاظ الوقت:

الصباح	Allsabaah	Asuba
الظهر	Allzuhr	Azuhur
العصر	Allasr	Laasar
المغرب	Allmagharib	Almagariba
الساعة	Assaa	Saa
اليوم	Allyaum	Yau
الوقت	Alwakt	Lokaci

٧ - ألفاظ عامة:

الخير	Alkhair	Alheri
زيارة	Ziyaara	Ziyara
لجام	Lijaam	Linzami
كحل	Kuhl	Kwalli
صابون	Saabun	Sabulu
حلاوة	Halaawa	Alawa
البصل	Albasal	Albasa
القمح	Alkamhu	Alkama
الخبز	Alkhubs	Alkhubs

الكلمات العربية	نطقها في العربية	نطقها في الهوسا
شك	Shakk	Shakka
رأي	Raay	Raayi
الأمر	Alamr	Alamari
مهم	Muhimm	Muhimmi
كلمة	Kalimatun	Kalma
سواء	Samaa	Sama

وهذا قدر بسيط من الكلمات الهائلة التي استعارتها الهوسا من العربية، وإذا نظرنا إلى تلك الكلمات سنجد هناك تغيرات صوتية حدثت في الكلمات العربية حتى تتلاءم مع النظام الصوتي للغة الهوسا كإبدال أصوات الحلق والإطباق وما يخرج مما بين الأسنان الأمامية من أصوات، فيبدلون الهمزة بالعين والهاء بالحاء، والجيم القاهرية بالعين، والصاد بالسين، والصاد باللام، والثاء بالتاء، والذال بالزاي، بالإضافة إلى ذلك فهناك ظاهرة حذف بعض الأصوات في كلمات وإضافة بعض الأصوات أو الحركات عند التقاء الساكنين في كلمات أخرى.

ثالثاً: دور العربية في إثراء المعجم الصومالي

إن العلاقة بين اللغة الصومالية واللغة العربية علاقة قديمة تعود إلى الهجرات العربية الأولى إلى المنطقة، وقد توطدت هذه العلاقة منذ الأيام التي أصبحت فيها اللغة العربية لغة العلم والتعليم وذلك منذ بزوغ فجر الإسلام في الديار الصومالية في القرن الأول الهجري. ويؤكد خبراء اللغات الذين عكفوا على دراسة اللغة الصومالية أن معظم مفردات اللغة الصومالية لها جذور عميقة في اللغة العربية ولكنها تعرضت لشيء من التحريف والتبديل والحذف، فمن هنا كان أجداد الصوماليين الأوائل قد تبنا كتابة اللغة الصومالية بالحرف العربي من اليمين إلى الشمال و من الأعلى للأسفل.

وقد أثرت اللغة العربية اللغة الصومالية، فاستعارت كثيراً من مفرداتها. وقد كشفت البحوث اللغوية في هذا المضمار أن مفردات كثيرة في اللغة الصومالية من أصل عربي ولم تتغير، كما أن هناك كلمات أخرى طرأت عليها عوامل التطور فغيرتها إما صوتياً أو شكلياً، وقد أظهرت بعض الدراسات التقابلية أن اللغتين الصومالية والعربية مازالتا مرتبطتين لا من حيث الوحدات الصوتية ولا من حيث الكلمات العربية التي يستخدمها الصوماليون فحسب بل من حيث أنواع الأبنية المقطعية المستخدمة وتتبعها الفونيمي^(٢٩).

يقول محمد زهير وهو يستعرض صور تأثير اللغة الصومالية بالعربية: «إن بعض الكلمات العربية تنطق في اللغة الصومالية بلفظها وشكلها دون أي تغيير مثل: واجب، يقين، نكاح.... إلخ»، وبعضها طرأ عليه تغيير خفيف والبعض الآخر طرأ عليه تغيير كبير وأصبح بعيداً عن الكلمة العربية الأصلية إلى حد ما، وذلك مثل (أحسنست) وتنطق بالصومالية (مهدسنت)^(١)، و(بحر) وتنطق بالصومالية (بد)، و(ما أرغب) وتنطق بالصومالية (مربو)، و(ماذا جرى) فتتطق بالصومالية (محارجا) إلى غير ذلك من الكلمات الكثيرة التي تحتاج إلى دراسة عميقة لمعرفة أصلها العربي^{(٢)(٣٠)}.

يعتقد بعض الباحثين أن المفردات العربية في اللغة الصومالية تمثل ٥٠٪، بينما يعتقد آخرون أن المفردات العربية في اللغة الصومالية الدارجة تمثل ٧٥٪ من ألفاظها، وذلك بعد ضم ما أصابها من تحريف وتعديل وقلب في بنية مفرداتها^(٣١).

وعلى كل حال فإن الصومالية أخذت من اللغة العربية ما يزيد على ألف وخمسة كلمة عربية وأصبحت هذه المفردات العربية الآن جزءاً من كيان اللغة الصومالية، وهذا ما أكدّه إبراهيم حاشي في كتابه (الصومالية بلغة القرآن) فعد جميع هذه المفردات الألف والخمسةائة قائلاً: «وبعد تتبع واستقصاء للآيات القرآنية والأحاديث الشريفة وجدت ما

(١) كلمة مهدسنت أصلها مهد بمعنى حمد وهي مقلوبة وفيها لاحقة صفة وفعل كينبونة mahad + san + tihid وكلمة أحسنست تنطق كما هي وتدلل على الشكر. انظر: الكاشف - قاموس عربي صومالي تأليف مؤمن عالم جيلي مادة حمد ومادة شكر.

(٢) و(ما أرغب) وتنطق بالصومالية (مربو)، و(ماذا رغبت) فتتطق بالصومالية (محاربنا) (ماذا جرى) فتتطق بالصومالية (محاجرو).

يأتي من الكلمات والعبارات المشتركة بين الصومالية والعربية كدليل على قرب اللغتين بعضهما من بعض»^(٣٢).

وقد أدى هذا التعايش المستمر بين اللغتين إلى تأثر اللغة الصومالية بالعربية بحكم زعامتها الدينية فصار معظم أصول اللغة الصومالية من العربية، حتى احتضنت الآلاف من مفردات اللغة العربية في قاموسها، وهو ما جعل بينها وبين اللغة العربية علاقة أخوية أو قل عضوية، ولعل هذا ما دعا البعض أن يحاول إدخال اللغة الصومالية في إطار العربية الحديثة، لكن التأثير شيء والمثلية شيء آخر^(٣٣).

وهذه أمثلة لكلمات صومالية مقترضة من العربية وتم ترتيبها ألفبائياً:

Ibliis	إبليس
Aqbaar	أخبار
Idaaro	إدارة
Adab	أدب
Idin	إذن
Imam	إمام
Inshaa allaah	إن شاء الله
Tafsiir	تفسير
Towbad	توبة
Jumca	الجمعة
Xaaji	حاج
Xaqiiqa	حقيقة
Khamiis	الخميس
Daftar	دفتر
Daqiiqa	دقيقة

Aduunyo	الدنيا
ra'yi	رأي
rubi	ربع
Rafiiq	رفيق
Rakca	ركعة
Ramadaan	رمضان
Saman	زمن
Siyaado	زيادة
Sujuud	سجود
Sharaf	شرف
Shareeca	شريعة
shooq	شوق
Saxan	صحن
Sadaqo	صدقة
Salad	صلاة
Duhur	الظهر
Caafimaad	عافية
Cibaado	عبادة
Cadow	عدو
Caskari	عسكري
Casir	العصر
Cimaamad	عمامة
Qaali	غالي
Faa'ido	فائدة

Fajar	الفجر
Fursad	فرصة
qaadi /qaalli	قاضي
Qabiil	قبيلة
Qalin	قلم
Kitaab	كتاب
Laasim	لازم
Luqad	لغة
Laakiin	لكن
Alle	الله
Mexraab	محراب
Maqrib	المغرب
Muqadas	مقدس
Mahar	مهر
Nijaas	نجس
Nadiif	نظيف
Naf	نفس
Nuur	نور
Waajib	واجب
Waadi	وادي
Waqti	وقت

خاتمة

إن اللغات من أهم الأمور التي تميز الحضارات، ومما لا شك فيه أن اللغة العربية من أقوى وسائل الترابط بين العرب والأفارقة وبينهم وبين المسلمين الذين يتكلمونها أو يفهمونها في البلاد الإسلامية وغيرها؛ ولذلك استطاعت أن تجمع تحت رايتها أمماً وأنساباً وأعراقاً ودماءً شتى وألواناً مختلفة ممن ينتسب إلى العرب ومن يدين بالإسلام فهي لغة عالمية، ولغة حضارة إنسانية عريقة، وقد امتدت وانتشرت في القارة الإفريقية أكثر من انتشارها في قارات أخرى حيث شملت أقطار أواسط إفريقيا وجنوبها وغربها، فبعد أن وصلت إلى موريتانيا امتدت إلى السنغال ومنها إلى غانا ومالي ونيجيريا والنيجر وتشاد والكاميرون وفولتا العليا، في الوقت الذي دخلت فيه عن طريق باب المندب إلى الصومال وكينيا وأوغندا وجيبوتي ومدغشقر وجزر القمر وتنزانيا وموزمبيق.

ويقول توماس في هذا الصدد: « غدت اللغة العربية لغة تخاطب بين قبائل نصف القارة الإفريقية »، ويقول ديشان: « ولم تكتف قبائل الممالك الإفريقية بدخول الإسلام بل طبعت بطابع عربي إسلامي بسبب انتشار اللغة العربية في تلك البلاد ». ولقد تركت اللغة العربية أثراً ظاهراً وملموساً في اللغات المحلية وفي جميع أقطار القارة الإفريقية، وتشير الإحصاءات إلى أن هناك حوالي ثلاثين لغة إفريقية كتبت بالخط العربي عبر القرون وبعضها من كبريات اللغات التي يتكلمها عشرات الملايين ومنها:

- لغة الهوسا ويُتحدث بها في نيجيريا والنيجر والكاميرون والسودان... إلخ.
- اللغة السواحيلية وهي منتشرة في تنزانيا وكينيا وأوغندا...
- اللغة الصومالية وهي موجودة في الصومال وإقليم أنفدي من كينيا وإقليم الصومال الغربي في إثيوبيا وجيبوتي.
- اللغة الفولانية ولهجاتها المختلفة وهي منتشرة في المنطقة الممتدة من السودان إلى السنغال.
- لغة الماندينكا ولهجاتها المختلفة وهي منتشرة في سيراليون وغانا وليبيريا وفولتا العليا.

- لغة السوننكي وهي موجودة في مالي وموريتانيا وجامبيا.

- لغة الولوف وهي في السنغال وجامبيا.....

إلى غير ذلك من اللغات.

وهناك دعوة جديدة إلى عودة تبوأ اللغة العربية مكانتها فقد أصبحت لغة رسمية في كل من موريتانيا والصومال وجيبوتي وجزر القمر وتشاد فضلاً عن إقرار الجمعية الوطنية في السنغال اللغة العربية لغة إلزامية في المناهج الدراسية وإقرار تدريس اللغة العربية كذلك في غينيا بعد استقلالها عام ١٩٦٠م، وكذلك الحال في شمال نيجيريا فقد أصبحت اللغة العربية تحتل مكانة عالية في التعليم.

والجدير بالذكر هنا أن الإيسيسكو وضعت برنامجاً طموحاً لإعادة الهوية العربية إلى العديد من لغات الشعوب الإفريقية التي كانت ضحية المحتل الأوربي، وذلك من خلال إعادة كتابة اللغات الوطنية لهذه الشعوب بالحرف العربي في عملية تقنية وفنية وتعليمية طويلة النفس، وقد استطاعت الإيسيسكو أن تنجح نجاحاً كبيراً في تحقيق الجزء الأول منها، ويتمثل ذلك في وضع نمط عربي للحروف لكتابة إحدى وعشرين لغة من اللغات التي تتحدث بها الشعوب الإفريقية.

ولقد حددت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة الأهداف الخمسة التالية لهذا المشروع الحضاري:

أولاً: صقل الحرف العربي وتطويره صوتياً وتطويره لكتابه لغات الشعوب الإسلامية المتعددة بطريقة علمية متقنة.

ثانياً: المحافظة على التراث الحضاري للشعوب الإسلامية وتنمية لغاتها وثقافتها حتى تتمكن من مسيرة حضارة الثورة العلمية والتكنولوجية وتطوير الاتصالات.

ثالثاً: ربط لغات الشعوب الإسلامية بعضها ببعض من خلال اتخاذها لحرف واحد هو الحرف العربي وربطها من ثم بلغة القرآن الكريم.

رابعاً: تقليص نفوذ اللغات الأجنبية الدخيلة على الشعوب الإفريقية وتخليصها تدريجياً.

خامساً: محاربة الأمية التي تضرب بأطنابها في الشعوب الإفريقية.

قائمة الهوامش

- ١ بابكر حسن قدرماري: كتابة اللغات الإفريقية بالحرف العربي (الفلاي- الهوسا- السواحلي)، الخرطوم، ٢٠٠٦، ص ٣.
- ٢ المرجع السابق، ص ٦-٧.
- ٣ المرجع نفسه، ص ص ٨-٩.
- ٤ يهوذا سليمان إمام: ظاهرة الاقتراض اللغوي: لغة الهوسا واللغات المجاورة، في أعمال المؤتمر الدولي الثاني «اللغة والثقافة في إفريقيا»، ١٣-١٤ فبراير ٢٠٠٨، قسم اللغات الإفريقية، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، القاهرة، ص ٤٣٧.
- ٥ المرجع السابق ص ١٥٩ وما بعدها.
- ٦ العربية في اللغات الإفريقي، وقائع الملتقى العربي- الإفريقي حول العلاقات بين اللغة العربية واللغات الإفريقية الأخرى، داكار، السنغال ٩-١٢ أبريل، ١٩٨٤ ..
- ٧ محمد علي نوفل: تأثير اللغة العربية في لغة الهوسا، في « ندوة اللغة و الثقافة في أفريقيا»، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، القاهرة، ٢٠٠١.
- ٨ المرجع السابق، ص ص ٢٥-٢٦.
- ٩ المرجع نفسه، ص ص ٢٧-٢٨.
- ١٠ المرجع نفسه، ص ٢٨.
- ١١ المرجع نفسه، ص ٢٩.
- ١٢ المرجع نفسه، ص ٣٠.
- ١٣ المرجع نفسه، ص ص ٣١-٣٢.

- ١٤ الخليل النحوي، إفريقيا المسلمة: الهوية الضائعة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٣، ص ٤٧.
- ١٥ محمد إبراهيم محمد: الحرف العربي واللغة السواحيلية في شرق أفريقيا، في أعمال مؤتمر « العلاقات الثقافية العربية الإفريقية»، ٣٠-٣١ مايو، ١٩٩٨، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ص ٦١٦.
- ١٦ المرجع السابق، ص ٨٣.
- 17 Temu C.W., «Swahili vocabulary Expansion, a Priliminary Observation, kiswahili», vol. 42, March, 1972, Tanzania, P.9.
- 18 سيد حامد حريز: « اللغة السواحيلية واللغة العربية»، ملتقى داكار حول العلاقة بين اللغات الإفريقية واللغة العربية. داكار، أبريل، 1984.
- 19 Al-Halougy M.H., « Les Emprunts Arabes en Swahili » Thise de Doctorate d'Etat, es Lettre, Universt de La Sorbonne, Nounelte, Paris. III, 1985.
- 20 Abdulazizi M. H., « Arabic Borrowings in Swahili». (The Acts of the Afro-Arab Colloquium, the Relation, between African Languages and Arabic Languages). ALESCO, Tunis, 1992, P.75
- 21 Ahmad Bosh, « Taathira za kiarabu katika Kiswahili, pamoja na kamusi thulathiya, Kiswahili-kiarabu-kiingereza. » DUP. Tanzania, 1993. P.39
- ٢٢ على عمر مزى: «أوضاع اللغة العربية في زنجبار»، بحث تكميلي مقدم لنيل درجة دبلوم معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، مايو ١٩٩٣.
- ٢٣ محمد بكاري: الأدب السواحيلي الإسلامي ونقاد الأدب الفرنسي، مجلة الدراسات العربية الإفريقية، العدد الأول، ١٩٨٧.
- 24 M. Hambadi: Are-Are Kalmomin cikin Hausa hand out given to Hausa students B.A.III, 1976, Bayero unikano.
- ٢٥ المرجع السابق ص ٧٦.
- ٢٦ إبراهيم على طرخان: مرجع سابق، ص ٧٥.

- ٢٧ محمد علي نوفل: مرجع سابق، ص ص ٢٣١-٢٣٢، وللمزيد انظر: مصطفى حجازي: الإسلام ونشأة الكتابة في بلاد الهوسا، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد ٦١.
- ٢٨ مصطفى حجازي: الإسلام ونشأة الكتابة في بلاد الهوسا، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد ٦١، ١٩٨٧.
- ٢٩ بشير مهدي علي: الحرف العربي في كتابة اللغة الصومالية؛ الماضي والحاضر والمستقبل، ص ٥٧.
- ٣٠ عبد الرازق حسين حسن: المسح اللغوي في الصومال وتأثير اللغة العربية في اللغة الصومالية، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، ص ص ٥٥-٨١.
- ٣١ حسن مكي محمد أحمد: السياسات الثقافية في الصومال الكبير، المركز الإسلامي الإفريقي، شعبة البحوث والنشر، ص ١٧٤.
- ٣٢ محمد زهير حامد: في ربوع الصومال، ص ١٢٩، نقلاً عن إبراهيم حاشي في كتابه المذكور.
- ٣٣ بشير مهدي علي، مرجع سابق، ص ٦١.

طرق بناء الكلمات في اللغة السواحيلية

إعداد/ د. سيد رشاد قرني

كلية الدراسات الإفريقية العليا- جامعة القاهرة (مصر)

مستخلص

يتناول هذا البحث موضوع طرق بناء الكلمات في اللغة السواحيلية. يبدأ البحث بتعريف المقصود بطرق بناء أو صوغ الكلمات في اللغة في ضوء علم الصرف، وأبرز الطرق التي تلجأ إليها لغات العالم في بناء مفردات جديدة لمواكبة المستجدات التي تطرأ على الحياة الإنسانية على اختلاف مناحيها ومستوياتها، ثم يعرض البحث للطرق التي تستخدمها اللغة السواحيلية - محل الدراسة - في بناء كلماتها، ومنها الاقتراض بأنواعه والتركيب والاشتقاق والإبدال الفونيمي والاختصار بنوعيه، ومحاكاة الصوت أو الهيئة أو الطبيعة، والتكرار. ويتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي في وصف وتحليل الشواهد اللغوية وعرض آراء علماء الصرف والنحو في هذا الصدد، وأخيراً الوقوف على أكثر الطرق التي تستخدمها السواحيلية في بناء كلماتها والسمات العامة لعملية بناء الكلمات في اللغة السواحيلية.

كلمات مفتاحية: بناء، كلمات، السواحيلية، الاقتراض، التركيب، الاشتقاق، الاختصار.

Ways of Building Words in Swahili Language

Dr. Sayed Rashad Korany Mohamed

Faculty of African Postgraduate Studies,

Cairo University – Egypt.

Abstract

This paper deals with the topic of ways to building words in Swahili. The research begins with the definition of the intended ways of building or forming words in the language in the light of morphology, and the most prominent ways that the world's languages resort in building new vocabulary to keep pace with developments in human life in all areas and aspects. then the research presents the methods that the Swahili language uses in building its own words, Including borrowing in all its forms, composition, derivation, phonemic substitution, abbreviation of both types, and simulation of sound, body or nature. The paper follows the descriptive and analytical method in describing and analyzing linguistic evidence and presenting the opinions of morphologists and grammarians in this regard.

Finally to identify the most common methods used in Swahili in building its own words and the general features of the process of building words in the Swahili language.

Keywords: building, words, Swahili, borrowing, composition, derivation, abbreviation.

مقدمة

تتطور اللغات وتنمو مفرداتها بفعل النشاط الإنساني والاستخدامات المتغيرة والمتجددة، فلا يكاد يمر يوم دون ظهور أشياء جديدة، ونشوء أحوال، واستحداث أفعال، وتوليد معانٍ، وكل ذلك يتطلب ألفاظاً ومسميات جديدة يتم الحصول عليها بعدة طرق تختلف باختلاف اللغات والمجتمعات والأزمنة^(١). فلكل لغة من اللغات الإنسانية في مجتمعاتها طرائقها الخاصة في بناء كلماتها، وتنمية ثروتها اللفظية، تلك الطرائق التي تتحكم فيها النظم الصرفية لكل لغة؛ ذلك أن اللغات لا تجري على منوال واحد في بناء الكلمات للتعبير عن المعاني المختلفة^(٢). فاللغة العربية - على سبيل المثال - تلجأ إلى عدة وسائل لبناء كلماتها لعل أبرزها وأكثرها شيوعاً هو طريقة الاشتقاق، وهذا لا يعني أن العربية لا تعرف سوى الاشتقاق لبناء الكلمات، فهي تعرف طرق أخرى مثل: التركيب والنحت والمزج والإلصاق، غير أن الاشتقاق يعد الوسيلة الأبرز في العربية لبناء الكلمات وصوغ الألفاظ لدرجة اعتبرت معها اللغة العربية لغة اشتقاقية في المقام الأول^(٣).

يذكر ستيفن أولمان أن التركيب Composition والاشتقاق Derivation هما الطريقتان المتفق على صحتها في صوغ الكلمات في العديد من لغات العالم. علاوة على ذلك ثمة طرق أخرى مثل المزج Blending، والتأصيل الشعبي Popular Etymology^(٤)، وغير ذلك من الطرق المستخدمة في بناء الكلمات. وتشتمل أي لغة على عدد ضخم من العناصر الصرفية التي تساعد على تكوين كلمات جديدة من كلمات أو أصول موجودة

بالفعل وهذه العناصر إما سوابق Prefixes كما في نحو re read أو لواحق Suffixes كما في reader وقد تحتوي بعض اللغات على عناصر أخرى في صلب الكلمة أو ما يسمى بالأحشاء Infixes، وغير ذلك من الطرق التي تلجأ إليها بعض اللغات لبناء مفرداتها^(٥).

يندرج موضوع هذا البحث تحت مظلة علم الصرف الذي يعني بدراسة أشكال الكلمات في استخداماتها المختلفة وكذلك تراكيبها المختلفة. يعرف ديفيد كريستال D. Crystal علم الصرف بأنه أحد أفرع علم القواعد^(٦)، يُعني بدراسة تركيب أو صيغ الكلمات من خلال بنية المورفيم^(٧)، ويتفق ريتشاردز Richards مع كريستال؛ في القول بأن علم الصرف هو دراسة المورفيمات وأشكالها المختلفة Allomorphs وكيفية تجمعها لتكوين الكلمة.

ويقع علم الصرف إلى فرعين أساسيين، هما:

١ - علم الصرف التصريفي Flexional Morphology

٢ - علم الصرف الاشتقاقي Derivational Morphology^(٨).

مفهوم بناء الكلمات

يُطلق مصطلح بناء الكلمة Word Building أو صوغ اللفظ Word Formation على عملية توليد كلمة من أخرى أو تحويل صيغة الكلمة إلى صيغة أخرى فيما يعرف بالاشتقاق والتصريف. ويقع تحت هاتين الطريقتين الرئيسيتين طرق أخرى كثيرة تستخدم لصوغ وبناء الألفاظ، ومنها: إضافة الزوائد، وانصهار كلمتين، وحذف جزء من كلمة، ووضع كلمة جديدة، إلخ^(٩).

ويذكر معجم لونغمان أن تكوين الكلمات Word Formation في اللغة يتم باستخدام العديد من الطرق، ومن أبرز هذه الطرق:

١ - إضافة لاحقة (الاشتقاق Derivation)

٢ - حذف لاحقة (التشكيل الخلفي Back Formation)

٣- إضافة صيغة مجمعة Combining Form

٤- بناء كلمة مركبة Compound Word

٥- تقصير كلمة قديمة مثل: Flu بدلاً من Influenza (الإنفلونزا)

٦- تكرار كلمة أو جزء من كلمة (المضاعفة Reduplication)

٧- ابتكار كلمة جديدة تماماً كالمصطلح الرياضي Google

وبالإضافة إلى ذلك يمكن اعتبار عمليات أخرى جزءاً من تشكيل الكلمات، وهي تضم:

أ- إضافة لاحقة التصريف

ب- استخدام الأجزاء المختلفة كأجزاء الكلام مثل استخدام cap (غطاء) وفعل (to cap)^(١٠).

وفي هذا الصدد أورد ماريو باي ست طرق رئيسية تلجأ إليها اللغات الإنسانية لبناء مفرداتها، وهذه الطرق هي:

١- الاشتقاق Derivation

٢- التركيب Composition

٣- الاقتطاع العجزي Back-Formation

٤- التقصير Shortening

٥- الوضع Coinage

٦- التغير الوظيفي Functional change

٧- الاقتراض Borrowing^(١١).

طرق بناء الكلمات في اللغة السواحيلية

تصنف اللغة السواحيلية - وفقاً للتصنيف التنميطي Typological Classification - ضمن مجموعة اللغات الإلصاقية أو الإلصاقية Agglutinative Languages ؛ التي يتم فيها بناء الكلمات ذات المعاني النحوية باستخدام عناصر تلتصق بساق الكلمة أو المادة الأصلية التي لا يطرأ عليها أي تغيير على جذرها؛ حيث تلتصق العناصر بها على شكل سوابق ولواحق، وهي عناصر لها وجود مستقل، فأى كلمة في اللغة السواحيلية تتكون من: الجذر Stem، والسابقة/ السوابق Prefix، واللاحقة/ اللواحق Suffix^(١٣).

وقد ذهب ماسييو ونيانجويني Masebo، J.A. & Nyangwine إلى أن بناء الكلمات هو فن عرفه الإنسان منذ أن اكتسب اللغة من أجل إطلاق مسميات على الأشياء التي يقابلها في البيئة المحيطة به أو الأشياء التي يصنعها هو بنفسه، وذكر أن بناء الكلمات في اللغة السواحيلية أمر حيوي وضروري لعدة أسباب، من أهمها:

- ١ - الاستخدامات العادية التي تأخذ شكلاً جديداً كل يوم.
- ٢ - الحاجة إلى ترجمة الكلمات من لغتك إلى اللغة الأجنبية أو العكس.
- ٣ - الحصول على مفردات مقبولة في أشغال بعينها مثل: البنوك والمتزهات والجيش، وما إلى ذلك.
- ٤ - الاستخدامات الثقافية لأصحاب القوميات الأخرى، وضرورة تطور المفردات السواحيلية لكي تلبي حاجات مستخدميها السواحيلية في استيعاب الفنون والثقافات الأجنبية الجديدة.
- ٥ - الحاجة إلى مفردات جديدة في كافة العلوم والدراسات^(١٤).

طرق بناء الكلمات في السواحيلية

Njia za uundaki wa meneno katika Kiswahili

يكاد يجمع علماء الصرف السواحيليين على أن اللغة السواحيلية تعرف سبع طرق رئيسية لبناء الكلمات، هذه الطرق هي:

Kutohoamaneno	١ - اقتراض الكلمات
Miambatano	٢ - التركيب
Kubadili Fonimu	٣ - الإبدال الفونيمي
Nyambuaji	٤ - الاشتقاق
Kufananisha Sauti, Umbo, Sura au Tabia	٥ - محاكاة الصوت أو الشكل أو الهيئة أو الطبيعة
Ufupisho	٦ - الاختصار
Urudufishaji	٧ - التكرار

أولاً: اقتراض الكلمات Kutohoamaneno

يُعد الاقتراض اللغوي ظاهرة شائعة في كل لغات العالم، فعن طريق الاقتراض تتطور اللغات وتنمو ثروتها اللغوية ويضمن لها البقاء. ولما كانت اللغة أداة للتبادل الاجتماعي والتلاقي الثقافي فلا عجب أن نجد لغة ما تقترض لفظاً أو عدة ألفاظ من لغة أخرى، وسرعان ما تدخل هذه الألفاظ إلى نسيج اللغة الوافدة إليها وتنصهر في قالب التركيبي والصرفي لها، ولكن هذا لا يمنع من وجود ألفاظ احتفظت بشكلها دون أن تنصهر في اللغة الجديدة^(١٥).

يُعرف الاقتراض Borrowing بأنه إدخال عناصر من لغة ما إلى لغة أخرى أو من لهجة ما إلى لهجة أخرى؛ وغالباً ما تكون تلك العناصر كلمات، أو أصوات أو صيغ وتراكيب كاملة^(١٦).

اقترضت السواحيلية - كغيرها من اللغات - الكثير من المفردات من لغات عدة أجنبية كانت أو بانثوية إفريقية. وتأتي اللغة العربية في مقدمة اللغات التي اقترضت منها اللغة السواحيلية، تليها اللغة الفارسية ثم التركية فالبرتغالية والهندية والإنجليزية. وتختلف الآراء

حول نسبة المفردات الأجنبية في القاموس السواحيلي، فمن الباحثين من يذهب إلى أن نحو ٧٢٪ من قاموس السواحيلية يرجع إلى اللغات البانتوية التي تنتمي إليها السواحيلية، في حين ترجع نسبة ٢٣٪ إلى اللغة العربية، بينما لا تتعدى المفردات التي اقترضتها السواحيلية من لغات أخرى كالإنجليزية والفرنسية والبرتغالية والهندية مجتمعة نسبة ٥٪ من القاموس السواحيلي^(١٧).

ونظرًا لطبيعتها الإلصاقية تمتاز اللغة السواحيلية بقدرتها الفائقة على سوحلة الكلمات والمفردات الجديدة الوافدة، حيث تضيف دائمًا حركة في نهاية الأسماء المقترضة لتطابق النظام الصوتي البانتوي، مثل kitabu كتاب، و kalamu قلم... إلخ^(١٨).

ويأخذ الاقتراض في اللغة السواحيلية عدة أشكال نوجزها على النحو الآتي:

- ١ - ألفاظ ومصطلحات اقترضت بنفس المعنى الدلالي ونفس النطق ونفس طريقة الكتابة.
- ٢ - ألفاظ ومصطلحات اقترضت بنفس المعنى الدلالي ونفس النطق ولكنها تكتب طبقًا لنظام اللغة السواحيلية.
- ٣ - ألفاظ ومصطلحات اقترضت بنفس المعنى الدلالي مع سوحلة النطق وكتابتها طبقًا لنظام الكتابة في اللغة السواحيلية.
- ٤ - ألفاظ ومصطلحات اقترضت بنفس المعنى الدلالي ويمكن كتابتها أو نطقها كما هي في لغتها الأصلية أو استخدام طريقة الكتابة أو النطق المعدلة في اللغة السواحيلية^(١٩).

ومن أمثلة الاقتراض في اللغة السواحيلية ما يلي:

معنى الكلمة	الكلمة في السواحيلية الفصحى	الكلمة المقترضة	اللغة المقترض منها
جرار زراعي	Trekta	Tractor	الإنجليزية Kiingereza
رقم	Namba	Number	

العربية Kiarabu	Ticket	Tikiti	تذكرة
	Picture	Picha	صورة
	Gazette	Gazeti	جريدة
	History	Historia	تاريخ
	School	Skuli	مدرسة
	Coat	Koti	معطف
	Radio	Redio	راديو
	Driver	Dreva	سائق
	Office	Ofisi	مكتب
	Ila	Ila	علة
	Lugha	Lugha	لغة
	lakn	Lakini	لكن
	Allah	Allah	الله
	Mahal	Mahali	محل - موقع
	Saalam	Salama	سلام
	Wakil	Wakili	وكيل
	Iblis	Ibllisi	إبليس
	Khabar	Habari	خبر
	Adab	Adabu	أدب
	Idhin	Idhini	إذن - تصريح
	Imam	Imamu	إمام
	In Shaa Allah	Inshallah	إن شاء الله
	Tisa	Tisa	تسعة
	Tafsir	Tafsiri	تفسير - ترجمة

اللغة المقترض منها	الكلمة المقترضة	الكلمة في السواحيلية الفصحى	معنى الكلمة
العربية Kiarabu	Juma	IJumaa	الجمعة
	Haj	Haji	الحج
	Siha	Siha	صحة
	Sahn	Sahani	صحن
	Sadaka	Sadaka	صدقة
	Sallah	Salla	صلاة
	Aftya	Afya	عافية
	Ibadah	Ibada	عبادة
	Najis	Najisi	نجس
	Nadhif	Nadhifu	نظيف
	Nafs	Nafsi	نفس
البرتغالية Kireno	Bibo	Bibo	جدة
	Roda	Roda	عجلة
الهندية Kihindi	Mesa	Meza	طاولة
	Copa	Kopa	طلب
	Benjera	Bendera	راية - علم
	Caraco	Korosh	كاجو
	Carta	Karata	بطاقة - كارد
	Sete	Seti	يجلس
	Vinho	Mvinyo	نيذ
	Achari	Achali	قائم
	Bhama	Bima	تأمين

اللغة المقترض منها	الكلمة المقترضة	الكلمة في السواحيلية الفصحى	معنى الكلمة
الهندية Kihindi	Ghat	Gati	رصيف
	Lakh	Laki	١٠٠ ألف
	Dukan	Duka	دكان - متجر
	Dhoti	Doti	قمامة
	Dhobi	Dobi	شبكة صيد
	Ghadi	Gari	سيارة
	Rang	Rangi	لون
	Paisa	Pesa	نقود
	Tumbaku	Tumbaku	تبغ
الفارسية Kiajemi	Baftah	Bafta	بفته
	Baqshish	Bakshishi	بقشيش
	Bandar	Bandari	ميناء
	Diricha	Dirisha	نافذة - شباك
	Kod	Kodi	شفرة - كود
	Pilao	Pilau	أرز مطهي
	Dari	Dari	سقف
	Darbyn	Darubini	تلسكوب - مجهر
	Jamaadar	Jemadari	جنرال - لواء
الفرنسية Kifaransa	Champ	Shamba	حقل - مزرعة
	Duvin	Divai	نبيذ

معنى الكلمة	الكلمة في السواحيلية الفصحى	الكلمة المقترضة	اللغة المقترض منها
مدرسة	Shule	Schule	الألمانية Kijerumani
عملة/ نقود	Hela	Heller	
رقيب أول في الجيش	Bishaushi	Baashawish	التركية Kituruki
صندوق خشبي	Kasha	Caixa	
أفندي / باشا	Afande	Afandy	
مساعد في الجيس	Soli	Sol	
سفير	Balozi	Balyus	
ظرف الخطاب/ صرة	Bahasha	Bughasha	
سجن / كراكون	Korokoroni	Kohkoni	
فحم	Makaa	Makara	الجوجاراتية Kigujarati
إناء / جرة	Bakuli	Bakudi	
سلة مهملات	Kapu	Kaphu	
قصر رئاسي	Kigogo / Kisukuma	Ikulu	اللغات البانتوية Lugha za Kibantu
برلمان	Kiha / Kiganda	Bunge	
كلية	Kipare	Kitivo	
عنزة	Kimasai	Mbuzi	
عربة	Kimatengo	Ngoro	
مطالعة	Kigogo	Mitala	

وثمة نوع آخر من الاقتراض تعرفه اللغة السواحيلية وهو الاقتراض بالترجمة Tafsiri Mkopo^(٢١). ويستعمل مصطلح «الاقتراض بالترجمة» لنقل الكلمات إلى اللغة المقترضة بترجمتها لا بنقلها نقلاً حرفياً^(٢٢). ومن أمثلة ذلك المصطلحات التالية التي اقترضتها السواحيلية من اللغة الإنجليزية

الكلمة في الإنجليزية	الكلمة في السواحيلية	ترجمتها
Loanword	Neno mkopo	كلمة دخيلة
Redcross	Msalaba mwekundu	الصليب الأحمر
Chairperson	Mwenyekiti	الرئيس
Headteacher	Mwalimu mkuu	مدير المدرسة
Cross road	Njia panda	تقاطع طريق

ثانياً: طريقة التركيب Njia ya Miambatano

يعرف ماريو باي التركيب Composition بأنه: «وضع جذرين (مورفيمين حرين) إلى جنب»^(٢٣). ويعرفه عبد الصبور شاهين بأنه: «ضم كلمة إلى أخرى بحيث يتكون من مجموعهما عبارة واحدة ذات مفهوم موحد»^(٢٤). أما بعلبكي فيعرف تركيب الكلمات compounding بأنه «عملية صرفية تجمع فيها كلمتان أو أكثر لتكونا كلمة مركبة^(٢٥)».

وفي اللغة السواحيلية يعرف التركيب Miambatano بوصفه إحدى وسائل بناء المفردات في السواحيلية ويُقصد به تكوين الكلمات عن طريق ضم كلمتين أو أكثر لا يمكنك توحيدهما ككلمة واحدة أو البقاء منفصلين^(٢٦).

ثمة أربعة طرق رئيسية لبناء الكلمات في السواحيلية عن طريق التركيب، وهذه الطرق

هي:

- ١- اسم + اسم Nomino + Nomino
 ٢- اسم + صفة Nomino + Kivumishi
 ٣- فعل + اسم Kitenzi + Nomino
 ٤- اسم تابع + اسم حر Nomino tegemezi + Nomino huru

ومن أمثلة الكلمات المركبة في اللغة السواحيلية بالطرق سالمة الذكر ما يلي:

١- اسم + اسم

التركيب	اسم	اسم	المعنى
Mwananchi	Nchi	+ Mwana	مواطن
	بلد / دولة	صاحب / ابن	
Mwanamaji	Maji	+ Mwana	بحار
	ماء	صاحب / ابن	

٢- اسم + صفة

التركيب	صفة	اسم	المعنى
Mchezakwao	Kwao	+ Mcheza	لاعبهم
	لديهم / عندهم		
Mwanakwetu	Kwetu	+ Mwana	أخونا / ابنتنا
		صاحب / ابن	

(٢٧)

٣- فعل + اسم

المعنى	التركيب	اسم	فعل
غاص / عطس	Pigambizi	Mbizi	+ piga
		غطس	ضرب
سكر / ثمل	Pigamaji	Maji	+ piga
		ماء	ضرب

٤- اسم تابع + اسم مستقل

المعنى	التركيب	اسم مستقل	اسم تابع
سكران	Mpigamaji	Maji	+ Mpiga
		ماء	ضارب
غواص	Mpigambizi	Mbizi	+ Mpiga
		غطس	ضارب

(٢٨)

وقد تطرق عمرو عبدالله خميس إلى ظاهرة التركيب في بناء الكلمات في اللغة السواحيلية مستخدماً مصطلح Umbatanishaji wa Maneno معرّفًا إياها قائلاً «إن طريقة تركيب الكلمات عادة ما تستخدم لبناء مفردات عن طريق تركيب كلمتين تنتمي إلى لغة واحدة ولكل منها معنى مختلف لتكونا معاً كلمة جديدة ذات معنى جديد مختلف عن معنى الكلمتين الأصليتين»^(٢٩).

ومن أمثلة الكلمات المركبة في اللغة السواحيلية:

Mwana	+	Hewa	=	Mwana hewa	طيار
Mwana	+	Maji	=	Mwana maji	بحار

Bata	+	Mzinga	=	Bata mzinga	ديك رومي
Punda	+	Milia	=	Punda milia	حمار وحشي
Mwana	+	Sharia	=	Mwana sharia	محامي
Paka	+	Shume	=	Paka shume	قط بري
Mbwa	+	Mwitu	=	Mbwa mwitu	ذئب
Mwana	+	Siasa	=	Mwana siasa	سياسي
sukuma	+	Wiki	=	Sukumawiki	نبات الفت/ الكرب
gari	+	Moshi	=	Garimoshi	قطار سكة حديد
kufa	+	Urongo	=	Kifaurongo	نوع من النباتات

(٣٠)

ثالثاً: طريقة الإبدال الفونيمي Njia ya kubadili Fonimu

لكل لغة أصواتها أو فونيماتها التي تستخدمها في تكوين مفرداتها. ثمة كلمات كثيرة في اللغة تعرف ظاهرة الإبدال الفونيمي أو استخدام تراتبية مختلفة للفونيمات أو الأصوات وفي اللغة السواحيلية على سبيل المثال وليس الحرف نجد كلمات مثل lima وتعني (يزرع)، وهذا الكلمة مكونة من أربع فونيمات هي l-i-m-a وعند إبدال هذه الفونيمات نحصل على الكلمات الآتية: (mali مال)، و (Mila ملة)، (Imla إملاء)، و (Lami قطران)، و (Amali عمل).. إلخ^(٣١).

رابعاً: الاشتقاق عن طريق إضافة اللواحق الاشتقاقية لجذور الكلمات

Kuambisha Viambishi Nyambuaji katika Mizizi au Mashina ya Maneno

تلجأ اللغات إلى طريقة الاشتقاق من أجل توليد الكلمات وتنمية اللغة، ويمكن الاعتماد عليه لسد النقص في المفردات التي تمس الحاجة إليها بفعل التطور العلمي والتقني، والتغير البيئي والحضاري المتلاحق^(٣٢).

يعرف الاشتقاق Derivation بأنه: نزع لفظٍ من آخر، بشرط مناسبتها معنىً وتركيباً، ومغايرتهما في الصيغة. ٣٣ الاشتقاق كما يعرفه علماء الصرف هو: «أخذ صيغة من أخرى، مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب لها؛ ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة؛ لأجلها اختلفاً حروفاً أو هيئة، ك(ضارب من ضربَ)، و(حذر من حذر)^(٣٤).

تحتوي كل اللغات تقريباً على العديد من الزوائد التي يمكن إضافتها إلى الجذور اللغوية لتكوين مفردة جديدة في النوع والمعنى. وفي ذلك يقول أولمان «تشتمل اللغة على عدد ضخم من العناصر الصرفية التي تساعد على تكوين كلمات جديدة من كلمات أو أصول موجودة بالفعل. وهذه العناصر إما سوابق أو لواحق، وقد نحتوي بعض اللغات على عناصر أخرى في صلب الكلمة أو ما يُسمى بـ «الأحشاء». وبهذه الطريقة نستطيع أن نصوغ الأسماء والأفعال من الأسماء والأفعال^(٣٥).

واللغة الإلصاقية توضع فيها اللواصق المتعددة بعد أصل الكلمة لتضيف إلى معناها وتبين الوظيفة النحوية، وتسمى أحياناً باللغة التركيبية Synthetic Language^(٣٦) ويعرفها بعلبكي بأنه نوع من أنواع اللغات التأليفية التي تتميز باعتمادها في بناء الكلمات وتبيان العلاقات النحوية على الالتصاق، فتكون كلماتها في العادة مجموعة من العناصر الواضحة المعنى والوظيفة^(٣٧). والالتصاق هو أن تنضم زائدة إلى جذر الكلمة أو جذعها تحديداً لوظيفتها النحوية، نحو انضمام -ly إلى slow لتكون slowly لنقلها من حيز النعت إلى حيز الظرف^(٣٨).

ويذكر عبدالحى سالم أن اللواحق الاشتقاقية هي عبارة عن مورفيمات صرفية تلحق بجذر الكلمة لتخرجها من نوعها اللغوي (اسم، ظرف، صفة، فعل) إلى أنو آخر مع الاختلاف الواضح في المعنى بين المفردة المشتقة والجذر المشتق منه. وأن اللواحق الاشتقاقية من وجهة

نظر معظم علماء اللغة؛ هي لواحق تشتق بواسطتها كلمة من أخرى ذات نوع مختلف في العادة، مثل اللاحقة -ness التي نشق بها الاسم من النعت، كما في smallness، ومثل -en التي نشق بها الفعل من الاسم كما في Strengthen. فهي عادة لواحق تضاف إلى الكلمة لاشتقاق كلمة أخرى جديدة في المبنى والمعنى^(٣٩).

واللغة السواحيلية كغيرها من اللغات الإفريقية الأخرى تعتمد طريقة الاشتقاق في صوغ ألفاظها، ويتم ذلك فيها عن طريق استخدام اللواحق الاشتقاقية المختلفة؛ ذلك أن السواحيلية كما هو معروف لغة إصاقية Agglutinating Language في الأساس، والإصاق يعتمد على إضافة سوابق أو لواحق إلى الكلمة، دون أن يغير ذلك في بنيتها الداخلية، إذ تبقى الصيغة، وليس عنك من تغيير سوى إلحاق حرف أو أكثر بأول الكلمة أو آخرها^(٤٠). فالسواحيلية تعتمد بصورة شبه كلية على إضافة الزوائد affixation وتوزيعها حول الجذر يمنة ويسرة^(٤١)، فيتم بذلك اشتقاق الأسماء من الأفعال، واشتقاق الأفعال من الصفات والظروف، واشتقاق الأسماء من أسماء أخرى ومن الصفات أيضًا^(٤٢).

ويمكن توضيح طرق الاشتقاق في اللغة السواحيلية على نحو ما يلي:

١- اشتقاق الأسماء من الأفعال Vitenzi kuwa Nomino

أولاً: اشتقاق الأسماء من الأفعال ذات الأصل البانتوي

أ - استخدام اللاحقة (-i) في نهاية الكلمة، وبادئة الفصيلة في الأفراد أو الجمع، وذلك لاشتقاق الأسماء الدالة على اسم الفاعل (فصيلة الكائنات الحية M- Wa)، أو اشتقاق الأسماء المعنوية (فصيلتي U و Ma)، أو اشتقاق اسم الآلة أو الوسيلة التي يتم بها الفعل (فصيلة Ki-Vi)، ومن أمثلة ذلك:

معناها	الاسم المشتق	معناها	الفعل
مربية أطفال	Mlezi / walezi	يربي / يهذب	Lea
حانوتي - تربي	Mzishi / Wazishi	دفن - أقبر	Zika

Ongeza	يقود	Kiongozi / Viongozi	قائد
Tuma	يرسل	Mtumishi / Watumihi	خادم
Linda	يحرس - يحمي	Mlinzi / Walinzi	حارس
Penda	يحب	Mapenzi	حب
Piga	يضرب	Kipigi	صغيرة
Pokeza	يستقبل	Upokezi Mapokezi	استقبال ترحيب

ب - استخدام اللاحقة (-ji) في نهاية الكلمة مع بادئة الفصيلة في الإفراد أو الجمع لاشتقاق اسم الفاعل (فصيلة الكائنات الحية)، أو أسماء المعاني (فصيلة الأسماء المعنوية)، ومن أمثلة ذلك:

معناها	الاسم المشتق	معناها	الفعل
داعي / مبتهل	Mwombaji / Waombaji		Omba
قارئ	Msomaji / Wasomaji	يقرأ	Soma
متحدث رسمي	Msemaji / Wasemaji	يتحدث	Sema
لاعب	Mchezaji / Wachezaji	يلعب	Cheza
مزارع	Mlimaji / Walimaji	يزرع	Lima
تأليف / إنشاء	Utungaji	يؤلف	Tunga
ملاكمة	Upiganaji	يتصارب مع	Pigana
دعاء / توسل	Uombaji	يطلب	Omba
الصيد	Uwindaji	يصطاد	Winda
مساعدة / نجدة	Uokoaji	ينقذ / يساعد	Okoa
تسلق / صعود	Upandaji	يتسلق / يصعد	Panda

ج - استخدام اللاحقة (fu-) ومغايرها الصوتي (-vu) في نهاية الكلمة مع بادئة الفصيصة في الأفراد أو الجمع لاشتقاق الأسماء الدالة على اسم المعنى أو الأشخاص وصفاتهم والأسماء الدالة على نتائج الأفعال، ومن أمثلة ذلك:

معناها	الاسم المشتق	معناها	الفعل
شخص هادئ	Mtulivu / Watulivu	يهدأ/ يستقر	Tulia
حليم/ صبور	Mvumilivu / Wavumilivu	يتحمل	Vumilia
خطأ	Mkosefu / Wakosefu	يخطئ	Kosa
متواضع/ مطيع	Msikivu / Wasikivu	يسمع	Sikia
هدوء	Utulivu	يهدأ	Tulia
تحمل/ صبر	Uvumilivu	يتحمل	Vumilia
نسيان	Usahaulifu	ينسى	Sahau
فهم	Uelekevu	يفهم	Elewa
آلام	Maumivu	يتألم	Umia
تعذيب/ اضطهاد	Maonevu	يعذب/ يضطهد	Onea

د- استخدام اللاحقة (-o) في نهاية الكلمة مع بادئة الفصيصة في الأفراد أو الجمع، لاشتقاق الأسماء المعبرة عن وقوع الحدث أو ما ينتج عن الفعل، وكذلك اسم الآلة أو الوسيلة التي تستخدم في إنجاز الحدث، ومن أمثلة ذلك:

معناها	الاسم المشتق	معناها	الفعل
غطاء	Kifuniko / Vifuniko	يغطي	Funika
مفتاح	Ufunguo / Funguo	يفتح	Fungua
خياط	Mshono / Mishono	يخيط - يحيك	Shona
مطرقة	Nyundo	يكون	Unda
قول- حديث	Msemo / Misemo	يقول- يتحدث	Sema

Lia	يصرخ - يبكي	Kilio / Vilio	صرخة - بكاء
Nena	يتكلم / يقول	Neno / Maneno	كلمة / كلمات
Imba	يغني / ينشد	Wimbo / Nyimbo	أغنية / أغاني
Soma	يدرس	Masomo	دراسات
kusanya	يجمع	Mkusanyiko	حشد
Piga	يضرب	Mpigo Kipigo	ضرب مضرب

هـ- استخدام اللاحقة (-e) مع بادئة الفصيطة في الأفراد أو الجمع لاشتقاق اسم المفعول، والاسم الناتج عن الحدث، وأسماء المعاني أيضاً، ومن أمثلة ذلك:

معناها	الاسم المشتق	معناها	الفعل
مختار / مختارون	Mteule / Wateule	يختار	Teua
رغيف خبز / قطعة	Mkate / Mikate	قطع / قسّم	Kata
رسول	Mtume / Mitume	يرسل	Tuma
مخلوق / كائن	Kiumbe / Viumbe	يخلق	Umba
مهزوم	Mshinde	يفوز	shinda
اختيار، انتقاء	Uteule	يختار	Teua
هزيمة	Ushinde	يفوز	Shinda

و- استخدام اللاحقة (-a) مع بادئة الفصيطة في الأفراد أو الجمع لاشتقاق اسم الفاعل والأسماء المعنوية، ومن أمثلة ذلك:

معناها	الاسم المشتق	معناها	الفعل
مزارع / فلاح	Mkulima / Wakulima	يزرع	Lima

Ogopa	يخاف	Mwoga / Waoga	جبان
Kosa	يخطئ	Makosa	أخطاء
Ganga	عالج بالسحر - طب	Uganga	طب شعبي / شعوزة

ثانيًا: اشتقاق الأسماء من الأفعال المقترضة

١ - تشتق اللغة السواحيلية العديد من الأسماء من أفعال ذات أصل أجنبي، كالأفعال التي اقترضتها السواحيلية من لغات مثل العربية والفارسية والهندية والبرتغالية والإنجليزية وغيرها. ويظهر الاختلاف في اشتقاق الأسماء في هذه الحالة في جذور الأفعال التي تنتهي بصوائت مختلفة مثل: i-u-a-e، ويتم الاشتقاق في هذه الحالة باستخدام اللواحق التالية:

أ- استخدام اللاحقة (a-) لاشتقاق الأسماء من الأفعال المنتهية بأحد الصوائت الثلاثة (i-u-e) وذلك باستبدال هذه الصوائت بالصائت (a)، كما في الأمثلة التالية:

معناها	الاسم المشتق	معناها	الفعل
فتنة	Fitina	يفتن	Fitini
حجة	Hoja	يجادل / يستجوب	Hoji
فائدة	Faida	يفيد	Faidi
فضيحة	Fedheha	يفضح	Fedhehi
حقيقة	Hakika	يحقق	Hakiki
فرج	Faraja	يفرج	Fariji
بركة	Baraka	يبارك	Bariki
احترام	Heshima	يحترم	Heshimu
خدمة	Huduma	يخدم	Hudumu
رخصة - سماح	Ruhusa	يسمح - يرخص	Ruhusu
سماح - غفران	Msamaha	يسامح - يغفر	Samehe

ب - باستخدام اللاحقة (-o) مع بادئة الفصيصة في الأفراد أو الجمع، ومن أمثلة ذلك:

معناها	الاسم المشتق	معناها	الفعل
أذان	Masikio	يسمح	Sikia
مراجع	Marejeo	يراجع	Rejea
محاولات - تجارب	Majaribio	يحاول - يجرب	Jaribu
مجادلات	Majadiliano	يجادل	Jadili
مقاصد - أغراض	Makusudio	يقصد	Kusudi

د - استخدام اللاحقة (-u) مع بادئة الفصيصة في الأفراد أو الجمع، ومن أمثلة ذلك:

معناها	الاسم المشتق	معناها	الفعل
قانع - راضي	Mkinaifu / Wakinaifu	قنع - رضى	Kinai
مطيع	Mtiifu / Watiifu	يطيع	Tii
نسيان	Msahaulifu / Wasahaulifu	ينسى	Sahau
مؤمن - خبير	Mkadirifu / Mkadirifu	يقدر	Kadiri
اكتمال - انتهاء	Utamilfu	اكتمل - انتهى	Timu
راحة	Ustarehevu	يستريح	Starehe

٢ - اشتقاق الفعل من الاسم Nomino Kuwa Kitenzi

معناها	الفعل المشتق	معناها	الاسم
أمم / تأمم / أمم	Taifisha / Taifishika / taifishwa	بلد	Taifa
دُرس / جعله قابل للقراءة / دُرس	Somwa / Someka / Somesha	درس	Somo

٣- اشتقاق الظرف من الاسم Nomino Kuwa Kielezi

الاسم	معناها	الظرف المشتق	معناها
Nymba	منزل	Nymbani	في المنزل
Bustani	حديقة	Bustanini	في الحديقة
Kabati	دولاب	Kabatini	في الدولاب
Darasa	فصل	Darasani	في الفصل
Soko	سوق	Sokoni	في السوق
Hospitali	مستشفى	Hospitalini	في المستشفى

٤- اشتقاق الفعل من الصفة Kivumishi Kuwa Kitenzi

الصفة	معناها	الفعل المشتق	معناها
Safi	نظيف	Safisha / Safishwa / Safishika / Safishia	نظَّفَ / نُظِفَ / جعله قابل للتنظيف
Fupi	قصير	Fupisha / Fupishwa / Fupishia / Fupishiana	اختصر / أُختصر
Refu	طويل	Refuka / Refusha / Refushika / Refushiana	استطال / أطل / جعله قابل للإطالة

٥- اشتقاق الفعل من الظرف Kielezi Kuwa Kitenzi

الظرف	معناها	الفعل المشتق	معناها
Haraka	بحركة / بسرعة	Harakisha / Harakishwa / Harakishika / Harakishiwa	حرَّكَ / حركَ / تحرك

٦- اشتقاق الاسم من الاسم Nomino kuwa Nomino

لكل اسم في اللغة السواحيلية جذر يحمل معنى الاسم، وعند تكوين اسم من اسم آخر يتم إلصاق لواصق/ بادئات قبل جذر الاسم، وهذه البادئات التي تستخدم في تكوين الاسم لها ثلاثة أنواع، هي:

أ- بادئات العدد (الإفراد والجمع) Viambishi vya Idadi ya Umoja na Wingi

ومن مثال ذلك:

Mtoto	طفل	Watoto	أطفال
Mtu	شخص	Watu	أشخاص
Kisu	سكين	Visu	سكاكين

ب - بادئات تصغير الاسم Udogo wa nomino

تستخدم البادئة ki لتصغير الاسم في المفرد والبادئة vi في الجمع

أطفال صغار	Vitoto	طفل صغير	Kitoto
نساء شابات	Vibibi	امرأة شابة	Kibibi
متاجر صغيرة	Viduka	متجر صغير	Kiduka
مسنين	Vizee	مسن / عجوز	Kizee

ج - بادئات تكبير الاسم Ukubwa wa Nomino

تستخدم البادئة (ji) قبل جذر الاسم للتعبير عن التكبير

طفل ضخم	Jitoto	طفل	Mtoto
رجل عملاق	Jitu	شخص	Mtu
مجلد	Jitabu	كتاب	Kitabu
شجرة كبيرة	Jiti	شجرة	Mti

٧- اشتقاق الاسم من الصفة kivumishi kuwa Nomino

معناه	الاسم المشتق	معناها	الصفة
نظافة / صفاء	Usafi	صافي - نظيف	Safi
سوء / رداءة	Ubaya	سيء - رديء	Baya
طيبة / بر	Wema	طيب	Ema
جمال / حُسن	Uzuri	جميل - حسن	Zuri
سلامة / أمن	Usalama	آمن	Salama
كبر / ضخامة	UKubwa	كبير	Kubwa

(٤٣)

خامساً: طريقة محاكاة الصوت أو الهيئة أو الشكل أو الطبيعة

Kufananisha Sauti, Umbo, Sura au Tabia

تمتلك كل لغة بعض الكلمات المحاكية للطبيعة أو الصوت أو الهيئة. وفي السواحيلية كما هو الحال في معظم اللغات الإفريقية الأخرى توجد بعض الكلمات المحاكية التي تبين الفعل من خلال إتباعه بالصوت الذي يخرج عند إتمام الحدث أو قوله أو من خلال التعبير عن مفهوم الفعل ذهنياً بإطلاق صوت يحاكي هذا المفهوم^(٤٤) ومن أمثلة هذه الكلمات في السواحيلية:

معناها	الكلمة
(بيكي بيكي) صوت الدراجة البخارية	Pikipiki
(متوتو) صوت البندقية بعد إطلاق الرصاص	Mtutu
(كيفارو) صوت حيوان وحيد القرن	Kifaru
(نياو) صوت القطة	Nyau
(بييرو) صوت التيس	Beberu

سادسًا: طريقة اختصار الكلمات Kufupisha Maneno

يعرف الاختصار بأنه عملية يتم بموجبها تحويل المفهوم ذو التعريف الطويل وجعله قصيرًا لكي يفهم ويقرأ بسهولة. والاختصار طريقة معروفة تستخدمها معظم اللغات لتكوين كلمات وتشابه إلى حد ما مع تبديل الشفرة لأنه في كل الطريقتين يتم الربط بين أجزاء مختلفة من الكلمات^(٤٥). ويعرف بعلبكي الاختصار Acronym بأنه كلمة مؤلفة من مجموع الحروف الأولى المقطعة من كلمتين أو أكثر^(٤٦).

وفي اللغة السواحيلية تنقسم الاختصارات Vifupisho إلى نوعين اثنين رئيسيين هما:
 - الاقتطاع الهجائي Akronimi، ويتم عن طريق أخذ الحروف الأولى فقط من الكلمات.
 - النحت/ المزج Uhulutishaji، ويتم عن طريق دمج أجزاء من الكلمات من أجل تكوين كلمة جديدة^(٤٧).

١ - الاقتطاع الهجائي Ufupisho

المختصر	تحليله	ترجمته
UKIMWI	Ukosefu wa Kinga Mwilini	نقص المناعة (الإيدز)
CHAKA	Chama cha Kiswahili Cha Afrika	الرابطة السواحيلية الإفريقية
JWAVITA	Chama cha Waandishi wa Vitabu	رابطة الكتاب
TATAKI	Taasisi ya Taaluma za Kiswahili	معهد علوم اللغة السواحيلية
BAMITA	Baraza la Mitihani la Taifa	هيئة الامتحانات الوطنية

٢- النحت / المزج Uhulutishaji

يتم النحت أو المزج عن طريق دمج أجزاء من الكلمات من أجل تكوين كلمة جديدة، ويقع في نوعين رئيسيين:

(أ) نحت كلمة من كلمتين اثنتين. وقد يكون المزيج الحاصل اقتراسياً إذا كانت إحدى الكلمتين دخيلة.

(ب) تركيب جملة من جملتين اثنتين تركيباً يخالف قواعد النحو في وجهه من أوجهه^(٤٨)

والكلمة المنحوتة Portmanteau word، هي كلمة تتكون عن طريق جمع أجزاء من كلمات أخرى، مثل كلمة Brunch التي تتكون من كلمتي breakfast، lunch^(٤٩).

ومن أمثلة ذلك في اللغة السواحيلية:

الكلمة المنحوتة	تحليلها	ترجمتها
Msikwao	Mtu asiye na kwao	مشرد / بلا مأوى
Chajio	Chakula cha jioni	وجبة العشاء
Deltao	Delta kama tao	ملتقى نهريْن / دلتا
Hataza	Hati za Kukataza	براءة اختراع

(٥٠)

كما يطلق على هذه العملية في اللغة السواحيلية مصطلح آخر وهو Ufinyaji بمعنى النحت أو المزج، ويقصد به عملية خلط كلمتين لتعطي عدد أقل من حروف الكلمة بدون نطق الكلمتين كاملتين معاً. وهي عملية تقليل عدد الكلمات بجعلها معاً في جزء معين من الكلمات. وهي أيضاً حذف جزء معين من الحروف أو المقاطع وجعل الحروف الأولى مع الأخيرة من أجل تكوين كلمة جديدة مثل:

Kila kitu` s	=Kila kitu sawa	كل شيء على ما يرام
Jamaaz	= Jamaa zangu	أقاربي - أهلي

(٥١)

سابعاً: طريقة التكرار Njia ya Urudufishaji

يُقصد بالتكرار reduplication، تكرار مقطع أو جزء من كلمة أو كلمة كاملة^(٥٢) ويعرف أيضاً بأنه إعادة جزء من الصيغة تغييراً لمعناها؛ مثلاً: كبكب ورجرج من (كب ورج)^(٥٣).

وتعرف اللغة السواحيلية -كغيرها من اللغات الإفريقية- ظاهرة التكرار، حيث يتم تكرار كلمة كاملة أو جزء من الكلمة، ومن أمثلة ذلك:

pole – pole	Polepole	ببطء
Haraka –haraka	Harakaharaka	بسرعة
Bara – bara	Barabara	صحيح – مستقيم
Ki-wili- wili	Kiwiliwili	جسدي – بدني
Ki-zungu-zungu	Kizunguzungu ٥٤	دوران – دوخة
ruka + ruka	Rukaruka	قفز
piga + piga	Pigapiga ٥٥	ضرب

الخاتمة

عرضت الدراسة لطرق بناء الكلمات في اللغة السواحيلية في ضوء المنهج الوصفي من خلال عرض آراء العلماء فيما يتعلق بمفهوم بناء الكلمات والطرق التي تلجأ إليها اللغات الإنسانية لبناء مفرداتها، مع التركيز على الطرق التي تلجأ إليها اللغة السواحيلية لبناء كلماتها. وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج نوجزها على النحو الآتي:

١ - تستخدم اللغة السواحيلية سبعة طرق رئيسية في بناء الكلمات هي: الاقتراض بأشكاله المختلفة، والتركيب، والإبدال الفونيمي، والاشتقاق، ومحاكاة الصوت أو الشكل أو الطبيعة، والاختصار بنوعيه، والتكرار.

٢ - تعتمد اللغة السواحيلية - بوصفها لغة إلصاقية في المقام الأول - على عملية الإلصاق أو التركيب في بناء كلماتها مستخدمة في ذلك اللواصق الاشتقاقية المختلفة في شكل سوابق

ولواحق، وتقوم باشتقاق الأسماء من الأفعال بانتوية كانت أو أجنبية وتشتق الأسماء من الأسماء ومن الصفات أيضاً، كما تشتق الأفعال والظروف من الأسماء، وتشتق الأفعال من الصفات والظروف.

٣ - تلجأ السواحيلية إلى الاقتراض - كإحدى طرق بناء الكلمات - لسد العجز لديها وإثراء معجمها، لذا اقترضت العديد من الألفاظ من لغات أجنبية في مقدمتها اللغة العربية والإنجليزية والفرنسية والبرتغالية والفارسية والهندية، ويأخذ الاقتراض في اللغة السواحيلية أشكالاً مختلفة هي:

٤ - ألفاظ ومصطلحات اقترضت بنفس المعنى الدلالي ونفس النطق ونفس طريقة الكتابة.

٥ - ألفاظ ومصطلحات اقترضت بنفس المعنى الدلالي ونفس النطق ولكنها تكتب طبقاً لنظام اللغة السواحيلية.

٦ - ألفاظ ومصطلحات اقترضت بنفس المعنى الدلالي مع سوحلة النطق وكتابتها طبقاً لنظام الكتابة في اللغة السواحيلية.

٧ - ألفاظ ومصطلحات اقترضت بنفس المعنى الدلالي ويمكن كتابتها أو نطقها كما هي في اللغة الأصلية أو استخدام طريقة الكتابة أو النطق المعدلة في اللغة السواحيلية.

٨ - تعرف السواحيلية ظاهرة الاختصار كوسيلة لتكوين مفردات جديدة، ويأخذ الاختصار في اللغة السواحيلية شكلين أساسيين هما: الاقتطاع الهجائي Akronimi، ويتم عن طريق أخذ الحروف الأولى فقط من الكلمات، والنحت أو المزج Uhulutishaji، ويتم عن طريق دمج أجزاء من الكلمات من أجل تكوين كلمة جديدة.

٩ - تعتمد السواحيلية بشكل أقل في بناء كلماتها على طرق التكرار ومحاكاة الطبيعة أو الهيئة أو الصوت، في حين يعتبر الاقتراض والتركيب والاشتقاق أبرز الطرق التي تعتمد عليها السواحيلية في بناء مفرداتها وإثراء معجمها اللغوي.

قائمة الهوامش والمراجع

- ١ ماريو باي: أسس علم اللغة. ترجمة وتعليق: أحمد مختار عمر، ط ٨، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٥٥.
- ٢ محمود السعران: علم اللغة المقارن-مقدمة للقارئ العربي. ط ٢، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٦٩.
- ٣ يهوذا سليمان إمام: وسائل صوغ الأبنية في اللغتين العربية والهوسا. مجلة دراسات أفريقية، ع ٤٢، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، ٢٠٠٩، ص ١٨٥.
- ٤ popular etymology: تأصيل شعبي، اشتقاق شعبي، إيتمولوجيا شعبية: يقصد به تغيير صيغة كلمة غير مألوفة إلى صيغة مألوفة، مما يفضي إلى الحكم بأنها مشتقة من كلمة لا علاقة لها باشتقاقها في الأصل، ومن ذلك على سبيل المثال، تغيير العرب اسم أحد ملوك حمير القديمة « ياشر يُهْنَعِم » ليصبح في مرحلة لاحقة « ناشر النعم» (انظر: رمزي منير بعلبكي، مرجع سابق، ص ٣٨٦).
- ٥ ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة. ترجمة: كمال بشر، ط ٣، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٦٣.
- ٦ علم القواعد أو علم الصرف والنحو Grammar: فرع من فروع علم اللغة يهتم بدراسة تركيب الجملة وعلاقته بالصيغ الصرفية والنظم، ويقع في قسمين اثنين أساسيين هما: علم الصرف وعلم النظم. (انظر رمزي منير بعلبكي، مرجع سابق، ص ٢١٦).
- ٧ المورفيم Morpheme: هو أصغر وحدة صرفية تحمل معنى، ولا يمكن أن ينقسم إلى وحدات أصغر دون تبديل أو تحريف في معنى الكلمة، ومن الممكن أن تتكون الكلمة من مورفيم واحد أو أكثر. (انظر: جاك سي. ريتشاردز وآخرون، مرجع سابق، ص ٤٣٧).
- ٨ عادل عثمان إمام عياط: الاسم: دراسة صرفية مقارنة في المجموعتين الأطلسية الغربية والبانوتية. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الألسن، جامعة عين شمس، ١٩٩٤، ص ٣٦.
- ٩ رمزي منير بعلبكي: معجم المصطلحات اللغوية. دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠، ص ٥٣٨.
- ١٠ جاك سي. ريتشاردز، جون بلات، وهايدي بلات: معجم لونغمان لتعليم اللغات وعلم اللغة التطبيقي - إنجليزي - إنجليزي - عربي. تعريب: محمود فهمي حجازي، رشدي أحمد طعيمة (تحرير) وجدي رزق غالي، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، تيبو برس - لبنان، ٢٠٠٧، ص ٧٤١-٧٤٢.
- ١١ ماريو باي: أسس علم اللغة. ترجمة وتعليق: أحمد مختار عمر، ط ٨، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٥٥.
- ١٢ التصنيف التنميطي Typological Classification: يقصد به تصنيف اللغات إلى أنواع بالنظر إلى التشابه بينها في الأصوات والصرف والنحو ومال إلى ذلك لا باعتبار أصولها التاريخية أو القرابة الوراثية القائمة بينها.

فاللغة الواحدة قد تجمع في سماتها من اللغات التحليلية والمتصرفة والعازلة والإصاقية... إلخ، فتشابه بذلك مع لغات أخرى لا تصاحبها في التصنيفين الجغرافي والتكويني. (انظر: رمزي منير بعلبكي، مرجع سابق، ص ٥١٤).

١٣ رحاب عبد السلام محمد عامر: جملة الطلب في اللغتين العبرية (الحديثة) والسواحيلية - دراسة تقابلية. رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٩، ص ٢٢.

14 Masebo, J.A. Nyangwine, N (2012), Kiswahili – Kidato cha 3 na 4, Maendeleo ya Kiswahili, Fasihi, Sarufi, Matumizi, Utungaji na Ufahamu. Nyambari Nyangwine Publishers, Dar Es Salaam, Tanzania, p.153.

١٥ يهوذا سليمان إمام: ظاهرة الاقتراض اللغوي: لغة الهوسا واللغات المجاورة، في أعمال المؤتمر الدولي الثاني «اللغة والثقافة في إفريقيا»، ١٣-١٤ فبراير ٢٠٠٨، قسم اللغات الإفريقية، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، القاهرة، ص ٤٣٧.

١٦ جاك سي. ريتشارد، وآخرون، مرجع سابق، ص ٧٦.

١٧ محمد إبراهيم محمد: الحرف العربي واللغة السواحيلية في شرق أفريقيا، في أعمال مؤتمر «العلاقات الثقافية العربية الإفريقية»، ٣٠-٣١ مايو، ١٩٩٨، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ص ٦١٦.

١٨ رحاب عبد السلام محمد عامر، مرجع سابق، ص ٢٢.

١٩ أحمد محمد أحمد بدران: الكلمات المقترضة من اللغة الإنجليزية في لغة الصحافة السواحيلية - دراسة لغوية. رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٢٧-٣٤.

20 Masebo, J.A. & Nyangwine, N. (2012), op.cit., pp.153-156.

21 Masebo, J.A. & Nyangwine, N. (2010), Nadharia ya Lugha- Kiswahili 1 – Kidato cha 5 na 6. Nyambari Nyangwine Publishers, Dar Es Salaam, Tanzania, p.274.

٢٢ رمزي منير بعلبكي، مرجع سابق، ص ٧٥.

٢٣ ماريو باي، مرجع سابق، ص ١٥٥.

٢٤ عبد الصبور شاهين: العربية لغة العلوم والتقنية. دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٢٩٠.

٢٥ الكلمة المركبة Compound word بأنها: «تركيب من كلمتين أو أكثر وظيفتهما كأنهما كلمة واحدة، مثال ذلك flower shop (محل زهور)، انظر: رمزي منير بعلبكي مرجع سابق، ص ١٠٩.

26 Masebo, J.A. & Nyangwine, N. (2012), op. cit., pp. 156-157.

27 .Ibid., p. 157.

28 Ibid., p. 157

29 Khamis, A. A. (2011); Uchambuzi wa Kiswahili Fasaha "Sarufi na Lughawiya ". Baraza la Kiswahili, Zanzibar, UK, : 131.

30 Ibid., p. 131.

31 Masebo, J.A. & Nyangwine, N. (2012), op. cit., p. 157.

٣٢ محمد هيثم الخياط: المصطلح العلمي مبادئ وتطبيقات. شبكة تعريب العلوم الصحية، منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، البرنامج العربي لمنظمة الصحة العالمية، ٢٠٠٦، ص ٣٦.

٣٣ المرجع السابق، ص ٣٤.

٣٤ عبد المؤمن محمود أحمد محمد: ضوابط صوغ البنية الصرفية بين النظرية والتطبيق. حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، جامعة الأزهر، ع ١٨، ج ٢، دار الكتب المصرية، ٢٠١٤، ص ٩٠٩.

٣٥ ستيفان أولمان: دور الكلمة في اللغة. ترجمة وتعليق: كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٨، ص ١٥٣.

٣٦ جاك سي. ريتشاردز، وآخرون، مرجع سابق، ص ٢٤.

٣٧ رمزي منير بعلبكي، مرجع سابق، ص ٣٦.

٣٨ المرجع السابق، ص ٣٦.

٣٩ عبد الحي أحمد محمد سالم: اللواحق الاشتقاقية واللواحق التصريفية في اللغة السواحيلية: دراسة صرفية دلالية. مجلة كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، ع ٣٩، ٢٠٠٦، ص ٩٥، وللمزيد انظر: محمد علي الخولي (١٩٨٢): معجم علم اللغة النظري. مكتبة لبنان، بيروت، ص ٧٠.

٤٠ عبد المؤمن محمود أحمد محمد، مرجع سابق، ص ٩١١.

٤١ حمزة إبراهيم يوسف النادي: البناء الصرفي للغتين العربية والسواحيلية دراسة تقابلية. المحلة العربية للدراسات اللغوية، مج ٤، ع ١، أغسطس، السودان، ١٩٨٥، ص ٦٦.

42 Masebo, J.A. & Nyangwine, N. (2012), op. cit., pp. 157-162.

٤٣ انظر كل من:

عبد الحي أحمد محمد سالم، مرجع سابق، ص ص ١٣٥ وما بعدها.

Masebo, J.A. & Nyangwine, N. (2012), op.cit., pp. 157-162.

٤٤ محمد المحمدي محمد رزق: الطرف في اللغة السواحيلية - دراسة لغوية. رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٥، ص ٣٤.

45 Jelimo Doris (2016): Matumizi ya Mbinu za Ufupishaji katika Mitandao ya kijamii na Athari zake katika Lugha ya Kiswahili. Tasnifu ya kutosheleza Baadhi ya Mahitaji yashahada ya Uzamili katika Idaraya Kiswahili Chuo Kikuu cha Kenyatta, Kenya, p. 43-51

٤٦ رمزي منير بعلبكي، مرجع سابق، ص ٢٨.

47 Masebo, J.A. & Nyangwine, N. (2012), op.cit., p. 163.

٤٨ رمزي منير بعلبكي، مرجع سابق، ص ٧٤.

٤٩ جاك سي. ريتشاردز، وآخرون، مرجع سابق، ص ٥١٩.

50 Masebo, J.A. & Nyangwine, N. (2012), op.cit., p. 163

51 Jelimo Doris (2016), op.cit., p. 54.

٥٢ جاك سي. ريتشاردز، وآخرون، مرجع سابق، ص ٥٦٨.

٥٣ رمزي منير بعلبكي، مرجع سابق، ص ٤٢١.

54 Masebo, J.A. & Nyangwine, N. (2012), op.cit., p. 163.

55 Ibid., p. 163.

النخب السياسية المخضمة والجريمة السياسية

نماذج من دول المغرب العربي

أ. د. محمد أمزيان

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر

ملخص

يسهم هذا البحث في كشف الجذور التاريخية لحالة الاستبداد السياسي العربي من خلال تجارب من دول المغرب العربي. وتنطلق الفرضية الأساسية للبحث من أن هذه الحالة الاستبدادية ظهرت متزامنة مع تكون النخب السياسية وزعماء الحركة الوطنية الذين قادوا مرحلة النضال الوطني إبان مرحلة الاستعمار، وتسلموا زمام الحكم بعد الاستقلال. واستنادا إلى هذه الفرضية، تسعى هذه الورقة إلى كشف تورط هذه النخب في الجريمة السياسية المنظمة، من خلال تصفية شركائها في النضال السياسي، وهو ما حاول البحث كشفه من خلال سرد العديد من الوقائع التاريخية التي تؤكد تلك الجرائم. وقد استعرض البحث شواهد من الحوادث الدامية التي صاحبت مرحلة الاستقلال، كان من أبرزها تحالف القوى السياسية الرسمية مع القوى الإقطاعية في المغرب الأقصى لتصفية جيش التحرير المغربي، وتصفية مناضلي الحركة الوطنية، وحرب الريف بالتعاون مع الجيش الفرنسي. وهذه الحوادث تكررت في تونس حيث جرى تصفية جيش التحرير الوطني والحركة اليوسفية، كما تكررت مع صراع رفقاء النضال في جبهة التحرير الجزائرية على السلطة.

الكلمات المفتاحية: النخب السياسية، المغرب العربي، الحركة الوطنية، الجريمة السياسية.

Abstract

This research contributes to uncovering the historical roots of Arab political tyranny through the experience of the Arab

Maghreb countries. The basic thesis of the research is that this authoritarian situation coincided with the emergence of the political elites and leaders of the national movement who led the national resistance during the colonial period and took over the reins of power after independence. Based on this hypothesis, this paper seeks to uncover the involvement of these elites in organized political crimes by liquidating their partners in the political resistance. The study narrates many historical bloody incidents that confirm these crimes like those which accompanied the independence phase. The most prominent of these were the alliance of the government with the feudal forces in Morocco to liquidate the Moroccan Liberation Army, the fighters of the national movement, and the war on the Rif area in cooperation with the French army. These incidents were also repeated in Tunisia, where the National Liberation Army and the Yusufiya movement were liquidated. That's also what happened with The Algerian National Liberation Front struggles for power.

Keywords: political elites, Maghreb, national movement, political crime.

تقديم

ثمة ظاهرة سياسية لازمت نشأة الدولة الوطنية الحديثة، دولة ما بعد الاستعمار في العالم العربي، تتمثل في الممارسات الاستبدادية في أكثر صورها شمولية وتسلطا. كيف نفسر هذا

النزوع الاستبدادي الذي أنتج دولة بهذا القدر من العنف المنهج، وما تمخض عنه من إفقار مجتمعاتها من كل مقومات الفاعلية السياسية ومصادرة الحريات العامة؟ وما السبيل إلى الكشف عن الخلفيات الثاوية وراء هذه الظاهرة المزمنة التي ما فتئت تزداد تعقيدا ورسوخا بالتناسب مع تنامي قوة العوامل التي تعيد إنتاجها؟ إن هذه الأسئلة الملحة تجد جوابها في الخلفيات التي صاحبت تشكل الدولة الوطنية إبان مرحلة الاحتلال، والانتهازية المفرطة التي ميزت النخب السياسية الحاكمة التي نشأت في أحضان الاحتلال وتحت رعايته، والتي مثلت دور النخب الجسرية التي عهد إليها الاحتلال بقيادة مرحلة ما بعد الاستعمار. ولكشف هذه الملابسات، يتجه بنا البحث في هذا الموضوع إلى رصد جذور الممارسات التعسفية التي تحكم الواقع السياسي العربي، وهي الممارسات التي استدعت وصفها لدى الكثيرين بالدولة التسلطية. وهذه النزعة التسلطية تمثل القدر المشترك الذي يوحد بين الأداء السياسي للأنظمة العربية عبر تجاربها التاريخية والراهنة، الوراثية والجمهورية والعسكرية منها على السواء حيث يتسم نمط الحكم بالعنف المادي والمعنوي، وإفراغ مؤسسات الحكم من أي مضمون قانوني أو تداولي، وتحويلها إلى هيئات صورية للاستهلاك الدعائي، والاعتداء على الحريات العامة وحقوق الإنسان، والإطاحة بحق المواطن العربي في الأمن والسلم والعدالة، والمساواة أمام القانون بذريعة فرض النظام وحفظ أمن الدولة وهيبتها، وفي كل هذه الأحوال يتم افتراس الشرعية باسم المساس بالشرعية.

ونعتقد أن العنف السياسي والعسكري الذي مارسه الاحتلال على النخب السياسية ورموز الحركة الوطنية إبان مرحلة الاستعمار كان له الأثر النفسي المباشر على ذلك الجيل المخضرم لسبب وجيه وهو أن النخب السياسية في هذه المرحلة كانت قد تربت وترعرعت عبر عقود من الزمن ضمن بيئة سياسية قمعية تشربتها بقوة وتشبع بها مزاجها النفسي، وهو ما أهلها لإعادة إنتاجها تلقائيا عندما وجدت نفسها في سدة الحكم. كما أن منطق تبادل المصالح الذي حكم علاقة «النخب الجسرية» بالاحتلال سيحولها إلى أداة قمعية مرتبنة لدى المركز الاستعماري ضد مطالب شعوبها في التحرر وتصفية بقايا الاستعمار. ولذلك، من الأهمية بمكان تسليط الضوء على ذلك «الجيل المخضرم» الذي بدأ مشواره السياسي

مناضلا في صفوف الحركة الوطنية قبل أن يجد نفسه يتصدر السلطة غداة الاستقلال. والواقع أن ثمة مفارقة صادمة طبعت السلوك السياسي لهذا الجيل. وسواء أكنّا نتحدث عن الوطنيين الذين وصفوا بالمعتدلين أو المتشددین تجاه سلطة الاحتلال، ثمة حقيقة لا تقبل الجدل، وهي أن هذا الجيل الذي كافح في سبيل الحرية والكرامة والاستقلال والسيادة، هو نفسه الجيل الذي امتعن حرية رفاقه في النضال، وداس على كرامة شعبه الذي ساندته في المحنة، وقايض الاستقلال بمكاسبه السلطوية، وكرس دولة التبعية ذات السيادة المنقوصة.

ولدعم الفرضية التي تنطلق منها هذه الدراسة سنعمل على تقديم قراءة موجزة جدا في تجربة بعض دول المغرب العربي، مع التركيز بالأساس على اللحظة التاريخية التي تم فيها إنجاز الاستقلال. وغني عن التذكير، أن النخب التي يستهدفها هذا الكشف التاريخي لا تقتصر فقط على أولئك الذين اعتلوا سدة الحكم، بل يتعلق الأمر بالنخب السياسية بما فيها القوى الحزبية والطغمة العسكرية المخضرة.

أولا. المغرب الأقصى: الاستقلال وإعادة مؤسسة التقاليد المخزنية⁽¹⁾

في الحالة المغربية، تحدثنا أدبيات المقاومة الوطنية عن توحيد القوى الوطنية الرسمية والشعبية ضد مساومات الاحتلال، وهو ما توج بتلك الملحمة الكبرى التي خلدتها التاريخ تحت عنوان «ثورة الملك والشعب». والدرس التاريخي الذي يمكن استخلاصه من التجربة المغربية يُعلمنا أن نجاح القيادات الوطنية في اختبار ولائها الوطني لا يمنحها حصانة ضد الجنوح نحو التسلط الممنهج، والحنين إلى التقاليد السلطوية المتوارثة. إن من يراجع ما كتبه المؤرخون عن السنوات الأولى من الاستقلال، وخاصة الأجنب، ومذكرات السجناء السياسيين، يجد نفسه أمام جهاز مخزني يكاد يتحكم بالكامل في مؤسسات الدولة، ويوظف أجهزتها القمعية في القتل والخطف والاغتيال، ونهب الأموال وهتك الأعراض، وحرق المحاصيل وهدم البيوت على رؤوس ساكنيها الأبرياء، ومداومة البيوت الآمنة ليلا، وفرض الرقابة على صحف القوى المعارضة، وضرب الحصار على مطابعها، وغيرها من الوقائع التي اقتبسناها حرفيا من مذكرات الوطنيين المنكوبين، والرسائل المتبادلة بين كبار زعمائهم، وحتى رسائل التظلم التي كان يرفعها بعضهم إلى أعلى الجهات الرسمية كما سيأتي ذكره.

والسؤال هنا، كيف لهذه الجرائم المنظمة أن تقع بين وطنيين طالما تصافحت أيديهم على النصرة والولاء زمن المحنة عندما كانت تقاوم المحتل؟ وطالما كان الأمر كذلك، فما الذي جرَّأ القويَّ على الضعيف؟

سؤال مربك وموجع، وهو ما يبرر مزيدا من الحفر في ذاكرة الأيام المفعمة بالمحن غداة إعلان الاستقلال. هذا التساؤل يدفعنا إلى إعادة التفكير في تفسير ما حدث، وفهمه ضمن الهواجس السياسية التي كانت تسيطر على النخبة الحاكمة آنذاك، وهي في نظرنا متعددة ومتشابكة، وسنختصرها في عنصرين اثنين: هاجس الرغبة الملحة في إعادة مؤسسة التقاليد السلطوية ضمن الشروط المستجدة عقب انتهاء الاحتلال، وهاجس تحدى القوى الوطنية الناشئة المتشعبة بالتوجهات الإصلاحية والطموحة نحو التغيير.

١. الدولة المخزنية وإعادة مؤسسة التقاليد السلطوية

وفي سياق فهم ما حدث، تؤكد الوقائع التي سيأتي ذكرها أن مغرب الاستقلال بقي مشدودا كأقوى ما يكون إلى تقاليد الحكم المخزني الذي سيستمر بقوة مع طبقة الإقطاعيين الجدد الذين استفادوا من البنية المؤسسية للدولة الحديثة في إعادة مؤسسة النظام المخزني القديم وفق آليات حديثة يعترف بها الدستور. ووفقا لما يقوله منتقدو هذه التجربة، فإن «الانتقال من المخزن إلى الدولة لم يقدِّم إلا إلى المزيد من المخزنة، وانتصار الشخصانية على المؤسساتية، وإعادة إنتاج المخزن في صورة حديثة، لكن بممارسات وعلاقات تقليدية»، وأن «المخزن لم يصبح مهيمنا حقيقة إلا بعد الاستعمار، أي أن قدرته على السيادة قد دعمتها أجهزة وتقنيات السلطة التي أورتها له الإمبريالية»^(٢). وهذا التقييم يستند إلى سعي مؤسسة العرش إلى تعزيز نفوذها وإحكام هيمنتها على السلطة من خلال مسارات متوازية لعل أهمها إحكام السيطرة على جيش التحرير وتصفيته، وتأسيس القوات المسلحة الملكية، والهيمنة الكاملة على الأجهزة الأمنية، والتحالف مع القوى السياسية الموالية وعلى رأسها حزب الاستقلال، والقوى العميلة ممثلة في الطبقة الإقطاعية الخائنة التي كانت تحت تصرف سلطة الاحتلال. هذه القوى غير المتجانسة، هي التي جرى توظيفها في تصفية الحركة الوطنية التي كانت تتمسك بمطالبها الإصلاحية في بناء نظام حكم ملكي دستوري يتناسب مع تطلعات مغرب الاستقلال.

هنا يضعنا مؤرخو مغرب الاستقلال أمام قائمة من مجرمي الحرب والعملاء الذين خدموا في جيش الاحتلال والمتعاونين معه، والذين أصبحوا على رأس الأجهزة الحكومية العسكرية والأمنية والمدنية. وهؤلاء الرجال الذين جاءوا إلى سدة الحكم متسلحين بماضيهم العسكري المثقل بالحق والكراهية لرجال المقاومة، هم الذين فجروا حمامات الدم على امتداد الوطن المحرر وداخل معتقلات الموت خلال سنوات الرصاص الممتدة. كان على رأس هؤلاء محمد أوفقيير الأكثر حظوة بالرغم من تاريخه العريق في الخيانة وتصفية المقاومة، وهو المحارب القديم في الجيش الفرنسي، والذي اشتغل أيضا عميلا في جهاز الاستخبارات ومكافحة التجسس لدى الإقامة العامة للاحتلال الفرنسي في المغرب، وتحديدًا ضمن دائرة الاستخبارات الخارجية ومكافحة الجاسوسية (SDECE)، كما عمل مرافقا عسكريا للجنرال دوفال قائد الجيش الفرنسي في المغرب. وللتذكير، كان أوفقيير ممن تأمر مع الكلاوي في خلع محمد الخامس عن العرش مستفيدا من إمكانياته الاستخباراتية الهائلة. وهنا تكمن المفارقة! فعندما أعلنت فرنسا منح الاستقلال، وحطت طائرة محمد الخامس بأرض الوطن، كان أوفقيير أول المستقبلين للسلطان. وكما تقول عبارة لا تخلو من سخرية للكاتب الفرنسي جيل بيرو، «بقي أوفقيير مرافقا عسكريا، لكن في هذه المرة للسلطان المنتصر»، فهو الذي ركب مع محمد الخامس في سيارته التي أقلته من المطار لتأمين سلامة. ومن يومها أصبح أوفقيير رجل القصر الأول، فمن مرافق لمحمد الخامس، إلى مدير عام للأمن الوطني، ثم وزيرًا للداخلية، فوزيرًا للدفاع بعد أن رقي إلى رتبة «جنرال»⁽³⁾، وهكذا أصبح العدو الأول للمقاومة والاستقلال الرجل الثاني في مغرب الاستقلال، بعد الحسن الثاني الذي كان وليا للعهد.

وكان من هؤلاء أيضا الجنرال المذبوح الذي اكتسب هذا اللقب المثير من أبيه الذي خان الأمير عبد الكريم الخطابي وسلمه للفرنسيين عقب حرب الريف، فعاقبه الأهالي على خيائنه بذبحه. ومن موقعه كابن لقائد محلي خائن، ارتقى محمد المذبوح في الجيش الفرنسي الذي حاز فيه على رتبة «نقيب» مكافأة له على مشاركته في حرب الهند الصينية. وكما هو الحال مع شريكه في الخيانة أوفقيير، التحق بالسلطان محمد الخامس غداة عودته من منفاه، وعينه في قيادة الحرس الملكي، وبعدها عين حاكما على منطقة الدار البيضاء، ثم قائدا للدرك، فوزيرا

للبرق والبريد، ثم مديرا لمكتب الحسن الثاني العسكري^(٤). وبالتأكيد، كان هناك كثيرون ممن هم على شاكلة أوفقيرو والمذبوح، وليست هذه العينة سوى الشجرة التي كانت تحجب تلك الغابة الكثيفة من العملاء وخونة الوطن الذين ابتسم لهم الحظ وتصدروا الوظائف القيادية في الدولة غداة إعلان الاستقلال. وهؤلاء هم الذين جرى استخدامهم كأدوات للقتل والفتك بأعدائهم التاريخيين من رموز الحركة الوطنية وقواعدها على السواء. ولقد كان من سخرية القدر أن تكون خيانة الوطن المحتل هي الطريق إلى التربع على سدة الحكم في وطن الاستقلال.

وفي تفسيره لها المسلك «الانتحاري» الذي وضع أولى خطوات مغرب الاستقلال على درب التسلط والاستبداد الممنهج، يضعنا جيل بيرو أمام حقيقة تاريخية صادمة. لقد كانت رغبة محمد الخامس أن يتغلب على مطالب القوى الوطنية الإصلاحية في بناء ملكية دستورية، ولتحقيق هذا الهدف، لم يتردد محمد الخامس، كما يقول الكاتب، في «أن يعقد حلفا مع كبار الإقطاعيين، أولئك الذين خلعوه بالذات. فقد وجد كل طرف في ذلك مصلحة له. الباشوات والقواد حصلوا على العفو، واستعاد السلطان دعمهم ومساندتهم له»^(٥). هكذا يثبت تاريخ المغرب المعاصر أن التقاليد المخزنية الراسخة في الذاكرة السياسية الرسمية، لم تكن لتتخلّى عن شركائها التقليديين، فالدرس التاريخي الذي تعلمته من تجربة القرون الماضية تؤكد أن أخلاق العبيد تؤهلهم بحكم الغريزة لخدمة الأسياد، أي كان هؤلاء الأسياد لا فرق بين سيد أجنبي وآخر محلي. وكما قال المهدي بنونة، فقد أصبح محمد الخامس الضامن الوحيد لمصالحهم وثرواتهم^(٦). ومن وحي هذه الخبرة التاريخية، كان لابد أن يستعيد هؤلاء دورهم الوظيفي، خاصة في هذه المرحلة الحساسة المفعمة بالآمال الجياشة تحت نشوة الاستقلال.

وفي هذا السياق تحديدا، يمكن أن نفهم تلك الخطوة الاستباقية التي قام بها محمد الخامس في تأسيس القوات المسلحة الملكية مباشرة بعد استعادة عرشه، وهي الخطوة التي فسرها المهدي بنونة باتجاه القصر نحو العمل على الاستعادة الكاملة لسلطاته بحيث تصبح القوات المسلحة الملكية في خدمته^(٧). كان ذلك في تاريخ ١٤ مايو ١٩٥٦، أي بعد شهر

ونيف من توقيع معاهدة الاستقلال بتاريخ ٢ مارس ١٩٥٦. وبها القرار أصبحت القوات المسلحة الملكية تحت إشرافه وقيادة ولي العهد الأمير الحسن الثاني^(٨)، لكن دون أن ننسى أنها كانت تحت تأطير الضباط الفرنسيين^(٩)، وهكذا أصبح جيش الاحتلال المسؤول الأول عن تدريب وتأطير جيش الاستقلال! أما فيما يتعلق بالأجهزة الأمنية، فتتكرر الخطة ذاتها. لقد كان لأفراد الشرطة الفرنسيين حضور في الأمن الوطني المغربي، وعندما قرر رئيس الحكومة آنذاك عبد الله إبراهيم الاستغناء عنهم، قام محمد الخامس بإقالة حكومته^(١٠).

لقد كان استكمال هذه الأجهزة والعناصر التي تقف وراءها تنبئ بالكارثة التي لم يكن يتوقعها رجال المقاومة ورجال جيش التحرير الذين سيتم تصفيتهم بكل سادية. وقد جرى إلصاق هذه الجريمة السياسية بحزب الاستقلال بقيادة أمينه العام المهدي بن بركة الذي أخذ على عاتقه - كما يقول جيل بيرو - «تطهير» الساحة الوطنية من المنافسين السياسيين حتى يتسنى له جعل حزب الاستقلال «الحزب الوحيد في المغرب، حزبا لا يُنافس، ويجب إخراس معارضيه، أما العصاة والأعداء الألداء فيجب إزاحتهم»^(١١). وهذا الاتهام لا يخلو من صحة إذ إن الحزب ذاته لم ينكر تورطه في عمليات الاختطاف والإخفاء القسري والقتل على الهوية السياسية كما سيأتي ذكره، لكن الواقع التاريخي يشهد بأن حجم المغامرة كان أكبر من أن يتحمل وزرها حزب الاستقلال وحده مهما عظم وزنه السياسي، ما لم يكن مدعوما بدائرة أوسع من أصحاب النفوذ وأجهزتهم القمعية. كما أن حزب الاستقلال لم يكن بالطرف الأقوى في إدارة العملية السياسية، وطالما عبر زعماءه الكبار عن تذرهم مما كانوا يلاقونه من تهميش. ولعل ذلك ما يفسر التجاهل الذي وُوجهت به تلك العرائض والشكاوى التي كان يتقدم بها الوطنيون الذين تعرضوا للتعذيب الممنهج؛ بل، والأخطر من ذلك، مواجهتها بإعلان حرب شاملة بدلا من استيعاب مطالبها كما هو الحال مع انتفاضة الريف وبقية شركائها في المحنة، وكل ذلك مما يتجاوز بالتأكيد صلاحيات حزب الاستقلال. وفي سياق كشف ملابسات تلك الأحداث، وصف جيل بيرو بإسهاب مشوب بالخيبة تلك «المؤامرات» المصطنعة المثيرة للسخرية على حد تعبيره، والتي كان أفقر أحد مهندسيها حيث اتخذ من مديرية الأمن العام شرطة سياسية قادرة على تحطيم كل من يتجرأ

على المعارضة^(١٢)، وهنا يتحدث الكاتب، كما تحدث غيره، عن ملف حافل بالملاحقات والتصفيات الأمنية خارج سلطة القانون، وسيأتي ذكر جوانب منها.

هذا على المستوى العسكري والأمني. أما على المستوى السياسي، فيطالعنا عبد الواحد الراضي، وهو واحد من تلك الزمرة المغامرة التي كانت تناضل في ترسيخ دولة المؤسسات بنص يحتزل فيه الاستقلال في «نقل جميع السلط من نظام الحماية إلى السلطان محمد بن يوسف بما فيها السلطة التشريعية، وذلك بمباركة جميع الأطراف الوطنية»^(١٣). وربما كان فيما يقوله الراضي قدر كبير من الصحة، وهو ما حصل بالفعل، والاستدراك الوحيد الذي نورده على هذا التقييم، أن مباركة الأطراف الوطنية لم تكن تعبيراً عن رضاها بما حدث بقدر ما أجبرت على إخلاء مكانها للموظفين الجدد. فقد كانت القوى الوطنية آنذاك تطالب بنظام الملكية الدستورية، وهذا المطلب كان أقوى ما يكون داخل حزب الاستقلال نفسه من موقعه كحزب موال للقصر، وهو ما كان يناضل في سبيله المهدي بن بركة وجماعته داخل الحزب، فضلاً عن بقية الأحزاب والقوى الوطنية التي كانت أقرب إلى المعارضة. ومن موقعه شبه الهامشي في مركز السلطة، لم يكن أمام حزب الاستقلال من خيار لتقوية حضوره السياسي غير الرهان على القصر ليعلن الحرب على الأحزاب السياسية المنافسة مدفوعاً برغبة محمومة نحو الهيمنة والانفراد بالسلطة. هكذا كان الحزب يظهر بوجهين متناقضين: المطالبة بملكية دستورية تقبل بمبدأ تقاسم السلطة مع شركائها في الوطنية ومعركة التحرير، والتصفية الدموية للقوى السياسية الوطنية المنافسة.

٢. هاجس القوى الوطنية الإصلاحية والخوف على مستقبل الملكية

أما بخصوص العامل الثاني الذي برر تصفية المقاومة، فيتعلق بهاجس الخوف من القوى الوطنية الإصلاحية المتصاعدة. هنا تشير الوقائع التاريخية وشهادات المؤرخين، وبعض الرسائل المتبادلة آنذاك بين الزعماء الوطنيين إلى أن المطالب الإصلاحية التي كانت ترفعها القوى الوطنية ظلت تمثل مصدر قلق كبير للقصر الذي كان يرى في أولئك المغامرين الطامحين نحو الشراكة في إدارة الوطن الذي كافحوا في سبيل حريته واستقلاله تهديداً يجب التعامل معه بأقصى ما يمكن من الشدة والحزم. ومن مجموع هذه القوى ذات التوجهات

الإصلاحية التي اعتبرت رسميا مقلقة، سنقتصر على ثلاثة منها هي: أهالي الريف الذين خرجوا من حرب التحرير برصيد جهادي مشرف حفز تطلعاتهم نحو البحث عن مكان تحت الشمس في الوطن الذي ساهموا في تحريره، وجيش التحرير الوطني الذي رفض تسليم سلاح المقاومة وظل مرابطا على تخوم الجهاد في الجنوب المغربي، وأخيرا المقاومة الوطنية المستقلة، وعلى رأسها حزب الشورى والاستقلال، الشريك الأكثر تعبيرا عن نبض الحركة الوطنية السلفية المتشعبة بروح العروبة والإسلام.

٢ - ١: انتفاضة الريف: مذبحة ١٩٥٩ ومقبرة الأحرار

أما عن أهالي الريف المقاومين الأحرار، فقد كان أكبر ذنبهم أن زعيمهم الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي كان قد قاده قدره إلى الاستقرار في القاهرة حيث بقي إلى حين وفاته عام ١٩٦٣، معاصرا بذلك فترة تاريخية كانت فيها العاصمة المصرية الأكثر صخبا في التنديد بـ«الأنظمة الرجعية» ورفع راية افتكاك الشعوب العربية من مخالب الاستعمار تحت تأثير بريق الشعارات الوحدوية، والروح القومية التي كانت تبثها إذاعة صوت العرب في روع الشعوب العربية المتلهفة نحو الحرية والانعقاد. لِنُدْكُرْ هنا بأن منتصف القرن العشرين كان قد شهد موجة من الانقلابات العسكرية التي أطاحت بالأنظمة السياسية الملكية في العراق ومصر، وخاصة انقلاب بورقيبة على باي تونس عام ١٩٥٧، والذي يعتبر الأقرب جغرافيا، والأكثر تأثيرا سياسيا على الوضع السياسي بالمغرب الأقصى. والواقع أنه في الحالة المغربية لم تكن هناك قوى وطنية وازنة تشكك في شرعية الملكية خاصة في هذه المرحلة المبكرة وفي ظل الرمزية التي كان يحظى بها الملك محمد الخامس الذي كان ينظر إليه كبطل للتحرير ورمز للوحدة الوطنية. ومن ثم نعتقد أن التصفيات الدموية التي تعرض لها أهالي الريف ومناضلو حزب الشورى والاستقلال وغيرهم كانت غير مبررة، ومن قبيل الحروب الاستباقية قطعاً لنمو الوعي التحرري وثقافة الاحتجاج، وقطعا للطريق نحو أي توجه مستقبلي يمكن أن يجد من الصلاحيات المطلقة للقصر. ومن جهة ثانية كانت أحداث الريف مبنية على قراءة خاطئة لحرب الريف وما نتج عنها من مخرجات سياسية. فإذا أخذنا بعين الاعتبار الماضي السياسي للأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي حقق نجاحات أسطورية في استنزاف

الاستعمار الإسباني وتأسيس جمهورية الريف عام ١٩٢١، يتضح حجم الهواجس المقلقة التي أدت إلى مذبحة الريف عام ١٩٥٨ تحت تهمة الانفصال والرغبة في إعادة تأسيس جمهورية الريف الثانية. وأخذاً لهذه المعطيات بعين الاعتبار، لم يكن عسيرا على أصحاب القرار أن يبرروا تهمة من هذا القبيل، خاصة في وقت كان فيه الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي وفيما لخطه التحرري الذي يؤمن بالجهاد المسلح لتحقيق الاستقلال الكامل، حيث عمل جاهداً من موقعه كرئيس للجنة تحرير المغرب العربي منذ عام ١٩٤٨ في القاهرة على توحيد الكفاح المسلح في دول المغرب العربي، مستفيداً من الدعم الناصري في تزويد رجال المقاومة في المنطقة بالسلاح. وإنصافاً لأهالي الريف الأحرار، نقدم شهادة للحاج أحمد معنينو في تبرئتهم من تهمة الانفصال، يقول فيها: «والواقع أن كل القبائل متمسكة بالعرش العلوي وتعدده سبب كيانها ووجودها، وهي في خدمته وطاعته، تعرف قبل غيرها أن الأمر لا يستقيم إلا بملك شرعي»^(١٤). أما عن مصدره في هذه الشهادة فيحيلنا مباشرة إلى الحاج محمد سلام أمزيان المتهم الأول في التمرد المزعوم ضد العرش، وكانت تربطه به صداقة قوية. يقول الحاج أحمد معنينو: «هذا ما تعرفت إليه من أحد هؤلاء الثوار، وهو القائد الحاج محمد بن الحاج سلام أمزيان الذي لا يزال اليوم بعيداً عن المغرب، ومن بعض أفراد جماعته من رجالات الريف...»^(١٥). والواقع أنه في الحالة المغربية لم تكن هناك قوى وطنية وازنة تشكك في شرعية الملكية خاصة في هذه المرحلة المبكرة وفي ظل الرمزية التي كان يحظى بها آنذاك الملك محمد الخامس، والذي كان يُنظر إليه كبطل للتحرير ورمز للوحدة الوطنية. ومن ثم نعتقد أن التصفيات الدموية التي تعرض لها أهالي الريف ومناضلو حزب الشورى والاستقلال وغيرهم من الوطنيين المقاومين كانت غير مبررة، ومن قبيل الحروب الاستباقية قطعاً لنمو الوعي التحرري وثقافة الاحتجاج، وقطعاً للطريق نحو أي توجه مستقبلي يمكن أن يحد من الصلاحيات المطلقة للقصر.

ولا يتسع المجال هنا لاستعادة ذلك التاريخ المرعب، وحسبنا منه بعض ما يقوم شاهداً على توحش النظام المخزني في أول اختبار له أمام مطالب الوطنيين الريفيين الأحرار بالشاركة في بناء دولة الاستقلال وتأسيس حكومة وحدة وطنية تتسع لجميع شركاء المقاومة وشهداء

التحرير. تعود هذه القصة إلى السنوات الأولى للاستقلال، وتحديدًا في ٧ أكتوبر ١٩٥٨ عندما تقدم الزعيم محمد بن الحاج سلام أمزيان، أحد أتباع بطل حرب الريف الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، والمتحدث الرسمي باسم قبائل بني ورياغل، مركز المقاومة الريفية، بمطالب إصلاحية للحكومة المغربية. كان محمد بن الحاج أمزيان وطنيا مجاهدا، انضم إلى جيش التحرير في أكتوبر ١٩٥٥، كما انضم إلى حزب الشورى والاستقلال عندما كان طالبا في جامعة القرويين، وكان حلقة وصل بين الزعيم عبد الكريم الخطابي ومن تبقى من جنوده في العشرينيات بمنطقة الريف. وعلى خلفية تصفية قائد جيش التحرير عباس المسعدي على يد حزب الاستقلال كما يؤكد أتباعه^(١٦)، وبأمر من المهدي بن بركة حسب رواية المؤرخ الأمريكي ديفيد هارت الذي وثق الحدث في حينه^(١٧)، وبحسب ما صرح به الملك الحسن الثاني لاحقا^(١٨)، وعلى إثر رفض تسليم جثمانه ليُدفن في «أجدير» معقل المقاومة الريفية التي كانت تقع تحت إمرته، رفع الزعيم الريفي جملة من المطالب لعرضها أمام الملك محمد الخامس بطلب من رئيس الحكومة مبارك البكاي، انتهت باعتقاله وسجنه^(١٩).

واستنادا إلى ما كتبه ديفيد هارت، كانت مطالب أهل الريف تتكون من ثمان عشرة نقطة، وهي: جلاء القوات الأجنبية عن المغرب، وتكوين حكومة شعبية ذات قاعدة موسعة، وإلغاء الأحزاب السياسية وتكوين حكومة وحدة وطنية، وتعيين موظفين محليين، وإطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين من أهل الريف، والمطالبة بعودة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، وتقديم ضمانات بعدم الانتقام من المنشقين، واختيار القضاة من ذوي الكفاءات، وإعادة تنظيم وزارة العدل، وتقديم المجرمين العاملين في الحكومة للعدالة، وتمكين أهل الريف من حقهم في الوظائف المهمة في الدولة، والاستفادة من برنامج عملية الحرث الوطني، وتخفيض الضرائب، ومحاربة البطالة، وتوفير المنح الدراسية لطلاب الريف، وتعميم تعريب برامج التعليم على مستوى المملكة، وبناء المدارس في المناطق القروية، وإعادة فتح ثانوية الحسيمة^(٢٠). إن هذه المطالب كما وثقها ديفيد هارت باعتباره شاهد عيان عاش بين أولئك المنتفضين المطالبين بالحق في العدالة والكرامة، تنفي كل الادعاءات المسيسة التي جهدت في أن تلصق بانتفاضة الريف تهمة الانفصال وتأسيس جمهورية الريف الثانية. ربما كان من

المبكر يوم ذاك أن يدرك الزعيم الريفي تحت تأثير نشوة الاستقلال والرغبة الجامحة في بناء وطن يليق بكرامة المجاهدين وتضحياتهم أن مطالبه ستجابه بإعلان الحرب على شعب لم تجف دماء شهدائه بعد، حيث واجه الشعب الريفي بصدور عارية حربا مفتوحة جوا وبراً وبحراً، مدعومة بالطيران الحربي يقوده جنود فرنسيون، وتحت الإشراف المباشر لولي العهد آنذاك الأمير الحسن الثاني، وبقيادة الجنرال أوفقيير، العدو التاريخي للمقاومة الوطنية^(٢١).

وقد يكون الأليق بجلالة هذا الخطب أن نترك التعليق على وحشية هذا العدوان لرمز المقاومة الريفية المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي، وفقاً ورد في رسالة وجهها إلى الأمين العام لحزب الشورى والاستقلال الزعيم محمد حسن الوزاني بتاريخ ٢٧ يوليوز ١٩٦٠. تقول الرسالة: «أيها الأخ المحترم، إن ما وقع في بلادنا من الآفات والمصائب والكوارث والمآسي تثير حتى عواطف الجهاديات - إن صح هذا التعبير - (...) ففي أواسط قبيلة جزناية حشروا ٨٢ ضحية في كهف يقع في طريق تزي أسلي - تالة أمغيث، وواروا عليهم الكهف وهم أحياء بعدما عذبوهم وشوهوهم. وفي أجدير بقبيلة بني ورياغل بمقاطعة الريف الوسطى حشروا ٧٥ ضحية وقتلوهم رمياً بالرصاص بعدما عذبوهم وشوهوهم (...). وفي أربعاء توريرت ببني بوعياش بقبيلة بني ورياغل بمقاطعة الريف الوسطى حشروا ٣٥ ضحية قضوا فيها ثلاثين شهراً كلها تعذيب وتنكيل وأخيراً قتلوهم عن آخرهم (...). وفي المعهد الديني بالحسيمة قتلوا ٢٥ ودفنوا في نفس المعهد، ووضعوا عليهم البلاط في بيوت معروفة (...). وفي بئر بضواحي مدينة الناظور بمقاطعة الريف الشرقية حشروا ٣٠ ضحية وواروهم التراب اكتشفهم الأحرار في شهر ٢ / ١٩٦٠. أما المختطفات من بنات المغرب العزيز فلقد بلغ عددهن ٢٣٥ ما بين المتزوجات والأبكار، من الشمال وحده فقط اختطف ٧٥ حشروا منهن ٢٥ في دار معروفة بحومة «سانية الرمل» بتطوان، حيثوا ظلوا يترددون عليهن صباح مساء ليل نهار لهتك أعراضهن، إلى أن اختفين نهائياً من الوجود. وفي دار معروفة ومشرفة على مدينة الحسيمة بالريف الأوسط حشروا ١٥ لنفس الغرض، وقد استطاعت ثلاثة منهن أن ينجين بأرواحهن إلى مدينة سبتة، وما زلن لحد الساعة هناك. وفي مدينة الناظور ونواحيه، فلقد وقع ما تشمئز منه النفوس، وتقشعر منه الجلود في هتك

الأعراض، وسلب بكاراة البنات والعذارى (...). أما المبعدون إثر حوادث الريف فقط فبلغ عددهم ٥٤٢، موزعين على إسبانيا وإيطاليا والجزائر وألمانيا وفي جهات أخرى معروفة. والمسجونات والمعتقلات بلغ عددهن ١١٠ أطلق سراح ٩٥ منهن فقط. هذا وليس معنى ما ذكرنا أننا قد أفرغنا كل ما في جعبتنا من معلوماتنا التي تأكدت لدينا وإنما هناك ما هو أكثر خطورة وأكبر جسامة. ولكن توخينا ألا نذكرها الآن عل وعسى أن تتبدل الأوضاع في صالح الأمة المغربية، فحينئذ نرى من الأحسن ألا نبينها محافظة على وحدة الأمة، وفي مقدمة تبديل هذه الأوضاع إنجاز قضية الجلاء^(٢٢).

٢- ٢: جيش التحرير: من حرب التحرير إلى حرب التطهير

تضعنا التصفية التي تعرض لها جيش التحرير المغربي أمام واحدة من المفارقات الأخلاقية الكبرى التي رافقت الاستقلال حيث جرى تصفيته في الوقت الذي كان فيه يؤدي واجبه الوطني في الكفاح ضد جيش الاحتلال الإسباني، مدعوماً بوحداث من المجاهدين القادمين من مختلف مناطق الوطن. هذا الحدث المهيّب يضع السلطة الحاكمة أمام مأزق أخلاقي، وإلا فما الذي يبرر إبادة جيش كانت تتوحد حوله كافة القوى الوطنية حكومة وأحزاباً وشعباً، وكلهم يرفع شعار استكمال وحدة التراب الوطني، واسترجاع الأراضي الصحراوية وموريتانيا؟ هنا، تكشف بعض الدراسات النقدية عن سببين رئيسيين لهذه الواقعة: الأول يتعلق بأطماع الشركات الفرنسية التي كانت قد بدأت في وضع خططها على الأرض لاستغلال الثروات المعدنية للمناطق الصحراوية، والثاني، وهو الأهم إجهاض الاحتلال الفرنسي لتضامن جيش التحرير المغربي مع جيش التحرير الجزائري^(٢٣).

تلك كانت المبررات التي تقف وراء تصفية جيش التحرير المغربي المرابط في الجنوب المغربي. ففي تاريخ ٩ غشت ١٩٥٦ ألقى محمد الخامس خطاباً دعاه فيه إلى حل جيش التحرير المغربي وتسليم أسلحته^(٢٤)، لكن الجيش رفض التخلي عن السلاح واستمر في عملياته ضد الاحتلال الإسباني في الصحراء. وقد كان لهذا الرفض أسبابه الأخلاقية والسياسية الواجبة. وكان من المبررات التي ساقها المهدي بنونة في هذا السياق أن جيش التحرير كان يرى في اتفاقية إكس لبيان التي قادها السياسيون من وراء ظهر رجال المقاومة تجسيدا

للخيانة لتنتزع من أيديهم السلاح الذي كان سيقودهم إلى تحقيق النصر الكامل. ولذلك، كان زعماء جيش التحرير يشعرون بالكراهية تجاه النظام الحاكم، خاصة بعد أن أصبح المتعاونون مع الاستعمار يتصدرون الوظائف السامية، وهو ما جعلهم يشعرون بالخيانة^(٢٥). وقد جرت عملية التصفية دونما تعاطف يذكر من الدولة التي كان الجيش يقاتل في سبيل مجدها، وهو موقف لا نريد أن نقف في تقييمه عند المستوى الأخلاقي فحسب، بل السياسي أيضا، وتفسير ذلك حسب المهدي بنونة دائما، أن جيش التحرير لم يكن خاضعا لنفوذ القصر الملكي، وأصبح يتلقى أوامره مباشرة من المهدي بن بركة، خاصة عندما رفض الامتثال لأوامر الحسن الثاني بإطلاق سراح السجناء الإسبان، وهو ما اعتُبر تهديدا لاستقرار العرش واستمراريته^(٢٦).

أما عن الحثيات العسكرية التي جرى فيها تصفية جيش التحرير، فهذا يضعنا أمام واحد من أشد المآزق الأخلاقية. لقد كان جيش التحرير في معاركه ضد الاحتلال الإسباني في الصحراء المغربية يحقق انتصارات ستظل خالدة في ذاكرة المقاومة المغربية مدعوما بالتعاطف الشعبي. فابتداء من ٢٣ نوفمبر ١٩٥٧، كان قد تكلل عمله بنجاح ضد الاحتلال الإسباني في كل من طانطان والسمارة ووادي الذهب والداخلية والعيون والساقية الحمراء لتمتد عملياته العسكرية إلى الشمال الموريتاني حيث التحم بالمقاتلين السينغاليين وجيش الاحتلال الفرنسي^(٢٧). في هذه اللحظات الحاسمة جاء قرار التصفية طعنة من الخلف. ففي يناير من العام ١٩٥٨ وضع الفرنسيون والإسبان بالاتفاق التام مع السلطات المغربية خطة حملة عسكرية أُطلق عليها اسم «الإعصار» حيث قام الجيشان مدعومين بالطيران بتمشيط الصحراء، سُحق خلالها المقاومون، والتحق الناجون منهم بالقوات المغربية أو عادوا إلى ديارهم^(٢٨)، كما لعبت سياسة الإغراء والاحتواء والإفساد الممنهج التي سلكها القصر الدور الأهم في تفكيك جيش التحرير، وإخضاع مقاوميه حيث قدر عدد الذين كانوا يستحقون صفة مقاوم بـ ٦٠,٠٠٠ ألف^(٢٩). ومن جهته، يؤكد المهدي بنونة تهمة التواطؤ، ودعم النظام المغربي لهذه العملية التي أُدرجت رسميا ضمن عملية تكريس السلام^(٣٠)، وهي العملية التي تم بموجبها تطهير المغرب من الجيش الذي جاهد من أجل استقلاله.

لكن قصة جيش التحرير لم تنته عند هذا الحد، فقد نجح بعض أولئك الناجين الذين تمكنوا من العودة إلى ديارهم في الانخراط في العمل السري، أو العيش في الخفاء تحت وقع المطاردات اليومية، وهي الحجة التي تذرعت بها السلطات الرسمية بقيادة أوفقيق التهم واختلاق المؤامرات الوهمية ليبدأ مسلسل جديد من التصفية والملاحقات والمحاکمات الصورية. ومن سوء حظ هؤلاء أن عناصر الأمن التي كانت تلاحقهم وتحقق معهم لتنتزع منهم اعترافات الإدانة تحت التعذيب الممنهج كانوا هم أنفسهم جلادهم القدامى، وكان على رأس هؤلاء أوفقيق الذي تبوأ منصب مدير عام الأمن الوطني، ثم وزيراً للداخلية، قبل أن يُرقى إلى رتبة «جنرال»، ويتوج وزيراً للدفاع على إثر نجاحاته البطولية في سحق شرفاء المقاومة في انتفاضة الريف.

٢ - ٣: تصفية المقاومة الوطنية: جريمة بدون مجرمين

في اتجاه معاكس للسياسة الفرنسية التي كانت تسعى إلى منح استقلال يبقى على مصالحها، كانت المقاومة الوطنية تسعى إلى تصفية الاستعمار وإجلاء جيش الاحتلال، مما لم تحققه وثيقة الاستقلال، فضلا عن بقاء المناطق الجنوبية تحت الاحتلال الإسباني. هذا الوضع المريب سيضع العرش ومن ورائه حزب الاستقلال وجها لوجه مع المقاومة الوطنية وجيش التحرير. فبموازاة مع تصفية جيش التحرير، اتجه القصر إلى إدماج المقاومين الذين ارتضوا التخلي عن سلاحهم، والذين قدر عددهم بستين ألف ضمن القوات الملكية، ودوائر الشرطة والأمن العام، كما قدمت تسهيلات لممارسة المهن الحرة لمن أظهروا ولاءهم للنظام. أما من بقي منهم متمسكا بسلاح المقاومة، ممن اعتبروا خارج حظيرة الولاء، فقد جرى ملاحقتهم وتصفيتهم^(٣١).

كان مناضلو حزب الشورى والاستقلال من ضمن لائحة المغضوب عليهم، وربما كان تمسكهم بالمبادئ التي قام عليها حزبهم سببا فيما حل بهم من بلاء. كان حزب الشورى والاستقلال كما أراد له مؤسسوه يقوم على مبدئين متلازمين «الشورى» و«الاستقلال» إذ لا فائدة من استقلال تستأثر فيه طغمة حاكمة مستبدة. يقول الحاج أحمد معينو: «إننا لم نفصل فكرة الاستقلال عن فكرة الشورى، ومن ثم جاء اسم حزب الشورى والاستقلال، لأن

التحرر من السيطرة الأجنبية في نظرنا يجب أن يصحبه تحرر من كل استغلال كيفما كان ومن أي نوع كان، ولم نعتبر قط أن الاستقلال غاية في حد ذاته (...). إن الحصول على الاستقلال في نظرنا لم يكن على العكس من ذلك إلا بداية عهد جديد في حياة أمتنا: عهد كفاح جديد، عهد إنشاء وبناء، وذلك من أجل إقامة الديموقراطية والحرية وتحقيق كرامة المواطنين»^(٣٢). ومن هذا المنظور، يبدو حجم الهوة التي تفصل مناضلي الحزب عن تلك الرؤية المخزنية التي كانت ترى في الاستقلال غنيمة حرب.

لنستمع إلى هذه العينة من الشهادات التي دونها بعض ممن تأذوا من قبل أقطاب المخزن السياسي الذين تربعوا على كرسي الحكم، ولما يجف بعد حبر وثيقة الاستقلال. في رسالة رفعها الزعيم محمد حسن الوزاني، أمين عام حزب الشورى والاستقلال إلى الملك محمد الخامس بتاريخ ١٦ يناير ١٩٥٦، يتظلم فيها ضد حزب الاستقلال، يصدنا حجم الانتهاكات التي بات يتعرض لها الوطنيون الأحرار وهم يضعون خطواتهم الأولى على طريق الاستقلال. تقول الرسالة: «...مولاي، كان المنتظر والمغاربة لا يزالون يذكرون معاملة الاستعمار القاسية ويتطلعون إلى المستقبل بإيمان وشوق وأمل أن يدشن رجال العهد الجديد سياسة رشيدة تقوم على العدل والنزاهة والإنصاف حتى يدرك الشعب الفرق بين عهد الاستعمار البغيض وعهد الاستقلال المشرف، ولكن مع الأسف الشديد سجلت السنة الماضية حوادث مؤلمة بل وفظائع يندى لها الجبين، ذلك أن الرجال الذين أسندت إليهم في العهد الجديد مسؤولية الأمن والعدل تصرفوا تصرفا برهن على أنهم مغرضون أو على الأقل عاجزون، فقد توالى الإذيات على الشوريين في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، وذاق أبطالهم صنوف العذاب، والتنكيل في مختلف السجون والمعتقلات، فكم من شهيد اغتيل في رابعة النهار كالعلامة المكافح الأستاذ عبد الواحد العراقي، وكم من جماعات ووفود هجم عليها وقتل أفرادها كمذبحة سوق الأربعاء، وكم من عائلة فوجئت في منتصف الليل بعصابات الإجرام فنهب متاعها وأحرقت منازلها أو هدمت فوق رؤوس النساء والأطفال، وكم من مكافحين اختطفوا ولا يزال مصيرهم مجهولا إلى الآن كإبراهيم الوزاني وعبد القادر برادة وعبد السلام الطود، وكل هؤلاء من السابقين الأولين للكفاح الوطني ولا ذنب لهم

إلا أنهم مخلصون لمبادئهم وليسوا على رأي المسؤولين في مذهبهم السياسي (...). مولاي إن حزب الشورى والاستقلال، لأجل تصفية الجو السياسي والعمل على ضمانه الاستقرار الداخلي يطالب بكل تأكيد بما يلي:

١ - الإفراج عاجلا عن جميع المعتقلين السياسيين سواء كانوا من أعضاء حزب الشورى والاستقلال أو من المحايدين الأحرار.

٢ - إرجاع جميع المخطوفين الشوريين وغيرهم إلى بيتهم.

٣ - منع الوسائل الجهنمية المستعملة في إدارة الشرطة أو في المعتقلات للانتقام ولانتزاع الاعترافات وفرضها كما يريد الطامعون فيها لحاجة في أنفسهم.

٤ - تطبيق القوانين داخل السجون والكوميسريات (مقار الأمن) وإصدار قوانين جديدة تحمي المواطنين وتضمن حقوقهم وحرياتهم»^(٣٣).

إن من يقرأ هذه السطور لا يساوره شك في أن النخبة السياسية التي آل إليها الحكم غداة الاستقلال كانت قد تشربت من جلاديتها القدامى كل مشاعر العدا والحقد السياسي. وكما تقول الرسالة ذاتها: لا فرق بين عهد الاستعمار البغيض وعهد الاستقلال المشرف. ولم يكن بوسع حزب الاستقلال أن ينكر الجرائم التي اقترفها في حق رفاقه في الكفاح الوطني، وكان الانشقاق الذي حدث في صفوفه على يد المهدي بن بركة في احتجاجهم على دكتاتورية الحزب فرصة لتبادل الاتهام، ويومها ألقى سدة الحزب بمسؤولية تلك الجرائم على كاهل من وصفوهم بـ«الانفصاليين»، و«القتلة السفاكون الذين أزهقوا أرواحا بريئة في سبيل تمهيد الطريق إلى الزعامة والارتقاء على جماجم الضحايا البشرية إلى قمة الأطماع الشخصية واحتلال كراسي الزعامة»^(٣٤).

أما الشهادة الثانية التي نجدنا ملزمين بعرضها لقيمتها التاريخية ورمزيتها، فهي للأمير المجاهد بطل حرب الريف، والتي بعث بها إلى محمد حسن الوزاني بتاريخ ٢٧ يوليوز ١٩٦٠، وكانت ردا على رسالة وصلته من الأخير، وهي نسخة من الرسالة التي كان قد بعث بها محمد حسن الوزاني إلى وزير الداخلية بشأن المختطفين. وكانت المفاجأة أن الخطابي

استغرب ضالة المعلومات التي حملتها الرسالة مع قربها من موطن الأحداث، فبعث إليه بقائمة مفصلة بأسماء المختطفين والمعتقلين، التي أنشئت لتعذيب الأبرياء والأحرار على حد قوله. وقد تضمنت الرسالة قائمة بأسماء معتقلات التعذيب وأماكن وجودها، وكانت تتوزع بين مدن تطوان وسبتة المحتلة وشفشاون والحسيمة والناضور وزايو وسوق أربعاء الغرب والعرائش والقصر الكبير والخميسات والقنيطرة وتمارة بالرباط والدار البيضاء وخريبكة وميدلت وصفرو وتافيلالت وفاس ومكناس والصويرة ومراكش وتازة ووجدة وطنجة، إضافة إلى اثني عشر معتقلا بمنطقة سوس. وقد أغفلنا ذكر البيانات التفصيلية الواردة بهذا الخصوص طلبا للاختصار^(٣٥).

أما عن المعتقلين، فقد بلغ عددهم ٩٦٧٢، وكلها -كما ورد في الرسالة- حالات موثقة بالاسم واللقب والعمر والمهنة وحتى الحالة المدنية. وتفيد الرسالة أن ٦٥٢٠ منهم كان قد أطلق سراحهم لغاية ٢٦ / ٠٢ / ١٩٦٠، وجلهم مازالوا مبتورين من الأعضاء التناسلية أو الأرجل أو العيون أو الأذن. أما الباقي فما زالوا في غياهب السجون والمعتقلات المجهولة، على أن جلهم قد لاقوا حتفهم جراء التعذيب. وبعد هذا البيان المجمل، تستعرض الرسالة لأعداد المعتقلين موزعة على مناطق احتجازهم. وتعليقا على هذه الحالات يقول الأمير الخطابي: «إن جل هذه الضحايا كانت في مقدمة العاملين الذين ساهموا بنصيب وافر من الجهاد ضد الاستعمار، ومن أجل تحرير البلاد من الاستعباد، وأخيرا كان جزاؤهم سنهار»^(٣٦).

ثمة الكثير من الشواهد الأخرى التي وردت ضمن ملاحق كتاب المهدي المومني التجكاني وغيره، ولعل ما أثبتناه هنا يكفي للدلالة على تأكيد نهج التصفية الدموية الذي سلكته النخب السياسية الحاكمة، وإدماجها على امتحان الإجرام السياسي. ومن المؤسف أن هذا الإجرام سيتمادى عبر عقود من الزمن، وهي الفترة الزمنية التي اشتهرت لدى الرأي العام المغربي بسنوات الرصاص، وهي تمتد من تاريخ الاستقلال إلى الثمانينات، وهي فترة الانتفاضات الشعبية التي جرى قمعها بكل قسوة وضراوة مما لا يتسع المجال للحديث عنه هنا.

وقد يكون من الطريف أن نذكر في هذا المقام أن هذه المرحلة الحساسة شهدت ولادة جنس أدبي جديد عرف بـ «الكتابة السجنية»، أو «كتابة الاعتقال»، أو «كتابة المقاومة»، ويعتبر كتاب «سنوات الجمر والرصاص، نصوص وحوارات في الكتابة والسجن» للكاتب المغربي عبد الرحيم حزل تمهيدا للتعريف بهذا الشكل الكتابي مع اعتراف صاحبه بعجزه عن الإحاطة بأطراف ما كتب من تلك التجارب من فرط تلاميها في الزمان. ومن نماذج تلك الأعمال نذكر هنا على سبيل المثال: «كان وأخواتها»، و«البئر»، و«مناديل وقضبان»، و«يوميات قلعة المنفى»، و«تذكرة ذهاب وإياب إلى تازمامرت»، و«الزنزانة رقم ١٠»، و«تلك العتمة الباهرة»، و«الغرفة السوداء»، و«العريس»، و«إنهم يجوعون الفئران»، و«سرقنا ضحكا»، و«هاجس العودة»، و«سيرة الرماد»^(٣٧)،... إلى غير ذلك من الأعمال التي تجمع مذكرات السجين والتعبير عن المعاناة الإنسانية وراء القضبان.

وقد صدر حديثا أيضا كتاب «الاعتقال، التقاسم، الفضاءات والذاكرة»^(٣٨)، عن المجلس الوطني لحقوق الإنسان وتطرق إلى عشرة من السجون السرية التي كانت تستغل للاعتقال والتعذيب ما بين سنوات ١٩٦٠ و ١٩٨٠، والكتاب يكتسي أهمية علمية بالغة كونه موثق بالصور، وتضمن العديد من النقوش على الجدران التي ستظل شاهدا على تلك المأساة التي دفعها أولئك المناضلون ثمنا لحرية لم تجد بعد طريقها إلى الشروق.

ثانياً: التجربة الجزائرية: هاجس السلطة وصراع الأضداد

من حيث المبدأ، تبدو التجربة الجزائرية مشابهة للتجربة المغربية بالرغم من تباين الحிثيات المصاحبة لكل منهما. بدأت الانقسامات الحادة بين قادة الثورة الجزائرية أثناء المفاوضات على الاستقلال، وبعدما نجحت جبهة التحرير الوطني في انتزاع الاستقلال لم يسعد الجزائريون بهذا المنجز التاريخي حيث كان الإعلان عن الاستقلال مناسبة ارتد فيها سلاح جيش التحرير إلى صدور رفقاء النضال وقادة جبهة التحرير، وهو ما يعرض الأداء السياسي لأولئك القادة الكبار للمساءلة الأخلاقية في ظل الهوة السحيقة التي تفصل بين نضالهم من أجل الحرية والاستقلال، وصراعهم الدموي على الحكم.

في تأريخه لحرب التحرير الجزائرية يضعنا المؤرخ الفرنسي بنجامين ستورا أمام حقائق صادمة حول الانقسام الحاد بين الحكومة الجزائرية المؤقتة في مدينة الجزائر وبين التحالف الذي يجمع هيئة الأركان وعلى رأسها الهواري بومدين وأحمد بن بيلا وغيرهم من الموالين فيما بدا ظاهريا مواجهة أيديولوجية بين الطبقة البرجوازية وبين القادة الثوريين الاشتراكيين. وعلى أساس هذه الخلفية المتخفية وراء المقولات الماركسية عن الصراع الطبقي، وقعت عدة أحداث دموية ما بين سنتي ١٩٦٢ و ١٩٦٥، كان أولها مهاجمة بن بلة رفاقه في الحكومة الجزائرية المؤقتة معلنا أحقية الفلاحين والعمال والمثقفين الثوريين في قيادة الثورة الديمقراطية الشعبية بدلا من الإقطاعية والبرجوازية الجزائريتين اللتين تشكل أيديولوجيتهما مهد الاستعمار الجديد. وعلى الطرف المقابل، كان يوسف بن خدة، رئيس الحكومة المؤقتة، مدعوما برفاقه، يؤكد في خطاب الاستقلال أمام الجماهير المحتشدة أن «الإرادة الشعبية تشكل السد الأكثر مناعة أمام الديكتاتورية العسكرية التي يحلم بها بعضهم، وأمام السلطة الشخصية، والطامحين والمغامرين والديماغوجيين والفاشيين أيّا كانت مشاربهم»^(٣٩). هكذا، وبين الاتهام والانتهاز المضاد، يتكشف المشهد السياسي لهذه المرحلة الحرجة من تاريخ الدولة الفتية وهي لا تزال في مهدها عن صراع محموم على السلطة، سرعان ما تحول إلى صراع دموي حيث كان الجيش سيد الموقف في تصفية الخصوم من رموز النضال.

فعلى وقع هذه الاتهامات، اتخذ الجناح الثوري ممثلا في بن بلة وبومدين وبقية الموالين قرار التدخل العسكري لاحتلال قسنطينة، وهو ما خلف عددا من القتلى والجرحى، وأسفر عن اعتقال رئيس الولاية، ووزير الداخلية في الحكومة الجزائرية المؤقتة، وانتهى بسيطرة العقيد الهواري بومدين على العاصمة وبقية الولايات التي توالى سقوطها بيد العسكر، ليتمكن من الاستيلاء الكامل على السلطة، والقضاء على القوى المعارضة^(٤٠). وفي غياب أي توافق في الأفق أمام تزايد الصراعات على السلطة، عمت الفوضى وبدأت بعض الولايات تهدد بالاستقلال الذاتي، ونتج عن ذلك صدامات دموية في الولاية الرابعة ومدينتي بوغاري والأصنام أدت إلى سقوط ما يزيد عن ألف قتيل^(٤١). ومن جهة ثانية، شجعت فترة الفوضى هذه على تصفية الحسابات، ونتج عنها إعدام الآلاف من «الحركيين» وهم الجنود الجزائريون

الذين كانوا متطوعين في الجيش الفرنسي، واختطاف الأوربيين حيث بلغ عدد المختفين في وهران ١٨٠٠، ومقتل ما يزيد عن عشرة آلاف حركي في نوفمبر ١٩٦٢، ليرتفع العدد إلى خمسة وعشرين ألفا في يناير ١٩٦٣، بينما وصل عدد المعتقلين حسب إحصاء الصليب الأحمر عام ١٩٦٥ الذي جرى فيه الانقلاب ضد بن بلة ١٣٥٠٠ معتقلا. ونتج عن هذه الحرب الأهلية هجرة الجزائريين من وطنهم المستقل الذي طالما حلموا به زمن الكفاح المسلح ليستقر بهم المطاف في فرنسا البلد العدو الذي طرده بقوة السلاح حيث كان عدد المهاجرين الذي سجل في نوفمبر ١٩٦٢ في حدود ٩١٧٤٤ مهاجرا^(٤٢).

هذه الصراعات الدموية حول السلطة كانت جميعها تجري تحت حاضنة جبهة التحرير وباسمها، وبعد وقف إطلاق النار وسيطرة الجناح الثوري على السلطة مع انتخاب أحمد بن بلة الذي غلب على حكومته عناصر الجيش، استمر الصراع على السلطة، وأعيد تشكيل المشهد السياسي الذي سيغيب فيه كبار القياديين عن مركز القيادة الجديد، إما بالاستقالة أو الإقالة أو الاعتقال. وعندما أسس حسين آيت أحمد جبهة القوى الاشتراكية المعارضة، أطلق الجيش الوطني الشعبي النار على ولاية القبائل التي ينتمي إليها، كما أطلقت يد الشرطة ضد الولاية. ومع اندلاع الانتفاضة المسلحة بقيادة العقيد محمد شعباني، بدا وكأن البلاد في حرب أهلية، وانتهت الأحداث باعتقال حسين آية أحمد وحكم عليه بالإعدام ليصدر عنه العفو لاحقا. وعندما تمكن الرئيس «المنتخب» أحمد بن بلة من فرض سيطرته الكاملة على مختلف المؤسسات السيادية في الدولة، تفرغ لإضعاف نفوذ رفاقه داخل مجموعته الخاصة المعروفة تاريخيا بمجموعة وجدة، نسبة إلى المدينة الحدودية المغربية، بتسريحهم وتجريدهم من مناصبهم. هكذا سيجري استبعاد كل من أحمد ميديغري عن وزارة الداخلية، وقايد أحمد عن وزارة السياحة، وشريف بلقاسم، عن وزارة التوجيه، والذي كان تحت سلطته أيضًا وزارات الإعلام والتعليم الوطني والشباب، وعبد العزيز بوتفليقة عن وزارة الشؤون الخارجية، وبذلك تركزت جميع السلطات في يد الرئيس بن بلة الذي جمع بين رئاسة الجمهورية ورئاسة الحكومة، وأمين عام جبهة التحرير، كما منح لنفسه حقائب وزارات الداخلية والمالية والإعلام. وكان رد فعل فريقه، وعلى رأسهم وزيره للدفاع العقيد الهواري

بومدين التخطيط للإطاحة به وهو ما نفذ في ١٩ يونيو ١٩٦٥، وبقي على إثره أول رئيس للجمهورية الجزائرية المستقلة في السجن مدة خمسة عشر عاماً، ولم يطلق سراحه إلا في ٣٠ أكتوبر ١٩٨٠ (٤٣). ومع الأسف، لم يكن الانقلاب ليضع نهاية لمأساة دولة الجزائر الفتية غداة الاستقلال، بقدر ما كان فاتحة لما ستستقبله من انتهاكات متوالية في ظل الحكم العسكري المستبد، مما لا تتسع له هذه الصفحات.

ثالثاً. التجربة التونسية: منطق المقايضة والصراع على السلطة

أما في تونس البورقيبية، فالوقائع التاريخية تخبرنا بأن النخب السياسية المخضرمة كانت تشرب من معين واحد. كان بورقية يصنف في علاقته بإدارة الاحتلال ضمن المعتدلين. لكن سياسة الاعتدال التي لزمها بورقية تجاه الاحتلال سرعان ما اختلت منذ أن بدأت تنهياً له الظروف للوصول إلى الحكم، حيث اعتمد ضد مخالفه سياسة إقصائية راديكالية، لا شيء يميزها عن أساليب القمع الدموي التي كانت تمارسها سلطات الاحتلال. كان صالح بن يوسف قد عارض بشدة اتفاق الاستقلال الداخلي الذي وقعه بورقية عام ١٩٥٥، ومن ثم اختار الكفاح المسلح لتحقيق الاستقلال التام بالتنسيق مع المقاومة الجزائرية. ووفقاً لما يقوله الكاتب التونسي توفيق المدني، فقد كان صراع بورقية ضد رفقاءه في النضال سببه الرئيس رغبته في الاستيلاء على السلطة. فقد أدرك بورقية أن المقاومة المسلحة ضد الاستعمار تعني أن مركز الثقل السياسي سيميل لمصلحة الحركة اليوسفية التي تقود هذا الكفاح المسلح، بالتحالف مع الثورة الجزائرية. ولذلك، فقد أباح بورقية لنفسه أن يمحو خصمه بقوة السلاح. لكن بورقية فعل ما هو أبعد من توجيه السلاح إلى صدور المقاومين، فقد انتهك كل ثوابت المقاومة الوطنية، كما تجاوز كل المحرمات السياسية والدينية والأخلاقية عندما قرر أن يطلب مساعدة جيش الاحتلال الفرنسي للقضاء على جيش التحرير التونسي^(٤٤).

كان هدف الشهيد صالح بن يوسف تأسيس جيش التحرير المغربي، وقبل أن يغادر إلى ليبيا حيث سيقود من هناك المقاومة المسلحة، عقد اجتماعاً في بيته ضم قادة هذا الجيش الذي مثله عن الجانب التونسي صالح بن يوسف، وعلي الزليطني، والطاهر الأسود، والشهيد الطيب الزلاق. ومثل الجانب الجزائري الشهيدان عبد الحفي وعباس بلغورور، أما الجانب

المغربي فقد مثله محمد البصري، قائد المقاومة وجيش التحرير المغربي الذي رفض الامتثال للنداء الذي وجهه الملك محمد الخامس بحل جيش التحرير غداة إعلان الاستقلال. وقد كان تكوين هذا الجيش تنفيذا لفكرة الأمير عبد الكريم الخطابي عقب اجتماع بعض القادة المغاربة في مدريد حيث أصدروا بيانا ينص على عدم توقف المقاومة إلا باستقلال المغرب العربي كله^(٤٥). ومع انطلاق عمليات جيش التحرير واشتباكه ضد قوات الاحتلال، شكل بورقية عصابات منظمة للقتل والاعتقال والاختطاف، وكان منها «سباط الظلام»، بقيادة المجرم حسن العيادي، و «بني خلاد» بقيادة المجرم عمر شاشيه، وسباط مقر دار الحزب بالقصبة بقيادة المجرم حسين بوزيان، ومنطقة سوق الأربعاء بقيادة المجرم محبوب بن علي، وغيرها من العصابات التي عرفت بـ«لجان اليقظة» وهي ملشيات حزبية تتألف من مجموعات مسلحة تحددت مهمتها في تصفية الحركة اليوسفية بالتحالف مع القوات النظامية التونسية والجيش الفرنسي. وبموازاة مع ذلك، شكل بورقية وزمرته في الحزب محكمة أطلق عليها «المحكمة الشعبية» التي باشرت عملها في تصفية رجال المقاومة أواخر سنة ١٩٥٥ بمباركة سلطات الاحتلال.

وإلى جانب توظيفه لجيش الحكومة التونسية الانتقالية، عمل بالتنسيق مع جيش الاحتلال الذي كان مدعوما بالطيران لسحق رجال المقاومة في معركة دارت رحاها على مدار ستة أسابيع. وأدى التدخل المكثف للطيران الفرنسي إلى مذبحة «مدنين» و«مطماطة» بعد انضمام قبائل الجنوب إلى المقاومة، وأسفرت هذه المذابح عن أربع مائة شهيد عام ١٩٥٦، كما بلغ عدد رجال اليوسفية الذين اعتقلتهم الشرطة ٢٣٧٢ معتقلا، و ١٢٠٠ سجيناً، وبلغ عدد الذين أحيّلوا على المحكمة الشعبية ١٢٠٠ مقاوماً إضافة إلى الإعدام الذي نفذ في حق قياديين في جيش التحرير، ومن ناصرهم من القادة السياسيين^(٤٦).

أما الزعيم صالح بن يوسف فقد تم اغتياله في ألمانيا بتنسيق بين وزير الداخلية الطيب المهيري والبشير زرق العيون، قائد منظمة اليد السوداء، والذي كان الساعد الأيمن لبورقية وتولى له عدة مهام حزبية وحكومية. ومع تصفية الحركة اليوسفية، يكون بورقية قد تمهد له الطريق إلى الاستبداد بالحكم بعد أن نجح في انقلابه على الأمين.

لكن جرائم بورقية تجاوزت حدود بلاده لتلاحق المقاومين في جيش التحرير الجزائري. وهذا السلوك الإجرامي لا مبرر له سوى خدمة الاحتلال الفرنسي الذي كان همه الأكبر سحق المقاومة المسلحة الجزائرية. هكذا عمل بورقية على تجنيد عدة عصابات مهمتها التصدي للقوافل التي كانت تحمل السلاح إلى الجيش الجزائري ومطاردة العاملين فيه. ففي الجنوب التونسي بمنطقة الحامة كان هناك عصابة يقودها المجرم ساسي الأسود، وأخرى يقودها المجرم محجوب بن علي الذي كان يطارد المجاهدين إلى جانب قوات الاحتلال الفرنسي. وفي منطقة قفصة، كان المجرم الحسين بوزيان يدير عصابات مهمتها مراقبة الطرق المؤدية إلى الجزائر والاستيلاء على قوافل السلاح، بالتعاون مع جيش الاحتلال. وبالمثل، جندت الحكومة التونسية مجموعات مسلحة لملاحقة الجيش الجزائري المربط في مناطق الرديف وتوزر ونفطة بقيادة الطالب العربي، وتمكنت العصابات التونسية بمساعدة القوات الفرنسية من إعدام القائد الطالب العربي ومساعديه، وسأقت جنوده والمتعاونين معهم من التونسيين إلى السجن^(٤٧).

والمفارقة في هذه التجربة القاسية أن بورقية الذي سحق رجال المقاومة وأبطال جيش التحرير ومد يد الغدر للاحتلال، أصبح غداة الاستقلال يحمل لقب المجاهد الأكبر، والمصلح الأكبر، والمجاهد الأكبر. وإذا كان في زمن الاحتلال قد داس على كرامة شعبه باسم الجهاد، فكذلك تأتي له أن يدوس عقيدة الشعب وثوابته الدينية باسم الإصلاح والاجتهاد.

والواقع أن البحث في السيرة الذاتية للنخب السياسية المخضمة، كما توضحه النماذج السابقة، مغر جدا لما يتكشف عنه من حقائق رهيبة ظلت مسكوتا عنها في التاريخ الرسمي لأولئك القادة التاريخيين الذين ظلوا في الذاكرة العربية الجماعية أبطال المقاومة وحرب التحرير، مع أن المسكوت عنه من سجلاتهم التاريخية يضع القارئ أمام نخبة من المحترفين الذين امتهنوا الجريمة السياسية بكل ما تعنيه الكلمة من معنى. ولا بد أن نعترف ابتداء بعجز ما ذكر في هذا الحيز من البحث بحكم محدوديته عن تقديم كشف شامل لسيرة تلك النخبة التي عاشت زمنيا في منتصف القرن العشرين، والتي اضطلعت بمهمة العبور من

مرحلة الاحتلال إلى دولة الاستقلال. لكننا نعتقد أن العينات التي تم دراستها تبقى ذات دلالة كاشفة وكافية في نفس الوقت على كشف الوجه الآخر لرموز الحركة الوطنية، وهو الوجه الذي طالما بقي مغيبا في التاريخ الرسمي وبرامج التعليم مما يعتبر تحريفا ممنهجاً لتاريخنا السياسي الحديث والمعاصر. هكذا تضعنا هذه المعطيات التاريخية أما شخصيات عاشت زمنين، وتحمل تاريخين، الأول زمن الكفاح من أجل الحرية والكرامة وهو تاريخ مشرق، والثاني زمن القهر والاستعباد، وهو تاريخ مثقل بالكراهية والحقد السياسي، وهي واحدة من المفارقات التي دمغت تجربة الاستقلال وكثيرا من النخب التي صنعتها. ولذلك، عندما نصف النخب السياسية المخضرة بامتهان الجريمة السياسية، لم نفعل ذلك من باب التجني، ولا من باب التعميم أيضا. فكما هو الحال في كل الجرائم التي يقترفها البشر، هناك دائما جلادون وضحايا. ومن المؤسف أن أولئك الجلادين كانوا ولا يزالون يمثلون في وعي ضحاياهم أبطال المقاومة ورموز التحرير.

قائمة الهوامش والمراجع

١ يحيل مفهوم «المخزن» أو «الدولة المخزنية» إلى السلطة التقليدية التي كانت تحكم المغرب الأقصى، وهو من المفاهيم الملتبسة التي أثارت جدلا واسعا بين الباحثين في التاريخ السياسي للمغرب. ويشير المفهوم إلى نظام سياسي إداري شديد التعقيد، يتداخل فيه السياسي بالاجتماعي والديني، حيث جرى توظيف هذه الأبعاد جميعها في توطيد سلطة الحاكم، وهو ما جعل من هذا النظام شكلا من أشكال الحكم الاستبدادي حيث يتركز الحكم في يد السلطان الذي يعتمد في فرض هيئته على مجموعة من الموظفين المدنيين والعسكريين ورجال القبائل والزعماء المتنفيين الذين يتعين عليهم الانخراط في خدمة السلطان والحفاظ على استقرار ملكه.

٢ راجع هذه الدراسات في: زازيد جبران، استمرار دولة المخزن، مجلة رهانات، مركز الدراسات والأبحاث الإنسانية، المغرب، العدد ٢٦/٢٧، صيف ٢٠١٣، ص ٢٤.

3 Gilles Perrault, Notre ami le roi, (éditions Gallimard, 1990). pp29-42.

4 Ibid, pp78-79.

5 Notre ami le roi, op. cit, p. 38

6 Mehdi Bennouna, Heros Sans Gloire. Echec d'une révolution. 1963-1973. (Collection Temoignages. Ed. TARIK. 2002), p. 35.

7 Ibid, p. 29.

8 David Montgomery Hart, The Aith Waryaghar of the Moroccan Rif. An Ethnography and History (Viking Fund Publ. in Anthropology, Univ. of Arizona Press, USA, First Edition édition 1976), pp. 428-426.

9 Heros Sans Gloire, op. cit, p. 25.

١٠ جون وتربوري، أمير المؤمنين، الملكية والنخبة السياسية المغربية، ترجمة عبد الغني أبو العزم وآخرون، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، المغرب، ط ٣، ٢٠١٣، ص ٢٩٤.

11 Notre amile roi, op. cit, p. 48.

١٢ الاختفاء القسري، مساهمة من أجل الذاكرة والتاريخ، جذور العنف بين السلطة والمعارضة، ندوة الرباط المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، ٩ نوفمبر ٢٠١٤، مركز محمد بن سعيد آيت إيدر للأبحاث والدراسات، ص ٦٨.

١٣ عبد الواحد الراضي، المغرب الذي عشته، سيرة حياة، (المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء، ط ١، ٢٠١٧)، ص ١١٥-١١٦.

١٤ أحمد معنيو، ذكريات ومذكرات الحاج أحمد معنيو، ج ٦، ١٩٥٧-١٩٦٢، لا توجد بيانات الطبع، ص ٧٥.

١٥ ذكريات ومذكرات الحاج أحمد معنيو، نفسه، ص ٧٦.

16 Stepheno. Hughes, Morocco under King Hassan, published by (Garnet Publishing Limited, First Edition, UK, 2001), p. 87.

17 Montgomery, The Aith Waryaghar of the Moroccan Rif, op. cit, p. ٤٢٥.

18 Morocco under King Hassan, op. cit, p. 87.

19 Heros Sans Gloire, op. cit, p. 35. See also; The Aith Waryaghar of the Moroccan Rif, op. cit, p. 427.

20 ibid, pp. 428-429.

21 ibid, pp. 428-430.

٢٢ المهدي المومني التجكاني، دار بريشة أو قصة مختطف، مراجعة وتقديم وتعليق، الحاج معنيو، ط ١، ١٩٨٧، ص ١٦١

23 Notre amile roi, op. cit, p. 42.

24 The Aith Waryaghar of the Moroccan Rif. op. cit. pp.428-426.

25 Heros Sans Gloire. op. cit. pp. 28-29.

26 Ibid. p. 33.

27 Ibid. p. 33.

28 Hughes, Morocco under King Hassan, p. 96.

٢٩ أمير المؤمنين، مرجع سابق، ص ٢٧٦-٢٧٩.

30 Bennouna, Heros Sans Gloire, p. 34.

31 The Aith Waryaghar of the Moroccan Rif. op. cit. pp.428-426.

٣٢ دار بريشة، مرجع سابق، مقدمة الكتاب للحاج أحمد معنينو، ص ٤.

٣٣ ينظر نص الرسالة كاملة في المرجع السابق، الملحق رقم ٢، ص ١٢٧ وما بعدها.

٣٤ نفسه، مقدمة الكتاب للحاج أحمد معنينو، ص ١٣-١٤.

٣٥ نفسه، ص ١٥٦-١٥٨.

٣٦ ينظر نص الرسالة كاملة في المرجع السابق، ص ١٥٩-١٦٢.

٣٧ ينظر بهذا الخصوص: عبد الرحيم حزل، سنوات الجمر والرصاص، نصوص وحوارات في الكتابة والسجن» ندوة كتابات الاعتقال السياسي، الرباط ٢٠ ماي ٢٠٠٤، صدر عن هيئة الإنصاف والمصالحة، نسخة إلكترونية على الرابط:

http://www.ier.ma/IMG/pdf/abderrahim_houzel.pdf

٣٨ تأليف جماعي بتعاون بين المصطفى بوعزيز، والطيب بياض، ومحمد حتمي. ينظر النسخة الإلكترونية على الرابط:

http://www.ier.ma/IMG/pdf/abderrahim_houzel.pdf

٣٩ بنجامين ستورا، تاريخ الجزائر بعد الاستقلال ١٩٦٢-١٩٨٨، ترجمة صباح ممدوح كعدان، الهيئة السورية العامة للكتاب، دمشق، ط ١، ٢٠١٢، ص ١٠، ١٤.

40 Benjamin Stora. Algeria 1830–2000, A short History. Cornel university Press. Itbaca and London. 2001. p. 126.

41 p. 127. Ibid

٤٢ ينظر: تاريخ الجزائر بعد الاستقلال، مرجع سابق، ص ١٦-١٨. وكذلك: Algeria ١٨٣٠-٢٠٠٠. A short History. p. ١٢٧.

٤٣ تاريخ الجزائر بعد الاستقلال، مرجع سابق، ص ٢٠ وما بعدها.

٤٤ توفيق المدني، المعارضة التونسية نشأتها وتطورها، اتحاد الكتاب العرب، دمشق رقم ٢٠، ص ٢١. ينظر النسخة الإلكترونية على الرابط التالي:

<http://www.awu-dam.org>

٤٥ حول تفاصيل تشكيل جيش التحرير التونسي، والتنسيق مع جيش التحرير الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، ينظر: علي المحجوبي، الحركة الوطنية التونسية بين الحربين، منشورات الجامعة التونسية، ١٩٨٦، ص ١٣٠-١٣٢.

٤٦ توفيق المدني، المجتمع المدني والدولة السياسية في الوطن العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٧، ص ١٥-١٦. وكذلك، الحركة الوطنية التونسية، مرجع سابق، ص ١٥٢-١٥٥.

٤٧ () الحركة الوطنية التونسية، مرجع سابق، ص ١٦٣، وانظر أيضا صفحة ١٧١.

كوفيد-١٩ والتعليم عن بعد: بين ظروف الاضرار وإمكانية التنفيذ ج٢

إعداد/ د.نزار خليل أبوبكر سليمان

أستاذ مساعد - جامعة المشرق. السودان

إعداد/ د.نهى حسن المبشر الطيب

أستاذ مساعد - جامعة المشرق. السودان

مستخلص الدراسة

خلقت جائحة كورونا فايروس (COVID-19) تأثيرًا كبيرًا على قطاع التعليم، إذ دفعت المدارس والجامعات والمؤسسات التعليمية لإغلاق أبوابها في كثير من دول العالم تقليلًا من فرص انتشاره. وهو ما أثار قلقًا كبيرًا لدى المتسبين لهذا القطاع، وخاصة طلاب الجامعات المتأهين للجلوس لامتحانات يعدونها مصيرية. من خلال تحليل مكثبي مستمد من مصادر جامعية وحكومية حيثما أمكن، نقدم خريطة في الوقت المناسب لاستجابات التعليم العالي خلال فترة الدراسة لـ COVID-19 من خلال التجارب التي قدمتها عدد من المؤسسات التعليمية الجامعي السودانية. وجدنا أن استجابات مقدمي التعليم العالي كانت فعالة من خلال استراتيجيات العزلة الاجتماعية في الحرم الجامعي وإعادة تطوير المناهج الدراسية بسرعة لتقديم العروض عبر الإنترنت بالكامل. نقدم في مناقشتنا تصنيفًا لأنواع الاستجابات التي يتم إجراؤها حاليًا وتقييم حركة التعليم العالي في الاستعداد لوضع الضوابط والإرشادات الصحية لتفادي تفشي الوباء. نعتقد أن هناك فرصًا كبيرة للتعلم من التجارب التربوية للجامعات الأخرى، من أجل تعزيز الاستجابة الجماعية للتعايش مع جائحة كورونا COVID-19 الآن وفي المستقبل عقب تصنيف منظمة الصحة العالمية لهذا الجائحة بالمرض المستوطن، اتجهت المؤسسات التعليمية في ظل هذه الظروف الى التعليم الإلكتروني، حيث تطرقت هذه ورقة إلى طرح تطبيق التعليم الإلكتروني في بعض مؤسسات

التعليم الجامعي السودانية، من خلال التجارب التي قدمتها بغرض الوقوف على هذه التجربة ومعرفة نقاط القوة والضعف، وما هو مأمول من القائمين على أمر التعليم العام والتعليم العالي من خطط واستراتيجيات للنهوض بتقنيات التعليم الإلكتروني، كما قدمت الورقة نماذج لمجموعة من الجامعات السودانية التي طبقت نظام التعليم المفتوح والتعليم عن بعد، وتلك التي استفادت من تقنيات التعليم الإلكتروني، إضافة إلى تجربة المدرسة الإلكترونية التي أدخلت حديثاً لتدريس مناهج مرحلتي الأساس والثانوي إلكترونياً، والتجربة المنتظر دخولها من قبل المجلس القومي للتعليم التقني والتقاني والمتمثلة في الكلية الإلكترونية، حيث اشتملت الورقة على مشكلة الدراسة، وأهدافها، وأهميتها، والمنهجية التي اتبعتها، إضافة إلى نبذة تعريفية عن مفاهيم التعليم الإلكتروني، والتعليم عن بعد، كما تناولت الورقة واقع التعليم الإلكتروني في السودان لبعض مؤسسات التعليم السودانية، وتطرق لـ لإيجابيات وسلبيات ومعوقات التعليم الإلكتروني، ومن ثم التوصيات التي أفضت إليها الدراسة، والتي تمثلت في الاهتمام بالتعليم الإلكتروني المتزامن في مؤسسات التعليم من خلال اعتماد وسائل تدريس تقنية، وإنشاء إدارات متخصصة بالتعليم الإلكتروني في التعليم العام والعالي، والاهتمام بالمكتبات الرقمية، والعمل على حوسبة المناهج، وإطلاق القنوات الفضائية الخاصة بالتعليم الإلكتروني.

الكلمات الدالة

التعليم المفتوح، الجامعة المفتوحة، الجامعة الافتراضية، البيئة التعليمية الافتراضية.

Abstract

The Corona Virus (COVID-19) pandemic had a major impact on the education sector. As it pushed schools, universities and educational institutions to close its doors, reducing the chances of its spread. This has caused great concern among those affiliated with this sector, especially universities students who are ready to take exams that they

consider crucial. Through a desk analysis derived from universities and government sources where possible, we provide a timely map of higher education responses during the study period of COVID-19 through the experiences provided by a number of Sudanese universities education institutions. We found that the responses of higher education providers were effective through social isolation strategies on campus and a rapidly redesigning curriculum for online presentations. In our discussion, we provide a breakdown of the types of responses currently taking place and an assessment of the higher education's agility in preparing for a pandemic. We believe there are great opportunities to learn from the educational experiences of other universities, in order to enhance the collective response to COVID-19 now and in the future. Given the importance of educational institutions in the current circumstances towards electronic education, this paper touched upon the application of e-learning in Sudanese universities education institutions, through the experiences presented by a number of Sudanese universities education institutions, in order to stand on this experience and know the strengths and weaknesses, What is hoped for by the general education and higher education matters are plans and strategies to advance e-learning technologies, and the paper also provided models for a group of Sudanese universities that have applied the system of open and distance education, and those that have benefited from e-learning techniques, in addition to the e-school experience that Recently introduced to teach curricula for the basic and secondary stages electronically, and the experiment expected to be entered by the National Council for Technical and Technological Education represented in

the electronic college, where the paper included the study problem, its goals, importance and methodology that followed, in addition to an introductory brief on the concepts of e-learning, distance learning, the paper also dealt with the reality of e-learning in Sudan for some Sudanese education institutions, and addressed the pros and cons of and obstacles to e-learning, and then the recommendations that led to the study, which was represented in the interest in simultaneous e-learning in educational institutions through the adoption of technical teaching methods, and the establishment of specialized departments E-learning in general and higher education, and interest in digital libraries, And work to computerize the curricula and launch satellite channels for e-learning.

المقدمة

تشهد المجتمعات المعاصرة تحديات عديدة فرضت نفسها على طبيعة الحياة واسلوب عملها وعمل منظماتها المختلفة. من أبرز هذه التحديات ظهور جائحة كورونا المستجد مما دفع العديد من الدول على تطبيق أسلوب حديث في التعليم ومواكبة التقدم الذي تشهده المجتمعات من تقنية معلوماتية واتصالات حديثة والتي بدورها أسهمت في تغيير طبيعة الحياة وشكل المؤسسات من بينها المؤسسات التعليمية. أفرزت كل هذه التغيرات التقنية أنماطاً عديدة من التعليم الغير تقليدي، مثل التعليم الإلكتروني والتعليم الافتراضي، والتعليم عن بعد والتعليم المفتوح، وتعتبر جميعها نوع من أنواع التعليم الإلكتروني الذي يتيح للمتعلم الاستفادة من كل الخدمات الدراسية التقليدية (كتب - خدمات طلابية - تدريس - امتحانات) من خلال تقنيات إلكترونية عبر شبكات الإنترنت ووسائل الاتصال الحديثة الأخرى مثل القنوات الفضائية وخدمات الدفع الإلكتروني المصرفية. أحدثت هذه

التقنيات انتشاراً وإقبالاً واسعاً على التعليم المفتوح جنب المتعلم مشاكل الروتين التقليدية الأخرى من تسجيل ومراجعات وغيرها كما وفر إمكانات اقتصادية هائلة من خلال اختصار عمليات البناء للجامعات والمكتبات وما يتبعها من خدمات وعمالة إدارية وفنية.

يعتمد التعليم المفتوح على أنظمة وبرمجيات صممت لهذا النمط من التعليم بحيث تكون فعالة في تقديم المحاضرات الحية عبر الإنترنت أو غير الحية (اللا متزامنة) وتتكون من عناصر سمعية وبصرية مع مجموعة ارتباطات لتوفير مستلزمات المحاضرات مع بيانات ومعلومات. إن قضايا التعليم الجامعي المعاصر والتي أثرت بصورة موسعة مع بدايات العقد الماضي نبعث من التنبه إلى أن كثير من الصيغ التقليدية الحالية للتعليم الجامعي أصبحت قاصرة تجاه تمكنها من مواجهة تحديات المرحلة المعاصرة والمستقبلية والتي تشكلها معينات ما يعرف بعصر المعرفة أو المعلوماتية أو الموجة الثالثة والتي تعدد مسمياتها، وأوجدت بيئة عالمية ومحلية مغايرة ومتمازجة في عناصرها المكونة وعواملها المنتمية لها ومن ثم متطلباتها وذلك سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الثقافية. جائحة كورونا دفعت المؤسسات التعليمية للتحويل إلى التعلم الإلكتروني (E-Learning)، كبديل طال الحديث عنه والجدل حول ضرورة دمجها في العملية التعليمية، خاصة بعد أن تأثرت العملية التعليمية بشكل مباشر بأتمتة الصناعة وتطور تكنولوجيا «الذكاء الصناعي» (Artificial Intelligence) و«إنترنت الأشياء» (Internet of Things)، وكذلك ثورة تكنولوجيا المعلومات التي اقتحمت معظم أشكال حياة الإنسان وأصبحت جزءاً أصيلاً منها.

فبين الجيل المسمى «إكس» والذي يتميز بتعلقه بأجهزة الهاتف الذكية واستخدام التطبيقات المختلفة، وبين احتياج الصناعة كوادراً ماهرة تكنولوجياً، أصبح دمج التكنولوجيا في العملية التعليمية توجهاً عالمياً. وأصبح توفير المادة التعليمية من خلال الأجهزة المحمولة لـ«جيل إكس» يشكل عاملاً محفزاً للتعلم بدلاً من الاكتفاء بالدراسة التقليدية، فبها ينمي معرفة ومهارات مناسبة تؤهله لتلبية احتياجات سوق العمل. إن استخدام الإنترنت في العملية التعليمية ليس وليد اليوم بل يعود إلى ما قبل عام ٢٠٠٠^(١). ومن خلال هذه الورقة سنحاول سرد قابلية تطبيق التعليم الإلكتروني في المؤسسات التعليمية في السودان.

معظم الجامعات تستخدم اليوم ما يسمى «أنظمة إدارة التعلم» (Learning Management Systems). وفي ظل «أزمة كورونا» التي يعيشها العالم؛ توجهت غالبية المؤسسات التعليمية نحو التعليم الإلكتروني كبديل أنسب لضمان استمرار العملية التعليمية. وزاد بشكل ملحوظ استخدام تطبيقات محادثات الفيديو عبر الإنترنت مثل «زوم» و«غوغل» و«ميتنغ» و«ويب إكس ميت» وغيرها. وحسب موقع «تيك كرنش» (techcrunch)؛ فقد بلغت عمليات تحميل هذه البرامج ٦٢ مليون مرة خلال فترة ما بين ١٤-٢١ مارس/ آذار ٢٠٢٠، أي مع بداية عمليات حظر التحرك في كثير من الدول. كما تضاعف استخدام الكثير من التطبيقات والبرامج التعليمية، مثل حقبة غوغل التعليمية و«أوفيس ٣٦٥» وتطبيقات «أبل» ومواقع خدمات التقييم والأنشطة التفاعلية^(١) وفي هذا الإطار نستكمل الجزء الثاني من هذه الدراسة حيث نتطرق إلى:

3.5 التعليم الإلكتروني المأمول:

من خلال التجارب التي قدمتها مجموعة من الجامعات السودانية وبعض المؤسسات التعليمية الأخرى، نجد أن بعض من هذه التجارب فتح الطريق من أوسع أبوابه أمام ترسيخ ثقافة التعليم الإلكتروني، وحثية التعامل معه بصورة فرضتها الطفرة الكبيرة في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وبالرغم من أن مجموعة من مؤسسات التعليم العالي السودانية أدخلت مفهوم التعليم عن بعد إلا أن هذه المؤسسات لم تعمل على توظيف تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بالصورة المثلى التي تتواءم مع توجيهات وسياسة التعليم الإلكتروني، خاصة وأن الأجيال الحالية أو ما تعرف بأجيال الألفية الثالثة وأجيال الديجيتال، أصبحوا يتعاملون باحترافية مع هذه التكنولوجيا المتطورة، فأصبح جلهم يمتلك أجهزة الحاسوب المحمول (لاب توب) والهواتف الذكية، التي تعدت استخداماتها استقبال وإرسال المكالمات الهاتفية، وأصبحت مزودة بتقنيات متقدمة ومتطورة ومعقدة تستخدم عبر برامج تشغيلية فائقة الدقة (Android)، و (IOS) تتيح لمستخدميها الاستفادة من خدمات كانت لوقت قريب ضرب من ضروب المحال، إضافة لبعض التقنيات الأخرى المتمثلة في التعامل مع مواقع التواصل الاجتماعي الإلكتروني (Face book) وتقنيات

١ - المصدر نفسه.

المحادثات المرئية (Skype) وتطبيقات الهواتف الذكية في كافة ضروب الحياة اليومية إضافة لمجموعة من التقنيات الكثيرة التي أصبحت في متناول الجميع، وبالرغم من ذلك استطاع جيل اليوم مواكبة كل هذه الطفرات العلمية المذهلة، لكن بكل أسف كانت المواكبة في كيفية استخدام التقنية وانتظار ما هو جديد من هذه التكنولوجيا، رغم الاستفادة منها في كثير من التجارب الإلكترونية مثل التطبيقات المصرفية الذكية وبعض تطبيقات التجارة الإلكترونية، لذلك لابد من إنشاء جسم للتعليم الإلكتروني يقوم بوضع السياسات والاستراتيجيات التي تشجع على الابتكار والإبداع ومواكبة كل التطورات التقنية، من خلال ترسيخ مبدأ استخدام البرامج المحوسبة والمحاضرات التفاعلية المرئية منذ مراحل تعليم الأساس والثانوي، من خلال مجموعة من المدارس الإلكترونية الذكية، ينتقل بعدها المتعلم إلى المرحلة الجامعية بدافعية الإبداع والابتكار، ومن ثم تعمل المؤسسات الجامعية على دعم البحوث العلمية المتميزة من خلال إنشاء مراكز للبحوث العلمية تتوفر فيها كافة معينات الإبداع التقني، ومواكبة التحول الرقمي، يتم دعمها من الدولة والجهات ذات الاختصاص من خلال إقامة الشراكات بين المؤسسات التعليمية وسوق العمل، خاصة وأن التقييم والتصنيف للمؤسسات التعليمية أصبح يتم بناءً على المواقع الإلكترونية من خلال معايير علمية دقيقة مبنية على المناهج والأبحاث العلمية وأعضاء هيئة التدريس والمنظومة الطلابية والبرامج الدراسية والشراكات الأكاديمية وغيرها من المطلوبات التي تدخل ضمن التصنيف الرقمي للمؤسسة. على الرغم من أن الجامعات السودانية بدأت الخطى الأولى نحو تفعيل آلية التعليم الإلكتروني إلى أنه من المتوقع أن يستمر الجدل حول جدوى استخدام التعليم الإلكتروني بالاستناد إلى طرح مزاياه وسلبياته ومتطلباته. ولن يتم التوافق على دوره ومدى استخدامه والنماذج المثلّي للاستفادة القصوى منه، إلا بعد إجراء مراجعات شاملة وتقييم متكامل لأثره في تطوير العملية التعليمية وتحسين نتائج المتعلمين. وسيكون للتجربة التي يخوضها العالم حالياً في هذا النوع من التعليم، بسبب انتشار فيروس كورونا المستجد، الأثر المستقبلي الكبير في صقل وتحديد التوجهات. ستكشف نتائج التقييم الشاملة للظروف والمتغيرات المحيطة بنا، ولسياسات التعليم الإلكتروني المتبعة وعمليات تنفيذه ومخرجاته وكلفته، مواطن الضعف وسبل تصحيحها، ومواطن القوة وطرق تعزيزها.

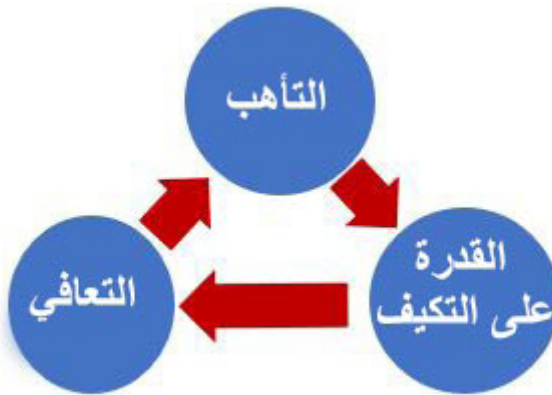
ومن المأمول أن يتم على أساس هذا التقييم اتخاذ القرارات المناسبة التي قد تؤدي إلى تعديل السياسات والإجراءات، ووضع الاستراتيجيات المناسبة لاستخدام التعليم الإلكتروني الموائم لكل مرحلة دراسية بعد أن توقفت كل المنظومة التعليمية بالبلاد بعد أن تأثرت بالخطر الصحي الذي فرضته جائحة كورونا المستجد منذ الأول من مارس ٢٠٢٠م ولم تستفيد أي من مؤسسات التعليم العام أو التعليم العالي بالسودان من تجربتها في التعليم الإلكتروني بصورة تسمح لها في الاستمرار في مواصلة الدراسة إلكترونياً.

التطلع إلى المستقبل

إنشاء إدارة متخصصة للتعليم الإلكتروني بوزارة التربية والتعليم تعمل على حوسبة المناهج وتطوير منظومة التعليم الإلكتروني وإنشاء بنية تحتية تسهل عملية التحول المباشر للتعليم الإلكتروني.

إنشاء إدارة متخصصة للتعليم الإلكتروني بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي مع إلزام كافة مؤسسات التعليم العالي الحكومية والخاصة بإنشاء اعتمادات للتعليم الإلكتروني عبر منصات حديثة ومواكبة لهذا النمط من التعليم.

شكل (١): نهج دوري للتعليم في حالات الطوارئ



المصدر: قازي-هق وشميس (٢٠٢٠)

الشكل (١) يوضح ما نتعلمه من أزمة فيروس كورونا المستجد هو أن التأهب أمر حاسم يتحتم على المؤسسات التعليمية على وجه الخصوص أن تكون على أهبة الاستعداد بالخطط والاستراتيجيات البديلة التي تعمل جنباً إلى جنب مع منظومة التعليم التقليدي لتجنب هذه المؤسسات التعليمية التوقف وتعطيل التقويم الدراسي، خاصة في ظل بروز سيناريوهات مختلفة تهدد بهجمات أكثر شراسة لفيروس كورونا على شكل موجات متفاوتة، مما يعني أن عملية التصدي له يجب أن تكون دورية. ويجب على البلدان التي لم تتضرر بعد أن تشرع في «التأهب»، مع البدء بوضع خطط للاستجابة. وهذا من شأنه أن يسهل عملية «التكيف» بمجرد حدوث الأزمة والتقليل من تأثيراتها السلبية إلى أدنى حد ممكن. مع انحسار مرحلة الطوارئ، يمكن للمجتمعات المحلية الانتقال إلى وضع «التعافي» ويمكن أن تتضمن الخطة استحداث بروتوكولات لعمليات الفحص داخل المؤسسات التعليمية، ونشر حملات النظافة العامة، وتوفير التعلم عن بعد. حيث تنفذ الحكومات سياسات وتدابير لتعويض فترة الحظر. وهذا يتطلب تعديلات على الجدول الزمني للعام الدراسي مع إعطاء الأولوية لطلاب الفصول النهائية الذين يستعدون للجلوس لامتحانات مصيرية تنقلهم لمرحلة تعليمية متقدمة، والاستمرار في التعلم عن بعد بالتوازي. والبلدان التي أبدت قدرة أكبر على الصمود في الأزمات المتكررة، مثل بلدان شرق آسيا، والتي استفادت من كوارث أخرى طبيعية مكنتها من التأقلم على التعامل مع هكذا أزمات، تمكنت من الاستجابة بسرعة للأزمات الجديدة، مثل الأزمة الحالية. حيث استطاعت الاستفادة من الزخم الحالي لإعادة التأهب والاستثمار في الأنظمة وتعزيزها في المستقبل.

من الأهمية بمكان العمل المشترك بناءً على الخبرة المكتسبة من حالات التفشي السابقة (السارس، والإيبولا، وغيرهما من الكوارث الطبيعية والأزمات الصحية) لدعم الحكومات على فهم الخيارات المتاحة في هذا المجال، يعمل البنك الدولي مع البلدان في جميع أنحاء العالم في كل مرحلة من المراحل الثلاث، التأهب والتكيف والتعافي. ويمكن لمسؤولي التعليم وواضعي السياسات استغلال هذه الأزمة كفرصة لاستحداث نماذج تعلم جديدة يمكن أن تصل إلى الجميع، والتأهب لحالات الطوارئ، وجعل النظام التعليمي أكثر قدرة على الصمود في وجه الأزمات.

٥,٤ أهداف التعليم الإلكتروني:

يحقق التعليم الإلكتروني مجموعة من الأهداف أهمها:

١. خلق بيئة تعليمية تعليمية تفاعلية من خلال تقنيات الكترونية جديدة.
٢. دعم عملية التفاعل بين الطلاب والمعلمين والمساعدین من خلال تبادل الخبرات التربوية والآراء والنقاشات الهادفة.
٣. إكساب المعلمين المهارات التقنية لاستخدام التقنيات التعليمية الحديثة.
٤. إكساب الطلاب المهارات اللازمة لاستخدام تقنيات الاتصالات والمعلومات.
٥. نمذجة التعليم وتقديمه في صورة معيارية.
٦. توفير شبكات تعليمية لتنظيم وإدارة عمل المؤسسات التعليمية.
٧. تقديم التعليم الذي يناسب فئات عمرية مختلفة مع مراعاة الفروق الفردية بينهم (١).
٨. مواكبة العولمة والتكنولوجيا في مجالات العلوم المختلفة بالإضافة لتحديث منصات التعليم الإلكتروني وفقا للمتغيرات والمستجدات العالمية.
٩. ربط مؤسسات التعليم السودانية برصفائها بمؤسسات التعليم في كل دول العالم بغرض الحصول على الاعتماد والالتزام بمعايير الجودة.

٥,٥ مميزات التعليم الإلكتروني:

اشتملت فوائد ومميزات التعليم الإلكتروني على الآتي:

١. يزيد التعليم الإلكتروني فاعلية الطالب أثناء عملية التعليم ويجعل منه الدور الأساسي في العملية التعليمية.
٢. ينمي مهارات التعلم الذاتي والتعلم المستمر وكذا البحث عن المعرفة لدى الطالب.

٣. يسهم في توفير جو من الخصوصية للطلاب يتيح له فرصة التعلم وفقاً لقدراته وكسر حاجز الخوف والخرج من الأقران.
٤. يوفر فرصة التواصل المستمر بين الطالب والمنهج طوال الوقت.
٥. يوفر كثير من أوقات الطلاب التي تستهلك في الانتقال من البيت إلى قاعة الدراسة أو بين القاعات.
٦. وجود إمكانية التواصل بين الطلاب أنفسهم، وبين أساتذتهم، من خلال قنوات مختلفة.
٧. التعليم الإلكتروني يجعل التعليم أكثر جاذبية وإثارة للطلاب.
٨. يتيح التعليم الإلكتروني إمكانية إيصال المعرفة من خلال وسائط مختلفة مرئية أو مسموعة أو مقروءة.
٩. يمكن من خلال التعليم الإلكتروني تعليم أعداداً أكبر من الطلاب.
١٠. المساهمة في تبادل الخبرات ووجهات النظر المختلفة بين الطلاب.
١١. يمنح التعليم الإلكتروني الطلاب الشعور بتساوي الفرص في عملية التعلم والمناقشة وإبداء الآراء.
١٢. التعليم الإلكتروني يتيح التعلم دون التزام بالحضور الفعلي وما يكتنفه من صعوبة لبعض الطلاب.
١٣. سهولة وتعدد طرق تقييم تطور تعلم الطالب.
١٤. يسهم التعليم الإلكتروني في تنمية التفكير وإثراء عملية التعلم.
١٥. يعطي الحرية والجرأة للطلاب في التعبير عن نفسه.
١٦. يناسب هذا النوع من التعليم الكبار غير المتفرغين الذين ارتبطوا بوظائف وأعمال

وطبيعة أعمالهم لا تمكنهم من الحضور المباشر لصفوف الدراسة. (١).

١٧. التعليم الإلكتروني في كونه عابراً للحدود، وذلك لاعتماده على التقنيات ووسائل الاتصال الحديثة، ما يتيح الفرصة للمتعلمين من جميع أنحاء العالم للوصول إلى المواد التعليمية دون مغادرة بلادهم. كما يوفر للمتعلمين درجة عالية من المرونة. (٢)

١٨. يسمح التعليم الإلكتروني بتحديث المحتوى التعليمي ووسائل التقييم بسهولة ويسر، ويمكن المعلمين من الاستعانة بخبراء من كل العالم للمشاركة في التعليم وإثراء المحتوى التعليمي، خاصة في حالات التعليم الإلكتروني المتزامن.

١٩. استمرارية التقويم الدراسي (Calendar) وعدم تأثره بمختلف العوامل التي تعيق التعليم التقليدي.

٦,٥ عيوب التعليم الإلكتروني:

بالرغم من إيجابيات ومميزات التعليم الإلكتروني، إلا أن هنالك بعض العيوب التي تحد من فاعليته وتعيق استخدامه، منها:

١. يركز التعليم الإلكتروني على حاستي السمع والبصر فقط دون بقية الحواس.
٢. يحتاج التعليم الإلكتروني إلى إنشاء بنية تحتية من أجهزة ومعامل وخطوط اتصال سريعة بالإنترنت.
٣. يتطلب تدريب مكثف لأعضاء هيئة التدريس والطلاب على استخدام التقنيات الحديثة قبل بداية تنفيذ التعليم الإلكتروني.
٤. يحتاج إلى أعضاء هيئة تدريس ذوي تأهيل عالٍ للتعامل مع المستحدثات التكنولوجية المستخدمة في هذا النوع من التعليم، كما يحتاج أيضاً إلى هيئة إدارية مؤهلة ومتخصصين في إعداد وتصميم البرمجيات التعليمية.

١ - الموسى، ١٤٢٩هـ ص ٢٠٥ - ٢٠٨

٢ - المحيسن، ٢٠٠٢م، ص ٦

٥. يفتر التعليم الإلكتروني إلى التواجد الإنساني والعلاقات الإنسانية بين المعلم والطلاب، والطلاب بعضهم البعض.
٦. ينظر المجتمع في بعض الدول إلى أن خريجي نظام التعليم الإلكتروني أقل كفاءة.
٧. عدم وضوح الأنظمة والطرق والأساليب التي يتم فيها التعليم بشكل واضح، وعدم البت في قضية الحوافز التشجيعية لبيئة التعليم الإلكتروني.
٨. أكثر القائمين على التعليم الإلكتروني هم من المتخصصين في مجال التقنية، ولا يؤخذ برأي المتخصصين في المناهج والتربية والتعليم.
٩. الخوف على الخصوصية والسرية للمعلومات الخاصة بالمحتوى أو الامتحانات من الاختراق
١٠. الحاجة المستمرة لتدريب ودعم المعلمين والإداريين في كافة المستويات لمتابعة الجديد في التقنية.
١١. الحاجة إلى نشر محتويات على مستوى عال من الجودة، ذلك كون المنافسة عالمية.
١٢. التركيز على التعلم من خلال التعليم الإلكتروني يضعف مهارات الكتابة والإملاء لدى الطلاب.
١٣. أن التعامل مع الأجهزة وطول الجلوس أمام أجهزة الحواسيب الآلية قد يكون له تأثيرات سلبية على صحة الطلاب^(١).

٦,٦ إيجابيات وسلبيات تجربة التعليم الإلكتروني في مؤسسات التعليم السودانية؛

بالنظر لتجربة التعليم الإلكتروني بمؤسسات التعليم السودانية نجد أن جميع الجامعات التي بدأت في تسعينيات القرن الماضي، انحصرت تجربتها في التعليم عن بعد ولم تستفيد في بادئ الأمر من تكنولوجيا التعليم الإلكتروني في تجربتها وتوقفت كلياً متأثرة بجائحة

١ - ناصر الشهراني ١٤٣٠هـ، ص ٣٥.

كورونا المستجد طوال فترة الحظر الصحي الذي فرضته لجنة الطوارئ الصحية بوزارة الصحة السودانية وفقاً لتوجيهات منظمة الصحة العالمية لتفادي تفشي المرض، والمتابع لهذه التجارب يجد أن هنالك كثير من الإيجابيات مع وجود بعض من السلبيات التي تسببت فيها وجود المعوقات التي وقفت حاجزاً دون تطوير هذا النمط من التعليم، ومن إيجابيات هذه التجربة:

- ١ - إتاحة الفرصة للذين لم يكملوا تعليمهم الجامعي لمواصلة دراستهم الجامعية، كما أتاحت للكثيرين إمكانية تغيير تخصصاتهم وهو على رأس العمل.
- ٢ - طورت التجربة قدرات أعضاء هيئة التدريس بالمؤسسات التعليمية من الناحية العلمية والمادية.
- ٣ - تطور أسلوب البحث العلمي في مجال التطبيقات الحديثة في شتى المجالات.
- ٤ - قامت التجربة بتأهيل أعداد كبيرة من معلمين مرحلي الأساس والثانوي.
- ٥ - إتاحة التجربة لأبناء السودانيين العاملين بالخارج فرصة دراسة المناهج السودانية منذ مرحلة الأساس.

السلبيات والمعوقات التي صاحبت تجربة التعليم الإلكتروني السوداني:

- ١ - الكلفة المالية العالية لإعداد وتصميم البرامج المحوسبة للمناهج الدراسية لبرامج التعليم الإلكتروني، إضافة لتكلفة الأجهزة والمعدات.
- ٢ - عدم تقبل الكثير من الطلاب لنمط التعليم الإلكتروني المفتوح، بسبب نظرة المجتمع السوداني لهذا النوع من التعليم بالدونية، وتعليم الفاقد التربوي.
- ٣ - عدم اعتماد شهادات التعليم عن بعد من قبل سطات التعليم العالي السوداني، وإلزام المؤسسات التي تقدم تعليم مفتوح أو تعليم عن بعد بالإشارة إلى ذلك عند منحهم شهادات التخرج مما جعل الكثيرون من الطلاب يتفادون الالتحاق بأي من أنواع التعليم الإلكتروني.

٤ - الطابع التجاري الذي اتخذته الكثير من تجارب التعليم عن بعد في بعض مؤسسات التعليم العالي السودانية.

٥ - ضعف الثقافة التقنية وانعدام التدريب لكثير من المشرفين على التعليم المفتوح.

ضعف التمويل اللازم لبناء البنى التحتية للتعليم الإلكتروني.

يحتاج التعليم المفتوح عمومًا والتعليم الإلكتروني على وجه الخصوص إلى إعادة تقييم من واقع حالته الراهنة، ومعالجة أوجه القصور وإزالة المعوقات التي تقف دون تطوره، لأن المؤسسات التعليمية التي ترغب في دخول منظومة التعليم الإلكتروني لابد لها أن تسعى جاهدة لتحقيق التمييز في البرامج التي تقدمها، لأن منظومة التعليم الإلكتروني تختلف بشكل كبير عن منظومة التعليم التقليدي، حيث نجد أن التعليم الإلكتروني يحتاج إلى مهارة وكفاءة ومعرفة تتواءم مع متطلبات العصر، لأن التعليم المفتوح باستخدام التقنيات الإلكترونية يعتبر الحل الأمثل لإتاحة فرص التعليم للجميع والتي تنعكس بدورها على سوق العمل، الذي أصبح يعتمد في الأساس على التكنولوجيا الحديثة في كثير من منشآته، وفي الفترة القادمة سيكون معيار بقاء واستمرار المؤسسات التعليمية هو التطوير وتحقيق المزايا التنافسية وتوفير الموارد البشرية وجعلها أكثر مهارة وكفاءة ومعرفة في ظل شعار مدارس وجامعات بلا جدران.

لذلك نجد أن الدراسة أوصت بالآتي:

١ - قيام تعليم إلكتروني متزامنًا في كل مؤسسات التعليم العالي السودانية، معتمدًا على وسائل نقل المعلومات الحديثة بغرض ربط التعليم الإلكتروني بعملية التفاعل من جانب المتعلمين.

٢ - إطلاق قنوات فضائية لتقديم خدمات التعليم الإلكتروني بنظام التشفير للراغبين في تلقى هذا النمط من التعليم، إضافة لقنوات أخرى مفتوحة تعمل على ترسيخ ثقافة التعليم الإلكتروني.

- ٣- العمل على إنشاء جامعة افتراضية تعمل على تقديم خدمات التعليم الإلكتروني بصورته المتكاملة.
- ٤ - الاهتمام بالدراسات العلمية والتطبيقية التي تحتاجها المجتمعات المعاصرة، من خلال الاستفادة من تقنيات المعامل الافتراضية في إجراء التجارب العلمية.
- ٥- ضرورة تشجيع الطلاب للالتحاق بالتعليم الفتوح بمختلف أشكاله، واعتماد الدرجات العلمية الممنوحة من قبل مؤسسات التعليم الإلكتروني المعتمدة عالمياً، من قبل القائمين على أمر التعليم في السودان وخاصة متخذي القرار.
- ٦ - إنشاء إدارة متخصصة لقبول الطلاب الراغبين في الالتحاق بالتعليم الإلكتروني تتبع للإدارة العامة للقبول وتقييم وتوثيق الشهادات بالتعليم العالي، مع مراعاة تخفيف القيود الموضوعية على شروط القبول للذين يرغبون في الالتحاق بنظام التعليم المفتوح.
- ٧ - تشجيع مؤسسات سوق العمل بمختلف أنواعها وعلى وجه الخصوص شركات الاتصالات على الدخول في شراكات أكاديمية مع مؤسسات التعليم العام ومؤسسات التعليم العالي بغرض تفعيل تجربة التعليم الإلكتروني بصورة متطورة في هذه المؤسسات.
- ٨ - ضرورة الاهتمام والتفعيل للمواقع الإلكترونية للمؤسسات التعليمية بصورة عامة والمؤسسات الجامعية على وجه الخصوص، نسبة لأن تقييم وتصنيف المؤسسات التعليمية عالمياً يتم وفقاً لما تحتويه المواقع الإلكترونية لهذه المؤسسات التعليمية خاصة فيما يتعلق بإضافة الأبحاث العلمية داخل الموقع الإلكتروني.
- ٩ - إنشاء المكتبات الرقمية المتكاملة في كل مؤسسات التعليم العالي، وربطها بطرق التدريس للمناهج المقررة في البرامج الدراسية، واستخدام البرامج الحاسوبية الخاصة بالمكتبات الرقمية.
- ١٠ - إنشاء مجموعة من المدارس الإلكترونية تعمل على حوسبة جميع مناهج مرحلتها الأساس والثانوي باستخدام أحدث تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، حتى يتمكن

الطلاب عند التحاقهم بالمرحلة الجامعية من توظيف هذه التقنيات في عمليات الأبحاث التقنية وابتكار تكنولوجيا قادرة على مواكبة التقنيات الحديثة.

١١ - إنشاء إدارة متخصصة للتعليم الإلكتروني بوزارة التربية والتعليم تعمل على حوسبة المناهج وتطوير منظومة التعليم الإلكتروني وإنشاء بنية تحتية تسهل عملية التحول المباشر للتعليم الإلكتروني.

١٢ - إنشاء إدارة متخصصة للتعليم الإلكتروني بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي مع إلزام كافة مؤسسات التعليم العالي الحكومية والخاصة بإنشاء عمادات للتعليم الإلكتروني عبر منصات حديثة ومواكبة لهذا النمط من التعليم.

١٣ - اعتماد التعليم الإلكتروني في مؤسسات التعليم السودانية بصورة مستمرة حتى عقب تحطى جائحة كورونا ولذلك تفادياً للظروف التي قد تعيق المسيرة التعليمية كما حدث العام السابق (٢٠١٩) إبان أحداث ثورة ديسمبر والظروف المناخية في فصل الخريف التي تؤدي في الغالب إلى تعطيل التقويم الدراسي.

قائمة المراجع:

- 1- Perrotta, C. (2020). Coronavirus quarantine could spark an online learning boom. The Conversation. [https:// theconversation.com/coronavirus-quarantine-could-spark-an-online-learning-boom-132180](https://theconversation.com/coronavirus-quarantine-could-spark-an-online-learning-boom-132180).
- ٢ - إسماعيل، العجب محمد العجب، دور تقنية التعليم الإلكتروني في تحقيق أهداف التعليم المفتوح، ورقة منشورة، مقدمة لندوة التعليم الإلكتروني ٢١ / ٤ / ٢٠٢٣ م.
- ٣- الحلفاوي، وليد بن سالم (٢٠١٤هـ)، مستحدثات تكنولوجيا التعليم في عصر المعلومات، الأردن، دار الفكر، الطبعة الأولى.
- ٤- الخان، بدر (٢٠٠٥)، استراتيجيات التعليم الإلكتروني، ترجمة الموسوي، وآخرون، سوريا، شعاع للنشر والعلوم.
- ٥ - الخطيب، محمد شحات، دراسة عن التعليم عن بعد وتطورات الوضع الراهن له في المساحة الدولية، والندوة الدولية للتعليم عن بعد، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٩٨ م.

- ٦ - دولور، جاك، التعليم ذلك الكنز المكنون، اليونسكو، باريس، ١٩٩٦م.
- ٧ - سالم، أحمد (٢٠٠٤)، تكنولوجيا التعليم الإلكتروني، الرياض، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى.
- ٨ - السباعي، زهير أحمد، التعليم المفتوح تجاه عالمي، الندوة الدولية للتعليم عن بعد المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٩٨م.
- ٩ - السفياي، مها بنت عمر، (١٤٢٨هـ)، أهمية واستخدام التعليم الإلكتروني في تدريس الرياضيات بالمرحلة الثانوية من وجهة نظر المعلمات والمشرفات التربويات، رسالة ماجستير منشورة، مكة المكرمة، كلية التربية، جامعة أم القرى.
- ١٠ - السنبلي، عبدالعزيز بن عبدالله، التربية والتعليم في الوطن العربي على مشارف القرن الحادي والعشرون، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ٢٠٠٢م.
- ١١ - الشهراني، ناصر بن عبدالله ناصر، مطالب استخدام التعليم الإلكتروني في تدريس العلوم الطبيعية بالتعليم العالي من وجهة نظر المختصين، دراسة دكتوراه منشورة، مكة المكرمة، كلية التربية، جامعة أم القرى.
- ١٢ - الصايدي، يحيى عبدالوهاب، التعليم عن بعد نظام تعليمي جديد لعالم متغير، المشروع العربي الموحد للتعليم عن بعد، الندوات القطرية حول التعليم عن بعد، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ٢٠٠١م.
- ١٣ - عبدالحفي، رمزي بن أحمد (٢٠٠٥م)، التعليم العالي الإلكتروني محدثاته ومبرراته ووسائله، الإسكندرية، دار الوفاء.
- ١٤ - عبدالرحمن عثمان، التعليم الإلكتروني في السودان.. الأهداف والتحديات، تقرير منشور في وكالة السودان للأنباء (سونا) www.suna-sd.net
- ١٥ - قازي-هق وشميس، إدارة تأثير فيروس كورونا المستجد على الأنظمة التعليمية في أنحاء العالم، مدونات البنك العربي، one line (٢٠٢٠) متوفر في
- ١٦ - القباح، محمد مصطفى، التعليم عن بعد كنسق تجديدي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ٢٠٠١،
- ١٧ - مصطفى، معتصم يوسف، تجارب الجامعات والمؤسسات السودانية في التعليم عن بعد، دراسة منشورة ١٩/ يوليو/ ٢٠١٢م.
- ١٨ - معن الخطيب، تحديات التعلم الإلكتروني في ظل أزمة كورونا وما بعدها، مقالات شبكه الجزيرة الإعلامية، one line، ٢٠٢٠، متوفر في www.aljazeera.net
- ١٩ - موسى، عبدالله بن عبدالعزيز (١٤٢٩هـ)، استخدام الحاسب الآلي في التعليم، الرياض، الطبعة الأولى.
- ٢٠ - الموقع الإلكتروني لجامعة السودان المفتوحة

٢١ - الموقع الإلكتروني لجامعة المشرق www.mashreq.edu.sd

٢٢ - الموقع الإلكتروني للمدرسة الإلكترونية السودانية.

٢٣ - الموقع الإلكتروني لمكتبة الملك عبدالله الإلكترونية، كلية التربية، جامعة الملك سعود بالرياض،

www.dspace.uqu.edu.sa

٢٤ - نشوان، يعقوب، واقع التعليم عن بعد في البلاد العربية، دراسة تحليلية، الندوة الدولية للتعليم عن بعد، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٩٨م.

٢٥ - هاشم، شريف رضا، معوقات البنية المؤسسية لإرساء قواعد التعليم عن بعد في الوطن العربي، الندوة الدولية للتعليم عن بعد، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٩٨م.

اختصاص المحكمة الجنائية بالفصل في الدعوي المدنية

إعداد/ د. بشير الريح حمد محمد

جامعة وادي النيل - كلية الشريعة والقانون - جامعة الأمير سطاتم بن عبد العزيز

المملكة العربية السعودية كلية إدارة الأعمال - قسم القانون حاليا

تتناول الدراسة موضوع اختصاص المحكمة الجنائية في نظر الدعوي المدنية التبعية في ظل قانون الاجراءات الجنائية لسنة ١٩٩١ والقوانين ذات الصلة وذلك انطلاقا من ان المحاكم الجنائية تنظر دعوي دفع الضرر بصورة استثنائية وقد هدفت الدراسة لبيان تعريف الدعوي الجنائية والمدنية وبيان شروط اختصاص المحكمة الجنائية بنظر الدعوي المدنية التبعية ومعرفة اساس المسؤولية في رفع الدعوي المدنية التبعية وما هو مصير الدعوي المدنية في حالة شطب الدعوي الجنائية او الحكم بالبراءة كما اوضحت الدراسة مفهوم التعويض ومتي تحكم به المحكمة الجنائية واساس تقديره وهل للحكم المدني الصادر من المحكمة الجنائية حجية هذا وقد اتبعت المنهج الاستقرائي والتحليلي المقارن حيث تولت الي عدت نتائج أهمها:

المستخلص

تتناول الدراسة موضوع اختصاص المحكمة الجنائية في نظر الدعوي المدنية التبعية في ظل قانون الإجراءات الجنائية لسنة ١٩٩١ والقوانين ذات الصلة وذلك انطلاقا من أن المحاكم الجنائية تنظر دعوي دفع الضرر بصورة استثنائية وقد هدفت الدراسة لبيان تعريف الدعوي الجنائية والمدنية وبيان شروط اختصاص المحكمة الجنائية بنظر الدعوي المدنية ومعرفة أساس المسؤولية في رفع الدعوي المدنية وما هو مصير الدعوي المدنية في حالة الحكم بالبراءة كما أوضحت الدراسة مفهوم التعويض ومتي تحكم به المحكمة الجنائية

وأساس تقديره هذا وقد انتهجت بعون الله وتوفيقه في بحثي أسلوبًا يجمع بين المنهج التحليلي والمنهج الاستقرائي.

خلصت الدراسة لعدة نتائج من أهمها ما نص عليه المشرع السوداني علي سلطة المحكمة الجنائية بالتعويض حيث بين ذلك في مادة واحدة هي (٢٠٤) من قانون الإجراءات الجنائية لسنة ١٩٩١م وترك بقية الآثار التي تترتب عليها للقواعد العامة ومن أهم التوصيات عدم التوسع في السلطات الاستثنائية الممنوحة للمحكمة الجنائية وأي فعل ضار ليس له صلة بالجريمة من حيث الموضوع والزمن يحال للمحكمة المدنية.

Abstract

The study deals with the subject of the jurisdiction of the criminal court in the light of the subordinate civil lawsuit under the Criminal Procedures Law of 1991 and the relevant laws. It's based on the fact that criminal courts consider an action to pay damages in an exceptional manner. The basis of responsibility in filing a civil lawsuit and what is the fate of a civil lawsuit in the event of acquittal, as the researcher explained. The study is about the concept of compensation and when the criminal court rules and the basis for its appreciation. The researcher has pursued with God's help and success in the research a method that combines the analytical and inductive approaches. The study is concluded with several results, the most important of which is what the Sudanese legislator stipulated for the authority of the criminal court with compensation, as this was shown in one article (204) of the Criminal Procedures Law of 1991 AD and left the rest of the effects on it to general rules and among the most important

elements that do not expand in the authorities that Granted special criminal and any harmful act that is not related to crime in terms of subject and time referred and considered civil.

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب على عبده ليخرج الناس من الظلمات إلى النور والصلاة والسلام على النبي المصطفى الهادي الأمين وعلى أصحابه ومن تبعه إلى يوم الدين.

كما هو معلوم فإنه عند وقوع جريمة ما، كالسرقة أو القتل أو غير ذلك من الأفعال التي جرمتها النصوص القانونية يترتب عن|| ضرر عام يمس حق المجتمع فتنشأ عن هذا الضرر، دعوى عمومية التي تحركها النيابة العامة (التي تمثل المجتمع) تهدف إلى توقيع العقاب على مقترف الجريمة، فالدعوى العمومية|| الوسيلة القانونية لحماية حقوق الجماعة، وإلى جانب الضرر العام يترتب ضرر خاص يصيب الشخص المتضرر فينشأ له حقا في أن يطالب مقترف الجريمة بالتعويض عن الأضرار التي لحقت به جراء الجريمة فتنشأ بذلك دعوى مدنية إلى جانب الدعوى العمومية المحركة من طرف النيابة العامة، الأصل فيها أي (الدعوى المدنية) أن ترفع أمام القضاء المدني إلا أن طبيعتها الخاصة أي منشأها الواحد (من حيث الاختصاص) حيث يختص القضاء الجنائي بالنظر في الدعوى المدنية التبعية نظرا لتبعيةها للدعوى العمومية.

أهمية الدراسة: ترجع أهمية الموضوع إلى:

- ١ - إنه يتعلق بالاختصاص القضائي النوعي
- ٢ - وكذلك بالسلطة المدنية للمحاكم الجنائية
- ٣ - وأيضاً بدفع الضرر المترتب علي الجريمة بسلطات استثنائية.

أهداف الدراسة:

تكمن الهدف من موضوع الدراسة في عدة نقاط وهى:

- ١ - معرفة كيفية ممارسة سلطة المحكمة الجنائية بالنسبة للدعوي المدنية التبعية.
- ٢ - معرفة شروط اختصاص المحكمة الجنائية للفصل في الدعوي المدنية
- ٣ - ما مصير الدعوي المدنية في حالة شطب التهمة أو الحكم بالبراءة.
- ٤ - أهمية هذا الموضوع بالنسبة للمدعى الذي يوفر عليه الفصل في المحاكم الجنائية التى ترتب عليه دعوى مدنية من الوقت والمال والأدلة.

أسباب الاختيار:

- ١ - حداثة فكرة الدعوي المدنية التبعية في القانون السوداني
- ٢ - قلة البحوث في القوانين الإجرائية بصفة عامة وقانون الإجراءات الجنائية السوداني بصفة خاصة وحتى الشروح لهذا القانون هي شحيحة
- ٣ - لم أجد وحسب علمي وإطلاعي أن أحداً قد أفرد هذا الموضوع بدراسة مستقلة على الوجه المطلوب
- ٤ - استجابة لميل ورغبة النفس من التعميق في دراسة قانون الإجراءات الجنائية ربما تكون نابعة من الطبيعة العملية لهذا القانون ومدى ارتباطه بحياة الناس وواقعهم

مشكلة البحث:

- ١ - ماهية الدعوي الجنائية والمدنية
- ٢ - ما هي شروط اختصاص المحكمة الجنائية بالدعوي المدنية
- ٣ - ما هو أساس المسؤولية لرفع الدعوي المدنية
- ٤ - ما هو الضرر الذي يستحق التعويض وكيف يقدره القاضي الجنائي

منهج البحث:

انتهجت بعون الله وتوفيقه في بحثي أسلوباً يجمع بين المنهج التحليلي والمنهج الاستقرائي

هيكل الدراسة:

المبحث الأول: تعريف الدعوى الجنائية والدعوى المدنية

المبحث الثاني: شروط اختصاص المحكمة الجنائية للفصل في الدعوى المدنية

المبحث الثالث: أساس المسؤولية في دعوى التعويض عن الضرر

المبحث الأول

تعريف الدعوى الجنائية والدعوى المدنية

أولاً: تعريف الدعوى الجنائية:

أ/ تعريف الدعوى في اللغة: هو إضافة الإنسان شيئاً إلى نفسه، في منازعة أو غير منازعة، وهي اسم مؤنث جمعها دعاوى^(١).

٢/ تعريف الجنائية في اللغة: يدل هذا المعنى في أربعة معاني وهي:

أ/ الجرم.

ب/ ما يفعله الإنسان مما يوجب العقاب عليه.

ج/ القصاص في الدنيا والآخرة.

د/ الذنب^(٢).

ب/ تعريف الدعوى الجنائية عند فقهاء الشريعة:

١ فيروز اباد، القاموس المحيط، دار الجيل للطباعة والنشر، ج ٤، ص ٢٢٨.

٢ ابن منظور، لسان العرب (مطبعة دار المعارف، ج ٨، ص ١٦٧).

هي قول مقبول عند القاضي يقصد به شخص طلب حق معلوم قبل غيره أو دفعه عن حق نفسه^(١) وقد يعبر الفقهاء عن الجريمة بلفظ الجنائية، ولكن أكثر الفقهاء تعارفوا على إطلاق لفظ الجنائية، على الأفعال الواقعة على نفس الإنسان أو أطرافهم، وهي القتل، الجرح، الضرب والإجهاض، بينما يطلق بعضهم لفظ الجنائية على جرائم الحدود والقصاص، وإن معنى الجنائية في الاصطلاح الفقهي مرادف للفظ الجريمة.

فمن هذا التعريف يوجب علينا أن نعرف الجريمة التي عرفها فقهاء الشريعة بأنها محظورات شرعية زجرها الله بحد أو تعزير، أو إتيان فعل محرم معاقب على فعله أو ترك فعل محرم الترك معاقب على فعله، نصت الشريعة على العقاب عليه^(٢).

ج/ تعريف الدعوى الجنائية في القانون:

١/ تعريف الدعوى الجنائية في القانون: هنالك خلاف واسع عند شراح القانون، ولم يضع المشرع السوداني تعريفاً دقيقاً للدعوى غير أن الراجح عندهم (هي الوسيلة التي خولها القانون لصاحب الحق، في الاتجاه للقضاء لتقدير حقه وحمايته)^(٣).

٢/ تعريف الجنائية في القانون: هي كل فعل معاقب عليه، بموجب أحكام القانون الجنائي السوداني أو أي قانون آخر^(٤).

وتختلف معنى الجنائية في القانون السوداني عن القانون المصري، إذ يعتبر القانون المصري الجنائية هي الفعل الذي يعاقب عليه بالإعدام، أو الأشغال الشاقة المؤقتة أو السجن، طبقاً للمادة العاشرة من قانون العقوبات المصري، فإذا كانت عقوبة الفعل حبساً يزيد على أسبوع أو الغرامة تزيد على مائة قرش فالفعل جنحه، فإن لم يزد الحبس على أسبوع أو الغرامة عن مائة قرش فالفعل مخالفة، طبقاً للمادتين الحادية عشر والثانية عشر من قانون العقوبات المصري^(٥).

- ١ د/ حيدر أحمد دفع الله، قانون الإجراءات المدنية السوداني بين التحليل والتطبيق، ص: ٥٠، تاريخ الطبعة ١٩٩٤ م.
- ٢ عبد القادر عودة، التشريع الجنائي، مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية عشر، ١٩٩٣ م، بيروت لبنان، ج ١، ص ٦٧.
- ٣ د/ أحمد السيد الصاوي، الوسيط في شرح قانون المرافعات، القاهرة، ج ١، ص ١٥٤.
- ٤ القاضي/ عوض حسن النور، شرح القانون الجنائي السوداني الخرطوم، ص: ٣.
- ٥ عبد القادر عودة، التشريع الجنائي، ج ٢، ص ٦٧.

وقد نصت المادة الثالثة من قانون الإجراءات الجنائية لسنة ١٩٩١م (تطبق أحكام هذا القانون على إجراءات الدعوى الجنائية والتحري والمحاكم والجزاء المتعلق بالجرائم المنصوص عليها في القانون الجنائي لسنة ١٩٩١م أو أي قانون آخر مع مراعاة أي قانون آخر).

وعلى ضوء هذه المادة فالدعوى الجنائية بقصد بها مواجهة أي شخص بإجراءات جنائية، بسبب ارتكابه فعل يشكل جريمة، وهي مجموعة من الإجراءات يحددها القانون ضد شخص معين أو أشخاص معينين على أثر بلاغ، أو شكوى تشكل تهمة جنائية^(١).

واري من خلال ما سبق أن الدعوى الجنائية وسيلة اختيارية لصاحب الحق أن يستعملها أو لا يستعملها، أو سلطة النيابة العامة في مواجهة أي شخص نتيجة لارتكابه فعل يشكل تهمة جنائية.

ثانياً: تعريف الدعوى المدنية:

إن الدعوى المدنية هي النزاع أو خصومة ترفع من طرف مضرور أو مجني عليه أمام جهة القضاء ضد الشخص الذي أخل بالتزام مدني أو علاقة تعاقدية أو من تسبب في ضرر أو ارتكب جريمة، والدعوى قد تكون مدنية أو جنائية، ولكل من هاتين الدعويتين تعريف وخصائص تتميز بها عن الدعوى الأخرى وكذلك معيار الإثبات، ففي الدعوى المدنية يكون الإثبات بأرجحية الأدلة، بينما في الدعوى الجنائية يكون مستوى الإثبات دون شك معقول.

تعريف الدعوى المدنية في القانون السوداني:

لم يضع المشرع السوداني تعريفاً محدداً للدعوى المدنية في نصوص قانونية وهذا هو ديدن المشرع عموماً ويترك أمر التعريف لفقهاء القانون فقد عرفت الدعوى المدنية عندهم بأنها (الحق أو السلطة أو القدرة على المطالبة بالحق أو لحماية المصلحة. ولكنها بالتأكيد ليست هي المطالبة ذاتها وما يتلوها من إجراءات هي موضوع الخصومة)^(٢) ويتضح من ذلك أن

(١) د/ يس عمر يوسف، قانون الإجراءات الجنائي السوداني لسنة ١٩٩١م معلقاً عليه، ص: ٤٦، الطبعة الأولى، دار الهلال، تاريخ الطبعة ١٩٩٦م، ص ٤٦.

(٢) الأستاذ محمد عبد الخالق، قانون المرافعات المصري في السودان، الطبعة الفنية الحديثة، ص: ٣٠.

الدعوى وسيلة اختيارية لصاحب الحق أن يستعملها أو لا يستعملها ولذلك رأى المشرع أن يترك الأمر لتقدير صاحب الحق.

وايضاً عرفها البعض الآخر^(١) بان الدعوى في الإجراءات المدنية لها معنى خاص فالقضاء لا يقوم من تلقاء نفسه بفض المنازعات بين الناس وإنما لا بد أن يطلب منه ذلك، ويسمى الطلب الذي يقدم في هذا الشأن للحصول على حكم في النزاع، فيقال رفع المدعي الدعوى على المدعى عليه. فالدعوى هي وسيلة تحريك القضاء، والمدعي هو الشخص الذي يقوم برفع الدعوى ابتداء سواء كان شخصاً طبيعياً أو شخصاً اعتبارياً، وقد يكون واحد أو متعددين والمدعى عليه هو المشكو منه أما المدعي به فهو الأمر المطلوب القضاء به على المدعى عليه.

أما نظر الدعوى واحدة في القانون السوداني والقانون المصري سواء قبل أو بعد قانون المرافعات المدني السوداني وأنه لا توجد فروق جوهرية في هذه القانونين سواء فيما يتعلق بترتيب الدعوى أو شروط قبولها^(٢).

المبحث الثاني

شروط اختصاص المحكمة الجنائية بالفصل في الدعوى المدنية

أولاً: واقعة يجرمها القانون

شرط لاختصاص القاضي الجنائي بالفصل في الدعوى المدنية، أن تكون هنالك دعوى جنائية مرفوع بشأنها واقعة يجرمها القانون.

وقد نصت المادة الرابعة الفقرة الثانية « لا جريمة ولا جزاء إلا بنص » والذي يقضي بأن لا جريمة إلا بعقوبة ولا عقوبة إلا بقانون ساري وقت ارتكاب الوقائع التي تشكل عناصر الجريمة التي نص عليها القانون^(٣).

١ رمضان علي محمد، قواعد التقاضي المدني من قانون الإجراءات المدنية لسنة ١٩٨٣ م، (بدون طابع)، رقم الإيداع ٦١٥/٩٤/٩٥، ص: ٦٨.

٢ الأستاذ محمد عبد الخالق عمر، قانون المرافعات المصري في السودان، المطبعة الفنية الحديثة ١٩٧٦ م، ص: ٣٠.

٣ د/ يس عمر يوسف، قانون الإجراءات الجنائية السوداني سنة ١٩٩١ م، ص: ٣٥.

وهذا المبدأ اتخذته المشرع السوداني من الشريعة الإسلامية التي تفيد بأن لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص في الشريعة الإسلامية، وقد استندت إلى نصوص في الشريعة الإسلامية وهي نصوص صريحة، قال تعالى (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا)^(١)، وقال تعالى (لئلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)^(٢).

وهذه النصوص قاطعة، بأن لا جريمة إلا بعد البيان. ولا عقوبة إلا بعد الإنذار، وأن الله لا يأخذ الناس بعقاب إلا بعد أن يبين لهم وينذرهم على لسان رسوله، وأن الله لا يكلف نفساً إلا بما تستطيع^(٣).

فإنه تبين للمحكمة الجنائية أن الواقعة لا يجرمها القانون وإنما هي مجرد خطأ، لا يترتب عليه عقاب وجب عليها أن تقضي ببراءة المتهم وعدم اختصاصها بالفصل في الدعوى المدنية. ويرجع ذلك أن المحكمة الجنائية لا تختص بالدعوى المدنية إلا إذا كانت هنالك جريمة قائمة بشأنها دعوى جنائية، مختصة بالفصل فيها وفي هذه الحالة تقول أن الجريمة، غير واقعة، وإنما هي خطأ مدني وبالتالي تختص بها المحكمة المدنية^(٤).

ولكن الفقهاء اختلفوا هل يجوز الحكم بالتعويض في واقعة يجرمها القانون؟

هنالك ثلاثة آراء:

(أ) الرأي الأول:

ذهب أصحاب هذا الرأي إلى أنه يشترط لاختصاص القاضي الجنائي بالفصل في الدعوى المدنية، أن يكون الفعل المنسوب إلى المتهم جريمة يعاقب عليها القانون، ويجب أن تكون الجريمة مكتملة فإن اختلف الركن المعنوي فلا تقوم الجريمة، ويتعين على الحكومة الجنائية أن تحكم ببراءة المتهم وعدم اختصاص بالفصل في الدعوى المدنية^(٥).

١ سورة الإسراء، الآية: ١٥.

٢ سورة النساء، الآية: ١٦.

٣ عبد القادر عودة: ١-١١٨.

٤ رؤوف عبيد، مبادئ قانون الإجراءات المصري، الطبعة الثالثة عشر، ١٩٨٧م، ص: ١٥٢.

٥ د. محمود مصطفى سلامة، شرح قانون الإجراءات الجنائية المصري، الطبعة الحادية عشر، ١٩٨٦م، ص ١٥٨.

وهذا الرأي أخذ به المشرع السوداني ففي حكومة السودان ضد عوض الكريم إبراهيم، توصلت المحكمة العليا إلى:

أن المحاكم المدنية دون الجنائية هي التي تتولى النزاع بحقوق السكن والارتقاء والزراعة، فإذا فقد القصد الجنائي لا تكون المحكمة مختصة بالفصل في الدعوى المدنية، وذلك لأن اختصاص القاضي الجنائي بالفصل في الدعوى المدنية هي من اختصاص القاضي المدني^(١).

(ب) الرأي الثاني:

ذهب أصحاب هذا الرأي الى وجوب التفرقة بين الركن المادي والركن المعنوي للجريمة، فالقاضي الجنائي يختص بالفصل في الدعوى المدنية، إذا كانت الجريمة وقعت في ركنها المعنوي للجريمة، وعلى العكس في ذلك إذا كان الفصل لا يكون جريمة في ركنها المادي، فعندئذ تجب على المحكمة بعدم اختصاص بالفصل في الدعوى المدنية، وذلك لأن المشرع فيما استخدم كلمة (جريمة) في القانون الجنائي قصد منها واقعة غير مشروعة مكونة للركن المادي^(٢).

(ج) الرأي الثالث:

ذهب أصحاب الرأي أن المشرع قد خول للمحاكم الجنائية حق الفصل في الدعوى المدنية، إذا كان طلب التعويض مبنياً على نفس الفصل الذي يعاقب عليه القانون الجنائي، فبدلاً أن تحكم المحكمة الجنائية بعدم الاختصاص بالفصل في الدعوى المدنية لأن الواقعة لا يعاقب عليها القانون الجنائي وأن أصحاب هذا الرأي اختصاراً للوقت والعمل والمصاريف أن تفصل المحكمة الجنائية بطلب تعويض^(٣).

وهذا الرأي أخذت به المحاكم المصرية وذلك من حكمها بالتعويض، حيث توصلت أن الأصل في دعاوى الحقوق المدنية أن ترفع في المحاكم المدنية، وإنما أباح قانون الاستثناء رفعها إلى المحكمة الجنائية، متى كانت تابعة للدعوى الجنائية وقد كان الحق ناتج عن ضرر

١ مجلة الاحكام القضائية، ١٩٨٦م

٢ د. محمود مصطفى سلامة، المرجع السابق، ص ١٥٨.

٣ علي زكي عرابي، المبادئ الأساسية للإجراءات الجنائية المصري، مطبعة دار الفكر العربي، القاهرة، ص ٢٠٣.

وقع للمجني عليه من الجريمة المرفوع بها الدعوى الجنائية، فإذا لم يكن لحق به ناشئ عن هذه الجريمة سقطت تلك الإباحة وسقطت اختصاص المحكمة الجنائية بنظر الدعوى المدنية^(١).

ومن خلال مما سبق أرى أن لا يجوز للقاضي الجنائي أن يكون مختص بالنظر في الدعوى المدنية، التي لا تكون واقعة يجرمها القانون الجنائي ولذلك حتى لا تؤدي إلى تضارب في الأحكام، ومخالفة الاختصاص في الدعاوى يكون النظر فيها للقاضي الجنائي يكون خاص بالدعاوى الجنائية، وكذلك القاضي المدني، فإنه كانت الواقعة لا تكون عقوبة جنائية فوجب عليه الحكم بعدم الاختصاص، أما اختصاص المحكمة الجنائية بالتعويض في واقعة يجرمها القانون فالرأي الأول هو الذي يكون الفصل في الدعوى المدنية إذا توافر الركن المعنوي فهو أقرب إلى الصواب وهذا ما أخذ به المشرع السوداني، وذلك لأن القصد الجنائي يوضح مسؤولية الجاني عن فعله من الجريمة فإذا كان هذا الفعل نتيجة إهمال أو إتلاف فيكون من اختصاص المحاكم المدنية، وهو خطأ يستوجب التعويض ليس العقوبة الجنائية بالفعل في الدعوى المدنية، ويكون قد فصل ما بين اختصاص المحاكم الجنائية والمدنية، أما أصحاب الرأي الثاني وهو الذي اختص المحكمة الجنائية.

أما أصحاب الرأي الثالث والذي اختص القاضي الجنائي بالفصل بالحكم بالتعويض وذلك اختصاراً للوقت والعمل والمصاريف، وهو الذي أخذ به المشرع المصري، فهذا يعطي عبء ثقل على المحاكم الجنائية، وفقد المحاكم الجنائية الميزة التي اتصفت بها، وهي سرعة البت في الأحكام، وأن ذلك قد يؤدي التضارب في اختصاص المحاكم لأن القاعدة العامة أن أحكام التعويض تكون من اختصاص المحاكم المدنية.

ثانياً: ثبوت الجريمة على المتهم

أ: أثر ثبوت الجريمة على المتهم:

ذهب بعض الشراح إلى أنه يلزم لكي تختص المحكمة الجنائية بالفصل في الدعوى المدنية، أن تحقق المحكمة من أن الجريمة التي وقعت ارتكبتها المتهم، المرفوع بها للدعوى الجنائية،

١ نقص جنائي، مجموعة أحكام النقض المصرية، ٢٥ / مايو / ١٩٥٩ م، رقم ١٢٥، ص ٥٦٤.

ولذلك فإن براءة المتهم، المؤسسة على عدم ارتكاب الفعل المكون للجريمة، يترتب عليها بعدم اختصاص المحكمة بنظر الدعوى المدنية^(١).

وتطبيقاً لذلك قضت محكمة النقض المصرية، بأنه لما كان الحكم الابتدائي المؤيد لأسباب الحكم المطعون فيه، قد أسس قضاؤه بالبراءة على عدم توافر أركان الجريمة، فإن هذا السبب بذاته يكون سبب للحكم، برفض دعوى التعويض، وقضت إذا كانت مبنية البراءة جاءت في الحكم أن الاتهام المسند إلى المتهمين، على غير أساس من الواقع، والقانون فإنه الفصل في هذه الدعوى قد أقيم على عدم ثبوت وقوع الفعل المسكر إلى المتهمين، فإنه يتلزم معه برفض الدعوى المدنية، ثم ينص على ذلك في منطوق الحكم^(٢).

ويبدو أنه يمكن القول بجواز الادعاء المدني، أن يوحي ظاهر الأوراق، أن المدني قد نال ضرر حال شخص مباشر، فإذا أملت كل من الدعوى الجنائية والمدنية، إلى القضاء في الحكم تولى هذا القاضي الجنائي، من يكون وقوع الغير بالمدعي العام المدني وأنه قد توافر فيه الشروط المطلوبة لاختصاص القاضي الجنائي بالفعل في دعوى التعويض^(٣).

كذلك ما قضت به المحاكم السودانية في قضية إبراهيم أحمد ضد علي البشير توصلت المحكمة العليا فيها بأن هذه الدعوى تقوم على أساس القرائن الظرفية، ولكن يمكن أن تؤدي القرائن إلى الإدانة يجب أن لا تشير إلى إهمال، ليكون المتهم هو المجرم فحسب بل أن نقطع بجرمه دون غيره. وفي مثل هذه القضية لا أمل في نجاح الاتهام ما لم يستطع أن يثبت أن المال كان في حيازة المتهم حيازة مطلقة، وأنه ليس لأخذ غير المتهم صلة بالمال، بحيث تكون قرينة على الاستلام لذلك المال.

ولكن يبدو على ما يجري به من عمل هو أن لا تلتزم المحكمة المدنية بالحكم الجنائي، الصادر ببراءة المتهم، إذا كان ذلك لا يعدو أن يكون تقديرًا بأنه المتهم، لم تثبت في مواجهته التهمة^(٤).

- ١ الأستاذ/ فوزية عبد الستار، شرح قانون الإجراءات الجنائية المصري تاريخ الطبعة سنة ١٩٧٧م، ج ١، ص ١٧٤.
- ٢ نقض جنائي محكمة النقض المصرية، ١٧ مارس ١٩٨٠م، ص: ٣٩٧، رقم ٣١، ص ٣٩٧.
- ٣ د. محمد عبده غريب، الدعوى المدنية الناشئة عن جريمة، ص: ٩٧، تاريخ الطبعة ١٩٩٥م، دار النهضة العربية القاهرة.
- ٤ مجلة الأحكام القضائية السودانية لسنة ١٩٤٩م، ص: ٤١٩.

ثالثاً: عدم ثبوت الجريمة على المتهم:

الحكم الصادر من المحكمة الجنائية عندما يكون بالبراءة، فإن الحكم بالتعويض يكون غير مرتبط بحكم في الدعوى الجنائية، فإنه يجوز للمحكمة أن ترفض ذلك بعدم الاختصاص^(١).

ولكن يكون السؤال: هل يجوز الحكم بالتعويض عن جميع حالات البراءة؟

نجد أن المشرع السوداني أخذ بعدم الحكم بالتعويض في حالة الحكم ببراءة المتهم وأعتبر ذلك مخالف لأحكام الشريعة الإسلامية وقواعد العدالة بمقتضي المنطق والعقل.

وهذا الرأي ما ارسته حكومة السودان ضد حسين الزاكي عبد الله حسين حيث قالت ان القول جواز الحكم بالدية كتعويض لأولياء الدم في حالة براءة المتهم يتنافى مع احكام الشريعة بل يتأفى أيضاً مع قواعد العدالة ومقتضي المنطق والعدل^(٢).

والأصل كما قررت المحكمة المصرية إذا يصح الحكم به لو قضي بالبراءة، و يشترط لذلك أن لا تكون البراءة إسنادها إلى المتهم لأنه في هذه الحالة لا تملك المحكمة أن تقضي بالتعويض على المتهم أو على المسئول عن قيام المسؤولية الجنائية والمدنية على ثبوت الواقعة وصحة إسنادها إلى صاحبها، وعلى ذلك وجب التفرقة بين الأحوال التالية:

أ. إذا بنيت البراءة على عدم ثبوت الواقعة أصلاً، أو على عدم صحة إسنادها على المتهم، ففي هذه الحالة لا يجوز حكم القاضي بالتعويض لأنه ليس بدعوى التعويض محل عند الفصل لم يثبت واقعة ونسبتها إلى المتهم، وأنه يتعين أن يحكم برفض طلب التعويض، وكذلك الشأن بالنسبة للبراءة التي بنيت على أساس عدم كفاية الأدلة ورفض الدعوى المدنية.

ب. إذا بنيت البراءة على تعدد المتهمين، فإنه يجوز الحكم بالتعويض على المسئول عن الحقوق المدنية، فقد يجوز الحكم بالتعويض على المسئول عن الحقوق المدنية رغم الحكم بالبراءة علي المتهمين وذلك لتعدد الجناة^(٣).

١ الأستاذ/ محمد عبده غريب، أستاذ القانون الجنائية لكلية الحقوق، المنصورة، ص: ٢١٦، الدعوة المدنية الناشئة عن الجريمة، ص: ٢١٦.

٢ مجلة الاحكام القضائية لسنة ١٩٨٥م، ص ١٠٤

٣ نقض جنائي، مجلة الأحكام القضائية المصرية ٣ نوفمبر، رقم ١٨١، ص: ٨٤٩

٢. أما إذا بنيت البراءة على امتناع مسؤولية المتهم وامتناع العقاب، ففي هذه الحالة فقد يجوز الحكم بالبراءة بالتعويض معاً إذا يجوز قانونياً مساءلة الشخص قانونياً والمجرم يقع عليه العقاب.

ونلاحظ أن هذه الحالة تختلف عن السابقة، فهي وإن تشابهت من كلا الحالتين لن يوقع عقاب على المتهم، إلا أنه في الحالة السابقة لا يندرج الفعل تحت نص من النصوص قانون العقوبات، فلا عقاب عليه قانوناً، أما في الحالة الثانية فإن الفعل يندرج تحت نص تجريمي، أي يعد جريمة ولكن توافر مانع من موانع العقاب مما يتعين معه عدم العقاب، وبناءً عليه فهي بأن البراءة المؤسسة على عدم توافر مانع من موانع المسؤولية، أو موانع العقاب عليها، لا يحول ذلك دون مساءلة الشخص مدنياً رغم توافر موانع المسؤولية أو موانع العقاب.

وعلى ذلك قضي بالبراءة المؤسسة على عدم توافر ركن من أركان الجريمة، لا يلتزم حتماً رفض طلب التعويض، لأنه كون الأفعال المسندة إلى المتهم، لا يعاقب عليها القانون، لا يمكن أن يكون قد أحدث ضرراً لا يقضى به^(١).

ومما سبق تبين لي يجوز للمحاكم الجنائية أن تنظر في دعوى التعويض التي تكون تابعة للدعوى الجنائية، أما إذا كان طلب التعويض غير متصل بجريمة جنائية فلا تكون المحكمة الجنائية مختصة به، والحكمة من ذلك أن التعويض الذي يحكم به يكون مزدوج مع حكم الجريمة ويوفر للمدعي الكثير من الوقت والمصروفات، وكذلك هدف المشرع من ذلك يوفر عليه من الأعباء وتزاحم الدعاوى في القضاء ويقلل عليه كثير من الإثباتات وضياعها. أما الحكم بالتعويض بالرغم من الحكم على المتهم بالبراءة أرى أنه منافي للقواعد، وذلك استناداً للقاعدة الأصولية أن الأصل في الأشياء براءة الذمة والبيئة من يدعي خلاف ذلك. ولكن يشترط أن يكون التعويض الذي لا يجوز الحكم به مبني على نفس الوقائع التي لم تثبت على المتهم.

ولكن يستثنى من ذلك، إذا كانت الجريمة شائعة بين متهمين، ولكن هنالك تعويض اختص به فرد منهم تضرر منه المدعي ومبني على نفس الأسباب حكم البراءة.

١ د. محمد عبد غريب، الدعوى المدنية الناشئة عن الجريمة، ص: ٢١٧.

وفاة المتهم

تنتهي الدعوى الجنائية بوفاة المتهم، فوفاة المتهم يترتب عليها سقوط الجريمة التي وقعت منه أي سقوط حق الدولة في العقاب على ما ارتكبه من أفعال لأن الوفاة، تحول دون توقيع العقوبة^(١).

لذلك نصت المادة (٣٧) من قانون الإجراءات الجنائية السوداني لسنة ١٩٩١م الفقرة الأولى تنقضي الدعوى الجنائية للأسباب التالية:

أ/ بصدر قرار بانتهائها من وكيل النيابة أو المحكمة بسبب الوفاة أو بناءً على التنازل الخاص عن الدعوى الجنائية^(٢).

وهذا يحتاج إلى شيء من التفصيل:

أولاً: إذا حدثت الوفاة بعد وقوع الجريمة وقبل اتخاذ أي إجراءات فيها، أو حدث بعد بدء التحري فإن هذا لا يمنع الشرطة أو الجنائية من مباشرة التحري أو تكملته إذا كانت قد بدأت بالفعل، على أنه لا يجوز فتح دعوى جنائية ضد المتهم المتوفى، والحكم إلى أجلها استمرار التحري للكشف عن الجريمة ومرتكبها لاحتمال أن يكون المتهم شريك في ارتكابها.

ثانياً: إذا رفعت الدعوى الجنائية ضد المتهم إلى المحكمة ثم حدثت الوفاة قبل الحكم، فإنه يتعين على المحكمة أن تحكم بانقضائها.

ثالثاً: إذا حدثت الوفاة بعد صدور الحكم بالبراءة، ولم يصبح نهائياً فلا يجوز للنيابة الجنائية استئنافه أو الطعن فيه، ولو كان ميعاد الطعن لا يزال قائماً، وإن كانت النيابة قد طعنت إلا طعن المتهم إذا كان قاضياً بالإدانة فإنه يتعين أيضاً القضاء بانقضاء الدعوى الجنائية للوفاة.

رابعاً: إذا حصلت الوفاة بعد صدور حكم نهائياً في الدعوى، أي بعد استنفذ طرق الطعن، في الأصل أن تسقط العقوبة ويمنع تنفيذها عملاً بقاعدة شخصية العقوبة، ويرى في

١ مأمون محمد سلامة، الإجراءات الجنائية في التشريع المصري، ص: ٢٢، دار الفكر العربي، ص ٢٢

٢ المادة (٣٧) من قانون الإجراءات الجنائية السوداني لسنة ١٩٩١م.

هذا أن تكون العقوبة سالبة للحرية أو مالية إذا كان الحكم على الشخص بالسجن مدة معينة، ثم بالغرامة فإذا وقعت الغرامة كانت دفعاً صحيحاً لن العقوبة نفذت على المحكوم عليه، أما إذا توفي ولم يدفع الغرامة فإنه تسقط عنه وفقاً لنص المادة (٣٤) من قانون الإجراءات الجنائية السوداني الفقرة الرابعة، أما إذا حكم بالغرامة فإنه يجوز تحصيل الغرامة من تركته إن وجدت^(١).

أما إذا كانت العقوبة مالية كالدية والغرامة والمصادرة فلا تسقط بموته الجاني لأنه محل التزام^(٢).

أما أثر الوفاة على الدعوى المدنية فإنه لا يسقطها، فقد نصت المادة (٩٨) من قانون الإجراءات المدنية السوداني، «لا تسقط الدعوى بوفاة المدعى عليه إذا كان الحق في التقاضي قائماً محل أحد الخصوم محل محله من يمثله قانونياً أو ورثته بناءً على طلبهم أو طلب أي خصم في الدعوى»^(٣).

ففي حالة قيام دعوى في مواجهة من ولي القيام بعمل موقع بعقد، ومرض هذا المقاتل، فحق التقاضي لا بد أن ينقضي بوفاة المقاتل (المدعى عليه) وعلى العكس من ذلك، فإن حق التقاضي قائماً في كافة الدعاوى الأخرى لا تسقط الدعاوى بوفاة أحد طرفيها، فوفاة أحدهم محل محله^(٤).

فيجب ان محل من مثله قانوناً الورثة ويتم ذلك بمطلب من الخصوم أو ورثته، إن هذا ما ذهبت إليه المحكمة في سابقة إبراهيم النيل ضد نفيسة مصطفى، وتوصلت إلى أن الوفاة سواء كان المدعي أو المدعى عليه لا يتوقف عليها سقوط الدعوى بل تستمر الدعوى بعد الوفاة ويحل محل الطرف المتوفى من يمثله قانونياً أو ورثته بناءً على طلبهم، أو أي منهم في الدعوى إذا كانت الدعوى المدنية رفضت قبل سقوط الدعوى الجنائية.

١ د. يس عمر يوسف، قانون الإجراءات الجنائية السوداني ١٩٩١ م معلقاً عليه، ص: ١٠٥-١٠٦.

٢ عبد القادر عوده، التشريع الجنائي، (١-٧٧).

٣ المادة (٩٨) من الإجراءات المدنية السوداني.

٤ مجلة الأحكام القضائية لسنة ١٩٨٧ م، ص: ١٢٨.

ومما سبق أن وفاة المحكوم عليه تنهي توقيع العقوبات بالنسبة للمتهم كالأعدام والعقوبات السالبة للحرية كالسجن، وأنه ذلك من مبادئ الشريعة ومنطق القانون فالجرائم لا تؤخذ غير جانيها، والعقوبات لا توقع غير مرتكبيها، ولا تمتد إلى غيره. أما بالنسبة للتعويض فإن الحكم بالتعويض أو الغرامة يمكن أخذها من مال المتوفى إذا كان لديه مال ولا يجوز انتقالها إلى غيره أيضاً.

أما تأثير الوفاة على الدعوى المدنية لا تسقط، ما دام رفعت مع الدعوى الجنائية فإن سقوط الدعوى الجنائية وذلك لعدم مقدرة تنفيذ العقوبة، لا يسقط الدعوى المدنية لأنها استوفت شروط الاختصاص ولكن إذا رفعت الدعوى المدنية بعد سقوط الدعوى الجنائية، فلا يكون القاضي الجنائي مختص بالفصل فيها ووجب عليه الحكم بعدم الاختصاص.

المبحث الثالث

أساس المسؤولية في دعوى التعويض عن الضرر

أولاً: تعريف التعويض في الاصطلاح القانوني:

هو جزاء المسؤولية أما أن يكون عيني «تنفيذ عيني»، وإما أن يكون تعويض بمقابل وهذا قد يكون تعويض نقدي أو غير نقدي^(١) ويعرف أيضاً بأنه هو جزاء المقابل نتيجة للضرر الواقع على الغير يوجب فاعله التعويض عن ذلك الضرر^(٢).

ثانياً: التمييز بين التعويض والعقوبة:

التمييز بين التعويض والعقوبة يقتضي التفرقة بين المسؤولية الجنائية والمسؤولية المدنية، وذلك لأن المسؤولية بصفة عامة قد تكون جنائية وقد تكون مدنية، والمسؤولية المدنية بدورها قد تكون تعاقدية إذا كانت هنالك مخالفة للنصوص التعاقدية وقد تكون قانونية إذا كانت

١ أ/د محمد الشيخ عمر، قانون المعاملات المدنية السوداني لسنة ١٩٨٣م، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، مطبعة جامعة النيلين، ص: ١٤٠.

٢ د/ سليمان مرقص، المسؤولية المدنية في تقنيات البلاد العربية، ١٩٧١م، ص: ٤

هنالك مخالفة للنصوص القانونية، فالمسئولية المدنية القانونية تنقسم أيضًا مسئولية ناتجة من مخالفة نصوص القانون العقوبات، وأخرى ناتجة عن مخالفة قاعدة عامة في القانون المدني ويمكن أن تكون الفروق ما بين المسئولية الجنائية والمسئولية المدنية على النحو التالي:

١/ تقوم المسئولية الجنائية على أن هنالك ضرر أصاب المجتمع أما المسئولية المدنية أن هنالك ضرر أصاب الفرد ويترتب على ذلك النتائج التالية:

أ/ جزاء المسئولية الجنائية عقوبة بينما جزاء المسئولية المدنية تعويض.

ب/ الذي يطالب بالجزاء في المسئولية الجنائية هو النيابة العامة باعتبارها ممثل للمجتمع، أما الذي يطالب بالمسئولية المدنية فالمضرور نفسه لأن الجزاء حقًا له.

ج/ لا يجوز الصلح والتنازل في المسئولية الجنائية لأن الحق فيها عام للمجتمع، ويجوز التنازل والصلح في المسئولية المدنية لأن التنازل فيها حق خاص.

د/ لما كانت العقوبة في المسئولية الجنائية تنطوي على معنى الإيلام كان الواجب حصر الجرائم والعقوبات فلا عقوبة ولا جريمة إلا بنص، أما المسئولية المدنية فيترتب على أي عمل غير مشروع دون حاجة إلى نصوص تبين الأعمال الغير مشروعة عملاً.

٢/ القصد في المسئولية الجنائية يجب أن يكون مظهر خارجي يصل إلى حد معين من الجسامة، فالتصميم والأعمال التحضيرية لا عقاب عليها وإلى جانب المظهر الخارجي يجب أن تكون الجريمة الجنائية عملاً يلحق الضرر بالمجتمع، أما في المسئولية المدنية فالقصد لا يشترط فأكثر ما يكون الخطأ مدني نتيجة لإهمال لا عمدًا سواء كان العمل غير مشروع عمدًا أو غير عمد، فإن الضرر الذي يحدث يجب أن يعوض كاملاً دون تفرقة ما بين الحالتين وإن كان القضاء يميل ميلاً طبعياً إلى زيادة التعويض في الفعل العمد وإلى قياس التعويض في جسامة الخطأ في الفعل الغير عمد^(١).

١ عبد الرازق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني الجديد، ج ١، ص ٧٤٢

ثالثاً: الآثار التي تترتب كون التعويض ليس عقوبة:

أ/ العبرة في تقدير التعويض بمبلغ الضرر لا بدرجة الخطأ.

ب/ لا عبرة بتقدير التعويض بغني أو فقير.

ج/ إذا كان الفعل الذي يسبب الضرر متحداً أو مستمراً فالمضروور يحث له اللجوء إلى القضاء طالباً الحكم بإيقاف هذا الفعل أو اتخاذ الإجراءات اللازمة لمنع الضرر الناشئ عنه، باعتبار أن التعويض يرجى به الإصلاح وإصلاح الضرر يكون قبل كل شيء يمحو سببه متى كان ممكناً^(١).

رابعاً: نوع التعويض الذي يختص به القاضي الجنائي:

يختص القاضي الجنائي بنظر الدعوى المدنية إذا كانت مرفوعة بشأن التعويض عن ضرر شخصي، أي أصاب شخص المدعي المدني ويرجع ذلك إلى أن اختصاص القاضي الجنائي في نظر الدعوى المدنية قد جاء استناداً من القاعدة العامة، وهي أن المطالبة في مثل هذه الحقوق تكون أمام قاضي مدني، وبناءً عليه لا يختص القاضي الجنائي بالفصل في دعوى التعويض عن ضرر أصاب غير المدعي مهما كانت صلته، به ما لم يكن له حق تمثيله قانونياً^(٢). وقد نصت المادة (١٥٣) من قانون الإجراءات المدنية السوداني لسنة ١٩٨٣ م (يشمل التعويض الضرر الأدبي كل من تعدى على غيره في حرته أو عرضه أو في شرفه أو في سمعته أو مركزه الاجتماعي أو الاعتبار المالي يوجب التعويض).

خامساً: شروط الحكم بالتعويض:

١/ التعويض المادي:

أ/ يجب أن يكون الضرر محقق الوقوع، وهذا يعني أن يكون الضرر قد وقع فعلاً أو سيقع حتماً، والضرر الذي وقع بالفعل هو الضرر المالي وهو ضرر واجب التعويض كموت المصاب، أما الضرر الذي سيقع حتماً فهو ضرر المستقبل وهذا النوع من الضرر يجب أن يكون مؤكداً الوقوع^(٣).

١ (١) محمد أحمد عبدون، التعويض بين الضرر المادي والأدبي، ص: ١٢٨.

٢ (٢) د، أدور غالي الذهبي، اختصاص القاضي الجنائي بالفصل في الدعوى، ص: ٦١.

٣ (١) د/ سليمان مرقس، المسؤولية المدنية في تقنيات البلاد العربية، تاريخ الطبعة ١٩٧١م، ص: ٢٧٣

ب/ أن لا يكون الضرر قد عوض عنه: التعويض هو المقابل المالي للمضرور يقدره بقدره، لذلك لا يجوز أن يحصل المضرور على أكثر من التعويض لإصلاح ضرر، فإذا قام المسئول عن دفع الضرر بدفع ما عليه، فإنه لا يسأل عن تعويض آخر لنفس الضرر، وهذا لا يمنع من حصول المضرور على مبلغ التأمين على حياته مثلاً إذا كان مؤتمناً على حياته، لأنه واجب بموجب عقدًا خاص ومقابل لما دفعه من اقتصاد^(١).

ج/ أن يكون الضرر إخلال بمصلحة المضرور، إذا كان طلب التعويض هو من المضرور فيجب عليه إثبات ما أصابه شخصيًا من أضرار، كالمعتدي على غيره مسببًا الجرح والإصابة إلى الآخرين، من شأنه أن يقلل من مقدرتهم على الكسب ويكبدتهم نفقات العلاج وغير ذلك من الأضرار الشخصية.

د/ أن يكون الضرر مباشر: لا يكفي أن الضرر محققاً سوى كان ضرراً حالياً أو مستقبلاً، بل يجب أن تكون النتيجة مباشرة عن فعل غير مشروع، فإذا صدمت عربية شخصاً كان سائراً في الطريق لتوقيع عقد بيع رسمي صادر منه، فإن صاحب العربية لا يسأل عن الضرر الناشئ من نزول سعر العقار بينما يسأل عما يلحقهم من أضرار بسبب وفاته كما لا يجوز للمشتري أن يطالب صاحب السيارة بتعويضه بسبب ما فاتته من كسب بسبب وفاة البائع وعدم تحقيق الصفقة^(٢).

٢/ التعويض الأدبي:

يتفق التعويض الأدبي مع الضرر الأدبي فيما سبق من شروط ولكنه يختلف عنه في أنه يكون الشخص الذي أصابه الفرد برفع دعوة التعويض ولا تتعدى غيره، أي أن يكون الضرر شخص^(٣).

مما سبق يتضح لي أن يكون الضرر شخصي وذلك لتعلق الأضرار الشخصية بموضوع الدعوى الجنائية وذلك لسرعة البث في الحكم أن يستفيد منها المدعي المدني.

١ (٢) حسين عامر وآخر، شرح القانون المدني الجديد، ص: ٥٣٠.

٢ (١) د/ عبد السلام ذهني بك، الالتزامات، طبعة القاهرة، ١٩٢٤م، ص: ٧٣٠.

٣ (٢) د/ عوض أحمد إدريس، العقوبة والتعويض في الفقه الإسلامي، دراسة مقارنة، ص: ٥٠٢.

الحكم بالتعويض

تنص المادة «٢٠٤» الفقرة الأولى من قانون الإجراءات الجنائي السوداني لسنة ١٩٩١ م على النحو التالي، دون إخلال بأحكام الدية تراعي المحكمة الآتي:

أ/ لا يجوز للمضروور إقامة دعوى مدنية بالتعويض عن ضرر مترتب على جريمته، المطالبة بالتعويض عن ذلك الضرر أمام المحكمة، ما لم يتنازل عن تلك الدعوى الجنائية بالحكم بالتعويض، أن يتنازل عن إقامة الدعوى المدنية للمطالبة بالتعويض عن نفس الضرر الذي تفصل المحكمة الجنائية بالتعويض عنه، فإذا كانت الدعوتين الجنائية والمدنية مرفوعة في وقت واحد ولا بد أن يتنازل عن الدعوى المدنية كشرط مسبق، أو لشرط للاستمرارية في الحكم بالتعويض أمام المحكمة الجنائية هذا ما ذهب إليه المشرع السوداني ١(٣). أما المشرع المصري فقد ترك حق الاختيار للمدعي دون إلزامه بترك الدعوى المدنية، وذلك قبل الفصل في الدعوى المدنية، فإذا قضى القاضي الجنائي في الدعوى المدنية فلا يجوز له أن يرفع دعوى أخرى عن الطريق المدني، وهذا ما نص عليه المشرع المصري في قانون الإجراءات الجنائي المصري في قانون «٢١٤»، والضابط في ذلك هي وحده العناصر ووحدة الموضوع ووحده السبب ووحده أطرافها^(٢).

طريقة التعويض:

يكون طريقة التعويض.

١/ تبعاً للظروف ويصح أن يكون التعويض مقسطاً أو أن يكون إيراداً شهرياً، ويجوز في هذه الحالتين إلزام المدين أن يقدم تأمين، ويقدر التعويض بالنقد، على أن يجوز للقاضي تبعاً للظروف وبناءً على طلب المضروور أن يأمر بإعادة الحال إلى ما كان عليه، أو أن يحكم بأداء أمر معين متصل بعمل مشروع وذلك على سبيل التعويض^(٣).

١ د/ ياسين عمر يوسف، قانون الإجراءات الجنائي السوداني ١٩٩١ م معلقاً عليه، ص: ٣٣٩.

٢ محمود نجيب حسني، شرح قانون الإجراءات الجنائي المصري، ص: ٥١٨.

٣ عبد الرزاق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني الجديد، ج ١، ص ٩٦٥.

تقدير التعويض:

١/ يقاس التعويض بمقدار الخسارة التي لحقت بالمضروب وما فاتته من كسب، يشترط أن يكون نتيجة طبيعية بفعل ضار [المادة (١٢٥)]، بحيث ذكر سابقاً أن الضرر يعتبر نتيجة طبيعية إذ لم يكن في استطاعته المقدرة بتجنبه ببذل جهد معقول، وعادة تراعي المحكمة الظروف والملابسات أو نقصانها، ذلك أن زيادة في ذات الضرر التي يرجع أصلها إلى الخطأ أو النقص فيه أين ما كان سببه غير منطقي للصلة به، أما التغير في قيمة الضرر فليس تغيراً في الضرر ذاته وإن كان المسئول ملزماً يجبر الضرر كاملاً، فإن التعويض لا يكون كافياً لجبره إذ لم يراع في تقديره قيمة الضرر على الحكم، ومن ثم كان لا وجه للقول بأن تغيير القيمة لا يمت إلى الخطأ بصلة، كما لا وجه للقول بأن المضروب ملزم للعمل على إصلاح الضرر، فإذا هو تهاون فعليه الالتزام بجبر الضرر الواقع على المسئول وحده، وعلى المضروب أن ينتظر حتى يوفي المسئول التزامه، أما تفويت الفرصة إذا كانت الفرصة أمر محتمل، يبدو أن تفويتها أمر محقق من ثم تتوافر بها معنى الضرر، وبهذا تقضي بأن من المقرر بالقضاء الحكمة في هذه إذا أنه إذا كانت الفرصة أمر محتملاً، فإن تفويتها أمر محقق ولا يمنع القانون أن يحسب في الكسب الفائت ما كان المضروب يأمن الحصول عليه من كسب، لهذا الأصل أسباب مقبولة، وكان الحكم المطعون فيه قد ذهب إلى وصف تفويت الفرصة على الطاعنين في رعاية ابنهما في شيخوختهما، بأنها احتمال خلط بذلك بين الرعاية المرجوة من الابن لأبوه فهو أمر احتمالي، وبين تفويت الأمل في هذه الرعاية وهو أمر محقق، لما كان الثابت في الأوراق أن الطاعن الأول قد بلغ سن الشيخوخة وأنه أحيل إلى المعاش قبل فوات خمسة أشهر على فقد ابنه، كان طالباً في الثانوية العامة وبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً، الأمر الذي يحث الأمل عند أبويه في أن ستظل برعاية وإذا افتقده قد فاتت فرصتهما بضياغ أملهما، فإن الحكم المطعون فيه إذا استبعد هذا العنصر عند تقدير التعويض يكون قد خالف القانون^(١).

كما سبق يتضح لي أن قانون الإجراءات الجنائية السوداني لسنة ١٩٩١م لم يتناول التعويض عن الضرر الذي يتعلق بالنظام العام، أي الضرر الاجتماعي وذلك باختصاص القضاء

١ المستشار حمد أحمد عبدون، التعويض بين الضرر المادي والأدبي، ص: ٣٠-١٢٩

الجنائي لأهميتها وتعليقها بالمصلحة العامة، فأرى أن يكون القاضي الجنائي مختص بالضرر الذي يصيب المجتمع أو المتعلق بالنظام العام، وأن يوضح ذلك في قانون الإجراءات في مواد مفصلة لذلك.

علاقة السببية ما بين التعويض والضرر

أولاً: ضرر ناشئ مباشر عن الجريمة

يشترط لاختصاصي القاضي الجنائي بالفصل في دعوى التعويض، أن يكون الضرر المطلوب للتعويض عنه ناشئ مباشرة من جريمة، ويطلق عليه بعض الشراح القانونيين اسم الضرر الجنائي بمعنى أن يكون للضرر طبيعة جنائية تبرر اختصاصي القضاء الجنائي بالفصل في طلب التعويض عنه، أما الضرر الناشئ بمناسبة الجريمة، ولو كان متصلاً بها اتصالاً وثيقاً فلا يختص القضاء الجنائي بنظر دعوى التعويض عنه^(١).

علاقة السببية بين الضرر والجريمة:

علاقة السببية هي الصلة التي تربط ما بين الفعل والنتيجة وتثبت ارتكاب الفعل الذي أدى إلى حدوث النتيجة وللأهمية القانونية لعلاقة السببية أنها ترتبط ما بين عنصري الركن المادي أي تربط بين النشاط الإجرامي والنتيجة وهي بذلك تساهم في تحديد نطاق المسؤولية الجنائية باستبعادها حيث لا تربط النتيجة بالفعل ارتباطاً سببياً.

وإذا انتفت علاقة السببية فإن مسؤولية مرتكب الفعل تنحصر على الشروع إذا كانت الجريمة عمديه، أما إذا كانت غير عمديه فلا مسؤولية عنها، إذ لا شروع في الجرائم الغير عمديه وعلي هذا النحو كانت علاقة السببية عنصراً في الركن المادي وشرط لقيام المسؤولية الجنائية^(٢). لذلك فإن القاضي الجنائي في بحثه لعلاقة السببية بين الضرر والجريمة فلا يجب عليه أن يراعي القواعد الخاصة ببحث علاقة السببية الجنائية فهذه الأخيرة لا يلزم أن تتوافر فيها صفة مباشرة وإنما يكفي فيها بأن لا يكون هنالك عاملاً آخر تدخل بين السلوك

١ محمود نجيب حسني، شرح قانون الإجراءات الجنائية المصري، ١٩٨٥م، ص ٢٩٠

٢ كتوريس عمر يوسف، النظرية العامة للقانون الجنائي السوداني، ١٩٩١م، ص ٨٥

والنتيجة بذلك لا تكون المحاكم الجنائية مختصة بالفصل في الدعاوي عن التعويض الذي لم ينشأ مباشرة ومثال لذلك:

أ- التعويض عن إتلاف نتيجة لجرمة قتل خطأ لتصادم سيارتين فلا إتلاف هنا وإن استجوب التعويض المدني نتيجة لخطأ السائق إلا أنه لم ينشأ عن جريمة القتل الخطأ وإنما ينشأ عن تصادم.

ب- كذلك لا يجوز للمحكمة الجنائية أن تقضي بالتعويض عن الأضرار الناشئة بناء على علاقة بين المدعي المدني والمجني عليه في الجريمة التي تحققت بمناسبة ارتكاب الجريمة ومثال لذلك ما تطلبه الحكومة من مصاريف العلاج التي أنفقتها على موظفيها بسبب الجريمة^(١).

معيار الضرر الناشئ عن جريمة:

هنالك خلاف حول الضرر الذي يختص به القاضي الجنائي:

(أ) ذهب رأي التقليديين أن الدعوتين الجنائية والمدنية الناشئتان عن سبب واحد، إذ أن سببهما لا يعدوا أن يكون الواقعة المادية المكونة للجريمة أو هو الفعل الإجرامي والضرر الذي يوجب التعويض الذي أصاب المضرور، وبالتالي فالدعوى المدنية الذي يختص القضاء الجنائي بالفصل هي سببها نفس سبب الدعوى الجنائية.

(ب) يرفض الفقه الحديث أن يكون اختصاص القاضي الجنائي بالفصل في الدعوى المدنية أن يكون سبب الدعوى واحد فسبب الدعوة المدنية هو الضرر الذي يوجب تعويضه طبقاً للمادة «١٦٧» من قانون الإجراءات المدنية السوداني^١ والمادة «١٦٣» من القانون المدني المصري أما سبب الدعوى الجنائية فهو مخالف لقانون العقوبات فالجريمة ليست هي سبب الدعوى المدنية بالتعويض إذ توجب جرائم لا ينشأ عنها أي حق في التعويض كجريمة حيازة السلاح بدون ترخيص وجريمة التشرد وجريمة الاتفاق الجنائي وهناك

١ دكتور ادور غال الذهبي، اختصاص القاضي الجنائي بالفصل في الدعوى المدنية، مرجع سابق، ص ٩٧

جرائم أخرى لا ينشأ^(١)، حق في التعويض في بعض الأحيان وتنشأ عن هذا الحق في أحيان أخرى عن توافر يسببه وهو الضرر^(٢). وخلاصة القول ان الدعوتين الجنائية والمدنية تختلفان من حيث سبب كل منهما ولذلك فليس صحيحا ما يقال من أن القضاء الجنائي يختص بالفصل في الدعوي المدنية التي يكون سببها هو نفس الدعوي الجنائية. الصحيح هو أن المحكمة الجنائية تختص بالفصل في الدعوي المدنية اذا كان الضرر نتيجة مباشرة لتنفيذ الجريمة او وقوعها^(٣).

هذه النتيجة المباشرة تتحقق عندما تتوفر علاقة السببية متصلة وفقا للمجري العادي للأمور بين الفعل الإجرامي والضرر الناشئ عنه أو تعبير آخر عندما يكون الضرر هو الحلقة الأولى في تسلسل النتائج المترتبة عن الجريمة أما إذا انتهت هذه الصلة المباشرة بين الفعل الإجرامي للضرر انتهى بالتالي اختصاص القضاء الجنائي بالفصل في الدعوة المدنية.

وقد عبرت محكمة النقض عن هذا المعنى بقولها وحيث أن الأصل في توزيع الاختصاص هو ان تنظر المحاكم المدنية والمحاكم الجنائية الدعاوي الجنائية ولم يخرج الشارع عن هذا الأصل إلا بقدر ما يخول المحاكم الجنائية من حق نظر دعاوي التعويض عن الأضرار الناشئة عن الجرائم المرفوعة إليها باعتبار أن ذلك متفرع من إقامة الدعوي أمامها علي متهمين معينين بجرائم معينة لوقائع معينة منسوبة إليهم بالذات قد قام عليها طلب المحاكم الجنائية وطلب التعويض معا إذا فلا اختصاص للمحكمة الجنائية بنظر دعوي التعويض عن وقائع لم ترفع بها الدعوي الجنائية وقد عبرت المحكمة بقولها ينبغي أن يكون التعويض المدني للمدعي به أمام المحكمة الجنائية مترتبا عن واقعة جنائية مطروحة أمام المحكمة مباشرة حيث تنتفي السببية مباشرة بين الجريمة والضرر فان الاختصاص بالفصل في دعوي التعويض تختص به المحاكم المدنية^(٤)..

١ دكتور مامون، سلامة الاجراءات الجنائية في التشريع المصري، ص ٢٩٩-٣٠٠،

٢ رؤوف عبيد دن المشكلات العملية الهامة في الاجراءات الجنائية، الطبعة الثالثة تاريخ الطبعة ١٩٨٠م، ج ١، ص ١٠٠

٣ مي صادق، الدعوي المدنية امام المحاكم الجنائية سنة ١٩٦٢، ص ١٤٦

٤ فوزيه عبد الستار، الادعاء المباشر في الاجراءات الجنائية، ١٩٧٧م، ص ١٠٠

اما المشرع السوداني فقد اخذ الاختصاص بنظر في دعوي التعويض يجب ان يكون هناك علاقة السببية ما بين الضرر والنتيجة وهذا ما ارسته سابقة حكومة السودان ضد محمود الامين برهان في حيث ذهبت المحكمة يجب ان تتوفر علاقة السببية بين الفعل والضرر^(١) استثناءً من شرط السببية المباشرة بين الجريمة والضرر وقد نص علي ذلك قانون الإجراءات الجنائية المصري في المادة ٢٦٧ وهي:

- المتهم ان يطالب المدعي بالحقوق المدنية أمام المحكمة الجنائية بتعويض الضرر الذي لحقه بسبب رفع الدعوى المدنية أمام المحكمة الجنائية بتعويض الضرر بحقه الذي لحقه بسبب رفع الدعوى المدنية عليه اذا كان لذلك وجه^(٢).

- فالضرر الذي يصيب المتهم في هذه الحالة ليس ناشئاً عن جريمة وإنما من فعل المدعي عليه بالحقوق المدنية ومع ذلك اجاز المشرع المصري للمتهم ان يطالب للحقوق المدنية امام المحكمة الجنائية بتعويض الضرر الذي اصابه بسبب رفع الدعوى عليه.

- وحق المتهم في المطالبة بالتعويض يعتبر من الوسائل الفعالة لمنع الانتفاء في رفع الدعوى المباشرة فالمدعي بالحقوق المدنية يتعرض اذا رفع دعواه بدون تردد أو تبصر اي توجية دعوى التعويض ضده بل انه يتعرض إلى البلاغ الكاذب إذا كان سئ النية^(٣).

- لم ينص المشرع السوداني في قانون الإجراءات الجنائية السوداني علي حق خاص في تعويض المتهم اذا تضرر المدعي عن ذلك الإجراءات رفع الدعوى المدنية ضده ولكنه وضع هذه المادة علي ذلك في المادة «٢٠٤» من قانون الإجراءات الجنائية السوداني سنة ١٩٩١ م^(٤).

ومما سبق يتضح ان اختصاص القاضي الجنائي بالفصل في الدعوة المدنية ان يكون هناك علاقة سببية ما بين الضرر والجريمة والذي اخذ به المشرع السوداني والمصري وذلك خلاف الرأي التقليدي وذلك لان السبب الجريمة يختلف عن علاقة ما بين الضرر والجريمة

١ (٢) مجلة الاحكام القضائية السودانية ينة ١٩٧٨ م، ص ١٤٥١

٢ (٣) المادة ٢٦٧ من الاجراءات الجنائية للقانون المصري

٣ (٤) جندي عبد المطلب ن الموسوعة الجنائية سنة ١٩٩١ م، ص ٤٨

٤ (١) المادة [٢٠٤] من قانون الاجراءات الجنائية سنة ١٩٩١ م.

الذي قد يكون أسباب الجريمة واحدة ولكن قد يكون العلاقة مباشرة قد انتفت ويكون اختصاص القاضي الجنائي بالفصل فيها قد انتفي وبشرط.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد أن انتهينا بعون الله وتوفيقه من أعداد هذه البحث وقد توصلت إلى بعض النتائج والتوصيات نذكرها كما يلي:

أولاً: النتائج:

١/ نص المشرع السوداني علي سلطة المحكمة الجنائية بالتعويض حيث بين ذلك في مادة واحدة هي (٢٠٤) من قانون الإجراءات الجنائية لسنة ١٩٩١م وترك بقية الآثار التي تترتب عليها للقواعد العامة.

٢/ يشترط لاختصاصي القاضي الجنائي بالفصل في دعوى التعويض، أن يكون الضرر المطلوب للتعويض عنه ناشئ مباشرة من جريمة.

٣/ سلطة المحكمة الجنائية سلطة استثنائية.

٥/ ان الهدف من منح تلك السلطة توفير الوقت والمال وتخفيض رسوم التقاضي كذلك الاستفادة من توافر البيئة وعدم تكرارها.

٦/ تضارب أعمال المحاكم في حالة الحكم بالبراءة

ثانياً: التوصيات:

١ - اوصي المشرع بان ينص علي وضع قيود وشروط لمنع المدعي بموجبها من الرجوع عن الطريق المدني الي القضاء الجنائي.

٢ - النص علي عدم نظر الدعوي المدنية التبعية امام المحكمة الجنائية في حالة الحكم بالبراءة اذا كان سببه عدم تجريم الفعل.

٣ - لم يوضح المشرع مقدار التعويض وإنما تركه سلطة تقديره للمحكمة فكان أولى أن يتدخل المشرع في جعل ضوابط الحكم بالتعويض.

٤ - عدم التوسع في السلطات الاستثنائية الممنوحة للمحكمة الجنائية وإي فعل ضار ليس له صلة بالجريمة من حيث الموضوع والزمن يحال للمحكمة المدنية.

أهم المصادر والمراجع

- ١/ إبراهيم انيس المعجم الوسيط - الطبعة الثانية - دار المعارف.
- ٢/ ابن منظور لسان العرب - مطبعة دار المعارف، ١٩٧٠.
- ٣/ القاضي أحمد ابوزيد: قانون الأثبات معلق عليه / جامعة أمدرمان الاسلامية ١٩٩٣ م
- ٤/ الأمام أحمد بن حنبل ومسند الأمام بن محمد دار الحديث القاهرة ١٩٩٥ م.
- ٥/ فيروز آبادي « القاموس المحيط » - دار الجيل للطباعة والنشر.
- ٥/ د. احمد راشد: القانون الجنائي الاسلامي دراسة الاحكام والنظم الاسلامية..
- ٦/ احمد عبدالعزيز الألفي: شرح قانون العقوبات الليبي - مكتبة مصر الحديثة للطباعة والنشر.
- ٧/ احمد فتحي سرور: الوسيط في شرح قانون العقوبات - الطبعة السابعة - ١٩٧٩ م.
- ٨/ احمد فتحي الصاوي: الوسيط في شرح قانون المرافعات - مكان الإصدار القاهرة.
- ٩/ د. احمد محي الدين عوض القانون الجنائي واجرائه في التشريع المصري والسوداني - المطبعة العالمية ١٩٩٤ م
- ١٠/ د. ادور غالي الذهبي: اختصاص القاضي الجنائي بالنظر في الدعوى المدنية - دار النهضة - ١٩٨٣ م.
- ١١/ د/ بخاري الجعلي: قانون الاثبات معلق عليه - مطبعة جامعة النيلين - الطبعة الثالثة ١٩٩٦ م.
- ١٢/ د. بدرية عبد المنعم حسونة قاضي المحكمة العليا - شرح قانون الاثبات السوداني سنة ١٩٩٣ م.
- ١٣/ بطرس البستاني: محيط المحيط / مؤسسة جواد للطباعة - ١٩٨٣ م - لبنان.
- ١٤/ د. تاج السر محمد حامد: أحكام الاثبات في دعاوى المدنية والجنائية ومساند الأحوال الشخصية وفقاً لقانون الاثبات ١٩٩٣ م - مطبعة النيلين - ط ٤ - ٢٠١٠ م.

- ١٥/ د. تاج السر محمد حامد: حدود السلطة المدنية للمحكمة الجنائية دار النهضة ٢٠٠٨ م.
- ١٦/ سليمان مرقص: المسؤولية المدنية في تطبيقات البلاد العربية.
- ١٧/ جبران مسعود، المعجم الرائد، دار العلم، الطبعة السابعة، ١٩٩٢، ج ١
- ١٨/ د. حيدر أحمد دفع الله: قانون الإجراءات المدنية السوداني بين التحليل و التطبيق.
- ١٩/ الأستاذ ذكي مصطفى: القانون المدني السوداني تاريخه و خصائصه، القاهرة ١٩٦٨ مطبعة النهضة.
- ٢٠/ د. رؤوف عبيد- المشكلات العملية العامة في الاجراءات الجنائية - الطبعة الثالثة - ١٩٨٠ م
- ٢١/ حسن صادق المرصفاوي: الدعوى المدنية امام المحكمة الجنائية - دار النهضة - ١٩٦٤ م
- ٢٢/ عبد الرازق السنهوري: شرح القانون المدني الجديد
- ٢٣/ عبد القادر عودة: التشريع الجنائي، مؤسسة الرسالة الطريقة الثانية عشر ١٩٩٣ م.
- ٢٤/ علي عبد الباقي شرح قانون الإجراءات الجنائي المصري الطريقة الأولى ١٩٧٧ م.
- ٢٥/ د. عبد الله الفاضل شرح قانون الاجراءات الجنائية لسنة ١٩٩١
- ٢٦/ عبد المنعم فرج - شرح قانون الأثبات في المواد المدنية.
- ٢٧/ د.عبدالرازق السنهوري الوسيط في شرح القانون المدني، دار احياء التراث العربي، بيروت، مصادر الالتزام، ج ١.
- ٢٨/ القاضي عوض حسن النور: شرح القانون الجنائي السوداني - الخرطوم - ١٩٩٢ م.
- ٢٩/ علي ذكي عراي المبادئ الأساسية للإجراءات الجنائية المصرية دار الفكر بالقاهرة ١٩٨٣ م.
- ٣٠/ الاستاذة / فوزية عبد الستار: شرح قانون الاجراءات الجنائية المصري - ١٩٧٧ م.
- ٣١/ كرستنا فاسين: تعريب هنري رياض وعبد العزيز صفوت - أحكام الاثبات في السودان دراسة مقارنة - دارل الجيد - بيروت لبنان.
- ٣٢/ د. محمد محي الدين عوض القانون الجنائي مبادئه الانسانية ونظرياته العامة.
- ٣٣/ د. محمود مصطفى سلامة شرح قانون الإجراءات الجنائي المصري الطريقة الحادية عشر ١٩٨٦ م.

- ٣٤ / د. محمد الشيخ عمر: شرح قانون المعاملات المدنية السوداني ١٩٨٣ م الطريقة الأولى ١٩٩٦ م.
- ٣٥ / د. محمد عبده غريب: الدعوة المدنية الناشئة عن جريمة دار النهضة العربية ١٩٩٥ م.
- ٣٦ / د. مصطفى كامل - شرح قانون العقوبات - القسم العام - مكتبة المعارف ١٩٤٧ م.
- ٣٧ / محمد كامل حرس و آخر: شرح القانون المدني الجديد ١٩٩٧ م.
- ٣٨ / محمد كامل حرس و آخر: شرح القانون المدني الجديد ١٩٩٧ م.
- ٣٩ / محمد عبد الخالق: قانون المرافعات المصري في السودان - المطبعة الفنية الحديثة - ١٩٧٦ م - ص ٣٠.
- ٤٠ / د. يس عمر يوسف شرح القانون الجنائي لسنة ١٩٩١ م - مطبعة دار الهلال - ١٩٩٦ م

القوانين السودانية:

- ١ / قانون الإجراءات الجنائية ١٩٩١ م.
- ٢ / قانون الإجراءات المدنية ١٩٨٤ م.
- ٣ / قانون الإثبات ١٩٩٣ م.

المجالات القضائية:

- ١ / مجلة الأحكام القضائية السودانية ٩١ / ٩٣ / ٩٤ حتى ١٩٩٨ م.
- ٢ / مجلة الأحكام القضائية المصرية من ١٩٥٩ حتى ١٩٨٠ م.

السياسات النقدية والمالية وآليات تصحيح الاختلالات الاقتصادية الكلية

إعداد/ احمد صالح محمد الغانم

باحث ماجستير بكلية التجارة -

جامعة دمنهور - تخصص اقتصاد

تمهيد:

إن الأزمات والتقلبات والنمو والركود هي من ميزات النظام الإقتصادي، والتي يصعب التنبؤ بها ولا يمكن التخلص منها وما تسعى الحكومات إليه دائماً هو التخفيف من وطئتها، وشهد العالم عدة صدمات اقتصادية وكانت سبباً في ظهور مشكلات جديدة لم تكون معروفة من قبل كالبطالة والتضخم والركود والعجز الموازي واختلالات ميزان غير أن التطورات المتسارعة الحاصلة على مستوى الاقتصاد العالمي المرتبطة أساساً بالإبتكارات التكنولوجية الحديثة الموظفة في المجال المالي بشكل مفرط أدت إلى ظهور مشكلات اقتصادية من نوع آخر وذات آثار وخيمة على الاقتصاد المحلي وانتشار الواسع على المستوى الدولي نتيجة التشابك والترابط ما بين اقتصاديات الدول المختلفة عبر قنوات مؤسسات القطاع المالي والأسواق المالية، وهذه الظواهر تعد حالة مرضية تشكو منها معظم الإقتصاديات في العالم المتقدم والنامي على حد سواء وتتضارب النظريات المفسرة لهذه الاختلالات التي تفرز بدورها تضارباً في السياسات التي تنشط للقضاء عليها واحتوائها أو الحد من تفاقمها، وتعد كل من السياسات النقدية والمالية إحدى أهم عناصر السياسات الإقتصادية الكلية التي يمكن استخدامها للتخفيف من هذه الظواهر السلبية ومحاولة الخروج منها بأقل الأضرار الممكنة، وإعادة الإقتصاد إلى حالته الطبيعية وهذا ما سوف نحاول دراسته من خلال هذه الدراسة وذلك من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: السياسات النقدية والمالية واستهداف التضخم

المبحث الثاني: السياسات النقدية والمالية وطرق تمويل العجز الموازي

المبحث الثالث: السياسات النقدية والمالية وتصحيح اختلافات ميزان المدفوعات

المبحث الرابع: السياسات النقدية والمالية والتخفيف من الأزمات المالية والمصرفية

المبحث الأول:

السياسات النقدية والمالية واستهداف التضخم

من الاختلالات الوظيفية التي تطبع الحياه الإقتصادية الحديثة يظهر التضخم كظاهرة إقتصادية ومالية وايضاً كظاهرة اجتماعية لما يخلفه من نتائج سلبية على مختلف جوانب الحياه. إن إعطاء تعرف دقيق للتضخم صعب إذ ليس لكلمة تضخم منى واحداً أو مفهوماً محدداً لدى جميع علماء الإقتصاد وهذا باختلاف المقصود منه والزمن الذي حل فيه، وبالتالي فهناك تعاريف عديدة للتضخم كما أن هناك أنواع مختلفة لهذه الظاهرة كما أن هناك أسباب تقف وراء ظهور التضخم بمختلف أنواعه.

المطلب الأول: ما هو التضخم

يعد التضخم ظاهرة إقتصادية ملازمة للإقتصاديات المتقدمة والنامية على حد سواء، وتتعدد التعاريف المقدمة لهذه الظاهرة من وجهة نظر المدارس الإقتصادية المختلفة، كما أن للتضخم العديد من الأنواع وحسب معايير مختلفة وتقف وراء أسباب متعددة

١ - مفهوم التضخم: تختلف التعاريف الخاصة بالتضخم باختلاف أسبابه كونه ظاهرة ديناميكية متعددة الأبعاد، وقد كان من نتيجة هذا الاختلاف في المقصود بكلمة التضخم اختلاف تعاريفه.

فحسب النظرية الكمية (يعتبر حالة التضخم عن كل زيادة في كمية النقود المتداولة مما يؤدي إلى زيادة المستوى العام للأسعار) أما التعريف المبني على نظرية الإنفاق والدخل فهو يحدد معنى التضخم بأنه (الزيادة في معدل الإنفاق والدخل، فازدياد الإنفاق النقدي ومن ثم الدخل النقدي يسبب ارتفاع الأسعار مع بقاء كمية السلع والخدمات في حالة ثبات)

(التضخم هو الارتفاع في المستوى العام للأسعار الناتج عن زيادة كمية النقود بنسبة أكبر من الزيادة في كمية السلع والخدمات، أو هو الاتجاه المستمر والمؤكد للمستوى العام للأسعار إلى الارتفاع سواء بسبب الزيادة في كمية النقود أو الاختلال في التوازن بين التيار النقدي والتيار الحقيقي).

وبالتالي يمكن أن نستنتج أن التضخم يعبر عن الارتفاع المستمر والملموس في المستوى العام للأسعار، وهذا يعني أنه ليس الارتفاع في مستوى الأسعار لبعض السلع والخدمات في وقت معين مع انخفاض أسعار أخرى يعتبر تضخمًا، كما أن الارتفاع المفاجئ للأسعار في وقت واحد لا يعد تضخمًا حيث من الممكن أن تعود الأسعار إلى وضعها الطبيعي بعد زوال أسباب هذا الارتفاع إن كل التعاريف المقدمة لظاهرة التضخم تشير إلى أحد النتائج البارزة التي يشعر بها أفراد المجتمع هي ارتفاع الأسعار، وبواسطة هذه الأخيرة يتم قياس معدل التضخم في البلد عن طريق ما يعرف بالأرقام القياسية التي تعبر متوسطات متقاربة زمنية ونسبية لمستوى الأسعار وتحسب على أساس أسعار السلع معبر عنها بالوحدات النقدية وذلك لأجل قياس الشائية للأفراد أو المشروعات المختلفة.

٢- أنواع التضخم: هناك العديد من أنواع التضخم تقسم حسب معيار مختلفة، فمن حيث إشراف الدولة على الأسعار نجد التضخم المفتوح المكبوت، ومن حيث حدته نجد التضخم الجامح أو المفرط وهو الذي ينطلق بشكل سريع والتضخم الزاحف الذي يكون عكس النوع الأول أي أنه يسير ببطء خلال فترة طويلة، أما تقسم التضخم من حيث العلاقات الاقتصادية، فهناك التضخم المستورد والمرتبط بارتفاع الأسعار نتيجة أسباب التضخم المالي إلى داخل البلد المعني من خلال الواردات والتضخم المصدر هو الناتج عن ارتفاع الأسعار بسبب احتياطات البنوك المركزية النقدية، أما من حيث حجم الضغط التضخمي فنجد أهم أنواع التضخم المتمثلة في التضخم جذب الطلب وهي الحالة التي ترتفع فيها الأسعار نتيجة وجود فائض في حجم الطلب الكلي على السلع والخدمات الاقتصادية عن العرض الحقيقي منها أما تضخم دفع النفقة هو الذي ينشأ عندما تستمر أسعار السلع الاستهلاكية والصناعية في الارتفاع نتيجة ارتفاع نفقات الإنتاج وخاصة أسعار عناصر الإنتاج والأجور.

٣- أسباب التضخم: يعبر التضخم عن الخلل في التوازن بأرتفاع الطلب الكلي عن العرض الكلي أو بانخفاض العرض الكلي عن مستوى التشغيل الكامل، ويمكن إرجاع أسباب حدوث التضخم إلى العوامل الدافعة بالطلب الكلي إلى الإرتفاع أو إلى العوامل الدافعة بالعرض الكلي إلى الإنخفاض.

المطلب الثاني: معايير قياس الفجوات التضخمية:

نظراً لاعتبار الأرقام مؤشرات تعكس التطورات التي تطرأ على المستوى العام للأسعار دون التعرض للأسباب التي تقف وراء حدوث تلك الإرتفاعات فإن من الضرورة الاعتماد على بعض المعايير التي تكمن من تحديد أسباب التغيرات في المستويات الأسعار وتتمثل معايير قياس الفجوة التضخمية في:

١- معيار معامل الاستقرار النقدي: يعبر هذا المعيار عن أفكار النظرية الكمية الحديثة لقياس الفجوة التضخمية والتي ربط فيها الإقتصاد فريدمان التضخم باختلال العلاقة بين الزيادة في كمية النقود والزيادة في الناتج القومي الحقيقي، حيث يرى فريدمان بأن الزيادة في كمية النقود بنسبة أكبر من الزيادة في الناتج القومي الحقيقي تولد فائض طلب يدفع بالأسعار نحو الأرتفاع، ويتحقق ذلك من خلال الزيادة في حجم الطلب الكلي على السلع والخدمات في الإقتصاد بنسبة تفوق الزيادة في الكمية السلع والخدمات المعروضة والذي يعد نتيجة لاختلال التوازن بين تيار الإنفاق النقدي والتيار السلعي، ويتم حساب معامل الإستقرار النقدي من خلال المعادلة الآتي:

$$B = \frac{\Delta M}{M} - \frac{\Delta Y}{Y} \quad \text{-----} \quad (1)$$

حيث أن: (ΔM) تمثل التغير في كمية النقود، (M) وتمثل كمية النقود، (ΔY) تمثل التغير في الناتج القومي الحقيقي، (Y) وتمثل الناتج القومي الحقيقي، و وفقاً لهذه المعادلة نكون أمام ثلاث حالات:

- إذا كان: $(O < B)$ وهذا يعني أن وجود ضغوط تضخمية متفاوتة تأثيرها في الإقتصاد كلما زادت قيمة المعامل أو اقترب من الواحد الصحيح بحيث تزيد حدة الضغوط التضخمية كلما زاد الواحد الصحيح،
- إذا كان $(O > B)$ فهذا يعني أن الأسعار نتيجة نحو الانخفاض، وبالتالي وجود نقص القوة الشرائية بالسلع والخدمات.
- أما إذا كان $(O = B)$ فهذا يدل على وجود حالة من التوازن النقدي بالتالي استقرار الأسعار.

٢- معيار فائض الطلب الكلي: تقاس الفجوة التضخمية وفقاً لمعيار فائض الطلب الكلي من خلال الفرق بين الطلب الكلي مقاساً بالأسعار الجارية والعرض الحقيقي مقاساً بالأسعار الثابتة، أي أن الفجوة التضخمية تعبر عن الإخلال الحاصل بين نمو كمية النقود ونمو الناتج الحقيقي من السلع والخدمات في الإقتصاد في شكل فائض طلب يتمثل في زيادة حجم الطلب الكلي على السلع والخدمات في المجتمع عن الناتج الوطني الحقيقي، مما يرفع بمستويات الأسعار المحلية إلى أعلى ويستند هذا المعيار في قياس الفجوة التضخمية على المنطلقات الأساسية لفكرة الطلب الفعال في تحديد مستويات الاسعار التي تضمنها أفكار النظرية العامة وللإقتصادي كثير، والتي ترى أن كل زيادة في حجم الطلب الكلي على السلع والخدمات دون أن يقابلها زيادة في حجم العرض الحقيقي منها نتيجة بلوغ الإقتصاد مرحلة التشغيل الكامل، تمثل حالة من التضخم تدفع مستويات الاسعار المحلية نحو الارتفاع، ويمكن صياغة فائض الطلب وفقاً للمعادلة الآتية:

$$Dx = (Cp + Cg + I + E) - Y \dots\dots\dots (2)$$

حيث إن: (Dx) تمثل إجمال فائض الطلب، (Cp) تمثل الاستهلاك بالأسعار الجارية، (Cg) تمثل الإستهلاك العام بالأسعار الجارية، (I) تمثل الإستثمار الإجمالي بالأسعار الجارية أما (E) فهي تمثل الإستثمار في المخزون بالأسعار الجارية، (Y) تمثل الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الثابتة.

وبناء على المعادلة السابقة يمكن اعتبارها أنه في حالة زيادة مجموع الإنفاق الوطني بالأسعار الجارية على الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الثابتة فإن الفرق بينهما يتمثل في أجمالي فائض الطلب، والذي ينعكس في صورة ارتفاع مستويات أسعار السلع والخدمات المنتجة، إلا أن جزءاً من أجمالي فائض الطلب يمكن إشباعه عن طريق التوسع في الواردات والذي يؤدي بدوره إلى حدوث عجز في الميزان التجاري، أما الجزء المتبقي من أجمالي فائض الطلب والذي لم يتم إشباعه عن طريق الواردات، والذي يعبر عنه بصافي فائض الطلب فإنه يمثل ضغطاً تضخيمياً يدفع الأسعار المحلية نحو الارتفاع ويمكن توضيح صافي فائض الطلب بالمعادلة الآتية:

$$Dxn = (Dx - F) \dots\dots\dots (3)$$

حيث أن: (Dxn) تمثل صافي فائض الطلب، (CP) تمثل إجمالي فائض الطلب، (F) تمثل الميزان التجاري أي الفرق بين الصادرات والواردات، وإعطاء مجموع الإنفاق القومي الرمز (A) فإنه يمكن صياغة المعادلتين السابقتين في معادلة واحد والتي تعبر عن صافي فائض الطلب وبالتالي:

$$Dxn = (A + X) - (Y + M) \dots\dots\dots (4)$$

حيث إن: (X) تمثل الصادرات، (M) تمثل الواردات،

٣- معيار فائض المعروض النقدي: يتحدد الفجوة التضخمية وفقاً للمعيار بمقدار الزيادة في كمية النقود المعروضة في المجتمع عن تلك النسبة من الدخل الحقيقي التي يرغب الأفراد الاحتفاظ بها في صورة نقود سائلة خلال فترة زمنية معينة ويمكن التعبير عن الفجوة التضخمية وفقاً لهذا المعيار بالمعادلة التالية:

$$G = \Delta M - \frac{M}{GNP} \times \Delta GNP \dots\dots\dots (5)$$

حيث إن: (G) تمثل الفجوة التضخمية، (M) تمثل التغير في عرض النقود، (M) تمثل كمية النقود، (GNP) تمثل الناتج القومي الإجمالي، (GNP) تمثل التغير في الناتج القومي الإجمالي.

وحسب هذا المعيار فإنه يتطلب التساوي بين الزيادة في كمية النقود المعروضة في الإقتصاد وتلك النسبة من الدخل التي يرغب الافراد الإحتفاظ بها في شكل نقود سائلة من أجل الإستقرار في المستويات الأسعار

من بين المشكلات الإقتصادية المؤدية إلى أختلالات اقتصادية عالمية نجد ظاهرة البطالة التي كانت محل الدراسة و الإهتمام لدى الكثير من الإقتصاديين والمفكرن، حيث تعمقت الأبحاث وتعدد النظريات الإقتصادية التي حاولت تفسير هذه الظاهرة ولا شك ان تخفيض البطالة يعتبر هدفاً رئيسياً في أي أقتصاد تحقيقاً لهدف التوظيف الكامل للموارد بما فيها عناصر العمل، إلا أن تحقيق هذا الهدف قد يكون على حساب أهداف أخرى لا تقل أهمية وفي مقدمتها هدف استقرار المستوى العام للأسعار، وهذا يدل على وجود خلافة وطيدة ومتشابكة بين البطالة والتضخم.

١- ماهية البطالة: تعد البطالة من المشكلات الأساسية التي عرقلت مسيرة التقدم والتنمية في معظم المجتمعات وتعمل معظم دول العالم على مواجهتها باختلاف مستويات تقدمها وأنظمتها الإقتصادية والإجتماعية والسياسية:

١-١- مفهوم البطالة: هناك العديد من التعاريف فيما يخص ظاهرة البطالة ومنها:

- تعرف البطالة على أنها (التوقف الجبري لجزء من القوة العاملة في مجتمع ما بالرغم من القدرة والرغبة في العمل والإنتاج)

- كما تعرف البطالة على أنها (فائض عرض العمل عن الطلب (التشغيل) عند مستوى معين من الأجور) ويتم ربط البطالو بمستوى الأجور لأنه يوجد دائماً معدل لأجر معين يمكن عنده كل الأشخاص الممتنعين عن طلب العمل يقبلوم العمل عنده ويسمى بأجر القبول.

- أما المكتب الدولي للعمل فيعرف العاطل عن العمل أو البطال على أنه (كل شخص لا يملك عملاً وقادر عليه وراغب فيه ويبحث عنه لكن دون جدوى) وبالتالي هناك معايير يجب أن تتوفر في الشخص معين حتى لا يعتبر عاطلاً عن العمل وهي:

أن يكون الشخص بدون عمل، وأن يكون قادراً ومستعداً للعمل و راعباً فيه عند مستوى معين من الأجر

١-٢ - قياس البطالة: إن البطالة من أهم المؤشرات الاقتصادية الكلية ذات الدلالة البالغة في رسم السياسات الاقتصادية وتقييم فعاليتها ولا يمكن علاج مشكلة البطالة من دون قياسها، وعادة ما يقاس معدل البطالة من قبل الجهات الرسمية كنسبة عدد العاطلين عن العمل إلى القوة العاملة بالمجتمع أو الفئة النشطة عند نقطة زمنية معينة وذلك باستخدام الصيغة الآتية:

$$U = \frac{U}{U+E} \times 100 = \frac{U}{LF} \times 100 \text{ ----- (6)}$$

حيث أن: (U) تمثل عدد العاطلين عن العمل: (E) تمثل عدد الفئة المشتغلة، (LF) تمثل مجموع الأشخاص في سن العمل ويشغلون أو عاطلين عن العمل (E+F).

وتختلف طريقة قياس معدل البطالة من دولة لأخرى وذلك لاختلاف السن القانوني للعمل و سن التقاعد والفترة الزمنية المحدد للبحث عن عمل، كيفية التعامل إحصائياً مع الخرجين الجدد، تباين مصادر البيانات المستخدمة في قياس معدل البطالة..... الخ، وبالرغم من المشاكل قياس وتفسير معدل البطالة إلا أنه يبقى أفضل مؤشر لمقارنة أداء سوق العمل، كما يكون قياس سوق البطالة أكثر صعوبة في الدول النامية مقارنة بالدول المتقدمة، كما أن معدل البطالة داخل البلد الواحد هو عبارة عن متوسط لا يعبر عن اختلاف التجانس، فالبطالة غير موزعة بالتساوي بين مجموعات السكان كما يجب دراسة توزيع البطالة حسب السن والجنس والمناطق.

يتم تقديرات البطالة دورياً وعند تاريخ التقدير يتم اعتبار الفرد عاطلاً إذا ما أنطبقت عليه شروط البطال المقدمة في التعريف السابق، ولكن الأفراد يغيرون وضعيتهم اتجاه البطالة، حيث أن هذه التدفقات هي التي تكشف عن خصائص هامة لديناميكية البطالة في أي بلد على هذا يمكن قياس حالة الاستقرار عدد العاطلين على العمل رياضياً كالآتي:

$$U = \frac{U}{LF} = \frac{(I/LF)}{(P/U)} \text{ ----- (7)}$$

حيث إن: (I) يمثل التدفق داخل البطالة، (P) يمثل التدفق خارج البطالة، وبالتالي فحالة استقرار أعداد العاطلين عن العمل تتحقق عند التساوي بين (I) و (P) وكل اختلال في هذه التدفقات يؤدي إلى تغير أرقام البطالة، كما تعتبر مدة البقاء في البطالة في البطالة من أهم خصائص هذه التدفقات لأن لكل مدة خصائصها في تحديد سياسات محاربة البطالة (طويلة الأجل أو قصيرة الأجل) وتعاني العديد من الدول النامية من مشكلة البطالة على غرار البلدان العربية مقارنة ببلدان العالم المتقدم، فعلى سبيل المثال تشير إحصائيات منظمة العمل الدولية أن متوسط معدل البطالة في سنة (٢٠٠٨) في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بلغ ٩,٥٪ مقابل ٩,٥٪ في العالم، وهو المعدل الأعلى ما بين مناطق العالم وإذا استثنينا مجلس التعاون الخليجي يرتفع هذا المعدل إلى ١٣٪ أن تتباين إحصائيات معدلات البطالة بشدة ما بين الإحصائيات الرسمية وتلك المقدرة من مصادر غير رسمية. وما تجدر الإشارة إليه هو أن هناك علاقة وثيقة بين معدل النمو الاقتصادي والبطالة، حيث أ زيادة وتيرة النمو تؤدي بالضرورة إلى انخفاض معدل البطالة والعكس صحيح، ويمكن تفسير هذه العلاقة من خلال قانون أوكن، هذا الأخير الذي يعتبر أن معدل البطالة يرتفع لما ترفع فجوة أوكن (gap):

$$\text{معدل البطالة} - \text{معدل البطالة الطبيعي} = \text{ثا} * \text{فجوة أوكن}$$

فجوة أوكن = الناتج المحلي الخام الكامن (المحتمل) - الناتج المحلي الخام الفعلي

حيث: ثا: هو ثابت ويساوي ٢٠٪ بالنسبة للاقتصاد الأمريكي، وبالتالي تشير هذه المعادلة أن انخفاض البطالة الفعلية يؤدي إلى تقليص فجوة أوكن.

١-٣- أنواع البطالة: هناك عدة أنواع للبطالة تختلف باختلاف طبيعتها وأسبابها فهناك البطالة الإجبارية والتي تعني حالة وجود شخص قادر على العمل ويبحث عنه

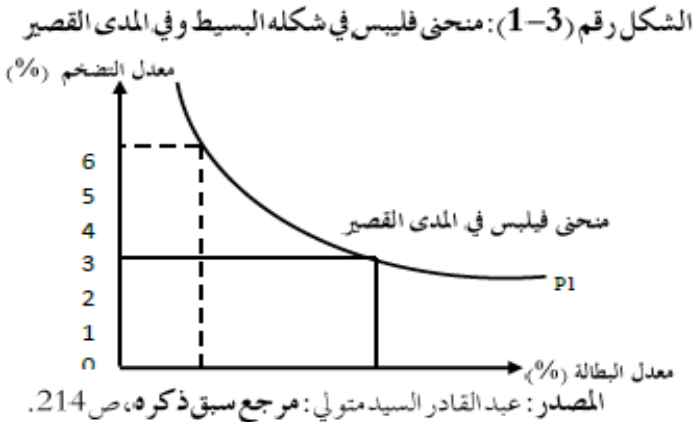
بشكل جاد وعد الأجر السائد، لكنه لا يجده حيث يبقى مجبرا على التعطيل من غير إرادته أو اختياره، أما البطالة الدورية والمرتبطة أساسا بالدورات الاقتصادية وهناك البطالة الاحتكاكية الناتجة عن الفاصل الزمني بين التوقف عن العمل ومباشرة عمل جديدة، أما البطالة الهيكلية فتحدث نتيجة تغيير أساسي في الهيكل الصناعي أي البنية الصناعية التي تحدث في الاقتصاد كإكتشاف موارد جديد أو وسائل الإنتاج أكثر كفاءة وغيرها، وكذلك البطالة المقنعة أي وجود فائض من العمال ممن يعملون في المؤسسات الخاصة أو الحكومية أكبر من الحجم الطبيعي للقوة العاملة، إن مشكلة البطالة تعد من أخطر المشاكل التي تهدد استقرار وتماسك أي بلد ولكن نجد أن أسباب البطالة تختلف من مجتمع إلى مجتمع حتى إنها تختلف داخل المجتمع الواحد من منطقة إلى أخرى فهناك أسباب اقتصادية وأخرى اجتماعية وأخرى سياسية ولكن كلاً منها يؤثر على المجتمع ويزيد من تفاقم مشكلة البطالة، كما تختلف مسببات هذه الظاهرة بين الدول المتقدمة والنامية تبعاً للهيكل الاقتصادي المكون لكل مجتمع، وإذا تزامنت مع ظاهرة أخرى التضخم مثلاً أصبح أمام مشكلة أكثر تعقيداً.

٢- علاقة البطالة بالتضخم: أن الأحداث التي مر بها العالم في الفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية أفرزت واقعا عجزت نماذج الفجوة التضخمية من تفسيره، فالتوظيف الكامل لم يكن من الممكن الوصول إليه من خلال ارتفاع المستوى العام للأسعار، حيث بدأت مشكلة التضخم في الظهور في الوقت الذي تراجع فيه معدلات البطالة وهذا بالموازنة مع عمليات إعادة البناء في العالم خلال تلك الفترة، وهناك نماذج حاولت تفسير العلاقة بين التضخم والبطالة وعلى رأسها نموذج فليش، غير أنه تعرض للعديد من الانتقادات فيما بعد.

$$f(U) = \frac{\Delta w}{w} / f'(U) < 0 \text{-----} (8)$$

٢-١- نموذج منحني فليش البسيط: ويعتبر Irving Fischer أول من تطرق إلى العلاقة بين البطالة والتضخم (١٩٢٦) حيث بين أن هنالك مشكلة تتمثل في مجموع العوامل المؤدية إلى ارتفاع الأسعار (زيادة الإنفاق العام وزيادة المعروض النقدي) لكن ليس

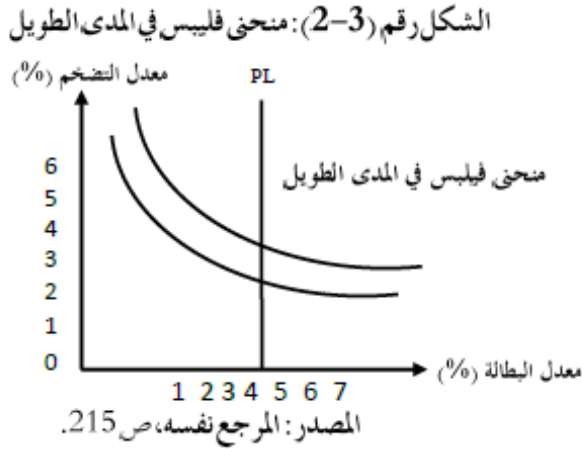
لهذه العوامل تأثير على الناتج الحقيقي ومستوى التشغيل، غير أن هذه الأفكار كانت تتناقض والفكر الكلاسيكي السائد في ذلك الوقت، ثم توالى بعد ذلك محاولات تفسير هذه العلاقة امثال Timberen سنة (١٩٣٦) Klein Brown (١٩٥٥) غير أن هذه العلاقة لم تتجسد بصورة فعلية إلا بعد مساهمة الاقتصادي النيوزيلندي A.philips (١٩٥٨) حيث قام هذا الأخير بدراسة قياسية حول الاقتصاد الإنجليزي للفترة ما بين (١٩٥٧-١٨٦١) للعلاقة بين معدل البطالة (*) ومعدل التغير في الأجور النقدية $(\Delta^*/*)$ وبينت هذه الدراسة أن هناك علاقة تاريخية تربط بين الظاهرتين وتمتد لأكثر من تسعين عامًا تجسدت فيما يسمى بمنحنى فليبس، وهي علاقة خطية ذات ميل غير ثابت لكنها علاقة ثابتة مستقرة عبر الزمن، كما بين أن العلاقة الذاتية و بين البطالة والتضخم هي علاقة متناقضة حيث: أما بيانها يمكن إظهار العلاقة بين البطالة والتضخم من خلال منحنى فليبس في شبكة البسيط:



المصدر: عبد القادر السيد متولي اقتصاديات النقود والبنوك

٢-٢- نموذج منحنى فليبس المطور (نموذج التوقعات الرشيدة): لقد ظن بعض الاقتصاديين في البداية الأمر أن الميل السالب لمنحنى فليبس يعبر عن تبادل عكسي بين الطلب والبطالة ، غير أن M.Friedman (١٩٦٨) و I. Phelps (١٩٦٧) قدما تطويرا لنظرية لمنحنى فليبس وتوصلوا إلى أن محاولة دفع المعدل البطالة إلى أدنى من المستوى

الطبيعي لابد أن يؤدي إلى انحراف منحنى فليس إلى أعلى في المدى القصير حيث ينتقل من المستوى $1P$ إلى $2P$ إلى $3P$ ، مما يؤدي في المدى الطويل الحصول على منحنى فليس رأسي عند المعدل الطبيعي للبطالة كما هو موضح في التمثيل البياني أدناه.



ويقوم هذا التطوير على اساس أن المنحنى فليس الأصلي هو علاقة تنطبق في الأجل القصير بين معدل البطالة ومعدل التضخم، أي انه في الاجل القصير فقط يمكن إحداث مزيد من التوظيف والتشغيل في مقابل التضحية بمستويات مرتفعة من التضخم، كما أن الانتقال على منحنيات فليس في الاجل القصير غير توقعات الوحدات الاقتصادية ومن ثم يحدث انتقال المنحنى نفسه، أما في الاجل الطويل لا يوجد تقابل بين معدل البطالة ومعدل التضخم، وأن منحنى فليس يتحول من منحنى له ميل سالب في الاجل القصير إلى منحنى عامودي غي الاجل الطويل، ومعدل البطالة في هذه الحالة يكون في وضعه الطبيعي الذي يستقر عنده الاجور النقدية، بالإضافة إلى أنه يمكن تخفيض معدلات البطالة عن المعدل الطبيعي فقط عندما يمكن إحداث تغير متواصل في توقعات الوحدات الاقتصادية للتضخم في المستقبل أو ما يعرف بتعجيل التضخم وطبقاً لهذا النموذج فإن معدل التضخم الفعلي يتوقف على معدل التضخم المتوقع ومدى استمرار هذا المعدل في الوقت الحالي، وعرف هذا المدخل في تحديد الاسعار بمفهوم التوقعات المتوائمة وفي بداية

السبعينات قدم الاقتصادي روبرت لوكاس مفوهماً آخر للتوقعات عرف بمفهوم التوقعات الرشيدة وتم إدماج هذا المفهوم على مستوى جميع النماذج الاقتصادية على مستوى الاقتصاد الكلي، وعلى ذلك فقد تم تفسير التضخم على ان معدله الحالي يتوقف على التوقعات الأفراد وهذه التوقعات تتصف بالرشادة لأنها تأخذ جميع المعلومات المتاحة عن المعلومات السابق للتضخم والسياسات الحكومة المالية والنقدية عند توقع معدل التضخم.

معدل الركود التضخمي = معدل التضخم + معدل البطالة

٣-٢- الركود التضخمي (Stagflation): تعد ظاهرة الركود التضخمي من المشاكل المعقدة التي تواجه معظم الأقتصاديات المعاصرة، والنامية على حد سواء فهي تنتج آثار سلبية على مختلف الجوانب الإقتصادية والاجتماعية والسياسية كما تمثل نقطة خلاف بين مختلف المدارس الاقتصادية التي حاولت تحديد العوامل المفسرة لها وبالتالي فالركود التضخمي عن الوضع الذي يتزامن فيه وجود معدلات مرتفعة.

لقد أدى ظهور الركود التضخمي في الإقتصاد الغربي منذ السبعينات إلى إثارة الجدل والخلاف بين مختلف المدارس الإقتصادية التي استهدفت تفسير هذه الظاهرة، مثل النقديين و النيو كلاسيك و النيو كيتريين، وأصحاب مدرسة اقتصاديات جانب العرض والهيكلين، حيث أرجع النقديون والنيو كلاسيك سبب هذه الظاهرة إلى السياسات النقدية والمالية التوسعية التي اتبعتها حكومات الدول الغربية لتحفيز الطلب الكلي وفقاً للمبادئ الكيترية، وفي مقابل ذلك تمثلت وجهة نظر والنيو كيتريين في أن السياسات التي اتبعتها الدول في مكافحة التضخم الحادث في السبعينات قد اعتمدت منذ البداية على توصيف خاطئ للمشكلة وهو أن التضخم الحادث مصدره الطلب، كما اعتقد بذلك النقديون والنيو كلاسيك في حين أن هذا التضخم كان نتيجة ارتفاع تكاليف الإنتاج وهو الأمر الذي تبناه رواد مدرسة اقتصاديات العرض، كما كان أصحاب المدرسة الهيكلية يبحثون في عوامل أخرى يمكن أن تقود إلى حدوث الركود التضخمي، وتم الإعتماد عليها في تفسير الظاهرة مثل اختلال هيكل الإنتاج وقوة العمل وعدم اكتمال الأسواق بالإضافة إلى التطور التكنولوجي.

المطلب الرابع: السياسات النقدية والمالية وعلاج التضخم

يترتب على الإرتفاع المستمر في الأسعار آثار تفس مختلف أوجه النشاط الإقتصادي و بصور مختلفة، فيؤثر التضخم على كل من الدخل الوطني، الإستهلاك والإدخار والإستثمار، ميزان المدفوعات... الخ، كما تختلف الأساليب المتبعة في علاج ظاهرة التضخم.

١ - الآثار الإقتصادية للتضخم: تظهر آثار التضخم على أفراد المجتمع من خلال انعكاس ارتفاع الأسعار على مختلف جوانب النشاط الإقتصادي وذلك على النحو الآتي:

١-١ - أثر التضخم على إعادة توزيع الدخل والثروة: يتباين تأثير التضخم على مداخيل فئات المجتمع المختلفة، حيث يؤدي ارتفاع الأسعار إلى زيادة أرباح أصحاب الثروات والدخول المرتفعة، بنسبة أكبر من زيادة التكاليف (الأجور، الإيجار، سعر الفائدة)، أما الفئة التي يتلقى أصحابها مداخيل ثابتة أو شبه ثابتة كالعامل والموظفين والمتقاعدين فيؤثر التضخم سلباً على دخولهم الحقيقية حيث ترتفع الأسعار بمعدل أكبر من الزيادة الحاصلة في مداخيلهم النقدية.

٢ - ١ - أثر التضخم على الأشخاص الإقتصاديين: يعتبر الأشخاص المقرضون (الدائنون)، أول من يتضرر من التضخم كهم يحصلون على قروضهم متمثلة في قوة شرائية أقل من تلك التي أعطوها في البداية، أما المقرضون المدينون) فهم يستفيدون من التضخم لأنهم يسددون القروض بالقيمة الاسمية، والتي تكون أقل من قيمتها الحقيقية وقت إقراضها.

٣ - ١ - أثر التضخم على النمو الإقتصادي: اختلفت الآراء حول تأثير التضخم على النمو الإقتصادي، حيث يرى البعض أن التضخم يخلق حالة من عدم اليقين حول الأوضاع الإقتصادية المستقبلية، الأمر الذي يؤثر على قرارات الإستثمار ويؤخرها، وبالتالي فهو يؤثر على حافز الإدخار وكذا على إنتاجية العمال وحماهم نتيجة انخفاض دخولهم الحقيقية، بينما يرى فريق آخر أن التضخم قد يكون دافعا لعملية النمو الإقتصادي، حيث أن التوقع حول ارتفاع الأسعار الفترة معينة يعمل على زيادة الأرباح فتزيد

الإستثمارات و يزيد التشغيل و بالتالي تنخفض نسبة البطالة، وتظل صحة الرأيين مرتبطة بنوع وحدة التضخم الحاصل، حيث أن التضخم السريع و الشديد سيضر بالنمو الإقتصادي بينما يكون التضخم البطيء و المعتدل دافعا للنمو إذا ما أتبع بسياسات رشيدة.

٤ - ١ - أثر التضخم على ميزان المدفوعات و احتياطي العملات الأجنبية: لا يتوقف استمرار التضخم على حدوث تغيرات هيكلية على سوق العمل ومستويات الأجور، و في اتجاهات الأفراد نحو نوع معين من الوظائف أو المشاريع، بل يمتد أثر التضخم المرتفع في بلد ما إلى تقليل صادرات هذا البلد نحو دول أخرى لارتفاع أسعار السلع التي ينتجها بسبب إضعاف القدرة التنافسية للصادرات الوطنية و يجعلها أقل جاذبية في الأسواق الخارجية، و كنتيجة لذلك ترتفع المدفوعات من العملة الأجنبية لتغطية الواردات المتزايدة مما يتسبب في عجز في ميزان المدفوعات، كما يتسبب انخفاض سعر الفائدة الحقيقي إلى إحجام رؤوس الأموال الوطنية والأجنبية عن الإستثمار و البحث عن فرص أفضل في الخارج

٢ - سياسات علاج وضبط التضخم: تختلف السياسات المنتهجة في مكافحة التضخم من بلد إلى آخر تبعا لاختلاف مسبباته، و في هذا الصدد سوف نتطرق إلى سياسات مكافحة التضخم عبر النظريات الإقتصادية ثم نركز على أدوات السياسة النقدية و المالية لضبط التضخم.

٢ - ١ - السياسة النقدية وعلاج التضخم: تسعى السلطات النقدية من خلال استخدام أدوات السياسة النقدية إلى التحكم في عرض النقود وضبطه حتى لا يتجاوز معدل نمو الناتج الحقيقي خلال استخدامه لهذه الأدوات إلى التقليل من عرض النقود لغرض المضاربة، و بالتالي رفع تكاليف القروض الممنوحة من قبل الجهاز المصرفي وتعتمد السلطة النقدية من خلال الأدوات الكمية والنوعية والأدوات المساعدة الأخرى والمتمثلة أساسا في سياسة السوق المفتوحة وسعر الخصم ومعدل الاحتياطي القانوني، بالإضافة إلى سياسة أسعار الفائدة والإغراء الأدبي... الخ، و بواسطة هذه

الأدوات يهدف البنك المركزي تنظيم عرض الائتمان. بما يخدم السياسة الاقتصادية التي تتبعها الدولة في فترات التضخم.

٢-٢- السياسة المالية: بالإضافة إلى السياسة النقدية تؤدي السياسة المالية دورا مهما في ضبط معدلات التضخم وذلك عن طريق مجموعة الإجراءات التي تتخذها الدولة بهدف التأثير على النشاط الاقتصادي، حيث تعتبر سياسة الرقابة الضريبية ذات أثر فعال في ضبط حركات التضخم وذلك برفع معدلات الضريبة على المداخل مما يؤدي إلى انخفاض الإنفاق الاستهلاكي للأفراد وعليه يحدث انخفاض في الطلب الكلي الذي قد ينجم أيضا عن رفع معدلات الضريبة الخاصة بأرباح الشركات والرسوم الجمركية غير المباشرة على السلع المحلية والمستوردة، إذ تعتبر الضريبة أداة فعالة للتقليل من التضخم من جهة ومن جهة ثانية يمكن تحويل محصلتها إلى استثمارات منتجة. كما تسعى السلطات الحكومية من خلال الرقابة على الإنفاق الحكومي إلى الحد من الزيادة في الطلب الكلي، حيث تقوم الحكومة من خلال انتهاز هذه السياسة إلى ترشيد الإنفاق الاستهلاكي والاستثماري وذلك بما يتناسب والظروف التي يمر بها الاقتصاد (تضخم أو انكماش)، ففي حالة التضخم تقوم الحكومة بتقليص الإنفاق العام باستخدام الفائض في الموازنة العامة للتأثير على أوجه الإنفاق الأخرى، حيث تكون الرقابة على الإنفاق العام أكثر تأثير في التأثير على حجم الاستهلاك الكلي منه على حجم الاستثمار، بالإضافة إلى سياسة الرقابة الضريبية والرقابة على الإنفاق العام تساهم الرقابة على الدين العام في إدارة التحويلات المالية وتوجيه الإنفاق الإنتاجي بتجميد القوة الشرائية الزائدة في الأسواق واستخدامها في تمويل العجز في الميزانية العامة.

٣- التنسيق بين السياسات النقدية والمالية لاستهداف التضخم: إن الهدف النهائي لأي سياسة نقدية يتمثل في الحفاظ على استقرار الاقتصاد الكلي والإبقاء على الأسعار عند مستويات مستقرة ومنخفضة نسبيا إلى جانب تفادي الصدمات النقدية والحد من تأثير الصدمات الخارجية، فقد أدت الأزمات المتكررة التي لحقت بالعديد من الدول المتبينة

لنظام سعر الصرف الثابت إلى إضعاف الثقة في أطر السياسة النقدية المختارة من قبل هذه الدول، و في هذه الأثناء بدأت الأنظار تتجه نحو إطار السياسة النقدية المعروف باسم استهداف معدل التضخم «inflation targeting» كأحد أهم التطورات الحديثة في مجال عمل البنوك المركزية.

١ - ٣ - مفهوم سياسة استهداف التضخم: تعد سياسة استهداف التضخم من المفاهيم الحديثة نسبياً لتطوير أسلوب إدارة السياسة النقدية من قبل البنوك المركزية من خلال التركيز على معدل التضخم، وتمثل هذه السياسة في إعلان صريح من قبل السلطة النقدية في تحقيق المستوى محدد لمعدل التضخم خلال مدة زمنية محددة. - يعرف ايزر توتار Eser Tuta (٢٠٠٢) استهداف التضخم بأنه «نظام للسياسة النقدية يتميز بالإعلان العام عن الهدف الرسمي لمجالات أو هدف كمي (رقمي) لمعدل التضخم لفترة زمنية واحدة أو أكثر مع الاعتراف الظاهر بأن تخفيض و استقرار التضخم في المدى الطويل هو الهدف الأولي للسياسة النقدية *

وقد أشار Kenneth kuttner (٢٠٠٤) إلى وجود طريقتين للتفكير في تعريف استهداف التضخم، حيث تعتمد الطريقة الأولى على الخصائص الملاحظة لإطار سياسة الاستهداف، والتي تسمى بالتعريف العملي للسياسة الاستهداف «definition of inflation targeting A pratical»، وتتعلق الطريقة الثانية بمدي أمثلية هذه السياسة كقاعدة لإدارة السياسة النقدية بالتعريف العملي لسياسة الاستهداف والذي يعتبر بأن أسهل طريقة لتمييز سياسة استهداف التضخم هو الإعلان الذاتي الذي يقوم به البنك المركزي، ويتطلب اعتماد سياسة استهداف التضخم التنسيق بين الشروط الأولية والشروط العامة مع الأخذ بعين الاعتبار كل مراحل تطبيق هذه السياسة كأسلوب حديث لإدارة السياسة النقدية لتحقيق استقرار المستوى العام للأسعار في الأجل الطويلة، ويمكن إظهار مراحل تطبيق هذه السياسة والتنسيق من خلال التكامل بين الأطر المؤسسية والتنظيمية من خلال الجدول الآتي:

الإطار المؤسسي	
يتمتع باستقلالية كاملة وأهدافه الرئيسية بتأمين ثبات الأسعار أو أسعار صرف العملات وعادة ما يكون قيامه بتمويل العجز في الموازنات العامة محصوراً في كافة الأسواق الناشئة	إطار القانوني للبنك المركزي
تصميم سياسة استهداف التضخم	
يتم الإعلان من قبل الحكومة أو بشكل مشترك مع البنك المركزي إلا إذا كان استقرار الأسعار محدداً بوضوح كهدف أساسي للبنك المركزي.	إعلان استهداف التضخم
غير محدد في الدول ذات معدلات تضخم طويلة المدى، وسنوي في الدول التي تكون في حالة تراجع معدلات التضخم.	المدى الزمني لاستهداف التضخم
يتم استخدام مؤشر الأسعار المستهلك في غالبية الأسواق الناشئة، ومؤشر التضخم الأساسي في الدول الصناعية.	مؤشر الأسعار
يتم في غالبية الأسواق الناشئة اعتماد المقاربة القائمة على استهداف الهامش أو مدى معين بحد أعلى وأدنى للتضخم، في حين تم في حالات محدودة استهداف معدل محدد له.	مقاربة استهداف التضخم
بيانات حول التغيرات في السياسات، تقارير دورية حول توقعات مسار التضخم، حوار وتواصل مع القطاع الخاص ومنشورات حول نماذج استقرار معدلات التضخم.	الشفافية والمصدقية
لنواحي التنظيمية للبنوك المركزية	
اعتمدت عدة بنوك مركزية منظوراً أكثر اتساعاً وبنية تنظيمية لا مركزية بهدف تعزيز اتخاذ القرار على أسس من التقييم النوعي.	آلية صنع القرار
يوجد لجان رسمية في غالبية البنوك المركزية وعادة ما يتم الإقتصار في نشر القرارات على تلك البنوك المركزية التي تتخذ بالإجماع.	لجان السياسة النقدية تنظيم البنك المركزي

المصدر: ناجي التوني: استهداف التضخم والسياسة النقدية، بحلة جسر التنمية، المجلد ١٠١، العدد ٦٠٦، المعهد العربي للتخطيط، الكويت، ٢٠٠٣.

٣ - ٢ التنسيق في إطار الاتحادات النقدية واستهداف التضخم: لقد أصبح هناك اتفاقاً بين عديد من الاقتصاديين حول ضرورة تطبيق سياسة نقدية تستند إلى قواعد محددة بدلاً من حرية التصرف، حيث تتمثل الوسيلة الوحيدة لتحقيق المصدقية في إلغاء إمكانية تغيير السياسة من جانب الحكومة بواسطة الإلزام بالقواعد التي يعتقد أنها مقبولة من جانب صانعي السياسة، وإذا تم ذلك بالنسبة للسياسة النقدية فإن المشكلة تتحدد في كيفية وضع قواعد رشيدة، وفي هذا السياق يشير Benhabib and Eusepi (٢٠٠٥) إلى أن صياغة السياسة النقدية تتوقف بالأساس على أداء السياسة المالية، وأن قواعد السياسة النقدية لابد وأن تستجيب إلى فجوة الناتج مما يسهم في تحقيق التوليفة المثلى للعلاقة بين السياستين، ويرتكز هذا الاتفاق حول قواعد السياسة النقدية إلى النجاح في تطبيق قاعدة تايلور والتي صيغت في المعادلة التالية:

$$it = r + Pt + a(Pt - t*) + B(Yt - t*)$$

وقاعدة تايلور هي عبارة عن سعر الفائدة الاسمي قصير الأجل كدالة في انحرافات معدل التضخم عن المعدل المستهدف وانحراف الناتج المحلي الإجمالي عن الناتج المتاح، وبذلك يعتمد سعر الفائدة الاسمي قصير الأجل (it) على خمسة عوامل هي: (r) سعر الفائدة الحقيقي التوازني، (Pt) معدلات التضخم الحالية والمستهدفة، (Pt) معامل التعديل الفجوة التضخم (a) والذي يوضح مقدار التحرك في سعر الفائدة الاسمي عندما يبتعد معدل التضخم الفعلي عن المعدل المستهدف، الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي الجاري والممكن تحقيقه (Yt, Yt) بالإضافة إلى معامل التعديل في فجوة الناتج (B)، والذي يوضح مقدار التحرك في سعر الفائدة الاسمي عند ابتعاد الناتج المحلي الإجمالي الجاري عن المستوى الممكن تحقيقه، وبالتالي يرتفع سعر الفائدة الحقيقي مع ارتفاع معدل التضخم عن معدله المستهدف وينخفض مع انخفاضه، وفي ذات الوقت يرتفع سعر الفائدة الاسمي عندما يتجاوز الناتج المحلي الإجمالي مستواه المتاح وينخفض بانخفاضه.

وتفيد هذه المعادلة في تناول مفهومي الإستهداف التام للتضخم «Inflation Targeting Strict» والإستهداف المرن «Flexible Inflation Targeting».

ففي ظل الإستهداف التام للتضخم يكون الهدف الوحيد للبنك المركزي هو تحقيق المعدل المستهدف للتضخم، وهو ما يعني أن تكون $B=0$ و $B=0$ هو في الواقع العملي لا يوجد بنك مركزي يستهدف معدلات التضخم استهدافا تاما ففتجه معظم البنوك المركزية إلى الإستهداف المرن المعدلات التضخم، حيث يكون تحقيق الإستقرار في الأسعار هو الهدف الرئيسي طويل الأجل للسياسة النقدية، وتحاول أيضا تحقيق الإستقرار في بعض المتغيرات الحقيقية الأخرى عادة ما تتمثل في الناتج وسعر الصرف الحقيقي، وهذا ما تقدمه قاعدة تيلور فبالإضافة إلى دورها في إطار استهداف التضخم فإنها تعطي أهمية للتقلبات في الناتج.

وقد تعددت الدراسات التي تناولت شكل العلاقة بين السياستين المالية والنقدية في ظل استهداف التضخم ومدى تحقق الانضباط المالي اللازم لنجاح ذلك الاستهداف، الأمر الذي أسهم في طرح قضية التنسيق بين السياستين بقوة على الحياة الإقتصادية، خاصة في ظل نجاح عدد من الدول المستهدفة للتضخم في مجال التنسيق بين السياستين المالية والنقدية، والمتتبع للتطورات الأخيرة في الدراسات الإقتصادية في هذا المجال سيلاحظ تزايدها في ظل الإتحاد النقدي الأوروبي، وهذا ما أدى إلى تزايد الإهتمام بضرورة توافر إطار تحليلي لتقويم العلاقة بين السياستين المالية والنقدية تحت مظلة ذلك الإتحاد وأي اتحاد نقدي قد يتم تكوينه مستقبلا، حيث أبرز عديدا من التحديات التي يواجهها صانعو القرار الإقتصادي في الوقت الراهن، والتي يتمش أهمها في تزايد الجدل حول جدوى ميثاق الإستقرار والنمو «Stability and Growth Pact» كأحد الترتيبات المؤسسية اللازمة لتحقيق التنسيق بين السلطات المالية للدول الأعضاء بالإتحاد النقدي من جهة، والبنك المركزي الأوروبي من جهة أخرى.

المبحث الثاني: السياسات النقدية والمالية وطرق تمويل العجز الموازي.

للموازنة العامة في الدولة أدوار مهمة في مختلف المحلات الإقتصادية والإجتماعية والسياسية وحتى الأمنية في المجتمع، ونظرا لتعاظم الأهمية التي أصبحت تحتلها الموازنة العامة للدولة خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، وفي ضوء تنامي تدخل الحكومات في النشاط الإقتصادي فقد اتجه العجز في الموازنة العامة للدولة إلى التزايد بشكل كبير في مختلف

اقتصاديات العالم، ومع نمو هذا العجز تزايد القلق بشأنه وبخاصة عند تجاوز هذا العجز الحدود المعقولة ووصوله إلى مستويات تمدد الإستقرار المالي والنقدي للدولة.

المطلب الأول: ماهية العجز الموازي وحدوده المثلى

لم يعد عجز الموازنة العامة أمراً طارئاً يحدث بين الحين والآخر تبعاً لحالات الزواج أو الكساد الاقتصادي، إذ غدا ظاهرة هيكلية لصيقة باقتصاديات الدول المتقدمة والنامية على حد سواء، وغالباً ما يكون عجز الموازنة وخاصة عندما ترتفع نسبته إلى الدخل الوطني، حيث تعد سبباً جوهرياً لأوجه الاختلالات الاقتصادية الكلية داخليا وخارجيا.

١ - مفهوم العجز الموازي: تعتبر الموازنة العامة للدولة مرآة للإقتصاد الوطني، ومن ثم كان لا بد من الإهتمام بضرورة توازنها أو تخفيض العجز فيها إلى أدنى مستوى أو العمل على وجود فائض في الموارد العامة للدولة، ونظراً لطبيعة الإنفاق الحكومي الإستمرارية فإن الإيرادات الحكومية في الدولة عرضة إلى التذبذب حسب التغيرات الإقتصادية و دوافع التنمية الأمر الذي يؤدي إلى حدوث عجز في موازنات هذه الدول، ويعني العجز في الميزانية أن يفوق الإنفاق الحكومي إيرادات الدولة، وبالتالي يحدث العجز في الموازنة العامة عندما يتجاوز الإنفاق الحكومي على السلع والخدمات الإيرادات الحكومية.

- ويعرف عجز الموازنة العامة بأنه تجاوز النفقات الحكومية عن حجم الإيرادات في فترة زمنية محددة، عادة تكون سنة، أو هو تخلف الإيرادات الحكومية عن نفقاتها خلال السنة المالية ووفقاً لنظرية العجز المنظم فإنه من الملائم السماح في فترة الركود الاقتصادي ببعض عدم التوازن في الموازنة العامة الذي يزيد النفقات العامة، وبالتالي النفقة القومية الإجمالية التي تساعد على تحقيق أنشطة جديدة تضمن التشغيل الكامل لعناصر الإنتاج و بصفة خاصة الأيدي العاملة.

٢ - الحدود المثلى للعجز الموازي: في واقع الأمر ظلت هذه القضية محل اهتمام علماء الإقتصاد والمالية، وتعددت حولها الإجتهاادات ووجهات النظر، فيما أن عجز الموازنة العامة من بين أسبابه تزايد النفقات العامة فلقد هدفت عدة محاولات لوضع حد أقصى للنفقات

العامّة، و في نطاق هذه المحاولات أوضح «دالتون» وهو بصدد تحديد حجم النفقات العامّة أن الزيادة في الإنفاق العام يمكن أن تستمر إلى المستوى الذي تكون عنده المكاسب التي تعود على المجتمع من كل زيادة في الإنفاق العام مساوية للعبء المقابل لأي زيادة في الضرائب و أية إيرادات أخرى مهما كان مصدرها، فمنهم من يرى نسبة ٢٥ ٪ من الدخل القومي في الدول الصناعية تمثل الحد الحرج للضرائب، ويؤدي تجاوز هذه النسبة إن عاجلاً أو آجلاً وفي حدود ثلاث سنوات إلى تخفيض قيمة العملة وتجاوز التضخم الحدود التي يمكن تحملها، وهناك من يرى أنه توجد نسبة ما معقولة من عجز الموازنة العامّة للدولة يجب أن تكتشفها السياسة الإقتصادية ويمكن أن نطلق عليها « النسبة الذهبية »، وهي نسبة يجب تحقيقها في ضوء حالة كل اقتصاد و في ضوء طبيعة المشكلات التي يمر بها و في ضوء طبيعة مرحلة النمو، بمعنى أنه لا توجد نسبة مثلي عامة تصلح لجميع الدول فعجز نسبته ٥ ٪ أو ٦ ٪ في بلد ما قد يكون جيداً لهذا البلد ولكنه قد يكون أقل أو أكثر من اللازم في بلد آخر، إذا فالمسألة تتوقف على ظروف كل بلد بعينه وفي ظل معاهدة ماستريخت (Maastricht) الخاصة بالاتحاد الأوروبي والتي تم إقرارها في فيفري (١٩٩٦) تم وضع ثلاث مبادئ تتعلق بالاتحاد النقدي، وأول هذه المبادئ تتعلق بالإقتصاد الكلي تلزم بها كل دولة ترغب في العضوية بتطبيقها وأهمها:

- أن تكون نسبة عجز الموازنة العامّة أقل من ٣ ٪ من حجم الناتج المحلي الإجمالي
- أن يكون الدين العمومي أقل من ٢٠ ٪ من حجم الناتج المحلي الخام
- نسبة التضخم لا تتعدى ٥ , ١ ٪ أعلى من متوسط نسبة التضخم السائدة في أقل ثلاث دول من حيث نسبة التضخم
- سعر الفائدة طويل الأجل لا يزيد عن ٢ ٪ أعلى من سعر الفائدة في الدول الثلاثة ذات نسبة التضخم الأقل.

و بالتالي يمكن القول بأن الحدود الآمنة للعجز الموازي هي أن لا يتعدى هذا الأخير نسبة ٣ ٪ من الناتج المحلي الإجمالي الأمر الذي يجنب الوقوع في العديد من المشاكل والأزمات الاقتصادية.

٣- أنواع العجز الموازني: يفرق الاقتصاديون عند دراسة عجز الموازنة بين عدة مقاييس لعجز الموازنة العامة لتشمل كلا من العجز التقليدي الذي ينصرف مفهومه إلى الفرق بين مجموع النفقات والإيرادات الحكومية باستثناء التغيرات في المديونية، و العجز الشامل وهو يتضمن بالإضافة إلى الجهاز الحكومي جميع الكيانات الحكومية الأخرى، وهناك أيضا العجز الجاري و هو يعبر الفرق بين الإيرادات الحكومية والنفقات الحكومية الجارية، والميزة الوحيدة لهذا النوع هي أنه يظهر مدى مساهمة الحكومة في الادخار الكلي للاقتصاد، أما العجز التشغيل فيمثل العجز التقليدي منقوصا منه الجزء من خدمة الدين الذي يعرض حاملي سندات الدين الحكومي عن تأكل القيمة الحقيقية لهذا الدين، والعجز الهيكلي وهو يشتمل على كل من العجز الشامل والظرفي...

المطلب الثاني: سياسات سعر الصرف وأثرها على عجز الموازنة العامة

تحدث تقلبات أسعار الصرف أثرها في كافة دول العالم، حيث تؤثر تخفيض قيمة العملة الوطنية على جانبي النفقات العامة والإيرادات العامة، و بالتالي موازنات هذه الدول ويتعدى أثرها إلى العجز فيما تمارسه من تأثير على محمل المتغيرات الاقتصادية والمالية.

يؤدي تخفيض سعر الصرف إلى التأثير سلبا على جانب النفقات العامة من خلال ما يترتب عليه تزايد القيمة الحقيقية لأعباء الديون الخارجية، ومن ثم ارتفاع قيمة بند التحويلات الرسمية في الموازنة إلى جانب ما ينتج عن تخفيض سعر الصرف من تضخم تكاليف الإنتاج في العديد من الوحدات الإنتاجية التي تستخدم مستلزمات إنتاج مستوردة، ويتوقف هذا الأثر على نسبة المكون الأجنبي إلى جملة النفقات الإستثمارية، ومن ناحية أخرى تمارس سياسة تخفيض سعر الصرف تأثيرا إيجابيا على جانب الإيرادات العامة للموازنة من خلال ما يترتب عليها من ارتفاع قيمة فائض المشروعات العامة التي تمارس نشاطها في مجال إنتاج السلع القابلة للتصدير، وكذلك زيادة حصيلة الضرائب المباشرة وغير المباشرة التي تفرض على أرباح قطاع المصدرين (العام والخاص)، و بالتالي يتوقف الأثر الصافي لسياسة تخفيض سعر الصرف في تطور عجز الموازنة العامة في الدول النامية، على مدى تفوق الأثر الموجب لهذه السياسة في جانب الإيرادات العامة على أثرها السلبي في جانب النفقات العامة، الأمر الذي يعتمد بدوره على اختلاف الظروف الاقتصادية الهيكلية فيما بين الدول النامية.

المطلب الثالث: محددات وأسباب العجز الموازي للدولة

لقد بررت أدوات التحليل الكيترية ضرورة تدخل الدولة واستخدام الموازنة العامة كوسيلة أساسية لهذا التدخل على أساس أن الطلب الكلي الفعال يتدهور من فترة إلى أخرى بسبب تدهور الميل للإستثمار مسببا في ذلك الأزمات الإقتصادية، وأن الدولة من خلال إنفاقها العام هي الكفيلة بمواجهة هذا التدهور لضمان التوظيف الكامل وتجنب مشكلات البطالة وعدم الإستقرار النقدي والمالي، وقد استطاعت مختلف الدول في ذلك الوقت تحمل العجز الذي ظهر في الموازنة ولم يشكل خطرا كبيرا لأن معدلات نمو الناتج والدخل والتشغيل كانت تفوق معدلات نمو هذا العجز، كما أن هذا الأخير كان في حدود أمنة ومعقولة ولم تسبب طرق تمويله سواء من الإقتراض الداخلي أو الخارجي مشكلات أو اضطرابات مالية ونقدية صعبة، وفي مطلع سبعينات القرن الماضي ظهرت مجموعة من العوامل التي أعاق عمل الآليات التي كان يسير عليها الإقتصاد الرأسمالي» مما ساهم في تفاقم العجز في الموازنة العامة للكثير من دول العالم المتقدمة والنامية. ١ - محددات العجز الموازي: إن اتجاه العجز في الموازنات العامة للبلاد النامية نحو التفاقم هو أمر يعكس اختلالا هيكليا قد كان مترامنا مع ظهور أزمة التنمية في هذه البلاد من ناحية، ومقترنا بالصدمات الخارجية الكثيرة التي تلقتها هذه البلاد نتيجة للوضع الضعيف وغير المتكافئ الذي احتلته في الإقتصاد العالمي من ناحية أخرى، وهذا ما يفسر لنا علاقة التبعية التي تربط الدول النامية بالدول الصناعية المتقدمة وهو ما جعلها في واجهة تلقي الصدمات الخارجية مثل صدمات تقلبات أسعار الصرف و اخبار نظام النقد الدولي، وهبوط الطلب العالمي على المواد الخام التي تصدرها هذه البلاد، وصدمة ارتفاع أسعار الواردات (التضخم المستورد) و ارتفاع أسعار الفائدة في أسواق النقد الدولية، و تدهور شروط التبادل التجارية، ومن العرض السابق يمكن القول أن الدول النامية تشترك فيما بينها في مجموعة عامة من محددات العجز المالي يمكن تقسيمها إلى مجموعتين كما يلي:

١ - ١ - مجموعة العوامل أو الصدمات الخارجية: وتشمل كلا من التقلبات في الأسعار العالمية للصادرات والواردات، ارتفاع معدلات الفائدة العالمية.

٢ - ١ - مجموعة العوامل أو المتغيرات الاقتصادية الكلية الداخلية: وتشمل معدلات التضخم السائدة، أسعار الصرف، أسعار الفائدة المحلية ومعدلات نمو الناتج الحقيقي.

٢ - أسباب العجز الموازي: إن تخلف الإيرادات العامة عن متابعة الزيادات المتنامية في النفقات العامة والذي تسبب في حدوث فجوة مالية أخذت تتنامى ويتسع حجمها مع مرور الوقت، وعلى نحو يشكل هذا الإختلال معضلة اقتصادية تواجه اقتصاديات مختلف دول العالم وتؤثر على الجهود الإنمائية للدول النامية بشكل خاص، ويمتد هذا الأثر إلى الإخلال بالتوازن الإقتصادي الداخلي والخارجي، وهو ما يدعو لضرورة دراسة العوامل التي تتسبب في حدوث عجز الموازنة العامة، أهي عوامل في جانب الإنفاق، أم هي عوامل في جانب تباطؤ الإيرادات، و بالتالي يمكن إرجاع أسباب تنامي ظاهرة العجز الموازي إلى عاملين رئيسيين هما:

١ - ٢ - عوامل تتعلق بنمو النفقات العامة: يعتبر الإنفاق العام أداة هامة من الأدوات المالية الرئيسية التي تستخدمها الحكومة من أجل إشباع الحاجات العامة وتحقيق أهداف المجتمع، وقد تغيرت النظرة نحو الإنفاق العام نتيجة تغير الفكر الإقتصادي نحو أهمية دور الدولة في الحياة الإقتصادية، وبالرغم من معارضة البعض لزيادة حجم الإنفاق العام، إلا أن الإنفاق شهد زيادة مستمرة في معظم دول العالم حتى أصبحت هذه الزيادة ظاهرة تعرف باسم ظاهرة نمو الإنفاق العام.

٢ - ٢ - العوامل المتعلقة بتراجع الإيرادات العامة: أما فيما يتعلق بالإيرادات العامة التي لم تواكب النمو الحاصل في النفقات العامة خاصة في البلاد النامية التي تعاني من عدة مشكلات في نظامها المالي والضريبي، وتتمثل العوامل التي كانت وراء تراجع الإيرادات العامة والمرتبطة بشكل كبير بالدول النامية على غرار ضعف الجهد الضريبي أو ما يسمى بضعف الطاقة الضريبية وهو يقاس من الناحية الفعلية بنسبة حصيلة الضرائب على اختلاف أنواعها إلى الناتج المحلي الإجمالي، حيث تتراوح هذه النسبة في البلاد النامية ما بين ١٥-٢٠٪، في حين أن تلك النسبة تصل في البلدان الصناعية المتقدمة ما لا يقل عن ٣٠٪، بالإضافة إلى جمود النظام الضريبي وعدم تطويره والتهرب الضريبي الذي يؤدي إلى الإضرار بالخزينة العمومية للدولة... الخ.

المطلب الرابع: طرق السياسات النقدية والمالية لتمويل العجز الموازي وآثار كل منها!

تكون الدولة في مواجهة العجز الموازني أمام مجموعة من الخيارات الممكنة لتمويله، والتي يمكن تحديدها من خلال زيادة نسبة الضرائب، اللجوء إلى الإقراض العمومي أو عن طريق الإصدار النقدي أو المدخرات السابقة، وقد تساءل ريكاردو في بداية القرن التاسع عشر عن أفضل الوسائل لتمويل النفقات العامة وقد حلل المزايا المقارنة للتمويل عن طريق القروض أو التمويل عن طريق الضريبة، وقد كان هذا التحليل مصدرا لعدة مناقشات تحسدت في التعارض بين المقاربة النيو كيترية و المقاربة النيو كلاسيكية ليتطور النقاش بعدها ليصل إلى التطورات الحالية في هذا المجال.

١ - الدين العمومي وتمويل العجز الموازي: يمكن للدولة أن تمول عجز موازنتها العامة من مصادر إقراض حقيقية لا تؤدي إلى التوسع في الائتمان و بالتالي لا يكون لها أثر على ارتفاع الأسعار، فتمويل عجز الموازنة من خلال بيع السندات الحكومية للبنوك التجارية لن يؤثر سلبا على الطلب الكلي والأسعار فيما لو كانت البنوك التجارية تمتلك فوائض أو احتياطات زائدة، أما إذا لم تكن تملك هذه الفوائض فإن تمويل العجز في هذه الحالة يؤدي إلى سحب أو التأثير على الائتمان الموجه إلى القطاع الخاص، مما يعني أن التوسع في الائتمان الحكومي يكون على حساب الائتمان المتاح للقطاع الخاص، و بالتالي يعوق بصورة غير مباشرة نحو الاستثمار الخاص لاسيما في ضوء ضيق وعدم نمو الأسواق المالية في الدول النامية، كما يأخذ تمويل عجز الموازنة شكل الإقراض من القطاع غير المصرفي كالإقراض من الصناديق والتأمينات الإجتماعية وشركات التأمين التجاري و عمليات السوق المفتوحة وفوائض شركات القطاع العام، فإذا كان الإقراض من موارد معطلة فإنه لن يكون له تأثير انكماشى على طلب القطاع الخاص الإستهلاكي والإستثماري، غير أنه يؤدي إلى زيادة الطلب والإنفاق الكليين بدرجة تفوق العرض الكلي، و بالتالي تساهم في ارتفاع الأسعار.

غير أن تمويل العجز الموازي عن طريق الدين العمومي يطرح مجموعة من القضايا الجدلية، فهناك من يطرح فكرة الجيل الذي يتحمل العبء الحقيقي للقروض والآثار

السلبية للمديونية باعتبارها عبئا حقيقيا على الإقتصاد ككل، وعليه فالجيل المستقبلي يقوم بدفع أعباء سابقة لم يستفد منها، غير أن الكيترين يرفضون هذا الطرح فالعبء حسبهم يحدد على أن مقدار النقص في الإستهلاك الناتج عن الدين العمومي، وبالتالي فإن الجيل الذي يقترض هو الذي يتحمل كليا الإنخفاض في الإستهلاك، غير أن هذه الأطروحات قوبلت بالرفض منذ بداية الستينات (١٦٦٢) لأن الطرح الأول مبني على مقارنة ذاتية ونفسية والطرح الثاني يعتمد على مقارنة موضوعية، وعليه يمكن القول بأن قرار الإكتتاب لا شك إنه يؤدي إلى تخفيض الإستهلاك لكنه يسمح في نفس الوقت بالحصول على أوراق مالية عمومية وفي هذه الحالة هناك ترحيل «Report» وليس تحمل عبء حقيقي لأنه بيع هذه الأوراق يمكن استعادة المستوى الأصلي للإستهلاك، وي طرح بارو Barro في مقاله المنشور سنة (١٩٧٤) الأمر للنقاش استنادا إلى مبدأ التكافؤ الريكاردى^١، حيث يرى بارو أن الدين العمومي محايد وهو ليس ثروة صافية ولا يؤدي إلى آثار توزيعية عبر الزمن، ولهذا لا يمكن أن تكون له آثار تفاضلية على ثروة القطاع الخاص و بالتالي ليس هناك أثر الإزاحة المالية الممارس من قبل القطاع العام، غير أن بارو استند في طرحه هذا إلى العديد من الإفتراضات وهي أن الدين العمومي المعني هو الدين العمومي الداخلي، عدم القدرة على تنقيد الدين العمومي، وجود سوق مالي كامل يسمح برسملة الضرائب. معدل فائدة مختلف عن سعر السوق... الخ.

٢- الإصدار النقدي وتمويل العجز الموازي: لم تغفل النظرية الإقتصادية الشروط اللازمة لنجاح سياسة الإصدار النقدي الجديد في معالجة العجز الموازي، و لم يقف الأمر عند الإطار النظري بل هناك عدة دراسات تطبيقية أثبتت ايجابية وفعالية زيادة المعروض

١ طرح ريكاردو منذ (١٨١٧) مشكلة الآثار المقارنة لتمويل العجز الموازي عن طريق الدين العمومي أو عن طريق الضرائب حيث تساءل عن أفضل وسيلة لتمكين الدولة من الحصول على ٢٠ مليون جنيه إضافي سنويا لتمويل الحرب لمدة ٢٠ سنة حيث اقترح ثلاثة حلول متكافئة، الأول يتعلق برفع معدل الضريبة بنسبة ٢٠ مليون جنيه سنويا إلى غاية انتهاء الحرب، والحل الثاني إصدار قرض دائم (غير قابل للتسديد). مبلغ ٢٠ مليون جنيه بمعدل فائدة ٥٪ وهو ما يطرح مشكلة أعباء الفوائد، أما الحل الثالث هو إصدار قرض قابل للتسديد بقيمة ٢٠ مليون جنيه وبمعدل فائدة ٥٪ مع إقامة صندوق للإهلاك من أجل إطفاء قيمة هذا الدين، وكان أفضل اختيار بالنسبة لريكاردو هو الخيار الأول لأن أعباء الدين سوف تختفي مع الحرب نفسها ولن يكون هناك أعباء تسير المديونية.

النقدي في تطوير وزيادة نمو الناتج الوطني الإجمالي، أي أن الاعتقاد الشائع بأن هذا الأسلوب ينطوي دائماً على مخاطر ليس دقيقاً ذلك أن هناك آلية معينة ينبغي استحضارها عند التعامل مع هذا الأسلوب، ويعتبر كيتز أول من تعامل مع هذه الآلية عندما قدم نظرية العجز المنظم، حيث أن شروط نجاح هذه السياسة ينطلق في نظريته من أن ضخ معروض نقدي داخل الإقتصاد سوف يترتب عليه تحفيز الطلب الفعال مع افتراض وجود ميل حدي للإستهلاك مرتفع ووجود موارد غير مستغلة وطاقات إنتاجية مرنة، وينطلق كيتز من هذه الفروض ليضع آلية لمعالجة العجز عن طريق خلق العجز المؤقت، فهو يرى أن زيادة المعروض النقدي سوف تحفز الطلب المحلي وبفعل مضاعف الإنفاق الحكومي سوف تزداد كمية الإنتاج والمعرض السلعي، وهذا من شأنه أن يخلق حالة من التوازن بين المعروض النقدي والمعرض السلعي وبذلك يتم تجنب ظاهرة التضخم، وبخصوص العجز المؤقت الناتج عن التمويل بالإصدار النقدي سوف يتم تجاوزه في ظل مرحلة الإنتاج وخلق الدخول التي ترفع من الحصيلة الضريبية للدولة بشكل يحقق التوازن في الموازنة العامة للدولة.

٣- الضريبة وتمويل العجز الموازي: تعتبر الضرائب من أهم وسائل تمويل العجز الموازي ذلك أن زيادة الإنفاق العام تقتضي الزيادة في معدلات الضرائب وتوسيع الأوعية الضريبية لضمان حصيلة تناسب مقدار العجز، ويمكن لهذه الزيادة أن يكون وعائها الأرباح الصافية لمؤسسات القطاع الخاص أو الأجور والمرتبات، وإذا تم تمويل هذا العجز عن طريق الزيادة في أرباح شركات القطاع الخاص، فيمكن لهذه الأخيرة أن تتحمل الزيادة في أسعار السلع الاستهلاكية حتى تحافظ على مستويات الربح السابقة، وبالتالي تحمل العمال الأعباء الضريبة من خلال ارتفاع تكاليف الحصول على السلع والخدمات، وهذا ما يدفع بهم إلى المطالبة برفع الأجور بقدر كافي الزيادة في الأسعار الأمر الذي يعمل على تقليص هوامش ربح المؤسسات الخاصة، والنتيجة أن زيادة الضرائب تعمل على الحد من القدرة التمويلية لاستثمارات مؤسسات القطاع الخاص، وهذا ما يدفعها إلى إصدار أوراق مالية وطرحها للاكتتاب مع ما تحمله هذه الصيغة من مخاطرة

وما يمكن استخلاصه أنه في الوقت الراهن بأن الجدل حول الحلول المقدمة لعلاج العجز الموازي خاصة فيما يتعلق بالبلدان النامية تمخض عن وجود رؤى مختلفة منها رؤيتين أساسيتين متعارضتين تتمثل الأولى بالمؤسسات الدولية وعلى رأسها صندوق النقد والبنك الدوليين ويدعمهما الإقتصاديون المنتمون إلى المدرسة النقدية وتهدف إلى علاج العجز الموازي من خلال تخفيض الضرائب على الدخل المرتفعة ورؤوس الأموال و الرقابة الصارمة على الإنفاق العام الجاري خاصة الموجه إلى الخدمات الاجتماعية عن طريق التنسيق بين السياسة النقدية المالية، وهي الرؤية الهادفة إلى إضعاف قوة الدولة ودورها في التنمية والنشاط الاقتصادي، وتقدم الرؤية الثانية بديلاً مخالف للرؤية الأولى، حيث ترى حلولها المطروحة لعلاج العجز الموازي بإعطاء الدولة دوراً هاماً من خلال إعادة ترتيب أولويات الإنفاق العام و ترشيده والتحكم في الدين العام الداخلي والخارجي لأجل تحقيق التنمية مع مراعاة العدالة الاجتماعية في توزيع الأعباء تبقى الضرائب مورداً سيادياً بإمكان الدولة اللجوء إليه دون الكثير من القيود باستثناء ردود الأفعال الناتجة عن الضغط الضريبي المرتفع والتي يمكن أن تأخذ صور المقاومة الضريبية المتمثلة في الإضراب ضد الضريبة والغش الضريبي وظهور الاقتصاد الموازي... الخ.

المبحث الثالث:

السياسات النقدية والمالية والتخفيف من الأزمات المالية والمصرفية

لقد شهد العالم في القرن العشرين العديد من الأزمات الإقتصادية و المالية، أهمها أزمة الكساد الكبير في الثلاثينات من القرن العشرين، و أزمة انهيار نظام برتين وودز وأزمة المكسيك والأرجنتين، والأزمة الآسيوية أو أزمة النمور كما تسمى في عام (١٩٩٧) التي مست العديد من الدول الآسيوية، حيث ظهرت تحديات جديدة أمام صانعي السياسات الإقتصادية والمالية والنقدية نتيجة اندماج الأسواق المالية في مختلف أنحاء العالم، فمع اتساع الثورة المعلوماتية تزايدت سرعة تحويل الأموال وانتقالها عبر مختلف دول العالم، وتعتبر الأزمة المالية العالمية الأخيرة التي انطلقت شراراتها في سنة (٢٠٠٧) من أكبر الأزمات

التي شهدتها العالم الرأسمالي المعاصر نظرا للاختلالات المالية الداخلية والخارجية التي أحدثتها، والتي امتدت انعكاساتها السلبية لتشمل معظم الأسواق المالية لدول العالم المتقدم و النامي، هذه الأزمة التي سوف نركز عليها دراستنا من خلال هذا المبحث.

المطلب الأول: ماهية الأزمات المالية

نظرا لتعدد وكثرة الأزمات المالية في السنوات الأخيرة من القرن الماضي، أصبح موضوع الأزمات المالية يثير جدل العديد من المفكرين سواء من حيث ربطها بالدورة الاقتصادية أو من حيث تعريفها أو حتى من حيث أسباب نشوبها.

١ - مفهوم الأزمات المالية: يعتبر مصطلح الأزمة المالية من أكثر المصطلحات تداولاً في الأدبيات الاقتصادية نظراً لخطورة هذه الأزمات على الأوضاع الاقتصادية لمختلف الدول، ولا يوجد اتفاق موحد حول مفهوم الأزمات المالية ولذا فهناك العديد من التعاريف فيما يخص الأزمات المالية. - تعرف الأزمة المالية على «أنها اختيار مفاجئ في سوق الأسهم أو في عملة بلد ما أو في سوق العقارات أو مجموعة من المؤسسات المالية لتمتد بعد ذلك إلى باقي الاقتصاد، ويحدث مثل هذا الإنميار المفاجئ في أسعار الأصول نتيجة انفجار فقاعة سعرية مثلاً، و الفقاعة المالية أو السعرية أو فقاعة المضاربة كما تسمى أحيانا هي بيع و شراء كميات ضخمة من نوع أو أكثر من الأصول المالية أو المادية كالأسهم أو العقارات بأسعار تفوق أسعارها الطبيعية أو الحقيقية».

فالأزمة المالية هي أزمة تمس أسواق المال و أسواق الائتمان في بلاد معينة وقد تنتشر لتتحول إلى أزمة إقليمية أو أزمة عالمية، وإذا كانت الأزمة المالية لا تتعلق في بداية الأمر إلا بالأسواق المالية فإن تفاقمها يؤدي إلى آثار ضارة بالإقتصاد الحقيقي، وبالتالي انخفاض الإستثمار مما يجبر إلى أزمة اقتصادية بل حتى إلى ركود اقتصادي.

- كما يعرف «Michel Aglietta» الأزمات المالية «بذلك الاضطراب الذي يمكن أن ينتشر إلى كل متغيرات النظام المالي نتيجة لمخطر النظام»، ويعني هذا الأخير بالنسبة له إمكانية وقوع حدث نظامي عنيف يكفي لإحداث أزمة مالية، ويقصد بالحدث النظامي حدوث

أزمة مالية بسبب العدوى الناتجة عن أثر الدومينو الذي يعني تلك الصدمة السلبية أو المعلومة السيئة التي تخص مؤسسة مالية أو أكثر، والتي يكون انتشارها متسلسل إلى باقي المؤسسات أو الأسواق المالية الأخرى أو بسبب الصدمة الحاصلة على مستوى الاقتصاد الكلي، والتي تؤثر في نفس الوقت على الأوضاع المالية لعدد كبير من المؤسسات والأسواق المالية، وتؤدي إلى ردة فعل سلبية ومشتركة حسب Michel Aglietta يمكن أن تنفق مع النقديين لاعتقادهم أن آلية انتشار الأزمة ترجع إلى انخفاض السيولة، غير أنه لا يمكننا أن نتفق معهم تماماً لتأكيدهم حول تعميم السيولة، إلا إذا كان هناك اضطراب على مستوى الجهاز المصرفي أو ما يسمى بالذعر المصرفي، فيمكن أن تحدث أزمة سيولة في أي سوق (مثل الأسواق المالية) أين تكون نتائجها جد خطيرة، وهذا ما أثبتته أخبار البورصة في أكتوبر (١٩٨٧)، والذي يرجع سبب الأزمة إلى أزمة في السوق والتي كان لها إمكانية تأثير على باقي متغيرات النظام المالي.

٢- الفرق بين التقلبات الدورية والأزمات المالية: يشير التاريخ الإقتصادي إلى أن تطور النظام الاقتصادي الرأسمالي ونموه لم يتحقق على شكل خط مستقيم بل في شكل حركة شبيهة بالتموجات، وهذه الحركة تعد السمة الأساسية لذلك النظام بأخذها الصفة الدورية، حيث تتعاقب خلال مدد شبه منتظمة تطول أو تقصر بحسب نوع الدورة، وتعرف هذه الأخيرة بأكما التقلب الدوري في النشاط الإقتصادي، و بالتالي فإن هذا الأخير يتعاقب فيها بين الركود والانتعاش في حين أن الأزمة تدل على اضطراب مفاجئ في النشاط الإقتصادي في بلد ما أو في عدة بلدان ويصعب التنبؤ بها وتنشأ الأزمات في النظام الرأسمالي إما بسبب خلل بنيوي حسب رأي النيو كلاسيك أو بسبب ظهور الابتكارات، وإذا أسقط تعريف الأزمة على الجانب المالي فإن الأزمة المالية تصبح عبارة عن اضطراب حاد ومفاجئ في المؤسسات المالية قد تقع في الجهاز المصرفي أو في أسعار الصرف أو في الأسواق المالية.

٣- أنواع الأزمات المالية وقنوات انتشارها: تعدد أنواع الأزمات الاقتصادية والمالية وتختلف، إلا أنه يمكن تصنيفها على النحو الآتي:

١ - ٣ - الأزمات المصرفية: تحدث الأزمة المصرفية عندما يؤدي اندفاع فعلي أو محتمل على سحب الودائع من أحد البنوك، أو إخفاق البنوك، بإيقاف قابلية التزاماتها الداخلية للتحويل، أو إلى إرغام الحكومة على التدخل لمنع ذلك، بتقديم دعم مالي واسع النطاق للبنوك لمنع حدوث آثار سلبية واسعة النطاق في الدولة. و تحمّل الأزمات المصرفية إلى الإستمرار وقتاً أطول من أزمات العملة ولها آثار أشد على النشاط الإقتصادي، وقد كانت هذه الأزمات نادرة في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي بسبب القيود على رأس المال و التحويل، ولكنها أصبحت أكثر شيوعاً منذ السبعينيات وتحدث بالتبادل مع أزمات العملة، كما أن الأزمة المصرفية من الصعب التعرف عليها في الواقع، نظر الطبيعة المشكلة من جهة ولنقص البيانات والمعلومات من جهة أخرى، وفي هذا الإطار نميز بين نوعين من الأزمات:

أزمة مصرفية عادية والتي قد تترتب فيها قدرة بعض المصارف عن الوفاء بالتزاماتها وتتأثر ملاءمتها نتيجة لزيادة الأصول غير المنتظمة (المتعثرة) مما يؤدي إلى تآكل قاعدتها الرأسمالية، وبين أزمة مصرفية نظامية أين يصاب النظام المصرفي برمته بالشلل الكامل وتدفع حتى بالبنوك السليمة إلى إقفال أبوابها، إذ أن ضعف عدد كبير من البنوك يزعزع الثقة في النظام المالي عموماً ولعدم إمكانية التمييز بين البنوك الضعيفة و السليمة وذلك دائماً بسبب عدم وضوح المعلومات، فإن المودعين و نظراً لخوفهم من بعض المشاكل التي يمكن أن تتعرض لها البنوك يتجهون إلى سحب نقودهم مهما كانت حالة البنك، وهو ما يسبب دعر مالي، وهذا النوع من السلوك نعر عنه بسلوك القطيع.

٢ - ٣ - أزمات الأسواق المالية: تحدث أزمة الأسواق المالية أو الأزمة البورصية كما تسمى نتيجة لما يعرف بظاهرة الفقاعات هذه الأخيرة التي تحدث عندما ترتفع أسعار الأصول المالية بشكل يتجاوز قيمتها العادلة، وهو ما يحدث عندما يكون الهدف من شراء الأصل هو الربح الناتج عن ارتفاع أسعار هذه الأصول وليس لقدرة هذه الأصول على توليد الدخل، الأمر الذي يدفع الكثير من المضاربين والشركات إلى الإستثمار في هذا النوع من الأصول لأن عائده مرتفع، غير أن هذا الإندفاع الكبير

في المضاربة داخل أسواق المال لا يمكن أن يدوم ولا بد أن تحصل صدمة أخرى تدفع بالأسعار نحو الإنخفاض وتنخفض معها مؤشرات السوق المالية، ويتراجع معها النشاط الاقتصادي فتحدث الأزمة البورصة. بالإضافة إلى الأزمات المصرفية، وأزمات الأسواق المالية هناك أزمة الصرف الأجنبي المرتبطة أساسا بتدهور العملة المحلية و ميزان المدفوعات، وهناك أيضا أزمة الديون المرتبطة بالديون السيادية للدولة أو الشركات الخاصة غير أننا سوف نركز هنا على النوعين الأول والثاني.

ومما سبق يمكن أن نستنتج بأن للأزمات المالية أربعة قنوات تنتشر عبرها لتصل إلى مختلف قطاعات النشاط الاقتصادي وهي: سوق القروض، السوق المالية، سوق الودائع (البنوك) و أسواق الصرف.

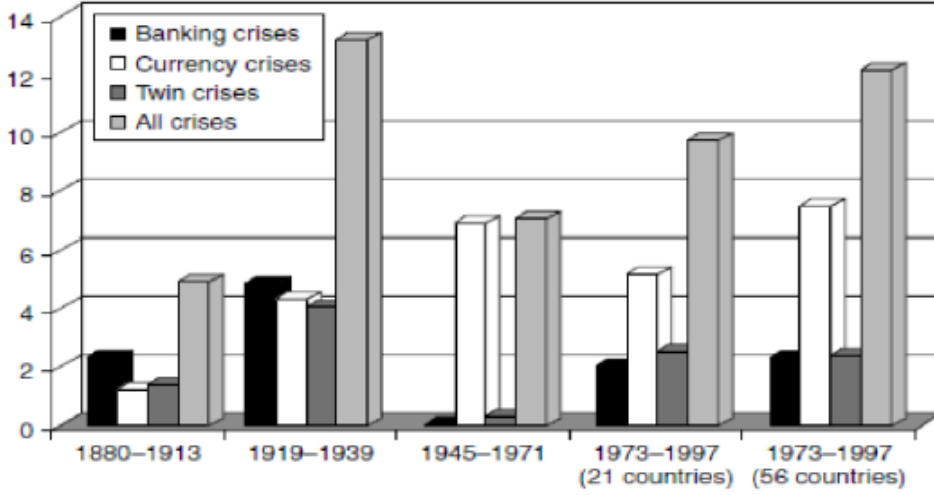
المطلب الثاني: التطور التاريخي للأزمات المالية ومسبباتها

شهد العالم و بصورة أساسية الإقتصاد الرأسمالي العديد من الأزمات منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، كما تعددت أسباب هذه الأزمات وفقا للتطورات الإقتصادية الحاصلة على المستوى العالمي واختلفت طبيعتها نظرا للإبتكارات الحاصلة على المستوى الوساطة المالية بفعل التطورات الحاصلة في المجال التكنولوجي.

لقد تعرض الإقتصاد العالمي منذ القرن التاسع عشر (١٨٧٠) إلى العديد من الأزمات المالية والإقتصادية وتفاوتت خسارتها وحجمها وتأثيراتها الدولية، غير أن تنامي ظاهرة العولمة جعلت من هذه الأزمات تنتشر بسرعة أكبر وذات تأثير عالمي شامل، حيث أكدت العديد من المؤسسات المالية الدولية و في مقدمتها صندوق النقد الدولي، هذا الأخير الذي أكد بان الأزمة الأخيرة التي شهدتها الإقتصاد الأمريكي والتي عرفت بأزمة الرهن العقاري لن تنجو منها أية دولة من دول العالم. إن الأزمات المالية التي مر بها الإقتصاد الأمريكي قبل العام (١٩٢٩) تحت نظام نقدي مختلف عن ذلك الذي اتبع بعد عام (١٩١٣) فالنظام النقدي الذي كان سائدا منذ (١٨٧٩) إلى غاية (١٩١٣) هو نظام قاعدة الذهب، والذي لم يكن تحويلا تلقائيا بل تضمن تدخلا من الحكومة، ولكن هذا النظام بدأ بالزوال خلال

الحرب العالمية الأولى، غير أن الولايات المتحدة الأمريكية تحولت بعد ذلك إلى نظام سعر الصرف الثابت والذي تجسد من خلال مؤتمر بريتون وودز (Breton Woods) عام (١٩٤٤) حتى (١٩٧٣)، ثم بعد ذلك تم تبني نظام سعر الصرف العائم أو الحر، وبالتالي فأن غالبية حالات عدم الاستقرار بين عامي (١٩٢٠-١٩٣٩) ثم عام (١٩٤٧) وما بعدها حسب فريدمان هذه الأزمات يعود إلى عدم استقرار النظام المؤسسي النقدي (البنك الاحتياطي الفدرالي)، ويمكن إيجاز الأزمات المالية التي شهدتها العالم للفترة ما بين (١٨٨٠-١٩٩٧) من خلال الشكل أدناه.

الشكل رقم (3-3): تواتر الأزمات المصرفية وأزمات أسعار الصرف والأزمة المشتركة

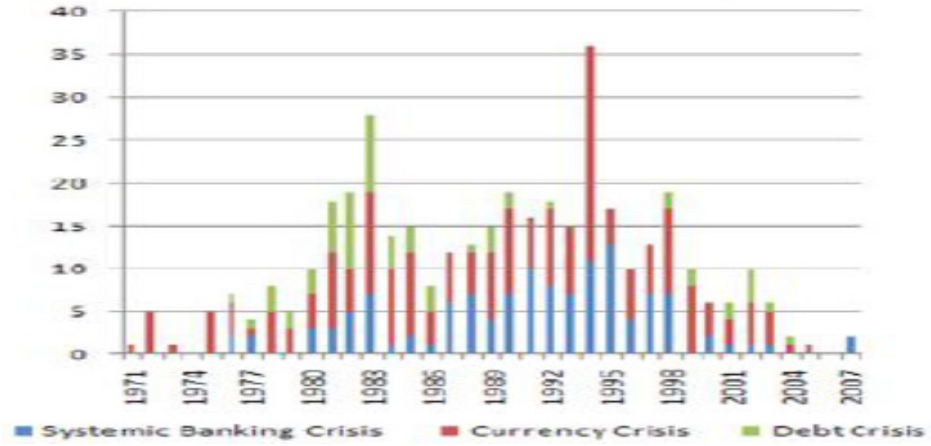


المصدر: إسماعيل جوامع، عادل بلجبل: تقييم مدى جدوى المساعدات المالية الدولية للدول النامية عند الأزمات المالية العالمية، الملتقى الدولي الثاني حول متطلبات التنمية في أعقاب الأزمة المالية العالمية، جامعة بشار، الجزائر، يومي ٢٨، ٢٩ أبريل ٢٠١٠، ص ١٠٢.

وفي حالة البلدان النامية، وهي الحلقة الأضعف في النظام المالي العالمي الجديد، فإن عددا لا بأس به منها قد أصبح محل اهتمام لنشاط المضاربين في ضوء إجراءات العولة المالية التي طبقتها في عقد التسعينيات، حيث تتعرض عملاتها الوطنية والأوراق المالية المتداولة في بورصاتها لهجمات المضاربين الذين يحققون منها أرباحا خيالية. إذ تقول دراسة أعدها

العاملون في إدارة الأبحاث بصندوق النقد الدولي أن الاندماج السريع والمستمر لبلدان الأسواق الصاعدة في أسواق المال العالمية في التسعينيات كان مصحوبا بالعديد من أزمات العملة، كما هو مبين في الشكل أدناه.

الشكل رقم (3-4): العدد السنوي للأزمات المالية (1970-2007).



المصدر: الطاهر هارون، نادية العقون: مرجع سبق ذكره، ص ٥٥

لقد كان لكل من الأزمات الكبرى في التسعينات، كأزمة المكسيك في (١٩٩٤) و أزمة شرق آسيا وروسيا في عام (١٩٩٨)، والبرازيل سنة (١٩٩٩) صفاتها الخاصة التي تميزها عن غيرها، ولكنها جميعا اشتركت في ظاهرة واحدة ومهمة هي أنها «أزمات ثقة» مصدرها حساب رأس المال وعليه فهي اختلفت تماما عن تلك الأزمات التي ارتبطت. ميزان المدفوعات التي كانت تصيب في الماضي البلدان النامية والتي عادة ما ترتبط بالحساب الجاري، ولقد زاد احتمال تعرض هذه البلدان إلى الأزمات المالية في مرحلة التسعينات نتيجة تحرير القيود المتعلقة بحركة رؤوس الأموال العالمية وتحسين إمكانية الحصول على التدفقات الرأسمالية الدولية.

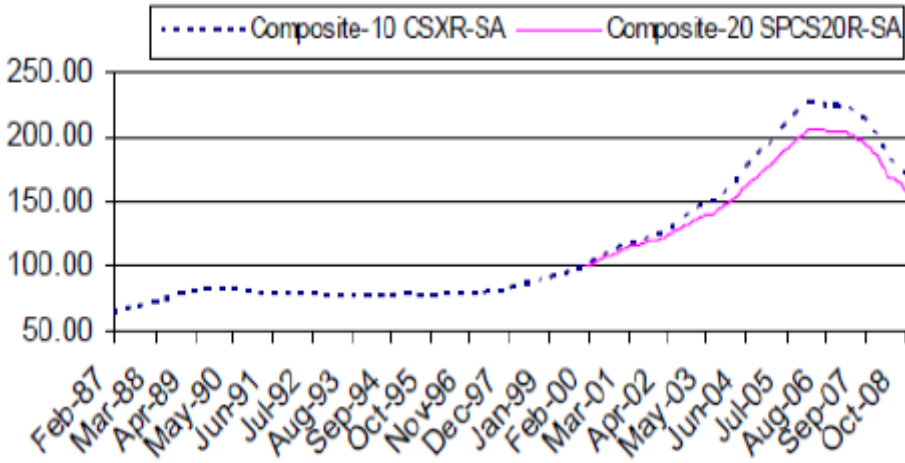
المطلب الثالث: أزمة الرهون العقارية (٢٠٠٨)

تعد الأزمة المالية العالمية التي عصفت بالاقتصاد العالمي منذ أوت (٢٠٠٧) أعنف الأزمات الاقتصادية العالمية بعد أزمة الكساد الكبير. وتأتي خطورة وعنف هذه الأزمة كونها

انطلقت من الاقتصاد الأمريكي الذي يشكل نحوه محركا لنمو الاقتصاد العالمي، حيث نتجت الأزمة المالية الراهنة عن مشكلة الرهن العقاري في الولايات المتحدة الأمريكية، التي تسببت فيها القروض العقارية الرديئة.

١ - بداية الأزمة وأسبابها: يعزوا العديد من الباحثين أسباب الأزمة المالية العالمية الراهنة لانخفاض أسعار الفائدة الأمر الذي دفع إلى تزايد القروض الممنوحة للمستثمرين و خاصة فيما يتعلق بالقروض العقارية، ويعتبر موضوع الرهن العقاري أحد الأسباب الرئيسية و المباشرة للأزمة المالية الأخيرة، حيث شجع الازدهار الكبير لسوق العقارات الأمريكية ما بين (٢٠٠٦ - ٢٠٠١) البنوك وشركات الإقراض على اللجوء إلى الإقراض العقاري مرتفع المخاطر وكون هذه البنوك أغفلت التحقق من الجدارة الائتمانية للمقترضين و أغرقهم بفائدة بسيطة في بداية الأمر، ثم تزايدت و توسعت في منح القروض مما خلق طلبا متزايدا على العقارات إلى أن تشبع السوق فانخفضت أسعار العقارات وعجز المقترضون عن السداد و كانت البنوك قد باعت هذه القروض إلى شركات التوريق التي أصدرت كا سندات وطرحتها للإكتتاب العام، وبالتالي ترتب على الرهن العقاري كم هائل من الديون مرتبط ببعضها ببعض في توازن هش أدى إلى توقف المقترضين عن السداد و بالتالي حدثت المشكلة، كما توسعت المؤسسات المالية في إعطاء القروض للمؤسسات العقارية وشركات المقاولات والتي زادت عن ٧٠٠ مليار دولار، لكن ارتفاع معدل الفائدة العام الذي بدأ منذ منتصف عام (٢٠٠٤) أدى إلى إحداث تغير في طبيعة السوق الأميركية تمثل في انخفاض أسعار المساكن، الأمر الذي شكل بداية اشتعال الأزمة إذ توجب على الكثير من المقترضين سداد قروضهم، فبدأت المؤسسات المالية وشركات الإقراض تعاني تداعيات هذه القروض الكبيرة المتراكمة، والشكل الموالي يبين أسعار العقارات في الولايات المتحدة خلال الفترة (١٩٨٧-٢٠٠٨).

الشكل رقم (٣-٥): أسعار العقار في الولايات المتحدة خلال الفترة (١٩٨٧-٢٠٠٨)



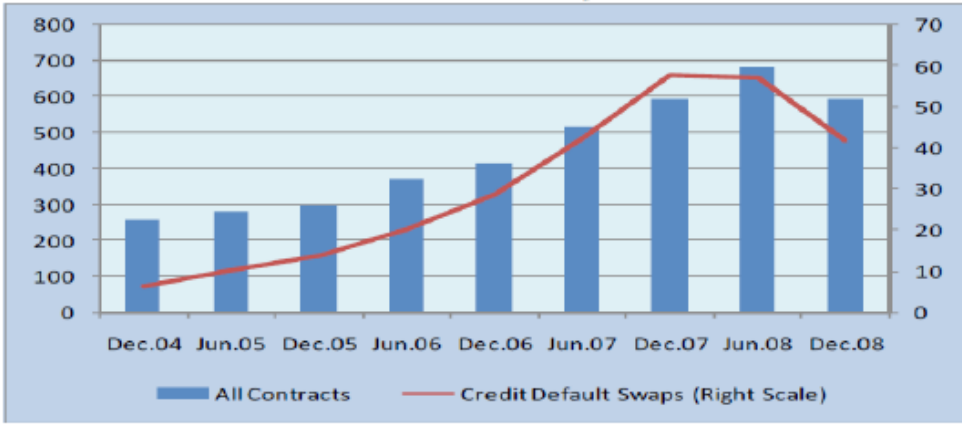
المصدر: رزاق و شاح: مرجع سبق ذكره، ص ٠٨.

و بالتالي فإن من الأسباب الأساسية والمباشرة التي أدت إلى اندلاع الأزمة المالية الأخيرة الممارسات غير المنضبطة في الأسواق المالية الدولية، وتمثلت هذه الممارسات بالتوسع المفرط للمصارف الأمريكية المختصة في مجال العقار في منح القروض السكنية عالية المخاطر « (Subprime) (١)، والعمل في اقتصاد مضاربي (وهمي) هو اقتصاد النقود أو اقتصاد خلق النقود والأرباح الناتجة عن ذلك، كما يعزي الكثير من الإقتصاديين ظهور الأزمات المالية خلال العقود الأخيرة على غرار الأزمة الأخيرة إلى التعامل بالمشتقات المالية «Derivatives» والمتمثلة بأسواق العقود المستقبلية «Future Contracts» والآجلة

١ ويقصد بمصطلح Subprime أو الرهون العقارية الأقل جودة أو من المستوى الثاني بالقروض العقارية ذات أسعار الفائدة المتغيرة. ويتميز هذا النوع من القروض بالمخاطرة العالية لعدم وجود تدفقات نقدية متوقعة سواء للمقترض أو المشروع الممول، حيث يمكن للبنك الاعتماد عليها كمصدر لسداد القرض، لهذا السبب قامت البنوك برفع سعر الفائدة على هذا النوع من القروض من أجل تحقيق أعلى عائد ممكن من القرض و من اجل تغطية جزء من المخاطر التي تندرج تحت هذا النوع من القروض. بما أن أسعار الفائدة على هذه القروض متغيرة، فهناك قابلية لأن تتعرض لخطر الانخفاض في أي لحظة، أو الارتفاع في أي وقت معين. وعند ارتفاع أسعار الفائدة، ستجد العائلات ذات الدخل الضعيف نفسها في ذلك الوقت غير قادرة على تسديد مستحقات هذه القروض نتيجة ارتفاع أسعار الفائدة. المرجع نفسه، ص ٠٤.

«Forward Contracts» وأسواق الخيارات المالية «Option markets» وعقود المبادلات «Swaps» وتوريق الديون «Securitization» هذا من جهة، والإفراط في عمليات التسهيلات المالية من جهة أخرى، وبيعها في الأسواق المالية عبر سندات مصنفة في وفق درجات مخاطرة مختلفة، ويمكن بيان التزايد المفرط في الإتجار بالمشتقات المالية من خلال الشكل أدناه.

الشكل رقم (٣-٦): الإتجار المباشر في المشتقات المالية في العالم مقدر بترليونات الدولارات



إن قيام وكالات التصنيف الائتماني التي تسمى «Rating Agencies Credit» بتصنيف السندات العقارية تصنيفا مرتفعا نتيجة صدورها عن بنوك كبيرة وقوية مثل «مورغان وليمن براذرز»، و بالتالي تم إعطاؤها تصنيفا خاطئا و من بين الأسباب الأخرى ذات التأثير على الاقتصاد الأمريكي والاقتصاد العالمي تلك المتعلقة بالعجز التوأم في الميزان التجاري والميزانية العامة بسبب تزايد الإستيرادات من الصين والهند والدول الآسيوية الأخرى وازدياد حركة السياحة إلى خارج الولايات المتحدة والذي ناهز ٧٥٨ مليار دولار عام (٢٠٠٦) مع عجز متصاعد في الموازنة العامة بلغت عام (٢٠٠٨) حوالي ٤١٠ مليار دولار وهو ما يشكل حوالي ٣٪ من الناتج المحلي الإجمالي الأمريكي.

٢- الآثار الاقتصادية لأزمة الرهون العقارية: وتتلخص أهم تأثيرات الأزمة المالية الحالية على الحياة الاقتصادية في:

١ - ٢ - الركود الإقتصادي العالمي: رغم أن الأزمة المالية بدأت في القطاع المالي، إلا أنها امتدت إلى باقي القطاعات الاقتصادية العينية، وقد دخل الاقتصاد العالمي بالفعل في مرحلة من الكساد، إذ تشير العديد من المؤشرات بالولايات المتحدة الأمريكية و بربيطانيا أما سجلا بداية مظاهر الركود، لتوسع بعدها رقعة الأزمة وتشمل معظم الدول الصناعية المتقدمة و حتى النامية.

٢ - ٢ - انخفاض الطلب على النفط وتدهور مستوى أسعاره: لقد أدت الأزمة إلى انخفاض سعر البترول بأكثر من ٦٠٪ هذا إضافة إلى اضطرار دول الأوبك إلى تخفيف إنتاجها من النفط، ويعتبر هذا التأثير هو الأكبر للأزمة على الإقتصاديات النفطية الأمر الذي أدى إلى انخفاض الإنفاق الحكومي الذي يعتبر المحرك الرئيسي للإقتصاد.

٣ - ٢ - انخفاض أحجام التمويل وارتفاع تكاليفه: كان للأزمة المالية الحالية الأثر الكبير على الممارسات المصرفية الخاصة بمنح الائتمان و تكاليفه، حيث أصبح هناك حرص كبير في اختيار المقترضين والمشاريع القابلة للتمويل، أما عن تكاليف التمويل فارتفعت نسبيا الأمر الذي أدى إلى ممارسات مصرفية أكثر حذرا و أكثر انتقائية.

٤ - ٢ - انخفاض حجم الاستثمارات الأجنبية: انخفض حجم الإستثمارات الأجنبية إثر هذه الأزمة، ووفقا لبعض التقديرات فإن هذا الإنخفاض وصل إلى أكثر من ٣٠٪.

٥ - ٢ - التأثير السلبي على التجارة: أثرت الأزمة المالية الحالية بشكل سلبي على حجم المبادلات التجارية بين مختلف دول العالم نتيجة انخفاض الطلب.

٦ - ٢ - انخفاض تحويلات الأيدي العاملة: نتيجة انكماش النشاط الإقتصادي وتقلص فرص العمل المنخفضت مستويات الرواتب والأجور، مما سينقص من التحويلات المالية للأيدي العاملة المهاجرة.

٧ - ٢ - الخيار الأسواق المالية: من أكثر القطاعات تأثراً بالأزمة المالية العالمية هي الأسواق المالية، فهذه الأخيرة تعكس مختلف التفاعلات مع هذه الأزمة من ضعف أوضاع المؤسسات المالية المتضررة إلى التوقعات السلبية لأداء الإقتصاد بشكل عام، وما يترتب عليه من ضعف أداء الشركات و مختلف القطاعات إضافة إلى صعوبة وارتفاع تكاليف التمويل.

٨ - ٢ - التغيرات المؤسسية العالمية: اضطرت معظم الحكومات نتيجة الأزمة المالية الحالية إلى التدخل بشكل كبير في الحياة المالية والإقتصادية بضخ أموال هائلة في القطاع المالي حماية للإستقرار المالي، وضمنا لحقوق المودعين في معظم المؤسسات المالية، وهناك شكل من الإتفاق حول ضرورة إخضاع القطاع المالي لمزيد من الرقابة والإشراف من السلطات، مما ينبئ بظهور مجموعة من المبادئ والمعايير والقواعد الواجبة الإتباع في معظم المؤسسات المالية (صندوق النقد الدولي، بنك التسويات الدولي).

إن الذعر الذي انتاب المودعين وعدم القدرة على التسديد و انخفاض الإيداعات بسبب تدهور الثقة أدى إلى أزمة سيولة انعكست على انخفاض عرض النقد و حسب رأي النقديين فإن ذلك سوف يؤثر على الناتج و الأسعار في الأجل القصير وعلى الأسعار في الأجل الطويل، وامتدت أزمة السيولة إلى القطاعات الحقيقة لأن جميع القطاعات مرتبطة عن طريق القطاع المالي وهذا ولد حالة من الركود الإقتصادي فانهارت العديد من الشركات التي قامت بتسريح جزء من عمالها، وامتد هذا الإجراء إلى سائر الدول فارتفعت البطالة إذ وصلت في الولايات المتحدة إلى ١, ٦٪ خلال سنة (٢٠٠٨). معدل تغير ٤, ١ ٪ عن سنة (٢٠٠٧)، وفي اليابان كان ٤, ٢ ٪ وبمعدل تغير ٤, ٠ ٪ للمدة ذاتها. كما أن معدلات النمو الإقتصادي هي الأخرى انخفضت إذ بلغت في الولايات المتحدة ٦, ٠ ٪ في سنة (٢٠٠٨) بعدما كان ٥, ٢ في (٢٠٠٧)، وأصبحت سالبة في سنة (٢٠٠٩)، وفي منطقة اليورو كانت المعدلات ٥, ٦٠, ٣١, ١ ٪ لنفس السنوات السابقة. غير أن آثار الأزمة امتدت بشكل واسع لتشمل مختلف مناطق العالم و بآثار متفاوتة على غرار الدول النامية و منها العربية وعلى الخصوص دول التعاون الخليجي التي تعد أكثر انفتاحا و انكشافا على الإقتصاد

العالمي. المطلب الرابع: فعالية السياسات النقدية والمالية للتخفيف من الأزمات المالية والمصرفية خضع دور السياسات النقدية والمالية أثناء فترات الركود الإقتصادي والأزمات المالية المسببة لتقلص حجم الائتمان وتراجع ثمن الأصول للعديد من الدراسات، وذلك لتحديد فعالية كل منها في التخفيف من الآثار السلبية لهذه الأزمات.

١ - فعالية السياسة النقدية في التخفيف من الأزمات المالية والمصرفية: تعود الأزمات المالية والمصرفية السابقة بما فيها الأزمة الحالية بصفة أساسية إلى عدم الإستقرار في النظام المالي والمصرفي، وهو المصدر الذي يجب إزالته لأن البنوك في فترة الأزمات المالية تعاني من انحدار في القيمة السوقية للعديد من أصولها يجعلها تفتقر إلى رأس المال، وللسلطات النقدية دور فعال في ضمان استقرار النظام المصرفي والمالي وذلك من خلال الدور الرقابي للبنك المركزي.

١ - ١ - الإستقرار المالي والدور الرقابي للبنك المركزي: يعتبر مفهوم الاستقرار المالي من المفاهيم الجديدة التي صاحبت بروز و تنامي ظاهرة العوالة في القطاع المالي والمصرفي، وتلعب البنوك المركزية في تحقيق هذا الإستقرار دورا أساسيا من خلال التنظيم الإحترازي و الرقابة المصرفية وتأمين نظم الدفع، وتؤدي هذه الوظيفة من طرف البنوك المركزية في دول العالم وفق أشكال مختلفة، حيث نجد في بعض الدول على شكل تدخل مباشر للبنك المركزي في إتمام هذه الوظيفة على عكس دول أخرى أين يتم استحداث هيئة مستقلة تتكفل بذلك، وقد يحدث توزيع هذه المهمة على عدة هيئات مشاركة مع البنك المركزي على غرار ما هو في الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن مهما تعددت هذه الأشكال فلا بد من تدخل البنك المركزي بشكل أو بآخر للحفاظ على الإستقرار المالي والمصرفي من خلال اعتماد سياسة لإدارة المخاطر فعالة، ويتبع البنك المركزي في إدارة المخاطر المصرفية بالبنوك والمؤسسات المالية شكلين أساسيين

شكل خارجي: عن طريق التنظيم الإحترازي وفرض تطبيق القواعد الإحترازية ذات العلاقة بالتسيير المصرفي للبنوك والمؤسسات المالية المتعارف عليها على الصعيد الدولي على

غرار مقررات و معايير لجنة بازل الأولى و الثانية، معدل السيولة ومعدل تقسيم المخاطر ومعدل تغطية المخاطر ومعدل الأموال الذاتية والمصادر الدائمة ومعدلات الصرف.

- شكل داخلي: وذلك باتباع الرقابة الداخلية ونظم التسيير والإدارة السليمة وفق مفاهيم الحوكمة على البنوك والمؤسسات المالية، ويدعم البنك المركزي هذين الشكّلين في إدارة المخاطر المصرفية لتحقيق الإستقرار المالي بنظام التأمين على الودائع و نظام الإنذار المبكر بالأزمات و دوره كمقرض أخير داخل السوق النقدي.

إن الرقابة على الائتمان من قبل السلطات النقدية له العديد من المتطلبات، حيث يستوجب على الجهات الرقابية ألا تتبنى نظرية جزئية ضيقة أثناء ممارستها عمليات الرقابة بل تكون الرقابة من منظور واسع و شامل حتى تحقق الرقابة هدفها، وهناك ستة متطلبات رئيسية للبنوك تساهم في تفعيل الدور الرقابي للسلطة النقدية تعرف اختصاراً. مسمى (Camels) وهي رأس المال و الأصول، الإدارة، العوائد السيولة و الأنظمة، وتعني هذه المصطلحات 'ضرورة أن تحتفظ البنوك برؤوس أموال تكفي لأغراض إدارة عملياتها، ومواجهة المخاطر التي تتعرض لها ضرورة تنوع أصول البنك، بمعنى أن تتعدد درجات سيولة أصوله، أي ضرورة توفر محفظة سيولة متنوعة أن يكون للبنك مجلس إدارة على درجة عالية من الكفاءة الإدارية والفنية في إدارة العمل المصرفي ضرورة تحقيق المؤسسات المصرفية لعوائد معتبرة، وضرورة احتفاظها بمقدار مناسب من السيولة بما يمكنها من سداد التزاماتها و طلبات المودعين عند الطلب ضرورة أن تعمل البنوك على توفير أنظمة مراقبة داخلية، وضوابط عمل بما يمكن البنوك من تجنب المخاطر قدر الممكن.

وتتطلب الرقابة ضرورة وضع البنوك المركزية لأهداف تصاغ السياسات في إطارها، ثم وضع الآليات التي تكفل التزام البنوك بالسياسات المقررة.

٢ - ١ - دور السياسة النقدية في محاربة الفقاعات: هناك جدل كبير حول فعالية السياسة النقدية في محاربة محلفات الركود الاقتصادي بشكل أفضل من تهيئتها للحيلولة دون نشوء الرواج الإقتصادي، ويذهب العديد من أصحاب هذا الاتجاه أمثال Alan

Greenspan إلى أن البنوك المركزية يجب ألا تتم بأسعار الأصول و أسعار الصرف و التصدير

إلا بالقدر الذي تمثل فيه إنذار لمعدلات التضخم، حيث يقول Alan بأنه لا فائدة من تحديد و تفجير فقاعات المضاربة في أسواق الأوراق المالية و أسواق العقارات وهي تمضي في طريق التقدم، وأن التخفيض في أسعار الفائدة بعد حدوث الإيفار كاف لحماية الاقتصاد كما أن انفجار الفقاعة لا يعد مدمراً، وهذا ما أثبتت عدم صحته الأزمة المالية العالمية الأخيرة، حيث أن الأسلوب المعتمد على تخفيض أسعار الفائدة لا يجدي نفعا عندما يصاب الاقتصاد بضرر بالغ ناتج عن انفجار الفقاعة، وبما أن الهيئات التنظيمية على مستوى المصارف تقوم بالاحتفاظ بقدر أكبر من رأس المال أثناء فترات الركود الاقتصادي ومع زيادة درجات الخطر عند نفاذ رأس المال بشكل فعلي فإن النهج القائم على التقديرات الداخلية وفقاً لاتفاقية بازل الثانية يسهم في هذه المشكلة، إذ يجبر المصارف على تقليص حجم إقراضها وهو بذلك يسهم في تفاقم هذا الهبوط، كما أن سياسة التقدم لأجل إنقاذ الأسواق بعد حدوث الانهيار خلقت مشكلة الخطر المعنوي والذي أدى إلى تفاقم الفقاعات، غير أن Jeffery Frankel يرى بأن تحديد الفقاعات ليس أصعب من تحديد الفجوات التضخمية قبل حدوثها بنحو ١٨ شهراً، كما تمتلك السياسة النقدية أدوات فعالة لتفجير فقاعات المضاربة، وأن سياسات التقدم لإنقاذ السوق بعد الأخيار الاقتصادي تخلق مشكل خطر معنوي يعمل على تفاقم الفقاعات، وبالتالي ينبغي على السلطات النقدية وفي إطار تحقيق الاستقرار المالي أن تقوم باستحداث أدوات لامتنصاص الصدمات مثل تنظيم رأس المال من أجل مواجهة الاتجاهات الدورية، الحد من الاستدانة لأجل تحقيق الفعالية المالية، محاولة التحكم في تقلب الإقراض العقاري و تجنب المخاطر الناتجة عنه، بالإضافة إلى تشييط الإقراض و الاقتراض المفرطين.

٣ - ١ - إجراءات السياسة النقدية في ظل الأزمة المالية العالمية الأخيرة: وفي إطار التخفيف من الأزمة المالية العالمية الأخيرة فقد اتخذت العديد من البنوك المركزية في العالم على غرار الإحتياطي الفدرالي الذي قام بعدة تخفيضات الأسعار الصرف و معدلات الفائدة خاصة في سنة (٢٠٠٨)، حيث انخفضت مع بداية شهر أكتوبر (٢٠٠٨) من

٢٪ إلى ١,٥ ٪ أي بمقدار ٥٠ نقطة وانخفض مع نهاية نفس الشهر بنفس المقدار لتبلغ ١,٠ ٪، وخلال منتصف شهر ديسمبر من نفس السنة انخفضت بمقدار ٧٥ نقطة لتبلغ حدها الأدنى. مقدار ٢٥,٠ ٪. كما أن للبنوك المركزية الأوروبية تحركات قوية لمعالجة خسائر السيولة عن طريق تسهيل الوصول إلى التمويل القصير الأجل باستخدام التسهيلات القائمة ولكن ذلك لم يحقق إلا نجاحاً أولياً جزئياً، ونظراً لأن علاوات السيولة ظلت عند مستويات عالية قام البنك المركزي الأوروبي في ديسمبر (٢٠٠٧) بتوسيع جديد في نطاق عملياته، وقام مجلس الإحتياطي الفدرالي الأميركي وبنك إنجلترا المركزي بتوسيع كبير في نطاق الضمانات الإضافية المقبولة ونطاق المقرضين المسموح لهم بالوصول إلى أموال البنك المركزي، وأعلنت البنوك المركزية الرئيسية مبادرة منسقة ترمي إلى ضمان السيولة الملائمة بما في ذلك توفير خطوط المبادلات من قبل مجلس الإحتياطي الفدرالي للسماح للبنوك المركزية الأوروبية بتوسيع نطاق سيولة الدولار، وقد اتخذ مجلس الإحتياطي الفدرالي إجراءات جديدة في مارس (٢٠٠٨). ما في ذلك فتح نافذة خصم فعلية أمام المضاربين ذوي الجدارة الائتمانية العالية، وقام عدد من البنوك المركزية أيضاً بتخفيف مواقف السياسات النقدية تحت تأثير الزيادة المستمرة في مخاطر النتائج دون المتوقعة المحيطة بالآفاق المستقبلية للنمو في هذه الفترة، وكان أكثر تلك المبادرات حدة قيام مجلس الإحتياطي الفدرالي منذ أوت (٢٠٠٧) بتخفيض سعر الفائدة على الأموال الفدرالية، بينما قام بنك كندا المركزي وبنك إنجلترا المركزي أيضاً بتخفيض أسعار الفائدة المستخدمة كأداة للسياسة النقدية، وتنازل البنك المركزي الأوروبي وبنك اليابان المركزي عن إحداث زيادات جديدة في أسعار الفائدة. أما فيما يخص الدول العربية فقد اعتمد عدد من الدول العربية سياسة نقدية تكيفية «Accommodative Monetary Policy» خلال العام (٢٠٠٩) هدفت إلى تخفيف القيود النقدية وخفض تكلفة الأموال في ضوء معدلات التضخم المتدنية نسبياً.

٢- فعالية السياسة المالية في التخفيف من الأزمات المالية والمصرفية: يذهب البعض إلى أهمية الدور الذي تقوم به السياسة المالية في مواجهة الأزمات الاقتصادية من خلال

استخدام الأدوات الضريبية وسياسات الإنفاق العام بصورة متوازنة لمواجهة التقلبات في النشاط الإقتصادي الناتج عن الإختلال في الأسواق، بينما يرى آخرون بأن تدابير السياسة المالية في هذه الظروف لن يزيد الحال إلا سوءا كون هذه السياسات عامة بطبيعتها وغير تمييزية، ومن ثم فهي تعمل على تحقيق التشوهات الإقتصادية وتزيد من اختلال الأسواق فتتفاقم الخسارة في الاقتصاد.

١ - ٢ - الأزمات المالية والمصرفية النظامية وسياسة التوسع المالي: لقد بينت الدراسة التي قام بها كل من Claessens، Kose Terrones (٢٠٠٨) أن السياسة المالية تبدو فعالة بشكل خاص في تقصير فترات الركود ويبين هذا أن موقفا ماليا جريئا لمواجهة الاتجاهات الدورية الاقتصادية، موقفا يتحرك عكس الاتجاه الذي يسير فيه الاقتصاد بتخفيض الضرائب وزيادة الإنفاق (سياسة مالية توسعية) ملائم أثناء فترات الركود.

قائمة المراجع

- إبراهيم لطفي عوض: ظاهرة الركود التضخمي في الاقتصاد المصري (دراسة تحليلية)،
- أحمد أبو بكر علي بدوي: الحوافز المالية والنقدية في الدول العربية إبان الأزمة المالية العالمية وانعكاساتها على جهود الإصلاح المالي، دراسات اقتصادية، صندوق النقد العربي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٠
- أحمد عبد الرحيم زردق: الدين العام وعجز الموازنة العامة في مصر، مكتبة القدس، الزقازيق، مصر، ٢٠٠٩
- بسام الحجار: الاقتصاد النقدي والمصرفي، الطبعة الأولى، دار منهل اللبناني، بيروت، لبنان
- البكري: الاقتصاد الدولي، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٢
- توفيق عبد الرحمن يوسف: الإدارة المالية الدولية والتعامل بالعملات الأجنبية، الطبعة الأولى، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٤
- حسن علي خريوش: أهمية التمويل الإسلامي وأثره على الأزمة المالية العالمية، المؤتمر الأول لتحديات عولمة الأنظمة المالية، الجامعة الهاشمية، الأردن، يومي ٢١، ٢٢ تشرين الأول ٢٠٠٩،

- حسين كشتي رسالة ماجستير بعنوان إجراءات السياسة النقدية والمالية لتصحيح الاختلالات الاقتصادية الكلية - جامعة المسيلة - الجزائر
- حلمي خالد سعد زغلول: الدور الرقابي للبنوك المركزية ومدى فاعليتها في مواجهة الأزمة المالية العالمية، المؤتمر العلمي السنوي الثالث حول الجوانب القانونية والاقتصادية للأزمة المالية العالمية، جامعة المنصورة، مصر أبريل ٢٠٠٩
- د. صالح الخضاري، فؤاد علوان: فاعلية نظام استهداف التضخم كنظام للسياسة النقدية، الملتقى الدولي حول السياسات النقدية والمؤسسات المالية - سكيكدة، الجزائر
- د\ بلقاسم العباس: حول إشكالية صياغة البطالة في البلدان العربية، بحلة جسور التنمية، المعهد العربي للتخطيط، العدد ٩٨، الكويت، ٢٠١٠
- رمزي زكي: انفجار العجز علاج عجز الموازنة العامة للدولة في ضوء المنهج الانكاشي والمنهج التنموي، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، سوريا، ٢٠٠٠
- رياض الحلبي: النقود والبنوك، الطبعة الأولى، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن
- سميرة إبراهيم أيوب: صندوق النقد الدولي وقضية الإصلاح الاقتصادي والمالي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٦
- سيد البواب: عجز الموازنة العامة للدولة (النظرية والصراع الفكري للمذاهب الاقتصادية ومناهج العلاج)، الطبعة الأولى، دار البيان، القاهرة، مصر، ٢٠٠٠
- الطاهر هارون، نادية العقون: الأزمة المالية العالمية الراهنة (أسبابها، آليات انتشارها والآثار المترتبة عنها)، الملتقى الدولي حول أزمة النظام المالي والمصرفي الدولي وبديل البنوك الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر مايو ٢٠٠٩
- عبد الرحمن يسري أحمد: الاقتصاديات الدولية، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠١
- عبد المطلب عبد الحميد: اقتصاديات النقود والبنوك، مرجع سبق ذكره
- عبد الوهاب نجا: البطالة وأثر برنامج الإصلاح الاقتصادي عليها، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٥

- عماد محمد علي العاني: اندماج الأسواق المالية الدولية (أسبابه وانعكاساته على الاقتصاد العالمي)، الطبعة الأولى، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، بغداد، العراق، ٢٠٠٢
- عيسى محمد العزالي: تحليل البطالة، محلة جسور التنمية، المعهد العربي للتخطيط، الكويت، العدد ٥٨، ديسمبر ٢٠٠٦
- غازي حسين عنابة: التضخم المالي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر
- فريد كورتل، كمال رزيق: الأزمة المالية العالمية انعكاساتها على البلدان العربية، المؤتمر العلمي الثالث لكلية العلوم الإدارية والمالية، جامعة الإسراء الخاصة، مصر، يومي إبريل ٢٠٠٩
- فريد نصر أبو الفتوح: الرهون العقارية والأزمة المالية العالمية، المؤتمر العلمي الثالث عشر حول الجوانب القانونية والاقتصادية للأزمة المالية العالمية، جامعة المنصورة، مصر أبريل ٢٠٠٩
- كامل علاوي كاظم: الأزمة المالية وتداعياتها على الاقتصاد العراقي، الملتقى الدولي الثاني حول متطلبات التنمية في أعقاب الأزمة المالية العالمية، جامعة بشار، الجزائر، يومي ٢٨، ٢٩ أفريل ٢٠١٠
- محمد الفار: سعر الصرف بين النظرية والتطبيق، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ١٩٩١
- محمد زيدان، عبد الرزاق حبار: دور البنوك المركزية في معالجة الأزمة المالية الراهنة مع إشارة خاصة لدول منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، الملتقى الدولي الرابع حول الأزمة المالية الراهنة وانعكاساتها على اقتصاديات دول منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، جامعة دالي إبراهيم، الجزائر ديسمبر ٢٠٠٩
- نداء محمد الصوص: الاقتصاد الكلي، الطبعة الأولى، دار أجنادين للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية
- نوزاد عبد الرحمان الهيتي، منجد عبد الطيف الخشالي: المدخل الحديث في اقتصاديات المالية العامة، الطبعة الأولى، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٦
- هوشيار معروف: تحليل الاقتصاد الدولي، الطبعة الأولى، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٦

اختلال النظام الايكولوجي بفعل الجفاف وتأثيره علي التوالد الطبيعي للغطاء النباتي الشجري في منطقة السافانا المدارية

– دراسة حالة نطاق حزام الصمغ العربي – السودان

Ecological Disruption due to Drought and its Impact on the Natural
Reproduction of Tree vegetation in the Tropical Savanna Region – Case
Study of the Gum Webbing Domain – Sudan

إعداد/ د. حسن احمد حسن الشيخ محمد

قسم الجغرافيا. كلية الآداب. جامعة بخت الرضا

د. إبراهيم عبد اللطيف عبد المطلب خوجلي

قسم الجغرافيا. كلية التربية. جامعة كسلا

د. محمد عامر احمد محمد

قسم الجغرافيا. كلية التربية. جامعة الأمام المهدي

مستخلص الدراسة:

تناولت هذه الدراسة اختلال النظام الايكولوجي بفعل الجفاف وتأثيره علي التوالد الطبيعي للغطاء النباتي الشجري في منطقة السافانا المدارية-دراسة حالة نطاق حزام الصمغ العربي – السودان، وقد هدفت الي محاولة معرفة مكونات الغطاء النباتي ومعوقات توالده الطبيعي، وتوضيح الخصوصية المناخية لمنطقة السافانا المدارية. وقد استخدمت الدراسة مناهج بحث المنهج الوصفي والمنهج التجريبي التحليلي، وتوصلت الدراسة الي أن الجفاف قد اثر علي التوالد الطبيعي للغطاء النباتي في ولاية شمال كردفان ، ومن ثم أوصت الدراسة

الاهتمام بالقياسات المتروولوجية فيما يتعلق بالمناخ من خلال إنشاء شبكه واسعة لمحطات الأرصاد الجوي والعمل علي أشاء وتطوير نظم إنذار مبكر للتنبؤ بنوبات الجفاف. وتطوير عينات من النباتات المحلية ذات الإنتاجية العالية وتتميز بمقاومتها للجفاف ومراعاة الخصوصية المناخية للمناطق المدارية الواقعة تحت تأثير الجفاف بتحسين أنماط استخدام الأرض لتخفيف الضغط الواقع علي الغطاء النباتي الشجري بتقليل التزاماته البيئية تجاه الإنسان والحيوان وذلك بتوفير مصادر أخرى لتغذية الحيوان وتوفير الطاقة ومدخلات السكن.

كلمات مفتاحيه: النظام الايكولوجي، الجفاف، التوالد الطبيعي، السافانا المدارية، حزام الصمغ العربي.

Study abstract

This study dealt with the ecosystem dysfunction due to drought and its effect on the natural reproduction of the tree vegetation in the tropical savanna region – a case study of the gum girdle domain – Sudan. it aimed to try to find out the components of the vegetation and the constraints of its natural reproduction, and to clarify the climatic specificity of the tropical savanna region. The study approaches the research methods of the descriptive approach and the experimental and analytical approach, and the study concluded that drought has affected the natural reproduction of vegetation in North Kordofan State, and then the study recommended attention to metrological measurements

in relation to the climate through the establishment of a wide network of meteorological stations and work on things and develop warning systems Early to predict droughts. And the development of samples of local plants with high productivity and characterized by their resistance to drought and taking into account the climatic specificity of the tropics under the influence of drought by improving the patterns of land use to reduce the pressure on the tree vegetation by reducing its environmental obligations towards humans and animals by providing other sources for animal feed, energy and housing inputs.

Key words: Ecosystem, Drought, Natural reproduction Tropical savanna Gum Arabic belt

مقدمة:

تعني هذه الدراسة بجغرافية البيئة النباتية لتوضيح تأثير اختلال النظام الايكولوجي بفعل الجفاف علي التوالد الطبيعي للغطاء النباتي الشجري في منطقة السافانا المدارية، باعتبار أن جغرافية علم البيئة النباتية هي العلم الذي يختص بدراسة النبات في موطنه وإيجاد العلاقة ما بين هذه النباتات والوسط البيئي والتأثير المتبادل بينها، وباعتبار أن التكوينات النباتية في منطقة السافانا هي تكوينات نباتية مناخية. Climatic Plant Formation ، ولأن الجفاف هو صفة من صفات التساقط في منطقة السافانا المدارية ينتج عنه نقص في كميات الأمطار دون المتوسط فيسبب عدم اتزان مائي خطير في الغطاء النباتي الشجري في منطقة السافانا المدارية لأن للنباتات حدود تحمل لنقص الماء لا يستطيع تجاوزها، ومن أهم ملامح تأثير النبات بالجفاف هو فشله في التوالد الطبيعي.

مشكلة الدراسة: مدي تأثير اختلال النظام الايكولوجي بفعل الجفاف علي التوالد الطبيعي للغطاء النباتي الشجري في منطقة السافنا المدارية بولاية شمال كردفان في ٢٠١٨م

أهداف الدراسة: محاولة معرفة مكونات الغطاء النباتي ومعوقات توالده الطبيعي، وتوضيح الخصوصية المناخية لمنطقة السافنا المدارية.

منهج الدراسة: تم استخدام المنهج الوصفي والمنهج التجريبي التحليلي حيث استخدم المنهج الوصفي في وصف الظاهرات الطبيعية كما توجد في الواقع وتم التعبير عنها كيفيا أو كميًا، واستخدم والمنهج التجريبي التحليلي في القياسات الميدانية للغطاء النباتي الشجري.

طرق جمع المعلومات:

المقابلة: تم إجراء مقابلات شخصية مع واحد من كبار السن من سكان كل قرية بمنطقة الدراسة (سمندية - مريخة - روبا - كندوة ام زوجي - المرحيبه - الكريمت - بربر - المويلة - ام سرير - ام الامين - التكيلات - سدره - أم بشار - عردية - العين - العضيات - كملا) باعتبارهم خبراء حقيقيون في مجال بيئتهم المحلية، وتم تجميع آراءهم حول بعض المحاور مثل الجفاف الذي تعرضت له منطقة الدراسة خلال العقود الخمس الأخيرة ، والتوالد الطبيعي للغطاء النباتي الشجري،

المسوحات والقياسات الميدانية: بعد إجراء مسح استطلاعي ميداني للغطاء النباتي الشجري تم بموجبه تصنيف الغطاء النباتي الشجري الي ثلاث قطاعات نباتية اعتمادا علي نوع التربة وطبيعة النمو النباتي، وقد تم تقسيم الغطاء النباتي الشجري بغرض تسهيل جمع المعلومات الجغرافية وللوصول الي تحديد كمي ونوعي دقيق. وقد قسمت قطاعات الغطاء النباتي الشجري الي وحدات صغري باستخدام طريقة المربعات - تم اختيار هذه الطريقة لان كثير من الباحثين الجغرافيين في جغرافيا النبات أمثال (Seif El din. 1971)^(١)،

1 Seif El din.A.G. 1971.the Natural Regeneration of Acacia Senegal. willd M.S.C. U of K.

(صالح ١٩٨٤)^(١)، (Yusuf 1996) ٢(٣)، (حاج علي ١٩٩٩)^(٣)، (عبد الماجد ٢٠٠١)^(٤)، قد أشاروا الي أنها من أحسن الطرق الميدانية لجمع معلومات عن الغطاء النباتي الشجري في منطقة السافانا المدارية، ولدراسة التوالد الطبيعي تم إنشاء شبكه من المسورات داخل مربعات قطاعات منطقة الدراسة بغرض إبعاد تأثير العوامل الأخرى، وداخل المسورات تم حصر البذور الموجودة وتصنيفها وحصر البادرات حديثة النمو خلال الفترة من ٢٠١٨/٦/١٥ حتي ٢٠١٩/١٠/١٥ وهي:

مربعات القطاع الشجري الأول: يرمز له بالرمز A يوجد علي التربة الرملية في منطقة القوز ويقع شمال مدينة السميع ويضم عدد من القرى هي سمندية - مريخة - روبا - كندوة ام زوغي - المرحبيه. وباتباع طريقة العينة العشوائية البسيطة تم اختيار ثلاث مربعات داخل هذا القطاع مساحة المربع ١٠٠٠٠ متر مربع (ما يعادل واحد هكتار) وهي:

- المربع الأول يرمز له بالرمز A1 ويقع بالقرب من قرية سمندية

- المربع الثاني يرمز له بالرمز A2 ويقع بالقرب من قرية المرحبيه

- المربع الثالث يرمز له بالرمز A3 يقع بالقرب من قرية مريخة

داخل هذه المربعات تم إنشاء عدد ٣ مسورات مسور F1 F2 F3 لكل مربع بمساحة ٤٠٠ متر ٢ لدراسة التوالد الطبيعي.

مربعات القطاع الشجري الثاني: يرمز له بالرمز B يوجد علي تربة القردود في جنوب شرق مدينة الأبيض ويضم عدد من القرى هي:- الكريمت - بربر - المويلة - ام سرير -

١ صالح. حسن عبد القادر صالح. ١٩٨٤. الجفاف. دار الشروق للنشر والتوزيع. عمان. الأردن.

2 Yusuf. E. A. (1996) Understanding and Measuring Vegetation Changes in Sudan. Khartoum

٣ حاج علي. محمد. ١٩٩٩. الإبعاد الايكولوجية لاستغلال أشجار الاكشيا في الأراضي الجافة. رسالة دكتوراه غير منشورة. كلية الآداب. جامعة الخرطوم

٤ عبد الماجد. طلعت دفع الله عبد الماجد. ٢٠٠١. التنوع الإحيائي في الغابات واثره علي منتجات الغابات. الهيئة القومية للغابات. السودان

ام الامين - التكيلات. وبإتباع طريقة العينة العشوائية البسيطة تم اختيار ثلاث مربعات داخل هذا القطاع مساحة المربع ١٠٠٠٠ متر مربع (ما يعادل واحد هكتار)

المربع الأول يرمز له بالرمز B1 ويقع بالقرب من قرية بربر

المربع الثاني يرمز له بالرمز B2 ويقع بالقرب من قرية الكريمت

المربع الثالث يرمز له بالرمز B3 يقع بالقرب من قرية ام سرير

داخل هذه المربعات تم إنشاء عدد ٣ مسورات مسور F1 F2 F3 لكل مربع بمساحة ٤٠٠ متر ٢ لدراسة التوالد الطبيعي.

مربعات القطاع الشجري الثالث: يرمز له بالرمز C يوجد علي تربة طمي الوديان الطينية ويقع جنوب غرب مدينة الرهد ويضم مجمعة من القرى داخل هذا القطاع هي:- سدره - أم بشار - عردية - العين - العضيات - كملا - وبإتباع طريقة العينة العشوائية البسيطة تم اختيار ثلاث مربعات داخل هذا القطاع مساحة المربع ١٠٠٠٠ متر مربع (ما يعادل واحد هكتار)

- المربع الأول يرمز له بالرمز C1 ويقع بالقرب من قرية سدره

- المربع الثاني يرمز له بالرمز C2 ويقع بالقرب من قرية أم بشار

- المربع الثالث يرمز له بالرمز C3 يقع بالقرب من قرية كملا

داخل هذه المربعات تم إنشاء عدد ٣ مسورات مسور F1 F2 F3 لكل مربع بمساحة ٤٠٠ متر ٢ لدراسة التوالد الطبيعي.

رصد التوالد الطبيعي: داخل مسورات مربعات القطاعات تم أتباع عدد من الخطوات لرصد التوالد الطبيعي وهي:

- حصر أعداد وأنواع الأشجار الأمهات المنتجة للبرور داخل المسور.

- معرفة محزون التربة من البزور، وقد تم اختيار ثلاث عينات داخل كل مسور بصورة عشوائية مساحة العينة الواحدة متر²، وقد تم جمع البزور علي عمق ٣٠ سم باستخدام الغربال، جمعت لكل عينة بذور كل ١٠ سم علي حدا، ثم تم تنظيفها باستخدام الماء ثم خلطت وتم فرزها

- تم حصر أنواع وإعداد البادرات حديثة النمو في موسم المطر ٢٠١٨ م.

- تم حصر أنواع وإعداد البادرات التي نجحت في النمو حتي موسم المطر ٢٠١٩ م

تأثير الجفاف علي التوالد الطبيعي لغطاء النباتي الشجري:

تأثير مكونات المناخ بمنطقة الدراسة في تناقص الأمطار:

التغيرات في الأمطار: (المقصود بالتغير في الأمطار الزيادة أو النقصان في كمية المطر من سنة الي أخرى ومن شهر الي آخر وفي توزيع الأمطار خلال الموسم وخلال الشهر (Bade. K H. 1990). عن طريق دراسة خط الاتجاه العام لهطول الأمطار وتحديد التغيرات الدورية السنوية والشهرية وللتعرف علي التغيرات في الأمطار، تم استخدام طريقتين لدراسة التغيرات الدورية والسنوية ودراسة الاتجاه العام لهطول الأمطار وهي ضرورة اقتضاها طبيعة هذه الدراسة التي تبحث عن تناقص الأمطار بمنطقة الدراسة وتأثيرها علي التوالد الطبيعي لغطاء النباتي الشجري، وباعتبار أن الأمطار هي المصدر الوحيد للمياه الذي تعتمد عليه الأشجار بمنطقة الدراسة.

الطريقة الأولى اتبعها كل من (Kimmel.H.D.(1970^(١)و(التوم: ١٩٧٤م)^(٢) و(القصاص: ١٩٩٩م)^(٣) و(الشيخ: ٢٠٠٦م)^(٤)، وتقوم علي حساب التباين السنوي

1 Kimmel.H.D.(1970). Experimental Principles and design in psychology. New York
٢ أمين التوم. مهدي ١٩٧٤. مناخ السودان. الطبعة الأولى. معهد البحوث والدراسات العربية. القاهرة. جمهورية مصر العربية

٣ القصاص. محمد عبد الفتاح. ١٩٩٩. التصحر. تدهور الأراضي في المناطق الجافة. عالم المعرفة. جمهورية مصر العربية
٤ الشيخ. حسن احمد حسن. ٢٠٠٦. الجفاف الطبيعي وتأثيره في الغطاء النباتي الشجري في البيئات شبه الجافة من الساحل الإفريقي. دراسة حالة حزام الصمغ العربي. رسالة دكتوراه. جامعة بخت الرضا.

الذي يقاس بحساب معامل الانحراف الذي يعبر عن مدي الاختلاف في كميات المطر السنوي بالزيادة أو النقصان قياسا علي متوسط المطر السنوي حيث أن.

المتوسط السنوي (ن) = مجموع كميات الأمطار التي رصدت في سنوات الرصد (م)
÷ عدد السنوات (س).

معامل الانحراف = س ÷ ن × ١٠٠ .

من الجدول رقم (١) نلاحظ أن هذه الأرقام تدل علي أن معامل الانحراف يقل في المناطق ذات متوسطات الأمطار القليلة، وهذا يدل علي أن ظهرت ارتفاع معامل الانحراف تعبر عن ارتفاع التباين في هطول الأمطار من عام الي آخر، كما أن عدم وجود تباين كبير في معامل الانحراف بين محطات ولاية شمال كردفان يشير الي وجودها في نطاق مناخي واحد تتدرج فيه كميات الأمطار من الشمال الي الجنوب نحو النقصان، وهي نفس الصفة التي تتميز بها الأمطار في السودان حيث تقل الأمطار كلما اتجهنا شمالا. أوضح القصاص: ١٩٩٩م بأن ارتفاع معدل الانحراف يدل علي أن الانتقال من موسم المطر القليل الي موسم المطر العالي يتم بصورة مفاجئة من عام الي آخر ودون نظام محدد مما يوحي بسيادة نمط التذبذب العالي في كميات الأمطار من عام الي آخر حتي يصبح هذا التذبذب صفة من صفات التساقط وبالتالي يصنف التذبذب العالي في كميات الأمطار من عام الي آخر وبصورة مفاجئة من ضمن الظواهر المناخية ذات الأثر البالغ في النظام البيئي وفي مصادر المياه خاصة في المناطق التي تعتمد علي الأمطار في تغذية مصادر المياه.

جدول (١) متوسط المطر السنوي بالمليمترات ومعامل الانحراف في محطات أرصاد منطقة الدراسة (الفترة من ١٩٨٥-٢٠١٧)

محطة الأرصاد	المتوسط السنوي	معدل الانحراف %
الأبيض	٣٣١	١٠,٩ %
أم روبة	٣٣٤	١٠,٨ %
الرهـد	٣٤٢	١٠,٥ %

العين	٣٤٦	١٠,٤٪
السميح	٣٤٩	١٠,٣٪

المصدر: العمل الميداني ٢٠١٨م

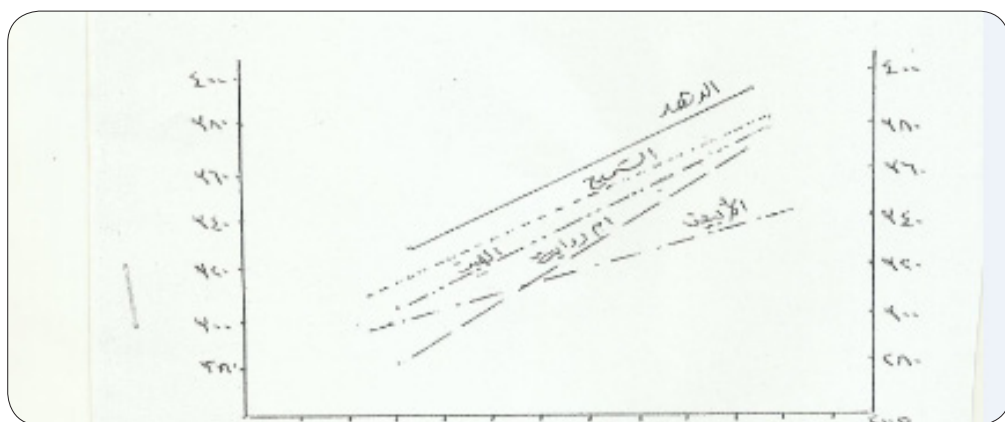
الطريقة الثانية اتبعها كل من (عبد المولي: ٢٠٠٠)^(١) و (الأمين الشيخ: ٢٠٠٢)^(٢) وتقوم علي حساب خط الاتجاه العام باستخدام المتوسطات النصفية لتعرف اتجاه سقوط الأمطار نحو الزيادة أو النقصان ، وقد تم تطبيق أسلوب المتوسطات النصفية بتقسيم البيانات المطرية في كل محطة الي فترتين شملت الفترة الأولى من ١٩٨٥ - ٢٠٠٢ والفترة الثانية من ٢٠٠٣ - ٢٠١٧ حيث يتم حساب المتوسط لكل فترة ، وبناء علي ذلك نجد أن متوسط الفترة من ٢٠٠٣ - ٢٠١٧ اكبر من متوسط الفترة من ١٩٨٥ - ٢٠٠٢ في جميع المحطات مما يوضح بأن هناك اتجاه عام نحو الزيادة في الأمطار مع تقدم الزمن ، جدول رقم (٢) . أوضح (عبد الرحيم: ٢٠٠٦)^(٣) و (بلال صديق: ٢٠٠٥)^(٤) بأنه وعلي الرغم من أن الأمطار في تزايد في كردفان مقارنة بفترة الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي ألا أن هذه الزيادة لم تنعكس أثارها علي الغطاء النباتي ولا علي التوالد الطبيعي للنبات ، لان معظم معدلات الأمطار بقيت دون المتوسط وان هطول الأمطار يكون في شكل زخات سريعة تحدث جريان سطحي سريع فتصرف مياه الأمطار بواسطة الأودية والخيران بصورة سريعة تقلل من فرص تشبع مصادر المياه الجوفية والسطحية . جدول رقم (٢) المتوسطات النصفية لمحطات الأرصاد الجوي في الفترة من ١٩٨٥ - ٢٠١٧م.

- ١ عبد المولي . خديجة يوسف . ٢٠٠٠ . التباين المناخي وأثره في النشاط الزراعي في منطقة الدلنج ولاية جنوب كردفان . رسالة ماجستير . جامعة الخرطوم
- ٢ الأمين الشيخ . عبد العزيز . ٢٠٠٢ . الهشاشة والفقر في المجتمعات الريفية . دراسة حالة محافظة بارا . رسالة دكتوراه غير منشورة . جامعة الخرطوم
- ٣ عبد الرحيم . بهية فتح الله . ٢٠٠٦ . نظم إدارة وتطوير إنتاج جنائين الهشاب . دراسة حالة محلية أما رواية . ورقة بحثية منشورة . مجلة النيلين . العدد ٤
- ٤ بلال . صديق محمد مختار . ٢٠٠٥ . نظم إنتاج وإدارة الجنائن المنتجة للاصماغ . ورقة مقدمه لورشة العمل القومية لنظم إنتاج للاصماغ وتعزيز قدرات جمعيات المنتجين الأبيض . ولاية شمال كردفان .

المحطات	١٩٧٠-٢٠٠٢	٢٠٠٣-٢٠١٧
الأبيض	٣٠٣/٢	٣٤٠
أم روبة	٢٨٥/٨	٣٧٠/٦
الرمه	٣٢٩/٣	٣٨٨/٣
العين	٣٠٦/٣	٣٧٧/٣
السميح	٣١٩/١	٣٨٢/٨

المصدر: عمل الباحثين ٢٠١٨م

شكل رقم (١) المتوسطات النصفية لمحطات الأرصاد الجوي في الفترة من ١٩٧٠ - ٢٠١٧م



المصدر: عمل الباحثين ٢٠١٨م

أن طبيعة التساقط بمنطقة الدراسة تجعلها عرضة للفشل في بعض المواسم، وأكثر العين فشلا في منطقة الدراسة في فصل الخريف هي النرة والجهة، وان فشلها يؤثر بشكل مباشر علي مصادر المياه السطحية والجوفية بمنطقة الدراسة باعتبار أن مياه الأمطار هي المصدر الوحيد لتغذية هذه المصادر بالمياه و (النقص في كم الأمطار الناتج من سيادة ظروف الجفاف يؤدي الي نقص حاد في المياه السطحية وتغذية المياه الجوفية بولاية شمال كردفان مما

يؤثر علي الغطاء النباتي (الشيخ: ٢٠٠٦ م)^(١). كما أن هناك ١٨ عينة جافة توجد في فصل الصيف الحار الرطب وفصل الشتاء البارد الجاف وفصل الصيف الحار الجاف وتبدأ من ٩ أكتوبر حتى ٢٠ يونيو، وهو جفاف طبيعي مرتبط بطبيعة المناخ في منطقة الدراسة ويؤثر بشكل مباشر علي مصادر المياه السطحية والجوفية علي حدا سواء لعدم وجود تغذية مائية.

٢- التكوينات النباتية المناخية (Climatic plant formation) في منطقة السافانا المدارية: هي احدي مكونات النظام الايكولوجي وهي جزء من شبكة متكاملة في البيئة الطبيعية (Sid Ahmed. ٢٠٠٤)^(٢)، تتفاعل مع بقية العناصر الأخرى، وتتأثر بها وتؤثر فيها بشكل مباشر او غير مباشر، وان (عناصر المناخ هي أكثر العناصر تأثيرا علي حيات التكوينات النباتية) (Rodis and others. ١٩٦٣ م)^(٣) في منطقة الدراسة بصفة عامة وعلي الغطاء النباتي الشجري بصفة خاصة، وتعتبر الأمطار هي العنصر المناخي الأكثر تأثيرا في الغطاء النباتي الشجري من حيث تولده الطبيعي ونموه، وذلك باعتبار أنها المصدر الأساسي والوحيد لتوفير الماء اللازم لحيات الغطاء النباتي الشجري وان (النقص في كميات الأمطار أو سوء توزيعها أو عدم هطولها يحدث فجوة كبيرة في الطاقة الكامنة لتتح النبات وتخزون الرطوبة في التربة التي تنمو عليها الأشجار، فتظهر اثار مباشرة علي الأشجار جراء نقص الماء تؤدي الي عجزه علي التوالد الطبيعي من خلال عدم مقدرة البذور علي النمو وموت النادرات حديثة النمو) (عبد الرحيم: ٢٠٠٦)^(٤) هذه التأثيرات المباشرة للعناصر المكونة للجفاف بمنطقة الدراسة أحدثت اختلال في النظام الايكولوجي اثر علي التوالد

١ الشيخ . حسن احمد حسن . ٢٠٠٦ . الجفاف الطبيعي وتأثيره في الغطاء النباتي الشجري في البيئات شبه الجافة من الساحل الإفريقي . دراسة حالة حزام الصمغ العربي . رسالة دكتوراه . جامعة بخت الرضا .

2Seif El din . A . G . 1971.the Natural Regeneration of Acacia Senegal . willd M.S.C. U of K.

3Rodis H.C and others (1963) : Availability of Ground water in Kordofan province. London .Oxford press.

٤ عبد الرحيم . هبة فتح الله . ٢٠٠٦ . نظم إدارة وتطوير إنتاج جنابن الهشاب . دراسة حالة محلية أما رواية . ورقة بحثية منشورة . مجلة النيلين . العدد ٤

الطبيعي للغطاء النباتي الشجري والتي يمكن توضيحها من الجداول (٣) (٤) (٥) الخاصة برصد التوالد الطبيعي في مسورات مربعات منطقة الدراسة نلاحظ:

في مسورات مربعات القطاع الأول A نجد نوع واحد من الأشجار الأمهات المنتجة للبذور في المسور A1F1 هي شجرة الهشاب A-Senegal وعددها شجرتان، وفي المسور A2F2 نجد أربعة أنواع من الأشجار والشجيرات وهي شجرة الهجليج Balanites aegdtiaca وعددها شجرة واحدة وشجيرة العشر (Calatropis procera) وعددها خمسة شجيرات و الهشاب A-Senegal وعددها شجرة واحدة وشجرة المخيط (Boscia senegalensis) وعددها شجرتان وفي المسور A3F3 نجد نوع واحد وهي شجرة الهشاب (A-Senegal)، وفي مسورات مربعات القطاع الثاني B نجد نوعين الشجيرات الأمهات المنتجة للبذور في المسور B1F1 وهي شجيرات اللعوت (A- nubica) وعددها شجرتان وشجيرة المخيط (Boscia senegalensis) عددها شجرة واحدة وفي المسور B2F2 نجد ثلاث أنواع من الأشجار والشجيرات وهي شجيرات اللعوت (A- nubica) وعددها شجرتان وشجيرة المخيط (Boscia senegalensis) عددها شجرة واحدة وشجيرة العشر Calatropis procera وعددها ثلاث شجيرات، وفي المسور B3F3 نجد نوعين من الأشجار والشجيرات وهي أشجار المخيط (Boscia senegalensis) وعددها شجرة واحدة وأشجار الكثر (A-mellifera) وعددها ثلاث شجيرات، وفي مسورات القطاع الثالث C نجد ثلاث أنواع من الأشجار الأمهات المنتجة للبذور، في المسور C1F1 نجد أشجار السنط (A-nilotica) وعددها أربع أشجار، وأشجار السيلال (A-vaudiana) وعددها شجرة واحدة، وأشجار الطلح (A-senynec) وعددها شجرتان، وفي المسور C2F2 توجد اشجار الكثر (A-mellifera) وعددها ٨ شجيرات وفي المسور C3F3 توجد أشجار الطلح (A-senynec) وعددها شجرتان، وأشجار الطنضدب Cobiarfis (decided) وعددها شجرتان وأشجار القفل (Boswelliapapyrifera) وعددها شجرة واحدة، وأشجار السنط (A-nilotica) وعددها شجرتين، وأشجار الهجليج Balanites aegdtiaca) وعدده شجرتين.

كل أنواع الشجرية داخل المسورات كأشجار أمهات لديها بزور علي تربة المسورات، وكل هذه الأنواع نجحت بزورها في النمو وإعطاء بادرات حديثة النمو، ما عدا اشجار السيال (*A-mellifera*) في القطاع الثالث في المسور $C1F1$ وأشجار الكتر (*A-vaudiana*) في القطاع الثاني B في المسور $B3F3$ حيث لم تنمو بادرات بالرقم من وجود أشجار أمهات وبزور، وقد يعزي ذلك الي عدم ملائمة الظروف الطبيعية لنموها خلال هذا الموسم.

هناك أنواع من البزور موجود داخل المسورات وليس لديها أشجار أمهات داخل المسور، ففي مسورات مربعات القطاع الأول A نجد ان المسور $A1F1$ به ثلاث أنواع من البزور ليس لديها أمهات داخل المسور نفسه، وهي بذور العشر (*Calatropis procera*) وبذور الغبيش (*Guiera senegolensis*) وبذور الهجليج (*Balanites aegdtiaca*)، وفي المسور $A2F2$ نجد بذور الغبيش (*Guiera senegolensis*)، اما في مسورات مربعات القطاع الثاني B، نجد أن في المسور $B3F3$ بذور العشر (*Calatropis procera*)، اما في مسورات مربعات القطاع الثالث C فلا توجد أي بزور أشجار داخل المسورات ليس لديها أشجار أمهات وقد يعزي ذلك الي طبيعة آلية نثر لبزور هذه الأنواع التي تمكنها من الانتشار علي مسافات قصيرة عكس طبيعة الية نثر بزور الأنواع في مسورات القطاعين الأول والثاني والتي تنتشر في مساحات واسعة.

نجد أن بعض الأنواع الشجرية التي نجحت في النمو وليس لديها أشجار أمهات وليس لديها بزور داخل مسورات مربعات القطاعات، ففي مسورات القطاع الأول A نجد في المسور $A2F2$ نجاح نمو شجيرات المرخ دون أن توجد لها أشجار أمهات أو بزور داخل المسور وقد يعزي ذلك الي آلية نثر بزور المرخ.

نجد أن التفاوت في عمق تواجد البزور في داخل مسورات مربعات منطقة الدراسة قد يعزي الي مقدار الفترة الزمنية التي تقضيها البزور في التربة قبل نموها ونراكم الأتربة والمرسبات عليها.

كميات البزور الموجودة داخل مسورات مربعات القطاعات تدل علي ان هناك مخزون جيد من البزور داخل المسورات سواء كان للأشجار الأصلية أو الأشجار الغازية.

ضعف معدل نمو إعدادات البادرات حديثة النمو مقارنة بإعدادات البزور داخل المسور يعزي الي عدم توفر الرطوبة الكافية في موسم المطر ٢٠١٨م للبذور العميقة تمكنها من النمو، اعزي (بلال، ٢٠٠٥م)^(١) ظاهرة ضعف نمو البادرات الحديثة مقارنة بمحتوي التربة من البزور في البيئات شبه الجافة الي الية حفظ النوع التي تتبعها بعض الأشجار من خلال كمون بعض انواع البذور عند عدم توفر الظروف البيئية المناسبة لنموها.

ضعف نسبة البادرات التي نجحت في النمو داخل امسورات حتي نهاية موسم المطر ٢٠١٩، حيث نجد في مسورات مربعات القطاع الأول A نجد في المسور A1F1 موت جميع بادرات الهشاب (A-Senegal) بنسبة ١٠٠٪ ونجاح نمو بادرات العشر (Calatropis procera) بنسبة ٢٣،١٪ وبادرات الغبيش (Guiera senegalensis) بنسبة ١٥،٣٪، اما في المسور A2F2 فنجد موت جميع بادرات الهشاب A-Senegal والهجليج (Balanites aegdtiaca) بنسبة ١٠٠٪ ونجاح نمو بادرات العشر (Calatropis procera) بنسبة ٥٦،٥٪ والمخيظ (Boscia senegalnsis) بنسبة ٣٢،١٪ وبادرات الغبيش (Guiera senegalensis) بنسبة ١٥٪، والمرخ بنسبة ٢٦،٥٪، وفي المسور A3F3 نجحت بادرات الهشاب (A-Senegal) في النمو بنسبة ٥،٦٪، اما في مسورات مربعات القطاع الثاني B فنجد ان المسور B1F1 نجاح نمو باتدرات اللعوت (A- nubica) بنسبة ٢٩٪ ونجاح نمو المخيظ (Boscia senegalnsis) بنسبة ١٤،٣٪، اما في المسور B2F2 فنجد نجاح نمو جميع أنواع البادرات بنسب مختلفة، فقد نجح اللعوت (A- nubica) بنسبة ١٣،٣٪، و المخيظ (Boscia senegalnsis) بنسبة ٦٤،٧٪ و بادرات العشر (Calatropis procera) بنسبة ٤٤٪، إما في مسور B3F3 فقد نجح نمو بادرات المخيظ (Boscia senegalnsis) بنسبة ٢٩٪، و بادرات العشر (Calatropis procera) بنسبة ٥١،٤٪، اما في مسورات مربعات القطاع الثالث C فنجد في المسور C1F1 نجاح نمو بادرات السنط (A-nilotica) بنسبة ٦٥٪، وبادرات الطلح (A-senynec) بنسبة ٨٣،٣٪، وفي المسور C2F2 نجاح نمو بادرات

١ بلال. صديق محمد مختار. ٢٠٠٥. نظم إنتاج وإدارة الجنائن المنتجة للاصماغ. ورقة مقدمه لورشة العمل القومية لنظم إنتاج للاصماغ وتعزيز قدرات جمعيات المنتجين الأبيض. ولاية شمال كردفان.

الكثر (A-mellifera) بنسبة ٤, ٥٤٪، اما في مسورات C٣F٣ فقد نجحت نمو بادرات الطلع (A-senynec) بنسبة ٦, ٤٤٪ و نجحت نمو بادرات السنط (A-nilotica) بنسبة ١, ٩٤٪ و الهجليج (Balanites aegdtiaca) بنسبة ٤٣٪، وعدم نجاح نمو بادرات وأشجار الطندب (Cobiarfis decided) و بادرات أشجار القفل (Boswellia papyrifera) بنسبة ١٠٠٪.

النتائج: من العرض أعلاه نلاحظ:

١- في مسورات مربعات القطاع الاول A ظهور بعض الانواع الشجرية كالهشاب (A-Senegal) في كل مراحل النمو من أمهات وبذور داخل التربة وبادرات قد يشير الي ملائمة هذا النوع لطبيعة وظروف المنطقة. ولكن عدم نجاح نمو بادرات الهشاب (A-Senegal) ألا في المسور A3F3 و بنسبة ٦, ٥٪ فقط قد يشير الي تأثر نمو البادرات بوجود أنواع أخرى لا يستطيع معها هذا النوع النجاح والاستمرار، وهذا يعني أن بادرات الهشاب (A-Senegal) هي الأكثر تأثراً بالمنافسة الأنواع الأخرى التي تستطيع تحمل اختلال النظام الايكولوجي الناتج عن الجفاف .

٢- في مسورات القطاع الثاني B سيادة شجرة المخيط (Boscia senegalnsis) في هذا القطاع مما يشير الي سلامة النظام الايكولوجي لهذا النوع في كل مراحل النمو من أمهات وبذور داخل التربة وبادرات، ونجاح بادراتها في النمو بنسب عالية تصل الي تصل الي ٧, ٦٤٪ في المسور B2F2، كما ان ظهور بادرات المخيط (Boscia senegalnsis) في كل مسورات القطاع الثاني B قد يؤكد سيادتها المستقبلية الكاملة في حذه البيئة علي حساب اللعوت A- nubica الذي يظهر كأشجار أمهات وبذور علي تربة المسور B1F1 والمسور B2F2 فقط وعلي حساب الأنواع الأخرى، كما نلاحظ أن أشجار الكثر (A-mellifera) هي أكثر الأنواع الغنية بمخزون بذور في داخل التربة للقطاع الثاني B ولكن عدم وجود بادرات حديثة النمو رغم وجود أشجار أمهات قد تشير الي عدم مقدرة الكثر (A-mellifera) علي السيادة في ظل اختلال النظام الايكولوجي الناتج عن الجفاف .

٣- في مسورات القطاع الثالث C بان هناك سيادة أشجار الطلح (A-senyec) و السنط (A-nilotica) بشكل أساسي بالإضافة الي أنواع أخرى مثل الكتر (A-mellifera) و الهجليج (Balanites aegdtiaca) كما نلاحظ أن أنواعا أخرى مثل أشجار الطندب (Cobiarfis decided) و أشجار القفل (Boswellia papyrifera) ظهرت كأشجار أمهات وبذور وبادرات ألا أن عدم نجاح البادرات في النمو حتي موسم المطر ٢٠١٩م يشير الي تأثير هذه الأنواع باختلال النظام الايكولوجي الناتج عن الجفاف كما أن عدد بذورها هو الأقل مقارنة بالأنواع الأخرى يؤكد أن تأثيرها باختلال النظام الايكولوجي الناتج عن الجفاف له مدة طويلة من الزمن وقد يهدد استمرار وجودها مستقبلا في هذا القطاع،

جدول رقم (٣) رصد التوالد الطبيعي في مسورات مربعات القطاع الأول A

الحصر داخل المسور		الأشجار الأمهات		أنواع البذور			بادرات حديثة		بادرات نجحت في النمو حتي نهاية الموسم		
		النوع	العدد	النوع	العمق/سم	العدد	النوع	العدد	النوع	العدد	النسبة %
A1F1	هشاب	٢	هشاب	هشاب	٣٠	٣٤٠	هشاب	٤٤	هشاب	-	-
				عشر	٣٠	٢٠٠	عشر	١١٣	عشر	١١	٢٣,١ %
				غبيش	٣٠	١٣٠	غبيش	٧٢	غبيش	١١	١٥,٣ %
				هجليج	٣٠	٤٦	هجليج	١٧	هجليج	-	-

هجليج	١	هجليج	٣٠	٧٧	هجليج	٤٠	هجليج	-	-
عشر	٥	عشر	١١	٤٣٠	عشر	٢٠٠	عشر	١١٣	٥٦,٥٪
هشاب	١	هشاب	٣٠	٨٦	هشاب	١١	هشاب	-	-
مخطط	٢	مخطط	١٠	١١٤	مخطط	٥٣	مخطط	١٧	٣٢,١٪
		غبيش	١٧	٣٢٠	غبيش	٦٠	غبيش	٩	١٥٪
		مخ			مخ	٣٤	مخ	٩	٢٦,٥٪
هشاب	١	هشاب	٣٠	٤٠٠	هشاب	٧٢	هشاب	٤	٥,٦٪
A2F2									
A3F3									

المصدر: العمل الميداني ٢٠١٨-٢٠١٩م

كما نلاحظ أن الأشجار الأصلية في هذا منطقة الدراسة عموما قد حقق اعلي معدل نجاح للنمو في مسورات القطاع الثالث C حيث حقق السنط (A-nilotica) نسبة ٩٤,١٪ في المسور C3F3 يليه القطاع الأول A الذي حقق نسبة ضئيلة في نجاح نمو البادرات الحديثة للأشجار الأصلية حيث نجح نجحت بادرات الهشاب (A-Senegal) في النمو بنسبة ٥,٦٪ وفي المسور A3F3، وهناك فشل تام في نمو بادرات الأشجار الأصلية في جميع مسورات مربعات القطاع الثاني B.

نلاحظ أن الأشجار الغازية في منطقة الدراسة عموما قد حققت اعلي معدل نجاح في نمو البادرات في مسورات مربعات القطاع الثاني B حيث حقق المخيط (Boscia senegalnsis) نسبة نجاح تصل الي ٦٤,٧٪ في المسور B2F2 يليه القطاع الأول A الذي حقق معدل نجاح متوسط في نمو بادرات الأشجار الغازية حيث حقق العشر (Calatropis procera) نسبة ٥٦,٥٪ في المسور A٢F٢، وهناك فشل تام في نمو بادرات الأشجار الغازية في مسورات القطاع الثالث C.

جدول رقم (٤) رصد التوالد الطبيعي في مسورات مربعات القطاع الثاني B

الحصر داخل المسور			الأشجار الأمهات		أنواع البذور			بادرات حديثة		بادرات نجحت في النمو حتي نهاية الموسم		
	النوع	العدد	النوع	العمق/سم	العدد	النوع	العدد	النوع	العدد	النوع	العدد	النسبة %
B1F1	لعوت	٢	لعوت	٨	٦٤	لعوت	٧	لعوت	٢	لعوت	٢	٢٩ %
	مخيط	١	مخيط	٥	٨٢	مخيط	١٤	مخيط	٢	مخيط	٢	١٤,٣ %
B2F2	لعوت	٢	لعوت	١١	١١٦	لعوت	٣٠	لعوت	٤	لعوت	٤	١٣,٣ %
	مخيط	١	مخيط	٤	٥٥	مخيط	١٧	مخيط	١١	مخيط	١١	٦٤,٧ %
	عشر	٣	عشر	٢	٤٨	عشر	٣٢	عشر	١٤	عشر	١٤	٤٤ %
B3F3	مخيط	١	مخيط	٨	٤٣	مخيط	٧	مخيط	٢	مخيط	٢	٢٩ %
	كتر	٣	كتر	٢١	٦١١	كتر	-	كتر	-	كتر	-	-
	عشر	٢	عشر	٥٠	٥٠	عشر	٣٥	عشر	١٨	عشر	١٨	٥١,٤ %

المصدر: العمل الميداني ٢٠١٨-٢٠١٩م

جدول رقم (٥) رصد التوالد الطبيعي في مسورات مربعات القطاع الثالث C

الحصر داخل المسور			الأشجار الأمهات		أنواع البذور			بادرات حديثة		بادرات نجحت في النمو حتي نهاية الموسم		
	النوع	العدد	النوع	العمق/سم	العدد	النوع	العدد	النوع	العدد	النوع	العدد	النسبة %
C1F1	سنط	٤	سنط	٣٠	٤٠٠	سنط	١٧	سنط	١١	سنط	١١	٦٥ %
	سيال	١	سيال	٣٠	١٢٦	سيال	-	سيال	-	سيال	-	-
	طلح	٢	طلح	٣٠	٤٥٤	طلح	١٢	طلح	١٠	طلح	١٠	٨٣,٣ %

C2F2	كثر	٨	كثر	٣٠	٨٤٠	كثر	١٥٦	كثر	٨٥	٥٤,٤ %
C3F3	طلح	٢	طلح	٣٠	٣١٥	طلح	٥٦	طلح	٢٥	٤٤,٦ %
	طنضدب	٢	طنضدب	٣٠	٧٠	طنضدب	٧	طنضدب	-	-
	قفل	١	قفل	٣٠	٣٤	قفل	٣	قفل	-	-
	سنت	٢	سنت	٣٠	١٢٠	سنت	١٧	سنت	١٦	٩٤,١ %
	هجليج	٢	هجليج	٣٠	١٥٠	هجليج	٤٠	هجليج	١٣	٤٣ %

المصدر: العمل الميداني ٢٠١٨-٢٠١٩م

٣- تأثير الجفاف علي حزام الصمغ العربي:

أطلق حزام الصمغ العربي علي المناطق التي تتمركز فيها الأشجار المنتجة للصمغ العربي وهي عبارة عن أحزمة نباتية تشكل جزء من نطاق السافانا قليلة المطر، ويمتد حزام الصمغ العربي بين خطي عرض ١٢° - ١٤° شمالاً، وتعتبر أشجار الاكشيا (Acacia) بأنواعها المختلفة من أكثر الأشجار الأصلية المنتشرة في حزام الصمغ العربي في شكل مشاجر نقية أو مختلطة، ويعتمد انتشارها علي محصلة العلاقة بين معدلات الإمطار السنوية وتوزيعها ونوع التربة وطبوغرافية وتضاريس الأرض

تأثير الجفاف الناجم عن عدم سقوط الأمطار: الفترة من ٩ أكتوبر حتي ٢١ يونيو يندر فيها احتمال سقوط الأمطار في منطقة الدراسة وبالتالي تنعدم فيها فرصة حصول الأشجار علي المياه من خلال التساقط، وهذه الفترة من الجفاف فترة ثابتة تتصف بها المناطق المدارية وأصبحت تشكل جزء أساسي من دورة حياة الأشجار بمنطقة الدراسة، ينعدم فيها نمو البذور وظهور بادرات حديثة، وتؤثر بشكل مباشر علي البادرات حديثة النمو التي نمت في موسم المطر وهي تعتبر الفترة الحرجة لنمو البادرات خاصة في العام الأول حيث تموت البادرات بنسبة كبيرة وتقل نسبة الموت في العام الثاني بسبب أن الأشجار تستطيع إن تؤقلم نفسها مع مرور الزمن بإتباع استراتيجيات تكيف معينه

تأثير الجفاف الناجم عن النقص وسوء توزيع كميات الأمطار: تعتبر الأمطار هي المصدر الأساسي للماء بمنطقة الدراسة ، ولا توجد فروقات كبيرة في كميات الأمطار الساقطة في منطقة الدراسة خلال الفترة من ١٩٨٥ حتى ٢٠١٩ م، ولكن تأثير الجفاف الناجم عن النقص وسوء توزيع كميات الأمطار علي الغطاء النباتي الشجري يتوقف علي مجموعة من العوامل الطبيعية التي تؤثر علي علاقة النبات بالماء، يعتبر عاملي التربة والطبوغرافيا هما الوسيط الأساسي بين الجفاف والغطاء النباتي الشجري بمنطقة الدراسة باعتبار إن الحرارة لا تمثل فارقا مناخيا بين أجزاء منطقة الدراسة التي تقع تحت مظلة حرارية متساوية، توجد ثلاث تربات ذات خصائص كيميائية متشابهة تقريبا، فهي تربات متعادلة مائلة للقلوية ولكنها تختلف في الخصائص الفيزيائية من حيث القوام والبناء والمحتوي المائي، وهي أيضا تختلف في تشكيلها الجيومورفولوجي الطبوغرافي، وهذا الاختلاف ادي الي اختلاف غطائها النباتي من حيث النوع والتردد والكثافة، فنجد ان كل تربة من التربات الثلاث ارتبط بها أنواع محددة من الأشجار- أشجار أصلية - توجد في شكل مشاجر نقية أو مختلطة تختلف في كثافتها وترددتها علي حسب الموقع الطبوغرافي الذي تنمو عليه.

الأنواع الشجرية الأصلية السائدة في منطقة الدراسة ارتبطت بنمط التوزيع الطبيعي للغطاء النباتي الشجري ولكن نتيجة لفشل بعض الأنواع الشجرية في التوالد الطبيعي كنتاج لسيادة ظروف الجفاف ظهرت أنواع جديدة غازية من الأشجار كانت سائدة في المناطق الجافة، واختفت بعض الأنواع الأصلية التي كانت توجد في منطقة الدراسة، وقد تزامن تاريخ تزايد الأنواع الغازية وتناقص واختفاء الأنواع الأصلية من الأشجار بتاريخ حدوث نوبات الجفاف الناتجة عن نقص وسوء توزيع كميات الأمطار.

من العمل الميداني ٢٠١٨-٢٠١٩م نجد إن أفراد عينة الدراسة في منطقة القطاع الأول A (تربة القوز) وبنسبة ١٠٠٪ قد اكدوا بان أشجار الهشاب (A- Senegal) غير قادرة علي التوالد الطبيعي لذا تزرع في شكل شتول وقد اعزي ٥٪ منهم عدم مقدرة الهشاب (A- Senegal) علي التوالد الطبيعي الي عدم كفاية الأمطار للإنبات البذور ونمو البادرات الجديدة، بينما ٢٥٪ قد ارجعوا السبب الي طول الفترة الجافة التي لا تنزل

فيها الإمطار، وان ٢٠٪ قد ارجعوا السبب سوء توزيع الإمطار في فترة الهطول والتي تسبب في موت البادرات بعد نموها أو موت البذرة وهي في طور النمو، وأنهم وبنسبة ١٠٠٪ قد اكدوا بان الأشجار المزروعة في منطقة القوز هي من نباتات المنطقة الأصلية تتمكن من إنتاج البزور وتصير أشجار أمهات. وقد اكدو أيضا بأنه وبعد تنظيف الأرض للزراعة وإزالة الأشجار منها فان الأشجار التي تنمو بعد ترك الأرض بور ليست من أشجار المنطقة الأصلية بل تنمو شجيرات غازية قادمة من المناطق الشمالية خاصة شجيرة العشر (*Calatropis procera*).

نجد إن أفراد عينة الدراسة في منطقة القطاع الثاني B (تربة القردود) وبنسبة ١٠٠٪ يرون بان الأشجار قادرة علي التوالد الطبيعي ونمو البذور في موسم الإمطار ولكنها تفشل في النمو حتي موسم الهطول القادم نسبة لطبيعة تربة القردود ذات التصريف السطحي العالي وقد اكدو أيضا بأنه وبعد تنظيف الأرض للزراعة وإزالة الأشجار منها فان الأشجار التي تنمو بعد ترك الأرض بور ليست من أشجار المنطقة الأصلية بل تنمو شجيرات غازية قادمة من المناطق الشمالية خاصة شجيرة اللعوت (*A- nubica*) وشجيرة المخيط (*Boscia senegalnsis*).

نجد إن أفراد عينة الدراسة في منطقة القطاع الثالث C وبنسبة ١٠٠٪ أن النباتات الأصلية تتمكن من النمو والاستمرار حتي موسم الإمطار القادم ولا توجد نباتات غازية وبعد ترك الأرض بور تنمو نفس الأنواع الأصلية.

جميع أفراد عينة الدراسة في القطاعات A-B-C وبنسبة ١٠٠٪ قد أوضحوا بأن البادرات حديثة النمو يبدأ نموها في الفترة من ٧/٤ - ٨/١٣ وهي الفترة التي تتزامن مع بداية هطول الإمطار في منطقة الدراسة وإذا تخطت الأشجار هذه الفترة نسبة لقلّة الإمطار لاتنمو لها بادرات جديدة إلا في موسم الهطول القادم وتتحول البذور الي حالة الكمون، وواضحو أن أكثر أنواع البادرات التي تنجح في النمو خلال هذه الفترة في تربة القوز هي العشر (*Calatropis procera*) وفي تربة القردود أشجار المخيط (*Boscia senegalnsis*) وفي تربة طمي الوديان أشجار الطلح (*A-senyc*).

من خلال نسب موت البادرات داخل مسورات مربعات القطاعات نلاحظ:

١- هناك اختلاف في نسب موت البادرات للنوع الواحد في مسورات مربعات كل قطاع علي حدا، مثل الاختلاف في نسبة موت بادرات الهشاب (A- Senegal) في مسورات مربعات القطاع الاول A ، واختلاف نسبة موت بادرات المخيط (Boscia senegalnsis) في مسورات مربعات القطاع الثاني B اختلاف نسبة موت بادرات السنط (A-nilotica) والطلح (A-senyc) بين المسورين C1F1 و C2F2 علي القطاع الثالث C ، وقد يعزي السبب في اختلاف نسبة موت بادرات في النوع الواحد في القطاع نفسه الي تأثيرات الاختلاف في الموقع الطبوغرافيا باعتبار إن هناك اختلاف في عوامل المناخ وعامل التربة.

٢- هناك اختلاف في نسب موت بادرات النوع الواحد مقارنة بالانواع الاحري في مسورات مربعات كل قطاع، مثل الاختلاف في نسبة موت بادرات الهشاب (A- Senegal) مقارنة ببادرات العشر (Calatropis procera) في مسورات مربعات القطاع الأول A ، والاختلاف في نسب موت بادرات المخيط (Boscia senegalnsis) مقارنة ببدرات اللعوت (A- nubica) في مسورات مربعات القطاع الثاني B والاختلاف في نسبة موت بادرات السنط (A-nilotica) والطلح (A-senyc) مقارنة ببادرات الطنضدب (Cobiarfis decided) والففل (Boswellia papyrifera) في مسورات مربعات القطاع الثالث C ، وقد يعزي السبب الي الخواص الفيو سولوجية لكل نوع علي حده والتي تمكنها من التعايش وتحمل العطش والي اختلاف في مقدار احتياجها للماء.

٣- هناك اختلاف في نسب موت البادرات بين القطاعات حيث نجد ان مجمل البادرات في مسورات القطاع الأول A ماتت بنسبة ٧٧٪، وفي مسورات مربعات القطاع الثاني B ماتت بنسبة ٧٠٪، وفي مسورات مربعات القطاع الثالث C ماتت بنسبة ٤٨٪ وقد يعزي ذلك الي الاختلاف في نوع التربة والاختلاف في الطبوغرافيا والي الاختلاف في الأنواع الشجرية نفسها من حيث احتياجها للمياه ومقدرتها علي تحمل العطش.

التوصيات: في ضوء ما وضجته نتائج الدراسة يمكن تقديم بعض المقترحات التي من الممكن ان تساهم في درء اثار الجفاف وللحفاظ علي الغطاء النباتي الشجري وتنميته والتي يمكن إيضاها في النقاط التالية:

١ - الاهتمام بالقياسات المتروولوجية فيما يتعلق بالمناخ من خلال إنشاء شبكه واسعة لمحطات الأرصاد الجوي والعمل علي إنشاء وتطوير نظم إنذار مبكر للتنبؤ بنوبات الجفاف.

٢ - تطوير عينات من النباتات المحلية ذات الإنتاجية العالية وتتميز بمقاومتها للجفاف

٣ - مراعاة الخصوصية المناخية للمناطق المدارية الواقعة تحت تأثير الجفاف بتحسين أنماط استخدام الأرض لتخفيف الضغط الواقع علي الغطاء النباتي الشجري بتقليل التزاماته البيئية تجاه الإنسان والحيوان وذلك بتوفير مصادر أخرى لتغذية الحيوان وتوفير الطاقة ومدخلات السكن.

قائمة المراجع:

١. أمين التوم. مهدي ١٩٧٤. مناخ السودان. الطبعة الأولى. معهد البحوث والدراسات العربية. القاهرة. جمهورية مصر العربية.
٢. الأمين الشيخ. عبد العزيز. ٢٠٠٢. الهشاشة والفقر في المجتمعات الريفية. دراسة حالة محافظة بارا. رسالة دكتوراه غير منشورة. جامعة الخرطوم. السودان
٣. بلال. صديق محمد مختار. ٢٠٠٥. نظم إنتاج وإدارة الجنائن المنتجة للاصماغ. ورقة مقدمه لورشة العمل القومية لنظم إنتاج للاصماغ وتعزيز قدرات جمعيات المنتجين الأبيض. ولاية شمال كردفان.
٤. حاج علي. محمد احمد. ١٩٩٩. الإبعاد الايكولوجية لاستغلال أشجار الاكشيا في الأراضي الجافة. رسالة دكتوراه غير منشورة. كلية الآداب. جامعة الخرطوم.
٥. ديكارب. ١٩٧٦. برامج مكافحة زحف الصحراء وإصلاح أثاره. الإدارة العامة للموارد الطبيعية. الخرطوم. السودان.

٦. الشيخ. حسن احمد حسن. ٢٠٠٦. الجفاف الطبيعي وتأثيره في الغطاء النباتي الشجري في البيئات شبه الجافة من الساحل الإفريقي. دراسة حالة حزام الصمغ العربي. رسالة دكتوراه. جامعة بخت الرضا.
٧. صالح. حسن عبد القادر صالح. ١٩٨٤. الجفاف. دار الشروق للنشر والتوزيع. عمان. الأردن.
٨. عبد الرحيم. بهية فتح الله. ٢٠٠٦. نظم إدارة وتطوير إنتاج جنانين الهشاب. دراسة حالة محلية أما روابة. ورقة بحثية منشورة. مجلة النيلين. العدد ٤.
٩. عبد الماجد. طلعت دفع الله عبد الماجد. ٢٠٠١. التنوع الإحيائي في الغابات واثره علي علي منتجات الغابات. الهيئة القومية للغابات. السودان.
١٠. عبد المولي. خديجة يوسف. ٢٠٠٠. التباين المناخي وأثره في النشاط الزراعي في منطقة الدلنج ولاية جنوب كردفان. رسالة ماجستير. جامعة الخرطوم. السودان.
١١. القصاص. محمد عبد الفتاح. ١٩٩٩. التصحر. تدهور الأراضي في المناطق الجافة. عالم المعرفة. جمهورية مصر العربية

المراجع الانجليزية:

1. – Bade, Kamal Hassan, 1990, protection Against Fire in Low Rain Full, Savanna Region of the Sudan, Khartoum
2. –Kimmel, H.D.(1970|). Experimental Principles and design in psychology. New York Mann, London
3. Mohomed D, E (2001) the management indicators of forest open range lands in semi-Arid Areas west of Eldueim white Nile state thesis M.S. Cuofk.
4. Rodis H.C and others (1963); Availability of Ground water in Kordofan province. London. Oxford press.
5. – Seif El din, A.G. 1971. the Natural Regeneration of Acacia Senegal, willd M.S.C. U of K.
6. Sid Ahmed, A.O (2004) the main Ecology, Butterworth Heine.
7. Yusuf, E. A.(1996) Understanding and Measuring Vegetation Changes in Sudan, Khartoum.

Vegetable Oils Benefits and Nutritive Values

By:

Mune Ibrahim Abdallah

Department of Food Science ,Faculty of Agriculture and
Natural Resource, University of Bakhtalruda, Sudan

Raga Yousif Abdel Rahman

Department of Food Science and Technology
University of Alzaiem Alazhari, Faculty of Tourism

Awatif Hassan Yagoub

Department of family science, Faculty of
Education University of Bakhtalruda, Sudan

Abstract

Fat and oils are nutritionally important because they form one of the three major classes of food. Vegetable oils contain higher proportion of unsaturated fatty acids, while solid fats contain more saturated fatty acids, which increased the low density lipoprotein (LDL) level of the blood. Palm oil, Sunflower ,Ground nut, sesame and Cotton seed oils were considered as source of mono and poly unsaturated fatty acids in addition to oil soluble vitamins (A, K and

E). Recently consumers demand for a healthier and safety food increased, there for the ultimate goal of this work to illustrate the values of some essential Sudanese vegetable oils,

Keywords: vegetable oils, mono unsaturated fatty acids and poly unsaturated fatty acids, vitamins.

مستخلص:

تعتبر الدهون والزيوت من أهم العناصر الغذائية، وتمثل أحد العناصر الغذائية الثلاث الكبرى، وللزيوت النباتية أهمية كبرى لما تحويه من أحماض دهنية غير مشبعة حيث تتركز الأحماض الدهنية المشبعة في الدهون الجامدة التي تسبب ارتفاع البروتين الدهني منخفض الكثافة في الدم بينما تحتوي الزيوت النباتية مثل زيت النخيل عبادة الشمس الفول السوداني السمسم وزيت بذرة القطن على نسبة عالية من الدهون حمض الدهنية

أحادية وعديدة عدم التشبع بالإضافة إلى الفيتامينات الذائبة فيه حيث زاد اهتمام المستهلك في الفترة الأخيرة بالأغذية الصحية، والهدف (ك،و،هـ)، الدهون وفوائد بعض الزيوت النباتية السودانية هو توضيح الأهمية الأساسية من هذه الورقة

Introduction:

Oils and fats are substances of vegetable or animal origin. They are insoluble in water and greasy to touch. The most important characteristic is that they have a caloric content more than twice as high as the other food stuff (9 kcal g⁻¹) (Kalanithi and Badri, 1993). Also they act as lubricants during mixing of ingredients and as media for heat transfer carrier for fat soluble vitamins. Also, they are a source of essential fatty acids (Charley, 1982). Sudan is one of the major oilseed producing countries. The major oilseeds that commercially cultivated in Sudan are cottonseed,

groundnut, sesame and recently, sunflower. They represent an important contribution to its export trade and major cash crops in several parts of the country as well as an important food items.

Fat and oils are nutritionally important because they form one of the three major classes of food. Oils are used in a variety of ways. They are used for food texturing, baking, and frying and also used industrially, in the manufacture of soap, detergent, cosmetics and oil paints. In plants, oil is deposited in the seeds mostly in the endosperm along with carbohydrates where they jointly nourish the embryo, it also found in some plants mesocarp e.g. in palm fruits. In animals, oil is found in various parts of the body e.g. liver (oyeyioa, 1993) Oil seed producing countries are anxious to increase the value of their primary exports by expanding processing industries. Establishment of a plant utilizing local crops will encourage allied or subsidiary industries and become a focal point for development

(Ziada and Eihussien, 2008).

Sudan environmental conditions are suitable for the production of many vegetable oils there for we have the potential to become the leader of the oil exporter countries in the world. The objective of this article to pay attention to our worth by studying the nutritional, biophysical, and functional properties of our Sudanese oil crops and to introduce new oil crops which would compete the others

Literature review Oils from plant seeds, called vegetable oil, are mostly edible and used in food preparations. Vegetable oils are preferred over the solid animal fats because of health benefits. Oils contain higher proportion of unsaturated fatty acids, while solid fats contain more saturated fatty acids, which increased the low density lipoprotein level of the blood, which is considered harmful for human health (Lucas, 2000). Over the course of the twentieth century, there was a 20-fold increase in consumption of vegetable oils resulting both from their increased availability and from recommendations to consume these oils as an aid to lower blood cholesterol levels (Ronald, 2017). Vegetable oils are used as the preferable choice in food preparations in Sudan where farmers grow different oil-seed crops. The oil obtained from these crops contains significant amount of linolenic acids (Khalil and Rahman, 1999).

Oilseeds such as Sunflower, Safflower, Soyabean, Rapeseed and

Groundnut are annual plants. They are the largest source of vegetable oils even though most oil bearing tree fruits provide the highest oil yields like Olive, Coconut and Palm trees (O'Brein, 2000). Oilseeds are grown in range of countries. Increases in a small number of crops, including Sunflower, Soyabean and Rapeseed, account for thin crease in world production oil. However, according to Food and Agriculture Organization (FAO), more traditional oil crops like groundnut and sesame seeds continue to be important in the food supply and food security of many countries (McKevith, 2005). Vegetable fats and oils can be used as

fat replacer in the dairy products so as to produce a healthier dairy products with low level of saturated fatty acids and cholesterol.

Sun flower oil:

1 Sunflower seed as a source of oil was recognized in India fifteen years back. It has gained much importance now-a-days as cooking oil in India because of its high poly unsaturated fatty acid content, blend flavour and good storage stability (Semwal and Arya, 1992).

It contains about 13% saturated fats, 27% mono unsaturated and 60% polyunsaturated fats (Ghafoorunissa and Krishnaswamy, 2000). The sunflower oil sample contained 67.76% of linoleic acid, which

is higher than palm oil and groundnut oil. The linoleic acid content of groundnut oil was about 39% less than that of sunflower oil. Huang et al. (1981) also reported higher value of linoleic acid (70.6 %) in sunflower oil samples. Wu et al., 2014 reported that, levels of

linoleic acid in plasma phospholipids in 2792 participants were used as surrogate indicators of linoleic acid consumption, and higher levels of linoleic acid were associated

with lower total mortality that was attributed to lower incidence of cardiovascular disease. The sunflower oil contained more polyunsaturated fatty acids whereas the groundnut oil contained more monounsaturated fatty acid and palm oil was slightly richer in saturated fatty acids.

Groundnut oil:

Groundnut oil is extracted from the seeds of *Arachis hypogaea* other edible oils in having no distinct flavour. It retains quite a luscious taste that makes it the preferred oil for chefs all over the world (Clarke et al., 1997)

In Sudan, groundnut is one of the main sources of edible oil production for local consumption and exports (Salih et al 1986). The crop is primarily used for oil extraction in Sudan. It is consumed directly because of its high food value it plays an important role in diets of rural populations, particularly children, because of its high contents of protein, fat, and carbohydrate. Groundnut haulms are nutritious for feeding livestock (IARC Monographs, 2002). Parvathi and Geervani (1976) reported that ground nut oil contained 51.86 and 31.71% of oleic and linoleic Acid, respectively.

Sesame oil:

Sesame (*Sesamum indicum* L.) family Pedaliaceae, is one of the most ancient oil seeds crop known to mankind. It is extensively grown around the world in the zone extending from 35° N to 25° S latitude. India, Sudan, China and Burma are considered as the major producers (60% of the total world production) (Abou-Gharbia, 2000). Sesame seeds are an important source of edible oil and high quality protein; most of these seeds are used for oil extraction and food preparations (Elleuch, et al 2007). Sesame oil has a pleasant flavor and regarded as a superior vegetable oil. It ranks second with regard to nutritional value after olive oil (Alpaslan et al,

2001). Sesame seed oil shows a remarkable stability to oxidation (Abou-Gharbia, et.al, 2000) due to its high content of natural antioxidants, e.g., tocopherols, sesamol, sesamolin, and sesamin (Ali and Seki-Katsuta 2007). Sabah El Khier et.al (2008) determined the fatty acids composition of sesame oil from different cultivars grown in Sudan they stated that, the most abundant fatty acids in the cultivars were oleic, linoleic, palmitic and stearic acids. Rahman (2007) stated that, the oil composition depends on climatic conditions, soil type, maturity of plant, crop variety, and method of processing, while physicochemical properties of sesame seed oil affected by their lipids and glyceride composition.

Cotton Seed Oil:

Cotton seed (*Gossypium* spp.) are mainly grown as a fiber crop; However, its seeds contain significant amount of oil and are used for edible extraction (Arif, et al., 2012). The often-ignored fact is that the cotton plant produces more food for man and feed for animals than fibre. All elements of cotton seed as it is often considered as «Golden Goose», linters, kernels and hulls are used in various consumer products, delicious food and nutritious feed for animals. Cotton seed oil is among the most unsaturated oils (Agarwal et.al, 2003), others being safflower, corn, soybean, rapeseed and sunflower seed oils. Cotton seed oil has a ratio of 2:1 of polyunsaturated to saturated fatty acids and generally consists of 65–70% unsaturated fatty acids including 18–24% monounsaturated (oleic) and 42–52% polyunsaturated (linoleic) and 26–35% saturated (palmitic and stearic). Palm oil;

Palm oil is derived from the mesocarp of the oil palm fruit (*Elaeisguineansis*). It is a native of West Africa where wild palms are still harvested and the oil is obtained by simple traditional methods in the village. Palm oil is obtained from the flesh surrounding the seed, simply by cooking, mashing and pressing. In India, palm oil is cultivated in Andhra Pradesh, West Bengal, Kerala and Karnataka states. Since palm oil is used worldwide in food, its nutritional properties are naturally of great interest to the consumers (MPOPC, 2002). Palm oil consists mainly of glycerides (9%) and about 0.5 percent non-glyceride materials (Choo, 1994). It is a highly viscous semi-solid fat, orange-red in colour and has 45–56 iodine value and 31.380C melting point. Palm oil also contains other minor constituents, such as free fatty acids, which determine the oil's chemical and physical characteristics. Crude palm oil contains high content of mono-unsaturated fatty acids. The uniqueness of palm oil from other vegetable oils lies in its fatty acid composition and their position in the triglyceride structure. In spite of its higher palmitic acid content, red palm oil does not behave like animal fats that are rich in saturated fatty acids. This is because, in palm oil the middle (2nd) position of triglyceride structure is occupied mainly by unsaturated fatty acid (oleic), which are absorbed into the intestine after the fatty acid at 1 and 3 positions are split off during digestion thus, more of oleic acid is available to the body from palm oil. It could be blended with other vegetable oils rich in polyunsaturated fatty acids such as sunflower, groundnut, coconut etc, so that crude palm oil blend contains

recommended ideal fatty acid composition which is required for the maintenance of good health. Besides, it is richest source of α -carotene, antioxidant and precursor of vitamin A and tocotrienols, all of which have antioxidant properties (Tan, 1999, and MPOPC, 2002). The dominated fatty acid in crude palm oil was palmitic acid i.e. 43.45% followed by oleic acid (40.98%) and linoleic acid (14.67% of total fatty acids). Stearic acid was 0.88% of total fatty acids.

Conclusion:

Sudan environment is suitable for the production of many types of oil crops, there for we have to increase oilseed production so as to meet the world increase in the demand for food and industrial oil crops, there is insufficient researches on Sudanese oils, there for we have to encourage the scientific research to evaluate the benefits of the Sudanese oil crops and to introduce new oil crops that would compete the others.

References:

- Abou-Gharbia, H.A, Shehata A.A.Y, Shahidi F (2000) Effect of Processing on Oxidative Stability and Lipid Classes of Sesame Oil. Food Res Inter 33;331–340
- Agarwal, D.K. Singh, P. Chakrabarty, M Shaikh, A.J and Gayal S.G (2003). Cotton Seed Oil Quality, Utilization and Processing, Central Institute for Cotton Research Nagpur CICR Technical Bulletin NO; 25 www.cicr.org.in
- Ali, G.M, Yasumoto S, Seki-Katsuta M (2007) Assessment of Genetic diversity in sesame (*Sesamum indicum* L.) detected by Amplified fragment length polymorphism markers. Elect J Biotechnol 10; 12–23

- Alpaslan, M. E. Boydak and M. Demircim, (2001).

Protein and oil composition of soybean and sesame seed grown in the Harran (GAP) area of Turkey. Session 88B, Food Chemistry, Food Composition and Analysis

- Arif, M., Nasiruddin, Masood, T and Sadaqat Shah, S (2012).

EVALUATION OF OIL SEEDS FOR THEIR POTENTIAL NUTRIENT. ARPJ Journal of Agricultural and Biological Science, V. 7, No. 9

- Charley, H. (1982). Food science, 2nd Ed. New York, John Wiley and Sons Publishers, 91–95.
- Choo, Y.M. (1994). Food and Nutr. Bull 15, 130–137.
- Clarke, R., C. Frost, R. Collins, P. Appleby and R. Peto, 1997. *Dietary lipids and blood cholesterol; Quantitative meta-analysis of metabolic ward studies. Br. Med. J., 314(7074), 112–117.
- Elleuch MS, Besbes O, Roiseux C, Blecker HA (2007) Quality characteristics of sesame seeds and by-products. Food Chem 103, 641–650
- Ghafoorunissa and Krishnaswamy, K. (2000). Diet and Heart Disease. National Institute of Nutrition, Hyderabad, pp. 23–35.
- Huang, A.S., et al (1981). J. Am. Oil Chem. Soc, 58, 997–1001.
- IARC Monographs (2002). Some Traditional Herbal Medicines, Some Mycotoxins, Naphthalene and Styrene. International Agency for Research
- McKevith B. (2005) British Nutrition Foundation, Nutrition Bulletin, 30, 13–26.
- MPOPC. (2002). Palm Oil. Malaysian Palm Oil Promotion Council. PP 1–8

- Kalanithi, N. & Badri, M. (1993). Nutritional properties of palm oil.

In Selected readings on palm oils and its uses. POFP edition. Malaysia; PORIM Publishers, 57–58.

- Khalil, I.A. and Rahman, H. (1999). Qualitative and quantitative genetic variation for oil content in several maize genotypes. *Sarhad J. Agric.* 15, 559–562.

- Lucas, E. W. (2000). Oilseeds and oil-bearing materials. In;

Handbook of Cereal Science and Technology. K Kulp, J Ngte

(eds). Marcel Dekker, New York, USA.

- O'Brein R.D., Farr W.E. and Wan P.J. eds. (2000) 2nd edn, AOCS press, Champaign, Illinois.

- Oyeyiola, J.A. (1993). Nigerian Foods and Feeding Stuff IUP Ibadan; PP 50–52.

- Parvathi, T. and Geervani, P. (1976). *J. Food Sci. Technol*, 13, 192–195.

- Rahman MS, Hossain MA, Ahmed GM, Uddin MM (2007) Studies on the characterization, lipids and glyceride compositions Of Sesame (*Sesamum indicum* Linn.) Seed Oil. *Bangladesh J Sci Ind Res* 42; 67–74

- Ronald J. Jacek (2017). Linoleic Acid; A Nutritional Quandary www.mdpi.com/journal/healthcare

- Sabah El Khier, M.K, Ahmed, K.E, and Yagoub, A.A (2008).

Chemical Composition and Oil Characteristics of Sesame Seed Cultivars Grown in Sudan. *Research Journal of Agriculture and Biological Sciences*, 4(6); 761–766

- Salih FA, Ali AM, Elmubarak AA (1986) Effect of phosphorus application and time of harvest on the seed yield and quality of faba bean. *FABIS Newsletter* 15; 32–35

- Semwal, A.D. and Arya, S.S. (1992). *J. Food. Sci. Technol*, 29, 250–252.

- Tan, B. (1987). In: Int. Palm/Palm Oil Conf. Tech. Prog. and Prospects. Kuala Lumpur, Malaysia; PORIM Press. pp. 370–376.
- Wu, J.H.; Lemaitre, R.N.; King, I.B.; Song, X.; Psaty, B.M.; Siscovick, D.S.; Mozaffarian, D (2014). Circulating omega-6 polyunsaturated fatty acids and total and cause-specific mortality; The Cardiovascular Health Study. *Circulation*, 130, 1245–1253. [CrossRef] [PubMed]
- Ziyada, A.K and Elhussien, S.A (2008). Physical and Chemical Characteristics of *Citrullus lanatus* Var. *Colocynthis* Seed Oil. *Journal of Physical Science*, Vol. 19(2), 69–75,

أدب الاختلاف بين المسلمين

إعداد / د. عادل حسن حمزة سعيد

أستاذ مشارك بجامعة الزعيم الأزهرى (السودان)

مقدمة

الحمد لله الذي أنار السبيل لأهل الإسلام، وأطلع علماءهم في سماء الاجتهاد بروجا للأنام، فاستضاءت بهم الخليقة، وسلكوا بهم من الدين مذهبا وطريقة، فهم على الطريق منائر اختلفت مذاهبهم ولم تختلف قلوبهم. وصلى الله وسلم على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين، وأصحابه الطاهرين، الذين سلكوا في الطريق المستقيم سبلا لم تخرجهم عن الجادة، ولم تجلب عليهم من اللوم مادة. وبعد؛ فهذه ورقة مختصرة أتناول فيها موضوع أدب الخلاف بين المسلمين، وتهدف الورقة إلى:

١. بيان مفهوم الاختلاف والفرق بينه وبين الخلاف.

٢. أهم الآداب التي يجب مراعاتها عند الاختلاف.

فالاختلاف بين أهل الحق سائغ وواقع، ما دام في حدود الشريعة وضوابطها فإنه لا يكون مذموما بل يكون ممدوحا ومصدرا من مصادر الإثراء الفكري ووسيلة للوصول إلى القرار الصائب، وما مبدأ الشورى الذي قرره الإسلام إلا تشريعا لهذا الاختلاف الحميد ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ...﴾ [آل عمران: ١٥٩]. فكم كان النبي صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه ويستمع إلى آرائهم وتختلف وجهات نظرهم.

فالاختلاف حسب الرؤية القرآنية لا يتناقض مع الوحدة الإنسانية، وهو حق من الحقوق التي كفلها الإسلام وعدّها من القوانين الطبيعية، وجعل من الرحمة والعدل والتسامح والتعايش والحوار... مبادئ تُنظّم التعامل مع المخالف، وسبلا للبحث عن المشترك الإنساني؛ فالاختلاف بهذا المعنى لا يقتضي الصراع والنزاع والشقاق، بل يفضي إلى مزيد من التآلف والتراحم والاحترام، ولا ينبغي أن يفسد للود قضية بأي حال من الأحوال..

وقد كتب العديد من المفكرين في سُنَّة الاختلاف وكيفية تديره، من أمثال طه جابر العلواني في كتابه: (أدب الاختلاف في الإسلام)، و طه عبدالرحمن في كتابه: (الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري)، و عبد الله البطليوسي في كتابه: (الإنصاف في أسباب الاختلاف)، و محمد عوامة في كتابه: (أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين)، وعباس الجيراري في كتابه: (الحوار من منظور إسلامي)، أو علي القريشي في كتابه: (المسلمون والآخر، حوار لا صدام).

حتى يكون الاختلاف ظاهرة صحية معتبرة ونافعة بعيدة عن الخلاف المذموم الذي يفرق الصف ويزرع العداوة والبغضاء بين أفراد، لابد من الإحاطة بفقه الاختلاف من حيث مفهومه في اللغة واصطلاح الفقهاء، والفرق بين الخلاف والاختلاف وأسبابه، والوقوف على حال الصحابة حال اختلافهم في عصر النبوة، وآداب الاختلاف في الإسلام، والوسائل المؤدية إلى الاتفاق ووحدة الصف، وحرية اختلاف الرأي و قبول الآخر.

١- حقيقة الاختلاف والفرق بينه وبين الخلاف؛

أولاً: الاختلاف في اللغة؛

قال صاحب المصباح المنير: «الخلاف والاختلاف في اللغة: ضد الاتفاق، وهو أعم من الضد، لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين»^١.

فمثلاً: السواد والبياض ضدان ومختلفان، أما الحمرة والخضرة فمختلفان، وليساً ضدين، والخلاف أعم من الضدية؛ لأنه يحمل معنى الضدية، ومعنى المغايرة مع عدم الضدية.

الاختلاف: الاختلاف والمخالفة أن ينهج كل شخص طريقاً مغايراً للآخر في حاله أو في قوله^٢. والخلاف أعم من «الضد» لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين.

ولما كان الاختلاف بين الناس في القول قد يفضي إلى التنازع استعير ذلك للمنازعة والمجادلة، قال تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ...﴾ [مريم: ٣٧] ﴿وَلَا يَزَالُونَ

١ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، (١/ ١٧٨).

٢ - التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت- القاهرة، (١/ ١٥٨).

مُخْتَلِفِينَ ﴿ هود: ١١٨ ﴾ ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴾ [الذاريات: ٨] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [يونس: ٩٣].

وعلى هذا يمكن القول بأن «الخلاف والاختلاف» يراد به مطلق المغايرة في القول أو الرأي أو الحالة أو الهيئة أو الموقف. فالاختلاف هو التباين في الرأي والمغايرة في الطرح أما الخلاف فهو مصدر من خالف إذا عارضه، قال تعالى: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالَفَكُمْ إِلَى مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ [هود: ١١]. وقال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ [النور: ٢٤].

والاختلاف قد يوحي بشيء من التكامل والتناغم كما في قوله تعالى ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ﴾ [فاطر: ٣٥]. وأما الخلاف فإنه لا يوحي بذلك وينصب الاختلاف غالباً على الرأي اختلف فلان مع فلان في كذا والخلاف ينصب على الشخص.

ثم إن الاختلاف لا يدل على القطيعة بل قد يدل على بداية الحوار فإن ابن مسعود اختلف مع أمير المؤمنين عثمان في مسألة إتمام الصلاة في سفر الحج ولكنه لم يخالف بل أتم معه وقال: الخلاف شر. والاختلاف في الأصول ضلال، وفي الآراء والحروب حرام، والاختلاف في الفروع هو كالاختلاف في الحلال والحرام ونحوهما؛ والاتفاق فيه خير قطعاً ولكن هل يقال إن الاختلاف فيه ضلال؟ كالأولين فيه خلاف^١.

والاختلاف: هو أن يكون الطريق مختلفاً والمقصود واحداً.

والخلاف: هو أن يكون كلاهما مختلفاً.

والاختلاف: ما يستند إلى دليل.

والخلاف: ما لا يستند إلى دليل.

والاختلاف من آثار الرحمة، كما في الحديث المشهور: «اختلاف أمتي رحمة»^٢، والخلاف

١ / الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي المحقق: عدنان درويش - محمد المصري الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، (ص ٦١).

٢ / قال السبكي كما نقله عنه المناوي في "فيض القدير" وليس هذا الحديث بمعروف عند المحدثين، ولم أقف له على سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع. وأسنده في "المدخل" وكذا الديلمي في "مسند الفردوس" كلاهما من حديث ابن عباس مرفوعاً بلفظ "اختلاف أصحابي رحمة"، قال الحافظ العراقي: سنده ضعيف. وفي "طبقات ابن سعد" عن القاسم بن محمد نحوه. وأخرج البيهقي في "المدخل" عن القاسم بن محمد أو عمر بن عبد العزيز: لا يسرني أن أصحاب محمد لم يختلفوا، لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة =

من آثار البدعة [وفسر الشيخ الإمام أبو بكر قوله صلى الله عليه وسلم: « سألت ربي فيما يختلف فيه أصحابي من بعدي فأوحى الله تعالى إليّ أن يا محمد إن أصحابك عندي بمنزلة النجوم بعضها اضواء من بعض فمن أخذ بشيء مما هم عليه فهو عندي على الهدى»^١. بأن من تمسك بطاعة الأمراء إلا في المعصية، وابتاع العلماء إلا في الزلة والبدعة، ولزوم الجماعة والجمعات إلا عند الضرورة، فهو في الفروع من أهل الاختلاف والرحمة، ومن ترك شيئاً منها فهو من أهل الخلاف والبدعة، فالاختلاف من آثار الرحمة، والخلاف من آثار البدعة^٢.

٢- أقسام الاختلاف؛

أ- **خلاف أملاء الهوى:** قد يكون الخلاف وليد رغبات نفسية لتحقيق غرض ذاتي أو أمر شخصي وقد يكون الدافع للخلاف رغبة التظاهر بالفهم أو العلم أو الفقه. وهذا النوع من الخلاف مذموم بكل أشكاله ومختلف صورته لأن حظ الهوى فيه غلب الحرص على

= وقال شيخ الإسلام موفق الدين بن قدامة المقدسي في "لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد": "وأما النسبة إلى إمام في فروع الدين. كالتوائف الأربعة فليس بمذموم، فإن الاختلاف في الفروع رحمة، والمختلفون فيه محمودون في اختلافهم، مثابون في اجتهادهم، واختلافهم رحمة واسعة، واتفاقهم حجة قاطعة.

فلا شك أن اختلاف الأئمة المجتهدين في فهم نصوص الكتاب والسنة وما تدل عليه ظاهرة طبيعية في شريعة الإسلام، لأن أكثر نصوصه ظنية الدلالة، وهذا الاختلاف ما أراد الله تعالى ورضيه، فهو رحمة وتوسعة ومجال للتنافس والإبداع، ولقد كان من أثره هذا التراث الضخم الذي تحفل به المكاتب الإسلامية من المؤلفات المتنوعة، وقد كان اختلافهم في القرآن في بعض ما استنبط منه من أحكام نتيجة للخلاف في فهمه لخفاء في دلالاته بسبب من الأسباب، كالاشتراك في لفظه، أو التخصيص في عامه، أو التقييد في مطلقه، أو ورود نسخ عليه، أو غير ذلك من الأسباب المبينة في مظانها واختلافهم في السنة لا يقتصر على اختلافهم فيما تدل عليه الأحاديث وما يراد منها كما هو الحال في آية القرآن، بل يتجاوز ذلك، فيختلفون في الحكم على الحديث صحة وضعفًا، فيرى بعضهم صحيحًا ما يراه الآخر ضعيفًا. إلى غير ذلك من أسباب الاختلاف الكثيرة التي بينها العلماء في مؤلفاتهم.

وأما الاستشهاد ببعض الآيات التي تدم الخلاف وتنهي عنه وتحذر منه على حرمة الخلاف في فهم النصوص، فهو استشهاد في غير محله.

١ / المدخل إلى السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي، المحقق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت، (١/ ١٦٢).

٢ / الكليات: (ص ٦٢).

تحري الحق والهوى لا يأتي بخير فهو مطية الشيطان إلى الكفر، قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]. وبالهوى جانب العدل من جانبه من الظالمين. ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا﴾ [النساء: ١٣٥]، وبالهوى ضل وانحرف الضالون. ﴿قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ٥٦] والهوى ضد العلم ونقيضه، وغريم الحق، ورديف الفساد، وسبيل الضلال: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]. ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١]. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١١٩].

وأنواع الهوى متعددة وموارده متشعبة وإن كانت في مجموعها ترجع إلى «هوى النفس وحب الذات» فهذا الهوى منبت كثير من الأخطاء وحشد من الانحرافات، ولا يقع إنسان في شبابه حتى يزين له كل ما من شأنه الانحراف عن الحق والاسترسال في سبيل الضلال حتى يغدو الحق باطلا والباطل حقا والعياذ بالله.

ب- خلاف أملاه الحق: قد يقع الخلاف دون أن يكون للنفس فيه حظ أو للهوى عليه سلطان فهذا خلاف أملاه الحق، ودفع إليه العلم واقتضاه العقل، فمخالفة أهل الايمان لأهل الكفر والشرك والنفاق خلاف وواجب لا يمكن لمؤمن مسلم أن يتخلى عنه، أو يدعو لإزالته لأنه خلاف سده الايمان ولحمته الحق. وكذلك اختلاف المسلم مع أهل العقائد الكافرة والملحدة، كاليهودية والنصرانية والوثنية والشيوعية، ولكن الاختلاف مع أهل تلك الملل وهذه العقائد لا يمنع من الدعوة إلى إزالة أسبابه بدخول الناس في دين الله أفواجها وتخليهم عن دواعي الخلاف من الكفر والشرك والشقاق والنفاق وسوء الاختلاف والإلحاد والبدع والترويج للعقائد الهدامة.

ج- خلاف يتردد بين المدح والذم: ولا يتمحض لأحدهما، وهو خلاف في أمور فرعية تتردد أحكامها بين احتمالات متعددة يترجح بعضها على بعضها الآخر بمرجحات وأسباب سنأتي على ذكرها -إن شاء الله- ومن أمثلة هذا التقسيم: اختلاف العلماء في انتقاض الوضوء من الدم الخارج من الجرح، والقيء المتعمد، واختلافهم في حكم القراءة

خلف الإمام وقراءة البسملة قبل الفاتحة والجره ب «آمين» وغير ذلك من أمثلة تضيق عن الحصر وهذا النوع من الاختلاف مزلة الأقدام، إذ يمكن فيه أن يلتبس الهوى بالتقوى، والعلم بالظن والراجح بالمرجوح والمردود بالمقبول ولا سبيل إلى تحاشي الوقوع في تلك المزالق إلا باتباع قواعد يحتكم إليها في الاختلاف، وضوابط تنظمه، وآداب تهيمن عليه، وإلا تحول إلى شقاق وتنازع وفشل، وهبط المختلفان فيه عن مقام التقوى إلى درك الهوى، وسادت الفوضى، وذر الشيطان قرن.

أقوال العلماء في الاختلاف:

قال ابن أبي حاتم: «قال مالك: ثم قال لي أبو جعفر المنصور: قد أردت أن أجعل هذا العلم علمًا واحدًا فأكتب به إلى أمراء الأجناد وإلى القضاة فيعملون به فمن خالف ضربت عنقه! فقلت له: يا أمير المؤمنين أو غير ذلك قلت: إن النبي كان في هذه الأمة وكان يبعث السرايا وكان يخرج فلم يفتح من البلاد كثيرًا حتى قبضه الله عز وجل، ثم قام أبو بكر بعده فلم يفتح من البلاد كثيرًا، ثم قام عمر بعدهما ففتحت البلاد على يديه فلم يجد بداً من أن يبعث أصحاب محمد معلمين فلم يزل يؤخذ عنهم كابرًا عن كابر إلى يومهم هذا، فإن ذهبت تحولهم مما يعرفون إلى ما لا يعرفون رأوا ذلك كفرًا. ولكن أقر أهل كل بلدة على ما فيها من العلم، خذ هذا العلم لنفسك فقال لي: ما أبعدت القول اكتب هذا العلم لمحمد يعني ولده المهدي الخليفة من بعده»^١.

يقول الحافظ بن رجب: «ولما كثر اختلاف الناس في مسائل الدين وكثر تفرقهم، كثر بسبب ذلك تباغضهم وتلاعنهم، وكل منهم يظن أنه يبغض الله وقد يكون في نفس الأمر معذورًا وقد لا يكون معذورًا بل يكون متبعًا لهواه مقصرًا في البحث عن معرفة ما يبغض، فإن كثيرًا كذلك إنما يقع لمخالفة متبوع يظن أنه لا يقول إلا الحق، وهذا الظن قد يخطئ ويصيب. وقد يكون الحامل على الميل إليه مجرد الهوى والألفة أو العادة وكل هذا يقدر في أن يكون هذا البغض لله، فالواجب على المسلم أن ينصح لنفسه ويتحرز في هذا غاية التحرز

١ / الموطأ: مالك بن أنس بن مالك بن عامر، المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان - أبو ظبي - الإمارات الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، (١/ ٧٧).

وما أشكل منه فلا يدخل نفسه فيه خشية أن يقع فيما نهى عنه من البغض المحرم^١. انتهى كلام الحافظ وهو كلام في غاية الفضل.

قال الشافعي: «ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة». وقال: «ما ناظرت أحداً إلا قلت اللهم أجر الحق على قلبه ولسانه فإن كان الحق معي اتبعني وإذا كان الحق معه اتبعته»^٢.

ولكن المذموم في الاختلاف في الفروع هو التعصب للرأي وإن ثبت أن هذا الرأي مخالف لما صح عن رسول، فالتعصب صفة ذميمة لا ينبغي للمسلم أن يتصف بها.

قال ابن القيم: «فإذا كان الاختلاف على وجه لا يؤدي إلى التباس والتحري وكل من المختلفين قصده طاعة الله ورسوله لم يضر ذلك الاختلاف فإنه أمر لا بد منه في النشأة الإنسانية لأنه إذا كان الأصل واحداً والغاية المطلوبة واحدة والطريقة المسلوكة واحدة لم يكدر يقع اختلاف وإن وقع كان اختلافاً لا يضر»^٣

وهنا أورد قصة يتضح من خلالها معنى الاختلاف بين المسلمين وتبين أسبابه وقد جرت أحداث هذه القصة بين المأمون ورجل ارتد من الإسلام إلى النصرانية، قال المأمون للمرتد: خبرنا عن الشيء الذي أوحشك في ديننا بعد أنسك به واستيحاشك مما كنت عليه؛ فإن وجدت عندنا دواء دائك تعالجت به، وإن أخطأ بك الشفاء ونبا عن دائك الدواء كنت قد أعذرت ولم ترجع على نفسك بلائمة، وإن قتلناك قتلناك بحكم الشريعة، وترجع أنت في نفسك إلى الاستبصار والثقة وتعلم أنك لم تقصر في اجتهاد ولم تفرط في الدخول

١ / جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، الحنبلي، تحقيق: الدكتور محمد الأحمد أبو النور، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، (٩٧٩/٣)

٢ / قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، الملقب بسلطان العلماء، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، طبعة: جديدة مضبوطة منقحة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩١ م، (١٦٠/٢)

٣ / الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ، (٥١٩/٢)

من باب الحزم؛ قال المرتد: أوحشني ما رأيت من كثرة الاختلاف فيكم، قال المأمون: لنا اختلافان: أحدهما كالاختلاف في الأذان، والتكبير في الجنائز، والتشهد، وصلاة الأعياد، وتكبير التشريق، ووجوه القراءات، ووجوه الفتيا، وهذا ليس باختلاف، إنما هو تخير وسعة وتخفيف من المحنة، فمن أذن مثني وأقام مثني وأقام فرادي، ولا يتعايرون بذلك ولا يتعايرون، والاختلاف الآخر كنحو اختلافنا في تأويل الآية من كتابنا، وتأويل الحديث مع اجتماعنا على أصل التنزيل واتفاقنا على عين الخبر، فإن كان الذي أوحشك هذا حتى أنكرت هذا الكتاب، فقد ينبغي أن يكون اللفظ بجميع التوراة والإنجيل متفقاً على تأويله كما يكون متفقاً على تنزيله، ولا يكون بين جميع اليهود والنصارى اختلاف في شيء من التأويلات؛ وينبغي لك ألا ترجع إلا إلى لغة لا اختلاف في تأويل ألفاظها؛ ولو شاء الله أن ينزل كتبه ويجعل كلام أنبيائه وورثة رسله لا يحتاج إلى تفسير الفعل، ولكننا لم نر شيئاً من الدين والدنيا دفع إلينا على الكفاية، ولو كان الأمر كذلك لسقطت البلوى والمحنة، وذهبت المسابقة والمنافسة ولم يكن تفاضل، وليس على هذا بنى الله الدنيا. قال المرتد: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن المسيح عبد، وأن محمداً صادق، وأنت أمير المؤمنين حقاً^١.

وقد يستغرب الشخص العادي غير المتخصص في الدراسات الفقهية مثل هذا الاختلاف، لا اعتقاده أن الدين واحد، والشرع واحد، والحق واحد لا يتعدد، والمصدر واحد وهو الوحي الإلهي، فلماذا التعدد في الأقوال، ولم لا يوحد بين المذاهب، فيؤخذ بقول واحد يسير عليه المسلمون، باعتبارهم أمة واحدة؟! وقد يتوهم أن اختلاف المذاهب اختلاف يؤدي إلى تناقض في الشرع، أو المصدر التشريعي، أو أنه اختلاف في العقيدة كاختلاف فرق غير المسلمين من أرثوذكس وكاثوليك وبروتستانت، والعياذ بالله!!

وهذا كله وهم باطل، فإن اختلاف المذاهب الإسلامية رحمة ويسر بالأمة، وثروة تشريعية كبرى محل اعتزاز وفخر، واختلاف في مجرد الفروع والاجتهادات العملية المدنية الفقهية، لا في الأصول والمبادئ أو الاعتقاد، ولم نسمع في تاريخ الإسلام أن اختلاف المذاهب الفقهية أدى إلى نزاع أو صدام مسلح هدد وحدة المسلمين، أو ثبط همتهم في لقاء أعدائهم؛ لأنه اختلاف جزئي لا يضر، أما الاختلاف في العقيدة فهو الذي يعيها ويفرق بين أبنائها،

١ / عيون الأخبار: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، (٢/ ١٧٠)

ويمزق شملها، ويضعف كيائها، لهذا فإن العودة إلى العمل بالفقه الإسلامي، والاعتماد على تقنين موحد مستمد منه سبيل لتدعيم وحدة الأمة الإسلامية ونبذ خلافاتها^١.

قال الإمام السيوطي رحمه الله في رسالته «جزيل المواهب في اختلاف المذاهب»: «اعلم أن اختلاف المذاهب في هذه الملة نعمة كبيرة، وفضيلة جزيلة عظيمة، وله سر لطيف أدركه العالمون، وعمي عنه الجاهلون، حتى سمعت بعض الجهال يقول: النبي - صلى الله عليه وسلم - جاء بشرع واحد فمن أين مذاهب أربعة؟»^٢.

وقال شيخ الإسلام موفق الدين بن قدامة المقدسي في «لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد»: «وأما النسبة إلى إمام في فروع الدين. كالطوائف الأربعة فليس بمذموم، فإن الاختلاف في الفروع رحمة، والمختلفون فيه محمودون في اختلافهم، مثابون في اجتهادهم، واختلافهم رحمة واسعة، واتفاقهم حجة قاطعة.

فلا شك أن اختلاف الأئمة المجتهدين في فهم نصوص الكتاب والسنة وما تدل عليه ظاهرة طبيعية في شريعة الإسلام، لأن أكثر نصوصه ظنية الدلالة، وهذا الاختلاف ما أراده الله تعالى ورضيه، فهو رحمة وتوسعة ومجال للتنافس والإبداع، ولقد كان من أثره هذا التراث الضخم الذي تحفل به المكاتب الإسلامية من المؤلفات المتنوعة، وقد كان اختلافهم في القرآن في بعض ما استنبط منه من أحكام نتيجة للخلاف في فهمه لخفاء في دلالاته بسبب من الأسباب، كالاشتراك في لفظه، أو التخصيص في عامه، أو التقييد في مطلقه، أو ورود نسخ عليه، أو غير ذلك من الأسباب المبينة في مظانها واختلافهم في السنة لا يقتصر على اختلافهم فيما تدل عليه الأحاديث وما يراد منها كما هو الحال في أي القرآن، بل يتجاوز ذلك، فيختلفون في الحكم على الحديث صحة وضعفًا، فيرى بعضهم صحيحًا ما يراه الآخر ضعيفًا. إلى غير ذلك من أسباب الاختلاف الكثيرة التي بينها العلماء في مؤلفاتهم.

وأما الاستشهاد ببعض الآيات التي تذر الخلاف وتنهي عنه وتحذر منه على حرمة الخلاف في فهم النصوص، فهو استشهاد في غير محله.

١ / الفقه الإسلامي وأدلته: أ. د. وهبة الزحيلي، الناشر: دار الفكر - سوربة - دمشق، (١/ ٦٤)

٢ / وما أكثر القائلين لهذه العبارة في زماننا هذا والفرق بينهم وبين أهل ذلك الزمان أن أولئك كانوا ينسبون إلى الجهل أما هؤلاء فيدعون العلم وينسبون إليه؛ فقف وتأمل وتعجب!!! والله الأمر من قبل ومن بعد.

وخلاصة القول أن الاختلاف في الفروع لا بأس به وأن فيه توسعة على الأمة ما دام صادرًا عن أهل العلم والاجتهاد.

٣- آداب الاختلاف:

يقول الدكتور طه جابر العلواني: «إن الاختلاف بوجهات النظر بدل أن يكون ظاهرة صحة تغني العقل المسلم بخصوصية في الرأي، والاطلاع على عدد من وجهات النظر، ورؤية الأمور من أبعادها وزواياها كلها، وإضافة عقول إلى عقل، انقلب عند مسلم عصر التخلف إلى وسيلة للتآكل الداخلي والإنهاك، وفرصة للاقتتال، حتى كاد الأمر أن نصل ببعض المختلفين إلى حد التصفية الجسدية، وإلى الاستنصار والتقوي بأعداء الدين على صاحب الرأي المخالف، ولهذا في التاريخ القريب والبعيد شواهد، فكثيرا ما يعجز الإنسان عن النظرة الكلية السوية للأمر، والرؤية الشاملة للأبعاد المتعددة فيقع وراء جزئية يضخمها ويكبرها حتى تستغرقه إلى درجة لا يمكن معها أن يرى شيئا آخر، أو إنساناً يرى رأياً آخر، وقد تصل به إلى أن يرى بمقاييسات محزنة أعداء الدين اقرب إليه من المخالفين له بالرأي من المسلمين الذين يلتقون معه على أصول العقيدة نفسها»^١.

ويقول أيضًا: «لقد وصلت حدة الاختلاف إلى مرحلة أصبح الشرك معها يأمن على نفسه عند بعض الفرق الإسلامية التي ترى أنها على الحق المحض أكثر من المسلم المخالف لها بوجهة النظر والاجتهاد، حيث أصبح لا سبيل معها للخلاص من التصفية الجسدية إلا بإظهار صفة الشرك. انه الاختلاف الذي يتطور ويتعمق أخاذه فيسيطر على الشخص ويمتلك عليه حواسه إلى درجة ينسى معها المعاني الجامعة والصيد المشترك الذي يلتقي عليه المسلمون، ويعدم صاحبه الإبصار إلا للمواطن التي تختلف فيها وجهات النظر، وتغيب عنه أبجديات الخلق الإسلامي، فتضطرب الموازين، وينقلب عنده الظني إلى قطعي، والمتشابه إلى محكم، وخفي الدلالة إلى واضح الدلالة، والعام إلى خاص، وتستهوي النفوس العليلة مواطن الخلاف، فتسقط، في هاوية تكفير المسلمين، وتفضيل غيرهم من المشركين عليهم... وقد تنقلب الآراء الاجتهادية والمدارس الفقهية التي محلها أهل النظر

١ / أدب الاختلاف في الإسلام: طه جابر فياض العلواني الناشر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية، عام النشر: ١٩٨٧ م، ص ٥.

والاجتهاد، على أيدي المقلدين والأتباع إلى ضرب من التحزب الفكري، والتعصب السياسي، والتخريب الاجتماعي تؤول على ضوئه آيات القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فتصبح كل آية أو حديث لا توافق هذا اللون من التحزب الفكري إما مؤولة أو منسوخة، وقد يشتد التعصب ويشدد فتعود إلينا مقولة الجاهلية: «كذاب ربيعة أفضل من صادق مضر»^١.

فهناك آداب عامة ينبغي على المختلفين أن يراعوها ومن أهمها:

١- العذر بالجهل: يقول ابن تيمية: وكثير من المؤمنين قد يجهل هذا فلا يكون كافرًا.

وفي حديث ابن ماجة عن حذيفة «يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة وليسري على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقولها، فيقول صلة بن زفر لحذيفة راوي الحديث ما تغني عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة؟ فأعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة، فقال: يا صلة تنجيهم من النار. ثلاثاً»^٢ رواه الحاكم أيضًا.

٢ - العذر بالاجتهاد: يقول ابن تيمية أعذار الأئمة في الاجتهاد فليس أحد منهم يخالف حديثاً صح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - عمداً فلا بد له من عذر في تركه مضيئاً: والأعذار ثلاثة أنواع:

أحدها: عدم اعتقاده أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قاله.

والثاني: عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك.

والثالث: اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ.

وعذر المقلد من نوع عذر الجاهل يقول ابن عبد البر: ولم يختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها. ويقول ابن تيمية: وتقليد العاجز عن الاستدلال للعالم يجوز عند الجمهور. ويقول ابن القيم: فالعامي لا مذهب له لأن المذهب إنما يكون لمن له نوع نظر واستدلال.

١ / المرجع السابق، ص ٦.

٢ / سنن ابن ماجة، لابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، (١٣٤٤/٢).

٣- العذر باختلاف العلماء:

عدم الإنكار في مسائل الاختلاف ومسائل الاجتهاد يقول ابن القيم: إذا لم يكن في المسألة سنة ولا إجماع وللاجتهاد فيها مساغ لم تنكر على من عمل فيها مجتهداً أو مقلداً^١. ويقول العز بن عبد السلام: من أتى شيئاً مختلفاً في تحريمه إن اعتقد تحليله لم يحز الإنكار عليه إلا أن يكون مأخذ المحلل ضعيفاً^٢. وقال إمام الحرمين: ثم ليس للمجتهد أن يعترض بالردع والزجر على مجتهد آخر في موقع الخلاف إذ كل مجتهد في الفروع مصيب عندنا ومن قال إن المصيب واحد فهو غير متعين عنده فيمتنع زجر أحد المجتهدين الآخر على المذهبين^٣.

٤- الفرق في التعامل:

والفرق أصل من أصول الدعوة ومبدأ من مبادئ الشريعة ففي حديث الرجل الذي بال في المسجد وزجره أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - فنهاهم عليه الصلاة والسلام قائلاً: لا ترموه - أي لا تقطعوا بوله - وأتبعوه ذنوباً من ماء وقال للرجل إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذه القاذورات. وحديث خوات بن جبير - رضي الله عنه - حين رآه مع نسوة فقال ماذا تبغي هاهنا قال التمس بعيراً لي شارداً. ثم حسن إسلامه وخلصت توبته فمأزحه عليه الصلاة والسلام قائلاً: ماذا فعل بعيرك الشارد قال: قيده الإسلام يا رسول الله. وحديث الأعرابي الذي أعطاه فقال له أحسنت عليك فقال كلاماً غير لائق فهم به الصحابة فنهاهم عليه الصلاة والسلام وأدخله في البيت فأعطاه ثم خرج به وقال هل أحسنت فقال أحسنت علي وفعلت وفعلت فضحك عليه الصلاة والسلام وضرب مثلاً بصاحب الراحلة الشاردة.

٥- أن لا يتكلم بغير علم:

قال تعالى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] لا بد من الإحاطة بما في المسألة قبل أن تخالف.

١ / إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب

العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، (٣ / ٢٢٤)

٢ / قواعد الأحكام، مصدر سابق، (١ / ١٠٩)

٣ - (الإرشاد ص ٣١٢).

قل للذي يدعى علما ومعرفة
علمت شيئا وغابت عنك أشياء
فالعالم ذو كثرة في الصحف منتشر
وأنت يا خل لم تستكمل الصحف.

أدب الاختلاف بين الصحابة رضي الله عنهم :

وقد وقع الاختلاف المحمود بين الصحابة رضي الله عنهم، وقد سردت لنا كتب الأحاديث والسير والتاريخ كثيرا من مشاهد هذا الاختلاف، ولكن ذلك الاختلاف ما زاد قلوبهم إلا مودة، وما زادهم إلا إخاء وصفاء. وأخرج البيهقي في « المدخل » عن القاسم بن محمد أو عمر بن عبد العزيز: « لا يسرني أن أصحاب محمد لم يختلفوا، لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة »^١.

ومن أمثلة ذلك :

١ / اختلافهم في فهم قوله صلى الله عليه وسلم: « لا يصلين أحد العصر إلا في

بني قريظة »:

روى البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب: « لا يصلين أحد العصر الا في بني قريظة. فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، أي: ديار بني قريظة. وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منا ذلك. فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يعنف واحدا منهم »^٢ وظاهر من هذا الحديث الشريف ان الصحابة رضوان الله عليهم انقسموا الى فريقين في موقفهم من أداء صلاة العصر: فريق أخذ بظاهر اللفظ، وفريق استنبط من النص معنى خصصه به. وتصويب رسول الله صلى الله عليه وسلم للفريقين دليل على مشروعية كل من المذهبين.

فالمسلم اذن، له أن يأخذ بظاهر النص وله ان يستنبط من المعاني ما يحتمله النص وبممكن التدليل عليه ولا لوم على من بذل جهده وكان مؤهلا لهذا النوع من الجهد. فالفريق الثاني

١ / فيض القدير شرح الجامع الصغير: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي القاهري، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر الطبعة: الأولى، ١٣٥٦، (١/ ٢٠٩).

٢ / اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان: محمد فؤاد عبد الباقي، (١/ ٥٦٣).

من الصحابة رضوان الله عليهم فهموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أراد أن يأمرهم بالمبالغة في الإسراع ولذلك اعتبروا أن أداءهم الصلاة قبل الوصول إلى بني قريظة لا ينافي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة في بني قريظة ما دامت الصلاة لن تؤخرهم عن الوصول. ومن الطريف أن ابن القيم رحمه الله أورد اختلاف الفقهاء في تصويب أي من الفريقين، وبيان الأفضل من فعل كل منهما، فمن قائل: إن الأفضل فعل من صلى في الطريق فحاز قصب السبق في أداء الصلاة في وقتها وتلبية أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قائل: إن الأفضل فعل من آخرها ليصلها في بني قريظة.

٢ / بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «لما كان يوم بدر قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «ما تقولون في هؤلاء الأسرى؟»، فقال أبو بكر: يا رسول الله، قومك وأهلك استبقهم، واستأن بهم؛ لعل الله أن يتوب عليهم، وقال عمر: يا رسول الله، أخرجوك وكذبوك، قربهم فاضرب أعناقهم... فدخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يردّ عليهم شيئاً. فقال ناس: يأخذ بقول أبي بكر، وقال ناس: يأخذ بقول عمر... فخرج عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: ((إِنَّ اللَّهَ لَيَلِينُ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ حَتَّى تَكُونَ أَلَيْنَ مِنَ اللَّبَنِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيَشْدُقُ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ حَتَّى تَكُونَ أَشَدَّ مِنَ الْحِجَارَةِ، وَإِنْ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمِثْلَ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَام - قَالَ: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى قال: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، وإن مثلك يا عمر كمثل نوح قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنَا عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦] وإن مثلك يا عمر كمثل موسى قال: ﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨].^١

٣ / بين عمر وابن مسعود رضي الله عنهما:

كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من أقرأ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله

١ / مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط - الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، (٦/١٣٨).

وسلم لكتاب الله، ومن أعلمهم بالسنة، حتى كان كثير من الصحابة يعدونه من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكثرة ملازمته له، قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: كنا حيناً وما نرى ابن مسعود وأمه إلا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كثرة دخولهم ولزومهم له، وقال أبو مسعود البصري مشيراً إلى عبد الله بن مسعود: (ما أعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترك بعده أحداً أعلم فيما أنزل الله تعالى من هذا القام، فقال أبو موسى: لقد كان يشهد إذا غبنا، ويؤذن له إذا حجبنا، وعمر رضي الله عنه في الطرف الآخر معروف بفقته وجلالة قدره، وكان ابن مسعود أحد رجال عمر في بعض الأعمال، وقد وافق عبد الله بن عمر في كثير من اجتهاداته حتى اعتبره الكاتبون في تاريخ التشريع أكثر الصحابة تأثيراً بعمر، وكثيراً ما كانا يتوافقان في اجتهاداتهما وطرائقهما في الاستدلال، وربما رجع عبد الله إلى مذهب عمر في بعض المسائل؛ كما في مسألة مقاسمة الجد والأخوة مرة إلى الثلث ومرة إلى السدس، ولكنهاختلفا في مسائل كثيرة، ومن مسائل الخلاف بينهما: أن ابن مسعود كان يطبق يده في الصلاة وينهى عن وضعهما على الركب، وعمر كان يفعل ذلك وينهى عن التطبيق، كان ابن مسعود يرى في قول الرجل لامرأته أنت على حرام يمين، وعمر يرى أنها طليقة واحدة، وكان ابن مسعود يقول في رجل زنا بامرأة ثم تزوجها: لا يزالان زانيين ما اجتماعا، وعمر لا يرى ذلك، ويعتبر أوله سفاحاً وآخره نكاحاً. وقد أوصل ابن القيم رحمه الله المسائل التي جرى الخلاف فيها بين عمر وابن مسعود رضي الله عنهما إلى مائة مسألة وأكثر^١، ومع هذا الخلاف المدون فإن اختلافهما هذا ما نقص من حب أحدهما لصاحبه، وما أضعف من تقدير ومودة أي منهما للآخر، فهذا ابن مسعود يأتيه اثنان أحدهما قرأ على عمر والآخر على صحابي آخر، فيقول الذي قرأ على عمر: أقرأنيها عمر بن الخطاب. فيجهش ابن مسعود بالبكاء حتى يتل الخصى بدموعه ويقول: أقرأ كما أقرأك عمر، فإنه كان للإسلام حصناً حصيناً يدخل الناس فيه ولا يخرجون منه، فلما أصيب عمر انثلم الحصن.

ويقبل ابن مسعود يوماً وعمر جالس، فلما رآه مقبلاً قال: « كنيف مليء فقهاً وعلماً»، وفي رواية: « كنيف مليء علماً أثرت به أهل القادسية». هكذا كانت نظرة عمر لابن مسعود

رضي الله عنهما. ولم يزد الاختلاف بينهما في تلکم المسائل إلا محبة وتقديرًا واحترامًا، ولنا أن نستنبط من تلك الأحداث ما شئنا من آداب تكون نبراسًا في معالجة القضايا الخلافية.

٤/ بين ابن عباس وزيد بن ثابت رضي الله عنهما؛

كان ابن عباس رضي الله عنه يذهب - كأبي بكر الصديق وكثير من الصحابة - أن الجد يسقط جميع الأخوة والأخوات في المواريث كالأب، وكان زيد بن ثابت - كعلي وابن مسعود وفريق من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين - يذهب إلى توريث الأخوة مع الجد ولا يحجبهم به، فقال ابن عباس يومًا: (ألا يتقي الله زيد؛ يجعل ابن الابن ابنًا ولا يجعل أب الأب أبا)، وقال: (لوددت أني وهؤلاء الذين يخالفونني في الفريضة نجتمع فنضع أيدينا على الركن، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين).

إن ابن عباس رضي الله عنهما الذي بلغت ثقته بصحة اجتهاده وخطأ اجتهاد زيد حد طلب المبالغة، رأى زيد بن ثابت يومًا يركب دابته فأخذ بركابه يقود به، فقال زيد: تنح يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيقول ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا، فقال زيد: أرني يدك، فأخرج ابن عباس يده، فقبلها زيد وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، وحين توفي زيد قال ابن عباس، هكذا يذهب العلم، وفي رواية للبيهقي في سننه: هكذا ذهب العلم لقد دُفن اليوم علم كثير.

وكذلك اختلف كثير من الصحابة، وفي كثير من المسائل، ولكن ما اختلفت قلوبهم، وما حملت الضغينة نفوسهم؛ فهم على الفور، وبعد كل اختلاف ونقاش وحوار تتصافى منهم القلوب، وتطيب منهم النفوس.

والتأمل كذلك يرى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - عندما كان بين الصحابة كان الاختلاف بينهم أقل؛ وذلك - كما هو معلوم للجميع - لأنهم كانوا يعرضون اختلافهم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيصدر لهم الحكم الفصل في المسألة، وكانوا ممثلين لأمر الله - تعالى -:

﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

معالم أدب الاختلاف بين الصحابة:

- نستطيع على ضوء ما سبق أن نلخص معالم «أدب الاختلاف» في هذا العصر بما يلي:
- ١- كان الصحابة رضوان الله عليهم يحاولون ألا يختلفوا ما أمكن فلم يكونوا يكثر من المسائل والتفريعات بل يعالجون ما يقع من النوازل في ظلال هدي الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومعالجة الأمر الواقع - عادة - لا تتيح فرصة كبيرة للجدل فضلاً عن التنازع والشقاق.
- ٢- إذا وقع الاختلاف رغم محاولات تحاشيه سارعوا في ردّ الأمر المختلف فيه إلى كتاب الله وإلى رسوله - صلى الله عليه وسلم - وسرعان ما يرتفع الخلاف.
- ٣- سرعة خضوعهم والتزامهم بحكم الله ورسوله وتسليمهم التام الكامل به.
- ٤- تصويب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للمختلفين في كثير من الأمور التي تحتل التأويل، ولدى كل منهم شعور بأن ما ذهب إليه أخوه يحتمل الصواب كالذي يراه لنفسه، وهذا الشعور كفيل بالحفاظ على احترام كل من المختلفين لأخيه، والبعد عن التعصب للرأي.
- ٥- الالتزام بالتقوى وتجنب الهوى، وذلك من شأنه أن يجعل الحقيقة وحدها هدف المختلفين حيث لا يهم أي منهما أن تظهر الحقيقة على لسان أو على لسان أخيه.
- ٦- التزامهم بأداب الإسلام من انتقاء أطيب الكلم وتجنب الألفاظ الجارحة بين المختلفين مع حسن استماع كل منهما للآخر.
- ٧- تنزههم عن المماراة ما أمكن وبذلهم أقصى أنواع الجهد في موضوع البحث مما يعطي لرأي كل من المختلفين صفة الجد والاحترام من الطرف الآخر ويدفع المخالف لقبوله أو محاولة تقديم الرأي الأفضل منه.
- وبعد اختلاف الصحابة والتابعين وتابعيهم اختلف الأئمة والعلماء في فروع الدين وما الاختلاف بين أصحاب المذاهب الأربعة عنا ببعيد. ولا يجوز أن يقال إن اختلاف هؤلاء الفقهاء شر وسخط وعذاب بل فيه السعة والرأفة والرحمة بالأمة. وينبغي أن لا تضيق صدورنا بالخلافات الفقهية فهي أمر تعارف عليه المسلمون منذ الصدر الأول للإسلام بل إن الإمام مالك بن أنس رفض حمل جميع المسلمين على مذهب واحد لما عرض عليه بعض

الخلفاء العباسيين أن يحملوا المسلمين على ما قرره مالك في موطنه فرفض حمل الناس على ذلك حباً في التوسعة على المسلمين وعدم التضيق عليهم.

فلا يجوز مطلقاً مصادرة آراء الآخرين أو التحجير عليهم، باسم متابعة الكتاب والسنة، ورؤيت المخالفة في الرأي مخالف للكتاب والسنة. ويجب اعتماد الحوار الهادف في بناء وجهات النظر، وتصحيح الأخطاء، والتقريب بين الجماعات المختلفة، والتعاون في المسلمات المتفق عليها، وإعذار الآخر فيما حدث في الاختلاف مما باباه الأجر والأجران في مضمار الاجتهاد.

الآداب التي يجب على المؤمنين مراعاتها عند الاختلاف:

على المؤمنين - مهما اختلفت مذاهبهم، ومهما تعددت مشاربهم، ومهما تنوعت آراؤهم وتباينت أفكارهم - أن يراعوا جملةً من الآداب التي تحقق معنى التراحم والإخاء والوداد فيما بينهم، فهم - كما شبَّههم رسول الله، - صلى الله عليه وسلم - جسداً واحداً، وذلك عندما قال: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ: تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى))؛ البخاري ومسلم.

ومن أهم الآداب التي يجب مراعاتها بين المختلفين في رأي ما: أن يستخدم الإنسان اللين والتلطف في الحوار، وإبداء الرأي مع مَنْ يخالفه فيه، حتى وإن كان الخصم في غاية الكفر والعناد، فنبياً الله موسى وهارون - عليهما السلام - عندما أرسلهما رب العزة إلى فرعون الذي تجاوز الحد في الطغيان، والذي قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، أمرهما أن يُلينا له الكلام، فقال: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٣ - ٤٤]، فما يُدرك باللين لا يُدرك بالشدة.

ومن الآداب التي ينبغي مراعاتها ألا يكفر أحد المتحاورين الآخر؛ فقد نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك في جملة من الأحاديث؛ منها قوله - صلى الله عليه وسلم -: ((إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر؛ فقد بَاءَ بها أحدهما، فإن كان كما قال، وإلا رجعت عليه))؛ متفق عليه. ومن الدعائم الأساسية في أدب الاختلاف: الحوار بالحسنى، وإذا استخدمنا التعبير القرآني قلنا: الجدال بالتي هي أحسن، وهو ما أمر الله تعالى به في كتابه حين قال: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) (النحل: ١٢٥).

وهنا نجد تفرقة في التعبير بين المطلوب في الموعظة والمطلوب في الجدل. ففي الموعظة اكتفى بأن تكون حسنة، أما في الجدل فلم يرض إلا أن يكون بالتي هي أحسن، بمعنى أنه إذا كان هناك أسلوبان، أو طريقتان إحداهما حسنة، والأخرى أحسن منها وأفضل، فالمأمور به أن تتبع التي هي أحسن.

وسر ذلك: أن الموعظة ترجع - عادة - إلى الموافقين الملتزمين بالمبدأ والفكرة، فهم لا يحتاجون إلا إلى موعظة تذكّرهم، وترقق قلوبهم وتجلو صدأهم، وتقوي عزائمهم، على حين يوجه الجدل - عادة - إلى المخالفين، الذين قد يدفع الخلاف معهم إلى شيء من القسوة في التعبير، أو الخشونة في التعامل، أو العنف في الجدل، فكان من الحكمة أن يطلب القرآن اتخاذ أحسن الطرائق وأمثلها للجدال أو الحوار، حتى يؤتي أكله.

ومن هذه الطرائق أو الأساليب أن يختار المجادل أرق التعبيرات وألطفها في مخاطبة الطرف الآخر. ولهذا استخدم القرآن في مخاطبة اليهود، والنصارى، تعبيراً له إيجاباً ودلالته في التقريب بينهم وبين المسلمين، وهو تعبير (أهل الكتاب) أو (الذين أوتوا الكتاب) ولهذا جاء في القرآن مثل قوله تعالى: (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) (سورة النساء: ١٧١). (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم) (سورة المائدة: ١٥).

ومن آداب الاختلاف المهمة الإنصاف في عرض مسائل الخلاف: المقصود بها: ألا يعتمد أحد بخس أحد القولين أو الأقوال الواردة في مسألة خلافية بحجب بعض أدلتها، أو التدليس على أصحابها، أو انتقاصهم، أو المبالغة في عرض القول الذي يميل إليه ويعتقده صواباً.

ومن صور عدم الإنصاف:

- أ- إنكار الخلاف وادعاء الاتفاق وأحياناً الإجماع.
- ب- وضع الأدلة والقواعد الشرعية وأقوال العلماء في غير موضعها.
- ج- بتر الكلام المستشهد به من سياقه بحيث يظهر موافقته لمعتقده أو ضحالة وضعفه أو تحميل الكلام من المعاني ما لا يحتمله..
- د - تهميش أدلة المخالف وذكر أضعفها.
- هـ - الانتقائية في نقل الأدلة وأقوال الفقهاء.

و - عدم الثبوت في نقل الأقوال.

ح - ترك ما يصدر من قول معتبر عن المخالف.

ومن أدب الاختلاف احترام رأي المخالف وتقديره، ومراعاته، بل والعمل به لمصلحة شرعية معتبرة:

إن الاختلاف لا يمنع كما ذكرنا من التحقيق العلمي النزيه الذي يسفر عن صواب قول وخطأ آخر، لكن ليس معنى كون الآخر خطأ أن يسفه، وأن يهان أو أن يوصف بما توصف به الأقوال الكفرية، فيقال مثلاً: قول ساقط، وهو هدر، لا يعول عليه، قول جهول لا يصدر إلا عن جاهل... ونحو ذلك من الأوصاف.

ومن بديع ما كتب عن أدب الاختلاف بين العلماء أبيات الأديب علي الجارم، حيث يصف فيها حواراً علمياً بين عالين كبيرين حول تصحيح كلمة، هما: الشيخ أحمد الاسكندراني والشيخ حسين والي - رحمهما الله - فقال:

وَيَوْمًا مَعَ الإسْكَندَرِيٍّ رَأَيْتُهُ... يُجَادِبُهُ فَضْلَ الْحَدِيثِ الْمُشَقِّقِ
فَهَذَا يَرَى فِي لَفْظَةٍ غَيْرَ مَا يَرَى... أَخُوهُ، وَيَخْتَارُ الدَّلِيلَ وَيَنْتَقِي
فَقُلْتُ أَرَى لَيْثًا وَلَيْثًا تَجَمَّعَا... وَأَشْدَقُ مِلَّةَ الْعَيْنِ يَمْشِي لِأَشْدَقِ
وَأَعْجَبَنِي رَأْيِي سَلِيمٌ وَمَنْطِقٌ... يَصُورُ عَلَى رَأْيِ سَلِيمٍ وَمَنْطِقِ
وَقَدْ لَوَّحَتْ أَيْدِيهِمَا فَكَأَنَّهَا... إِشَارَاتُ رَايَاتٍ تَرُوحُ وَتَلْتَقِي
وَلَمْ أَرِ فِي لَفْظِيهِمَا نَبْرَ عَائِبٍ... وَلَمْ أَرِ فِي عَيْنَيْهِمَا لُحَّ مُحَنٍّ
فَقُلْتُ هِيَ الْفُضْحَى بِخَيْرٍ وَإِنَّهَا... بِأَمْثَالِ هَذَيْنِ الْحَفِيَّيْنِ تَرْتَقِي

الخاتمة

في ختام هذه الورقة يمكن نخلص إلى الآتي:

١/ معنى أدب الاختلاف أن أحترم الذي أمامي بما يقول ويطرح ويفكر، وأن أنطلق في محاورته من نقاط الاتفاق لا من نقاط الخلاف. لذلك كان الفقهاء يقولون كلامنا صواب يحتمل الخطأ تأكيداً منهم على قبول الرأي الآخر واحترامه.

٢ / إنَّ أدبَ الاختلاف عبادةٌ لله سبحانه لأنه طاعة لله وطاعة للرسول الكريم عليه السلام، وليس هناك أوضح دلالة من الآيات والأحاديث في ذلك.

٣ / الاختلاف المحمود يتناسب ويسر هذا الدين الذي يتعامل مع الناس من واقع حياتهم. ويعتبر رياضة للأذهان وتلاقح للآراء وفتح مجالات التفكير للوصول إلى سائر الافتراضات التي تستطيع العقول المختلفة الوصول إليها.

٤ / أن كل الأئمة وأصحاب المذاهب قد أخذوا من مَعين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الصافي، فكلهم من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مُلْتَمَس.

٥ / الفرق أصل من أصول الدعوة ومبدأ من مبادئ الشريعة فديننا الإسلامي دين المحبة والأخوة، ودين التوادد والتراحم، أشاع هذا المبدأ العظيم ليسود الود والوئام، وتتفشى الأخوة والترابط، وتعلو الساحة والبشر، وتمثلت هذه المعاني في معاملة النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاقه.

٦ / ينبغي على المسلمين ألاَّ يؤدِّي الاختلاف بينهم إلى الخصومة والبغضاء والشحناء، وعليهم أن يتحلوا بهذه الآداب التي ذكرها العلماء في كتبهم وعاشوها في واقع حياتهم.

التوصيات:

ولتحقيق مفهوم أدب الاختلاف وإنزاله إلى أرض واقع المسلمين أذكر التوصيات الآتية: أولاً: دراسة علوم الشريعة على أيدي العلماء الربانيين الذين يجمعون بين العلم والقدوة الحسنة والتقوى والفكر السليم والإدراك القويم لغايات الإسلام ومقاصده وكلياته والفقه في علومه.

ثانياً: أن يتخذ الدعاة من أسلوب التربية النبوية منهجاً لهم في الدعوة إلى الله.

ثالثاً: تعديل مسار الفكر لدى المسلمين، بحيث تعالج الأزمة الفكرية التي يعيشها المسلمون اليوم، ولا يدرك إلا القلائل أبعادها، هذه الأزمة التي تبرز بوضوح من خلال تدني مستوى الوعي والمعرفة والتربية في أبنائها، وتفكك علاقاتها وانحراف الكثرة الغالبة من قياداتها.

رابعاً: يجب علينا أن نعلم أولادنا منذ صغرهم أدبَ الاختلاف وأن نقنعهم بأننا لا يمكن أن نسوق العالم كله لأفكارنا دون أن نعطي الطرف الآخر حرية إبداء ما عنده وحرية التفكير والتصرف.

قائمة المصادر والمراجع:

• القرآن الكريم.

- (١) أدب الاختلاف في الإسلام: طه جابر فياض العلواني الناشر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية، عام النشر.
- (٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
- (٣) الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف؛ الدهلوي بدون طبعة ولا تاريخ.
- (٤) أسباب النزول؛ الواحدي (ت ٤٦٨ هـ)؛ تحقيق كمال بسيوني، زغلول، الناشر، دار الكتب العلمية، ط ١ / ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
- (٥) تفسير القرآن العظيم؛ الحافظ ابن كثير (٧٠٠-٧٧٤ هـ)؛ تحقيق، د. محمد السيد وآخرين طبعة دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٢.
- (٦) الموافقات؛ الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ)، دار ابن القيم دار ابن عفان، طبعة ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م.
- (٧) جامع بيان العلم وفضله؛ ابن عبد البر؛ تحقيق أبي الأشبال الزهيري، الناشر، دار ابن الجوزي، الدمام طبعة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤.
- (٨) الجامع المسند الصحيح من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، البخاري أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ)؛ تحقيق اللجنة العلمية بدار الكمال المتحدة طبعة ١٤٣٧، دمشق.
- (٩) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، الحنبلي، تحقيق: الدكتور محمد الأحدي أبو النور، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.
- (١٠) حياة الصحابة؛ الكاندهلوي (ت ١٣٨٤ هـ)؛ حققه وضبط نصّه وعلّق عليه، د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط ١ / ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- (١١) سير أعلام النبلاء؛ شمس الدين محمد أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)؛ حققه وخرّج أحاديثه شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ١ / ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢.
- (١٢) السيرة النبوية؛ ابن هشام (ت ٢١٠ هـ)، علّق عليها وخرّج أحاديثها، وصنّع فهرسها، د. عمر عبدالسلام تدمري، الناشر، دار الكتاب العربي بيروت ط ٣ / ٣.
- (١٣) السيرة النبوية؛ ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ)؛ تحقيق مصطفى عبدالواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان طبعة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م.
- (١٤) السنن الكبرى؛ البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)؛ تحقيق محمد عبدالقادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ٣ / ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- (١٥) شرح صحيح البخاري؛ ابن بطل؛ ضبط نصّه، وعلّق عليه وحقّقه، أبو تميم ياسر بن إبراهيم مكتبة الرشد، الرياض.

- ١٦) طبقات الفقهاء؛ الشيرازي الشافعي (ت ٤٧٦ هـ)؛ حَقَّقَه وقَدَّمَ له د. إحسان عباس، الناشر، دار الرائد العربي، بيروت لبنان طبعة ١٩٧٠ م.
- عيون الأخبار: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٧) فتح الباري؛ ابن حجر العسقلاني (ت ٧٥٢ هـ)؛ تقديم لإنجاز وتعليق عبدالقادر شيبه الحمد، ط ١ / ١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م.
- الفقه الإسلامي وأدلته: أ. د. وهبة الزحيلي، الناشر: دار الفكر - سورية - دمشق.
- ١٨) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي المحقق: عدنان درويش - محمد المصري الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ١٩) الموطأ: مالك بن أنس بن مالك بن عامر، المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان - أبوظبي - الإمارات الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

صناديق الاستثمار الإسلامية

بقلم/ د. أوان عبد الله الفيضي

الأستاذ المساعد في كلية الحقوق - جامعة الموصل

wan.alfaithy@gmail.com

تعد صناديق الاستثمار حقا انسب الأدوات الاستثمارية التي تفسح المجال لتوظيف مدخرات الأفراد واستثمارها في أسواق الأوراق المالية بواسطة مؤسسات متخصصة، لغرض تحقيق مزايا لا يمكن تحقيقها مطلقا وهم منفردين لضآلة وصغر حجم استثماراتهم، لذلك فان فكرة الصناديق الاستثمارية تقدم لنا الحل والفائدة العملية من مساهمتهم معا واستثمار أموالهم، وبما تحدثه هذه الصناديق من تنمية اقتصادية على المستوى الجماعي والفردى وطنيا أو إقليميا أو عالميا.

تعمل صناديق الاستثمار على تجميع مدخرات عدد كبير من الأفراد وتوفير لهم القدرة على انتقاء الأوراق المالية ومتابعة تطوراتها بواسطة خبراء متخصصين في تحليل وإدارة الأوراق المالية، بما يقلل حتما المخاطر الاستثمارية وبما يحقق عوائد استثمار يفوق العائد الذى يمكن تحقيقه من الودائع المصرفية.

ولاشك أن هناك تعاريف عديدة لصناديق الاستثمار إلا انه يمكن إجمال أهمها من خلال اعتبارين أساسين وذلك بالنظر إلى ماهيتها أو إلى الخدمة التي تقدمها للمستثمرين، فمن خلال الاعتبار الأول تعرف بأنها وعاء مالي لتجميع مدخرات الأفراد واستثمارها في الأوراق المالية من خلال جهة ذات خبرة في إدارة محافظ الأوراق المالية، أما من حيث العمل الذي تقوم به والخدمة التي تقدمها للمستثمرين فتعرف بأنها خدمة تقدمها المؤسسات المالية بهدف الإدارة الجماعية للمدخرات من القيم المنقولة ويديرها محترفون ومتخصصون على درجة عالية من الخبرة العلمية والعملية.

ومن خلال التوفيق بين التعاريف سواء بالنظر إلى ماهيتها أم بالنظر إلى الأعمال التي تقوم بها والخدمات التي تقدمها، يتضح لنا أن هذه الصناديق هي بالأساس عبارة عن وعاء مالي تتولى تجميع مدخرات الأفراد وتوجيهها في الوجهة الاستثمارية المناسبة من خلال

أدوات استثمارية مختلفة ومتنوعة من أجل الوصول إلى عوائد مناسبة بتنوع أوجه الاستثمار وبما يؤدي إلى تقليل مخاطر الاستثمار على أن تكون عملياتها وأنشطتها خاضعة حتماً لإحكام الشريعة الإسلامية.

ولاشك أن صناديق الاستثمار كوسيلة من وسائل الاستثمار الجماعي تنعم بالعديد من الخصائص التي تميزها عن سائر القنوات الاستثمارية، فمن أبرزها أنها تفتح السبل أمام صغار المدخرين لاستثمار أموالهم في سوق المال، كما تتميز بتوفير عنصر الأمان وتخفيض حجم المخاطر التي يتعرض لها المستثمر من خلال ما تقوم به من تنوع في محفظة الأوراق المالية، وهو أمر لا يستطيع تحقيقه المستثمر ذو الإمكانيات المحدودة والضعيفة لوحده وذلك إما لنقص الخبرة أو لنقص المبالغ المتاحة لديه للاستثمار، كما أنها تهيأ الطرق الجماعية في الاستثمار وتعد وسيلة جذابة لتحقيق ربح للمستثمر عن طريق ما يحصل عليه المستثمر من عائد على استثماراته في الصندوق، وهي في الوقت ذاته تمكن المستثمرين من الاستفادة من خبرات الإدارة المتخصصة لإدارة محفظة الأوراق المالية بتكاليف منخفضة بالنسبة للمستثمرين، فهي تسمح للجميع بالاشتراك إذا امتلكوا الحد الأدنى من الإمكانيات والمقومات، وبهذا فإن أغلب أفراد المجتمع يكون لهم دورا بارزا في الاستثمارات.

ولتحديد الطبيعة الشرعية والقانونية لصناديق الاستثمار وتكييفها المنطقي للعلاقات بين أطراف الصندوق الاستثماري منذ مرحلة إنشائه ولغاية انقضائه، من حيث المساهمون في الصندوق وعلاقتهم مع بعضهم البعض وعلاقتهم أيضاً مع جهة الإصدار ومدير الاستثمار، فإن التكيف الشرعي لصناديق الاستثمار الإسلامية ينبثق عادة من العلاقات التي تحكم جميع الأطراف المكونة لهذه الصناديق من حيث المساهمون الذين يكتبون في هذه الصناديق ومن حيث مدير الاستثمار، فضلاً عن جهة الإصدار والمصرف الذي يقوم بإنشاء الصناديق واستصدار التراخيص الرسمية لإنشائه بل قد يشارك في رأس ماله أيضاً، ويمكن أن نلخص العلاقة التي تربط هذه الأطراف الثلاثة:

أولاً/ علاقة المساهمين فيما بينهم:

حيث يقوم المساهمون بالاشتراك في هذه الصناديق والحصول على أوراق مالية تسمى وثائق الاستثمار، وهي تمثل حصص المساهمين في هذه الصناديق، فالعلاقة إذن بين أصحاب

هذه الأموال هي علاقة مشاركة وتعد شركتهم شركة أموال وهي جائزة ومشروعة في الفقه الإسلامي.

ثانيا / علاقة المساهمين بمدير الاستثمار:

إن العلاقة التي تربط المساهمين بمدير الاستثمار هي علاقة المضاربة، وعليه فإن شركة المضاربة هي الوصف الشرعي الصحيح لهذه العلاقة، إذ يقوم مدير الاستثمار بإدارة الأموال نظير حصة معلومة من الربح وقد اجمع أهل العلم على جواز شركة المضاربة في الجملة، والمضاربة تسمى قراضا أيضا وهي مأخوذة من الضرب في الأرض والسفر للتجارة فهي عقد على شركة في الربح بهال من احد الشركاء وعمل من الآخر.

فالمستثمر المضارب يقوم بإعداد دراسة جدوى للمشروع ويحدد رأس مال المشروع ثم طريقة توزيع الربح ويعد نشرة إصدار يضمنها جميع أركان وشروط عقد المضاربة يطرحها للجمهور طالبا منهم الاكتتاب في مقابل منحهم أوراق مالية تسلم إليهم، وتعد نشرة الاكتتاب إيجابا من جانب المضارب المستثمر ويقابله قبول المكتتبين، والورقة المالية تمثل حصة شائعة في صافي أصول المشروع فحق صاحب الورقة حق عيني يتعلق بموجودات المشروع وملكيته ملكية شائعة غير مفرزة، وملكية الحصة الشائعة في الصندوق يترتب عليها جميع الحقوق والتصرفات المقررة شرعا من بيع وهبة ورهن وارث وغيرها، كما أنهم يشتركون في تحمل المخاطر فلهم الغنم الذي يحققه المشروع وعليهم الغرم الذي يتعرض له.

ثالثا / علاقة المساهمين المكتتبين بجهة الإصدار:

وهذه العلاقة تتحدد بصورة أساسية من خلال ما تقوم به جهة الإصدار، إذ يمكن للمصرف المؤسس لصندوق الاستثمار أن يساهم في رأس المال، وبهذا تصبح العلاقة بينه وبين سائر المساهمين المكتتبين علاقة مشاركة أي شركة أموال، وقد يتقاضى المصرف عمولة لقاء ما يقدمه من خدمات وتسهيلات مصرفية وهذه العمولة تعد مشروعة وتعتبر في هذه الحالة أجرة للمصرف.

أما بالنسبة للتكييف القانوني لصناديق الاستثمار الإسلامية فقد اختلفت العديد من التشريعات في معظم دول العالم في تحديد الطبيعة القانونية للصناديق الاستثمارية وإن أغلب الاتجاهات التشريعية انقسمت إلى اتجاهين: الأول أن تأخذ الصناديق الاستثمارية شكل

الشركات المساهمة، والثاني أن تؤسس هذه الصناديق من قبل المصرف- كما هو الحال في صناديق الاستثمار السعودية- أو من شركات التأمين وبعض التشريعات جمعت بين الاثنين معا وفقا لضوابط خاصة.

وفي اغلب التشريعات نجد طغيان فكرة العقد على فكرة النظام في تنظيم العلاقات بين أطرافه كما هو الحال في نظام صناديق الاستثمار المؤسسة في السعودية وفق المادة/ ١٥ من لائحة صناديق الاستثمار السعودية المرقمة ١-٢١٩-٢٠٠٦ في ٢٤/١٢/٢٠٠٦.

وفيما يخص أصول الصناديق يذهب القانون السعودي في المادة/ ٢٣ من لائحة صناديق الاستثمار لاعتبارها ملك للمستثمرين على أساس جماعي فلكل منهم حصة شائعة من صافي تلك الأصول، أما بالنسبة للتشريعات الاخر فمنها من يثبت ملكية الصندوق ملكية مركبة، حيث ينصف ملكية الصندوق بين أمين الاستثمار كملكية قانونية وملكية للمستثمرين كما في القوانين الانكلوأمريكية وبعض القوانين الأخر كالقانون الألماني الذي يقوم على فكرة الملكية الائتمانية، أما القانون الفرنسي فيذهب للأخذ بفكرة الشيوخ أي الملكية الجماعية.

وعلى الرغم من صدور قانون الاستثمار العراقي النافذ رقم ١٣ لسنة ٢٠٠٦ المعدل ووجود سوق العراق للأوراق المالية إلا انه لم ينص على صناديق الاستثمار، ولكن من خلال رجوعنا لأحكام هذا القانون وبالأخص المادة/ ٢ منه نستطيع الاستنتاج أن من أهداف القانون عموما تشجيع الاستثمارات ونقل التقنيات الجديدة- ومنها وحسب اعتقادنا المتواضع الصناديق الاستثمارية- للإسهام في عملية تنمية العراق، فلا ضير إذا من اعتبار نصوص المادة قادرة على استيعاب فكرة صناديق الاستثمار وذلك لان هذه الصناديق إحدى أدوات التمويل الاستثماري، كما أن المادة/ ١ منه لم تحدد أي نمط معين للاستثمار فشمّل المشروع الاستثماري أي نشاط اقتصادي يعود بالمنفعة على البلد، فقد نصت هذه المادة على انه الاستثمار حقيقة هو توظيف المال في أي نشاط أو مشروع اقتصادي يعود بالمنفعة المشروعة على البلد.

وبهذا نسجل من هذه القراءات المتواضعة دعوتنا للمشرع العراقي بضرورة تبني فكرة الصناديق الاستثمارية وضرورة معالجتها تشريعيا بتنظيم قانوني خاص بها، كما ندعو إلى النهوض بالدور الإعلامي لتوعية الأفراد بمفهوم هذه الصناديق ودورها في

عمليات الاستثمار، وإنها مبنية على أساس تعاون الأفراد ومشاركتهم في مشاريع تعود بالخير على الجميع.

كما نؤكد أيضا على إنشاء صناديق للزكاة تعمل على تجميع زكاة الأموال الواجبة على المستثمرين والمساهمين في صناديق الاستثمار وإنفاقها في مصارفها الشرعية، مع ضرورة تشكيل هيئات الإفتاء والرقابة الشرعية على هذه الصناديق لكي يتم التأكد من توافق أنشطتها الاستثمارية مع أحكام الشريعة الإسلامية، فضلا عن قيامها بتصحيح المخالفات إن وجدت وصياغة العقود الموافقة لإحكام الشريعة الإسلامية وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر:

- ١- د. احمد بن حسن الحسيني، صناديق الاستثمار دراسة وتحليل من منظور الاقتصاد الإسلامي، مؤسس شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٩.
- ٢- د. احمد عيسى عاشور، الفقه الميسر آج ٢ ط ١، دار الخير للطباعة، بيروت، دون سنة طبع.
- ٣- د. اشرف محمد دوابه، صناديق الاستثمار في البنوك الإسلامية بين النظرية والتطبيق، ط ١، دار السلام للطباعة، مصر ٢٠٠٤.
- ٤- قانون الاستثمار العراقي النافذ رقم ١٣ لسنة ٢٠٠٦ المعدل.
- ٥- لائحة صناديق الاستثمار السعودية النافذة رقم ١- ٢١٩- ٢٠٠٦ في ٢٤/ ١٢/ ٢٠٠٦.

